دكتور بهاء الأمير

اليهود والحركات السرية

في

الكشوف الجغرافية

وشركة الهند الشرقية البريطانية



دكتور بهاء الأمير

اليهود والحركات السرية

في

الكشوف الجغرافية

وشركة الهند الشرقية البريطانية

٢٠١٩م

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر، إعداد إدارة الشؤون الفنية

الأمير، بهاء

اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية وشركة الهند الشرقية البريطانية

المؤلف: دكتور بهاء الأمير

القاهرة، بهاء الأمير، ٢٠١٩م

٤٦٠ ص، ١٧ × ٢٤ سم

١-اليهود-- تاريخ
٢-الكشوف الجغرافية

أ – العنوان

ديوي ٩٠٣، ٩٥٦

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١٩/٤٩٠٧م

دكتور بهاء الأمير

اليهود والحركات السرية

في

الكشوف الجغرافية

وشركة الهند الشرقية البريطانية

٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله علام الغيوب، أنزل وحيه كاشفاً لحقائق الوجود، وأودع فيه تاريخ البشر، وحفظ مسار البشرية من الخلق إلى القيامة، وأرشد أولي الألباب من عباده إلى ما في هذا التاريخ وهذا المسار من خفايا، وإلى أن الوحي هو المسألة المحورية التي يدور حولها التاريخ، ودلهم على الفاعلين فيه، وهم أهل الوحي ومن يسعون إلى تكوين العالم وصناعته به، ومن يصارعونهم من أجل تغييبه عن أذهان البشر وإزالة آثاره من عالمهم، ليكون ذلك وسيلتهم لاستيطان أذهانهم والسيطرة على مسار التاريخ والوصول بهم وبه إلى غايتهم، فلو لم يرشد الإله في بيانه أولي الألباب من عباده إلى غاية بني إسرائيل، وإلى موقعهم من التاريخ ومسيرة البشرية، وإلى سمات نفوسهم وخصائص تدبيرهم، لظلوا وظل ما يفعلونه خفياً أبد الدهر، ولما أحس بهم وبما يفعلونه ولا أدرك آثارهم أحد، لا في الشرق ولا في الغرب.

وبعد،

إذا شرعت في قراءة الكتاب الذي بين يديك، وقابلك أول عنوان فيه: المشروع اليهودي، نعلم أنك ستتنبه إلى أن هذه البداية للكتاب تبدو غريبة، وكأنها لا علاقة لها بموضوع الكشوف الجغرافية، أو كأنها جاءت إلى هذا الكتاب من كتاب آخر، وهو ما يدعونا إلى تهنئتك على يقظتك وانتباهك وقوة ملاحظتك.

ولكي تفهم تفسير ذلك، ينبغي أن نعرفك بأمور، أولها أن كتبنا كلها هي في حقيقتها كتاب واحد، أو فصول وأبواب في هذ الكتاب الواحد، ولن تستوعب ما فيه إلا بقراءة أبوابه كلها، أو هي أجزاء من خريطة واحدة، يتمم كل منها الآخر، ولن تفهم الخريطة الكبرى إلا بجمع هذه الخرائط الصغرى معاً.

وثانيها أن كتبنا هي بالضبط مثل الكشوف الجغرافية، فالذين اقتحموا بحار العالم ومحيطاته، وخاضوا لججها، وأبحروا في ظلماتها، ورسموا خرائطها، لم يفعلوا ذلك، كما ستعلم، من أجل

الاستكشاف ورسم الخرائط، ولا لمحض المغامرة أو لمجرد التجارة، كما يتوهم ويُوهمك ما كتبه الأميون في الغرب والشرق، بل فعلوا ذلك من أجل غاية معلومة يريدونها، وإبحارهم في البحار والمحيطات وما رسموه من خرائط وتسليم كل جيل منهم الراية لمن يليه كان من أجل الوصول إليها.

وكذلك كُتبنا، فهي إبحار في تاريخ العالم وخوض في محيطات أحداثه وأفكاره، من أجل إعادة استكشافها وكشف غوامضها ورسم خرائطها، والمسار الذي يتكون منها، ليسفر الفاعل الحقيقي في هذا التاريخ، وإلى أين يتجه به.

وكل كتاب من كتبنا هو رحلة في بحار العالم ومحيطاته، نعلم ونحن في بداية إبحارنا ما سنجده في نهايته، ونراه من قبل أن نصل إليه، ولم نعد نفاجأ حين يقودنا رسم الخرائط والمسار نحوه، غير أننا نزداد يقيناً من صحة فرضيتنا التي استلهمناها من القرآن عن موقع بني إسرائيل من التاريخ وحركته، وأن غايتهم وأفكارهم هي محوره ومحورها، ومن صحة تفسيرنا لصدر سورة الإسراء، والذي تجده في كتابنا: شفرة سورة الإسراء، وهو أن المشروع اليهودي وإقامة دولة بني إسرائيل والوصول إلى أورشليم/القدس وبناء الهيكل محل المسجد الأقصى هو مدار حركة إمبراطوريات الغرب الماسونية وهدفها الحقيقي الذي من أجله غزت بلاد الإسلام وصنعت منها بلاليص ستان بتفكيكها وإزاحة الإسلام منها، وأن هذه هي دورة إفساد بني إسرائيل الثانية، وما تراه وتعيشه في زمانك هذا هو ذروة هذه الدورة، أو ما قبل ذروتها بقليل.

ومثل الكشوف الجغرافية، غايتنا ونهاية المسار نعرفها، ولكنَّا نبحر في كتبنا من أجل إثباتها واستكشاف الطريق إليها ورسم مساره وخرائطه.

ولأننا نستكشف في كتبنا بحاراً مجهولة، ونرتاد مسارات غير مطروقة، لم يخضها ولم يرسم أحد خرائطها من قبل، ولا نعلم أي اتجاه سيصل بنا إلى غايتنا، وما الذي سنلتقي به ونقابله من شطآن وجزر، فنحن نعرج على كل جزيرة تقابلنا ونرسو عند كل شاطئ يلوح لنا، لنرسم لها وله خريطة مختصرة ونضع علامات إرشادية، لكي نتمكن من العودة إليه في رحلة تالية، وإعادة استكشافه بأناة، ورسم خريطة له أدق وأكثر تفصيلاً.

وهذا هو تفسير ما تجده في كتبنا من انعطافات نحو موضوعات تبدو مختلفة عن موضوعها الأصلي، فما ننعطف إليه ليس سوى جزر أو شطآن قابلتنا، وانعطافنا نحوها كان لتحديد مكانها من المسار وإثبات موقعها على الخريطة، لكي نتمكن من العودة إليها وإعادة استكشافها.

وقد انتقد بعض الأفاضل بعض كتبنا، وكان من نقده أن سألنا: لماذا لا تكون هذه الكتب في أبواب وفصول مرتبة ومحددة الموضوعات، ولها خطة تسير عليها، مثل الدراسات الأكاديمية والرسائل الجامعية؟

وكان هذا هو ردنا عليه:

"الفرق بين صورة الكتب كما تريدها وبين كتبنا، مثل الفرق بين من يسير في خطوط ملاحية معروفة ومرسومة، ومعه خرائطها، وعلى اتصال بمرصد يدله ويوجهه، ويستقبلونه عند الشاطئ الذي يعرفه ويعرفونه بالتصفيق والهتاف والكاميرات، وبين من يستكشف وحده بحاراً مجهولة ولم يخضها أحد من قبله، وهو الذي يحدد مساراتها ويرسم خرائطها، ولا يعلم أحد ولا هو نفسه عند أي جزيرة أو شاطئ سيكون رسوه، فالنوع الأول هو آلاف الربابنة والقباطنة يمكن أن يحل أي منهم مكان الآخر، والثاني هو شخص واحد، ولا يمكن أن يحل أحد محله، ولا يستهويه هو أن يكون محلهم، لأن طاقته ودوافعه وغايته وما يريد أن يصل إليه، كلها تفور من داخله وليس من خارجه، وهكذا في كل العلوم ومناحي الحياة، فالعسكريون وقادة الجيوش في تاريخ الإسلام لا يُحصون كثرة وأعمالهم جليلة عظيمة ولكن صلاح الدين واحد، وأساتذة الفقه والأصول يملأون جامعات بلاد العرب يصنفون ويُبوِّبون ويشرحون ما يملأ مكتباتها ويفيض حتى يغرق المدن التي تحتويها ولكن الشافعي واحد، فالمسألة عندنا ليست في جمع المعلومات وتبويبها وتصنيفها وترتيبها ولو كانت أكداسا مكدسة، بل في أن ترى في الأشياء ما لا يراه الآخرون وتقدر على إثباته، ولو كانت كتبي على الطريقة التي تتوهم أنها صحيحة لكانت كتباً هائلة الحجم مملوءة بالمعلومات المرتبة مع شروحاتها وتفسيراتها، ولحصلت بها على شهادات ماجستير ودكتوراة، ونلت الأوسمة والجوائز، لكن دون أن أرى ما رأيته أو أكتشف ما اكتشفته، وثمة أسلوبان في الكتابة والتأليف، أسلوب النحل وأسلوب النمل، فالنحلة تطوف على ألف زهرة ثم تمزج رحيقها معاً لتخرجها قطرات من شئ مختلف مبتكر لا علاقة له بالمادة الأولى التي أنتجته منها، وأما النمل فإنه يبذل جهداً شاقاً هائلاً دؤوباً ومنظماً

من أجل بناء المستعمرة وتمهيدها وتنظيفها والحفاظ عليها، ولكنه لا ينتج شيئاً جديداً ولا مختلفاً، والنحلة ليست نملة، كما أن النملة ليس في مقدورها أن تكون نحلة".

والآن نعلم أنك قد أدركت أن هذا الكتاب الذي بين يديك لم يكن سوى مسار جانبي لاح لنا ونحن نسير في مسار آخر واقترينا من نهايته، فانعطفنا نحوه ونحن ننوي استكشافه في رحلة سريعة، لوضع علامات على الطريق إليه ورسم خريطة مبدئية له، ولكن ما بدا لنا فيه من غرائب وإثارة حفزنا على مواصلة الإبحار فيه واستكشافه إلى نهايته.

والكتاب الذي بين يديك كانت بدايته من باب: أول الآتين من الخلف، في كتاب: بلاليص ستان، وكان الانعطاف نحوه من أجل تفسير علاقة التجارة في الشرق بسياسات بريطانيا وأهدافها فيه، والرد على ما تجده في كتاب الوزارة المقرر في بلاليص ستان، وما شاع في ما يكتبه الأميون من أن التجارة في الهند هي الدافع الرئيسي خلف موقف بريطانيا من محمد علي باشا ودولته في مصر، وبوصلة سياساتها في الشرق منذ القرن الثامن عشر.

وسوف ترى وأنت تبحر معنا في الكتاب الذي بين يديك، أن بوصلة بريطانيا الحقيقية في الشرق، هي المشروع اليهودي، والوصول إلى أورشليم/القدس وإقامة هيكل بني إسرائيل، وهي أيضاً بوصلة مملكة البرتغال وكرستوفر كولمبس قبل بريطانيا.

وبعد أن انعطفنا إلى هذا المسار الجانبي، حملتنا أمواجه إلى شركة الهند الشرقية البريطانية وتاريخها في الهند، فتحولت هذه الانعطافة إلى دراسة قصيرة، وعزلناها عن كتاب: بلاليص ستان.

وقرب ختام قصة شركة الهند الشرقية البريطانية في الهند، وبينما نعتقد أننا قد وصلنا إلى نهاية المسار الذي انعطفنا إليه، إذا به ينفتح أمامنا على محيط الكشوف الجغرافية، وما يحفل به من غوامض وألغاز، ووجدنا أنفسنا وسط رياحه العاتية وأمواجه الهادرة، فتحتم الإبحار فيه، ولم يعد إلى رجوع من سبيل.

وقد أبقينا كتاب: الكشوف الجغرافية وشركة الهند الشرقية البريطانية على صورته التي بدأ بها من كتاب: بلاليص ستان، وبدأناه بالفقرات من كتاب بلاليص ستان التي حملتنا إليه، لكي نسجل

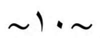
كيف بدأت الرحلة في هذا من ذاك، ولتبقى الصلة بين الكتابين، ويفضي كل منهما بقارئه إلى الآخر، ولأن كتبنا كما أخبرناك أبواب في كتاب واحد وأجزاء من خريطة واحدة، ونحرص على أن يوجد في كل منها ما يحافظ على الرابطة بينها، ويرشد القارئ إلى جمعها معاً لكي يتمكن من فهم الكتاب الأكبر وإدراك الخريطة الكبرى.

ولله الحمد أولاً وآخراً

دكتور بهاء الأمير

القاهرة

٣ جمادى الآخرة ١٤٤٠هـ/٨ فبراير ٢٠١٩م



شركة الهند الشرقية البريطانية

المشروع اليهودي

وأنت تقرأ ما فعلته الإمبراطوريات الماسونية بأول الآتين من الخلف وجيشه بذريعة حماية الباب العالي، ربما يثب إلى ذهنك سؤال، وهو: بعد استنزاف أول الآتين من الخلف للباب العالي، وبعد أن صارت أساطيلها تحاصر الأستانة، لماذا لم تنتهز هذه الإمبراطوريات ضعف الدولة العثمانية، وتقوم بتفكيكها وتحتل بلدانها، ولماذا أخرت هذه الخطوة إلى زمن الحرب العالمية الأولى، بعد أكثر من سبعين عاماً؟

والجواب: لأن الغرض الحقيقي لهذه الإمبراطوريات وجيوشها، ليس مجرد تفكيك الدولة العثمانية، ولا أن تملأ هي الفراغ الناشيء عن تفكيكها، ولا أن تسمح لقوة غيرها في الشرق بملئه، حتى لو كانت حليفة لها، ولذا ضربت أول الآتين من الخلف وحصرته رغم أنه عرض عليها صراحة، كما رأيت، أن يشترك معها في تمزيق الدولة العثمانية، وأن يكون قوة عميلة لهذه الإمبراطوريات، ولانجلترا تحديداً، تحل محل الدولة العثمانية.

وتفسير ذلك، أن الغرض الحقيقي للإمبراطوريات الماسونية، هو تفكيك الدولة العثمانية، وإحداث فراغ في الشرق، لكي يملأه اليهود ويتمددوا فيه، واليهود إذ ذاك مازالوا في مكامنهم في كواليس السلطة وأدمغة الساسة في الغرب، وداخل رأس أول الآتين من الخلف في الشرق، ولم يكونوا قد ظهروا بعدُ وصاروا مرئيين على مسرح الأحداث في الشرق، ولم تكن لهم قوة سياسية ولا عسكرية صريحة، تُمكنهم من ملأ الفراغ الذي يُنتجه تفكيك الدولة العثمانية، فلما صارت لهم هذه القوة وأخذوا أهبتهم، وصار الشرق كله مهيأً لهم، آن أوان التفكيك وإحداث الفراغ.

والآن إليك تفسيرات الأميين، لتقارنها بتفسيرنا، وترى أيها أقدر على ربط الأحداث معاً وتفسيرها مجتمعة، دون فجوات ولا التواءات، وعلى تفسير المسار الذي تسير فيه بلاليص ستان كاملاً، منذ حملة نابليون والماسون في فرنسا، وحتى يومك هذا، في زمان ثالث الآتين من الخلف، وصفقة القرن.

يقول دكتور خالد فهمي في كتابه: كل رجال الباشا، وهو الأطروحة التي حصل بها على درجة الدكتوراة من جامعة أوكسفورد في بريطانيا:

"كان هذا التوقع لتزايد نفوذ روسيا في اسطنبول وتوسعها جنوباً في اتجاه الهند هو الذي أجج مشاعر بالمرستون المعادية لسياسات الباشا الاحتكارية، وذلك لأن نظام الاحتكار الذي أقامه الباشا هو الذي أتاح له أن يُحول الفائض المجموع من الزراعة والتجارة إلى الجيش، فتمكن بذلك من بناء جيش قوي وأسطول مرهوب الجانب، استخدمه بعد ذلك في تهديد أملاك السلطان، ففي النهاية كان اهتمام بالمرستون الأعظم هو الأملاك البريطانية في آسيا، وقد نظرت كل من لندن وبومباي إلى محمد علي من حيث هو مصدر تهديد خطير لهذه الأسواق المهمة، وكان خوفه الأكبر أن تتمكن روسيا من التدخل فيها ... وكان شعار بالمرستون: الحفاظ على وحدة الدولة العثمانية المتراس الأكثر فعالية الذي وضعه للحيلولة دون العدوان الروسي المحتمل"[١].

فتنبه أن الدكتور يفسر حيلولة انجلترا دون تفكيك الدولة العثمانية، بأنها كانت تريد تقليص نفوذ روسيا فيها ومنع سيطرتها عليها، ومنعها من الوصول للهند، مع أن روسيا كانت الحليف الرئيسي لانجلترا في ضرب أول الآتين من الخلف، والضغط عليه عسكرياً لإيقاف زحفه على الدولة العثمانية، وفي معاهدة لندن التي أجبرته على الانسحاب بجيشه من الشام، ومنعت تفكك الدولة العثمانية!

وما غاب عن الدكتور ولم ينتبه إليه، وينسف تفسيره، أن روسيا القيصرية، هي نفسها، كانت أحد أطراف اتفاقية سايكس بيكو، التي مزقت الدولة العثمانية، بعد معاهدة لندن بستة وسبعين عاماً، وانجلترا ما زالت تحتل الهند.

فاتفاقية سايكس بيكو، التي تم توقيعها سراً في ١٦ مايو سنة ١٩١٦م، كانت في الأصل ثلاثية، وطرفها الثالث، مع انجلترا وفرنسا، روسيا القيصرية، وقد وقعها عنها وزير خارجيتها سيرجي سازونوف Sergey Sazonov، ثم انسحبت روسيا من الاتفاقية وكشفتها، في نوفمبر ١٩١٧م، مع اندلاع الثورة البلشفية وسقوط روسيا القيصرية، وكان الاتفاق أن يكون نصيب روسيا من أراضي الدولة العثمانية بعد تمزيقها المنطقة التي تقع فيها الأستانة ومضيقا البسفور والدردنيل.

---

١) دكتور خالد فهمي: كل رجال الباشا، محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، ص٣٨٤، ٣٨٥، ترجمة: شريف يونس، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

فروسيا القيصرية. كما ترى، كانت حليفاً لانجلترا في ضرب أول الآتين من الخلف ومنع تفكك الدولة العثمانية، ثم شريكاً لها في تمزيقها وتقسيم بلدانها، ولم يكن عند انجلترا أي مانع أن تمنحها السيطرة على عاصمة الدولة العثمانية، ومنطقة المضايق الاستراتيجية، معبر التجارة بين آسيا وأوروبا، لأن هدفها الحقيقي، وهدف جميع اليهود والماسون، في الشام ومصر.

وتنبه أيضاً أن الدكتور يفسر إذلال انجلترا لأول الآتين من الخلف، ومنعه من تفكيك الدولة العثمانية، بالحفاظ على تجارتها في الهند، رغم أن أول الآتين من الخلف كان يعي ضآلة حجمه مقارنة بانجلترا وجيوشها وأساطيلها ونفوذها في قارات العالم كلها، وصرَّح لقناصلها بذلك، بل وعرض عليهم دون مواربة أن يكون عميلاً لانجلترا، يأتمر بأمرها، ويحالفها في تجارتها.

وثمة أحد الأسئلة البريئة التي نترك لك الإجابة عليها، لو أدخل دكتور خالد فهمي في أطروحته وتفسيره، ولو كأحد العناصر، المشروع اليهودي وتوطئة الشرق له، وموقع اليهود ومشروعهم من الماسونية، وموقع الماسونية من انجلترا وساستها وسياساتها، والهوية الحقيقية للتجار وإمبراطورية بريطانيا التجارية في الهند، التي سنعرفك بها، لو مزَّق الدكتور الشرنقة، وأدخل في تفسيره هذه العناصر، هل كانوا سيسمحون له أن يُتم رسالته ويمنحونه في أكسفورد درجة الدكتوراة، بل هل كانوا سيسمحون له أن يبدأها أصلاً؟!

والآن جاء أوان أن نعرفك بحقيقة إمبراطورية التجارة البريطانية في الهند، التي يدور حولها تفسير الأميين لسياسات الامبراطوريات الماسونية في الشرق، فهي عندهم سبب حملة الماسوني نابليون على مصر، لكي يقطع طريق انجلترا إليها، وهي التي من أجلها ضربت بريطانيا أول الآتين من الخلف، وأبقت الباب العالي في معاهدة لندن، لكي تحافظ عليها وتمنع روسيا من الاقتراب منها، وهي عندهم تفسير معارضة انجلترا لمشروع حفر قناة السويس، ثم استيلائها عليها واحتلال مصر.

فإليك أولاً تفسير المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي لسياسات انجلترا في بلاد الشرق كلها:

"لم تكن المحافظة على كيان السلطنة العثمانية هي وجهة نظرها الحقيقية، بل غايتها الجوهرية هي إضعاف الدولة المصرية، لأنها ترى فيها إذا قويت مزاحماً لها في سيادتها بالبحر الأبيض المتوسط ورقيباً عليها في طريقها إلى الهند، ومن هنا كانت انجلترا تتمسك بكل عزم

وقوة بوجوب رد سوريا الى تركيا ... فالسياسة الإنجليزية هي التي سعت جهدها لتقليم أظفار مصر وقص أجنحتها، وإبقائها تحت السيادة التركية، وإنقاص قوتها البرية والبحرية، كأن استعمارها للهند يقتضي استعباد جميع البلاد التي في طريقها إليها"[١].

وكما ترى، الأميون يفسرون ما شهدته بلاليص ستان من أحداث عبر تاريخها بأشياء مفككة ومبعثرة ولا رابط بينها، والبعد الوحيد الغائب عن تفسيراتهم، ويتجنبونه غفلة أو عمداً، هو المشروع اليهودي، رغم أنه الثابت الوحيد والمستديم والذي لا يتغير في هذا التاريخ، وكل ما عداه يتغير ويزول ويحل محله غيره.

فالدولة العثمانية كانت ثم تفككت، وبلاليص ستان لم تكن وكانت، ومصر كانت ملكية وصارت جمهورية، وإمبراطورية انجلترا التجارية في الهند بادت والهند استقلت، وبريطانيا نفسها لم تعد إمبراطورية وحلت محلها في الشرق الولايات المتحدة الماسونية، وروسيا القيصرية سقطت وصارت شيوعية، والشيء الوحيد الباقي، ومع كل تغيير أو زوال لأي عنصر آخر يتراكم ويتقدم ويتطور، هو المشروع اليهودي الذي لا تراه أعين الأميين العمياء وتخلو منه تفسيراتهم.

---

١) المؤرخ عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي، ص٢٨٧، دار المعارف، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

التكوين والبداية

التجارة نفسها، كما رأيت طوال الكتاب الذي بين يديك، لا تنفصل عن السياسة، والتجار والتجارة في الغرب عبر التاريخ، ومنذ زمن فرسان الهيكل إلى زمن صندوق النقد والبنك الدولي، قلبها ونواتها والمسيطر عليها اليهود والطبقات التي تدور حولهم من الماسون ورجال الحركات السرية، وحركتها تتبع حركتهم، ومع تفرقهم بين الشعوب والبلدان، وافتقادهم للسلطة السياسية والقوة العسكرية، صارت التجارة والمال والبنوك مع وسائل الإعلام والحركات السرية، هي وسائلهم الأساسية في التغلغل في المجتمعات، وتغيير أنسجتها الاجتماعية والأخلاقية، وركوب من في السلطة وتطويع ساستها، واستيطان وعي نخبها، والإمساك بزمامها، ودفعها في المسار الذي يقربهم من غايتهم ويصل بهم إليها.

لندن عاصمة المال والماسون:

ومؤسس أول بورصة Bourse(•) في تاريخ انجلترا، وهي التي تحول اسمها لاحقاً إلى سوق المال الملكية أو البورصة الملكية في لندن Royal Exchange، هو المرابي وتاجر السلاح السير توماس جريشام، وكان المستشار المالي للملك إدوارد السادس Eduard VI والملكة إليزابيث الأولى Elizabeth I، وقد أسسها سنة ١٥٧١م، لتكون مركزاً لتبادل مِلكية الأسهم والبضائع، وعقد الصفقات بين التجار، وتوفير التمويل لها من المرابين وبيوت المال، وتصفية الحسابات بين هؤلاء وأولئك، من بلدان أوروبا كافة، وهو أيضاً مؤسس مصلحة سك العملة الإنجليزية، وكان يجلب لها سبائك الذهب والفضة من يهود ألمانيا وهولندا وإسبانيا، من أجل ضبط نسبة المعادن النفيسة في العملة وتوحيدها.

•) كلمة بورصة هي في الأصل اسم فندق أو نُزل في مدينة بروج Bruges، عاصمة إقليم فلاندرز Flanders، وهو يقع الآن في بلجيكا، وقت أن كان الإقليم مركز حركة المال ومحور التجارة الرئيسي في أوروبا في القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر، وكان الفندق والميدان الذي يقع فيه مقر نزول التجار الوافدين إلى بروج ومحل إقامتهم ومركز عقد الصفقات بينهم، واسم الفندق هو نفسه اسم الميدان: Huis Ter Beurze، وهما معاً يحملان اسم الأسرة التي أنشأتهما وكانت تملكهما، وهي أسرة بورصة Van der Buerze، والسير توماس جريشام هو الذي منح كلمة بورصة معناها الشائع إلى اليوم، حين أطلقها على سوق المال التي أنشاها في لندن.

وله قاعدة اقتصادية شهيرة تحمل اسمه، قاعدة جريشام Gresham Law، ونصها:

"العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من الأسواق"(١).

Bad Money Drives Out Good

ومعناها أنه حين يوجد نوعان من العملة، إحداهما تحوي نسبة من المعادن النفيسة أكثر من الأخرى، فإن العملة الرديئة التي تحوي نسبة أقل هي التي تبقى في الأسواق ويتم تداولها، لأن التجار والمتعاملين يقومون بسحب العملة التي تحوي المعدن النفيس من الأسواق وتخزينها.

والسير توماس جريشام من أسرة يهودية تحولت إلى البروتستانتية، وهو نفسه أول أستاذ أعظم للماسون في لندن وجنوب انجلترا بعد توحيد محافلها، وفي طبعة سنة ١٧٣٨م الموسعة من دستور الماسون The Constitutions Of The Freemasons، سرد دكتور جيمس أندرسون James Anderson من وثائق الماسونية، تاريخها في انجلترا قبل تأسيس المحفل الأعظم، وفيها أنه:

"في سنة ١٥٦٧م، قرر الماسون في جنوب انجلترا الانفصال عن محفل يورك في شمالها، وقاموا بتكوين محفل في لندن، وانتخبوا السير توماس جريشام Thomas Gresham أستاذاً أعظم لهم، وفي عهده وبفضل جهوده وعطاياه انضم كثير من الرجال النابهين وصفوة المتعلمين إلى الماسونية"(٢)

وبالبورصة التي أنشاها اليهودي توماس جريشام، وبوصوله إلى سُدة المحافل، أستاذاً أعظم للماسون في لندن، أصبحت لندن مركز حركة المال وعاصمة الاقتصاد في أوروبا، وقبلة التجار وأصحاب البنوك في كل بلدانها، واستوطنها عدد كبير منهم، وفي الوقت نفسه صارت عاصمة الماسون في أوروبا.

1-Mc Farlane: The life of sir Thomas Gresham, P102-103, Charles Knight & Co., Ludgate Street, London, 1845.
2- James Anderson: The History And Constitutions of TheMost Ancient And Honorable Fraternity Of Free And Accepted Masons, P81, Printed And Sold By J. Robison, At The Golden Lion In Ludgate Street, London, In The Year Of Masonry 5746.

ويقول أستاذ الاقتصاد وتاريخه فيرنر سومبارت Werner Sombart، في كتابه: اليهود والرأسمالية الحديثة The Jews and Modern Capitalism، إن حركة التجار اليهود عبر التاريخ، كان يصاحبها انتقال المال والمعادن النفيسة، خصوصاً الذهب، من البلدان التي هجروها إلى تلك التي استوطنوها.

"وفي القرن السادس عشر تسببت هجرة اليهود من إسبانيا والبرتغال في تفريغها من الذهب، وإثراء هولندا وانجلترا به Spain and Portugal Were Emptied of Gold and England and Holland Enriched"[١].

ويقول سومبارت إن:

"شركات الهند الكبرى Geat India Companies، ما كانت لتوجد، والبنوك الكبرى التي تأسست في القرن السابع عشر، ما كان يمكن تأسيسها ولا استقرارها، من غير ثروات اليهود المهاجرين من إسبانيا إلى انجلترا وهولندا وهامبورج"[٢].

بل ويقول سومبارت إن التجار اليهود كانوا موجودين في الهند، من قبل أن تصل شركات الهند الشرقية الأوروبية، الهولندية والبريطانية والفرنسية، إليها، ويستدل على ذلك، بأنه:

"في تعليقاته، التي كتبها على شرحه لسفر إرميا، سنة ١٥٠٤م، يقول الربي إسحق أبرافانيل Isaac Abarbane، إنه رأى تقارير كتبها تجار التوابل البرتغاليون، وفيها أنهم التقوا كثيراً من التجار اليهود في الهند"[٣].

تكوين الشركة، فتش عن المارانو:

في سنة ١٥٩٠م، في أعقاب انتصار الأسطول الإنجليزي على الأرمادا الإسبانية Armada، قدم مجموعة من التجار في لندن التماساً إلى الملكة إليزابيث الأولى، يطلبون فيه السماح لهم بالإبحار في المحيط الهندي، لكسر احتكار إسبانيا والبرتغال للتجارة مع الشرق، وبعد موافقة الملكة أبحرت ثلاث سفن بقيادة جيمس لانكستر James Lancaster، إلى الشرق عبر

---

1) Werner Sombart : The Jews and Modern Capitalism, P188, Translated From German By: M. Epstein, E. P. Dutton & Company, New York, 1913.
2) The Jews and Modern Capitalism, P188.
3) The Jews and Modern Capitalism, P362.

رأس الرجاء الصالح، ووصلت إلى أرخبيل الملايو، ثم عادت بعد ثلاث سنوات، محملة بالبضائع، وتلتها عدة رحلات أخرى.

وفي الجزء الأول من كتابه: تاريخ الهند البريطانية The History of British India، يقول المؤرخ البريطاني جيمس ميل James Mill، إنه في سنة ١٥٩٩م:

"اتفق مائة من التجار في لندن، على تكوين شركة للتجارة بين انجلترا وجزر الهند الشرقية، وتأسيس خط ملاحي لها، ورصدوا لذلك حوالي ٣٠,٠٠٠ جنيه استرليني، وزادوها بعد ذلك إلى ٦٨,٠٠٠ جنيه استرليني ... وفي ٣١ ديسمبر سنة ١٦٠٠م "أصدرت الملكة مرسوماً، تسمح فيه لهؤلاء التجار، وكان عددهم٢١٥ تاجراً، بتأسيس شركة باسم: شركة تجار لندن للتجارة مع جزر الهند الشرقية Governor and Company of Merchants of London trading with the East Indies، ومنحت الملكة في المرسوم الشركة حق احتكار التجارة بين انجلترا والمناطق الواقعة بين رأس الرجاء الصالح شرقاً Cape of Good Hope، ومضيق ماجلان غرباً Straits of Magellan"[١].

وقد اشتهرت الشركة بعد ذلك باسم: شركة الهند الشرقية البريطانية British East India Company، وتنبه أنها شركة خاصة أسسها ويمتلك أصولها نحو مائتي تاجر، أو مائتي أسرة من أسر التجار، في لندن، دون بقية مدن انجلترا، ولا علاقة للدولة والحكومة بها سوى منحها ترخيص العمل.

وفي ٢٢ أبريل سنة ١٦٠١م، أبحر لانكستر على رأس ثلاثة سفن، إلى الشرق، لتأسيس فرع للشركة في الشرق، ومعه أيضاً تفويض من الملكة إليزابيث الأولى بأنه ممثلها في التعامل مع حكومات الشرق، فأقام مقراً للشركة في مدينة بنتام الساحلية Bantam، في جزيرة جاوة، وآخر في جزر مالوكو/جزر التوابل Moluccas، كلاهما في أرخبيل الملايو، وفي رحلة تالية أنشأ سنة ١٦٠٨م مرفأ للخط الملاحي للشركة في ميناء سورات Surat، في إقليم كوجرات Gujarat، على الشواطيء الغربية للهند، المطلة على الشاطيء الشرقي لبحر العرب.

---

1) James Mill: The History of British India, Vol. I, P23-26, Fourth Edition, James Madden, London, M.DCCC.XLVIII.

وبعد عودة لانكستر إلى انجلترا من رحلته الأولى، في سبتمبر سنة ١٦٠٣م، منحه الملك جيمس الأول James I، الذي خلف الملكة إليزابيث الأولى، لقب فارس Knight، وصار السير جيمس لانكستر، وظل أحد أعضاء هيئة إدارة الشركة إلى وفاته سنة ١٦١٨م.

والملك جيمس الأول قد التقيت به في رحلتك معنا من قبل، وهو أول من يحكم انجلترا واسكتلندا معاً، وكان قبل ذلك ملكاً لاسكتلندا باسم جيمس السادس James VI، وكان عضواً في محفل الاسكتلنديين Lodge of Scots، وهو الذي أشرف على تنظيم المحافل الاسكتلندية في صورتها الحديثة ووضعها تحت رعايته.

أما جيمس لانكستر، أول من ارتاد الهند والشرق باسم انجلترا، والذي أسس شركة الهند الشرقية البريطانية، وقاد رحلاتها، من أجل كسر احتكار إسبانيا والبرتغال للتجارة مع الشرق، فهو نفسه تاجر من البرتغال!!

واسمه الإنجليزي القُح، جيمس لانكستر، هو الذي عُرف به في انجلترا، واسمه الأصلي وهويته قبل أن ينتقل إلى انجلترا مجهولة، كالمعتاد!

في سيرته لجيمس لانكستر، في كتابه: المغامرون الإنجليز الأوائل في الشرق Early English Adventures In The East، يقول المؤرخ الإنجليزي أرنولد رايت Arnold Wright، إن:

"محل ميلاده مجهول، ونسبه وأصوله غامضة His Ancestry Is Obscure، ومن عباراته وأقواله التي جمعناها، يؤخذ أنه نشأ في البرتغال، وقضى شبابه فيها، وخدم مع البرتغاليين كجندي As A Soldier، وكان يعمل معهم في التجارة، واكتسب منهم عاداتهم وطباعهم، وكان يتكلم البرتغالية بطلاقة ... ثم انتقل إلى انجلترا، وخدم تحت قيادة الأدميرال دريك Drake في معركة الأرمادا ضد الأسطول الإسباني"(١).

وهنا يجب أن تضيف إلى معلوماتك أن الملك إدوارد الأول Edward I أصدر، في سنة ١٢٩٠م، مرسوماً بطرد جميع اليهود من انجلترا ومنع دخولهم إليها، بعد أن منع المرابين اليهود من الإقراض بالربا، في إثر امتناعهم عن تمويل حربه ضد ويلز، ولذا لم يكن مسموحاً لليهود

---

1) Arnold Wright: Early English Adventures In The East, P22,23, E. P. Button & Co., New York, Andrew Melrose, London, Second Edition, 1917.

بالوجود في انجلترا رسمياً، إلى أن أعادهم إليها كرومويل Cromwell، بعد ثورته الجمهورية التي أطاحت بالملك تشارلز الأول ثم أعدمته سنة ١٦٤٩م، بعد محاكمة صورية، كان المدعي العام ضد الملك فيها إسحق دوريسلاوس Isaac Dorislaus، وهو برتغالي من يهود المارانو!

وكانت إعادة اليهود إلى انجلترا، جزءًا من الاتفاق بين كرومويل ومنشه بن إسرائيل Menasseh Ben Israel، حاخام اليهود في هولندا، الذي تولى توفير التمويل للثورة، في مقابل إزاحة الملكية وترسيخ الحكم البرلماني، وإعادة اليهود، وقد جاء منشه بن إسرائيل بنفسه إلى انجلترا، سنة ١٦٥٥م، وحضر جلسة لبرلمان كرومويل، وقدم فيها الالتماس الذي أعيد اليهود بالموافقة عليه إلى انجلترا.

ولكن في الفصل الذي خصصه لتاريخ يهود المارانو في انجلترا، من كتابه: تاريخ المارانو A History of The Marranos، يقول المؤرخ اليهودي سيسيل روث Cecil Roth، إنه رغم منع وجود اليهود رسمياً، فإنه:

"بعد طردهم، ومذابح محاكم التفتيش، تحول كثير من اليهود في إسبانيا والبرتغال إلى المسيحية وظلوا فيها، وهاجر آخرون إلى انجلترا، وكونوا فيها تجمعات مؤثرة في المجتمع، ونبغ منهم عدد من الأطباء، مثل ... ، واشتغل كثير منهم بالتجارة، وعمل بعضهم بتجارة التوابل، وفي القرن السادس عشر كان عدد أسر المارانو التي تعمل بالتجارة في لندن لا يقل عن ٣٧ أسرة، وأشهرهم بيت التاجر الكبير منديس House of Mendes، وكان له وكلاء في مدن عديدة، وتتحرك سفنه بالتوابل بين البرتغال وساوثهامبتون Southampton وبليماوث Plymouth في انجلترا"[١].

وفي دراسته عن: المارانو في انجلترا Maranos in England، التي كتبها في الموسوعة اليهودية The Jewish Encyclopedia، المطبوعة في الولايات المتحدة، يقول المؤرخ اليهودي جوزيف جاكوبس Joseph Jacobs، إنه بعد طرد اليهود من إسبانيا سنة ١٤٩٢م، ومن البرتغال سنة ١٤٩٨م:

"استقر عدد من تجار المارانو في لندن، على أنهم مسيحيون، وصاروا مجتمعاً سرياً، يرأسه أنتونيو فرنانديز كارفاجال Antonio Fernandez Carvajal، وقد كوَّن هؤلاء

1) Cecil Roth: A History of The Marranos, P253, Schocken Books, New York , 1975.

المـارانو أو اليهـود السـريون Secret Jews، شـبكة واسـعة ومترابطـة للتجـارة بـين انجلتـرا وإسـبانيا والبرتغـال والبرازيـل وجـزر الكنـاري وهولنـدا وشـرق المتوسـط وجـزر الهنـد الشـرقية والغربيـة، وكـان لهـم دور مهـم فـي ثـورة كرومويـل، إذ بسـبب شـبكة علاقـاتهم الواسـعة كـانوا يشكلون جهاز مخابرات سرياً لكرومويل Cromwell's Secret Intelligencers، ويمدونـه بالمعلومات عن أنصار تشارلز الأول وتحركاتـهم"[١].

وكارفاجال، رأس المارانو في لندن، كان ينقل سنوياً ما قيمته مائة ألف جنيه إسترليني من الفضة، من البرتغال إلى انجلترا.

وإليك بعض طرائف التاجر اليهودي المتخفي كارفاجال، في سيرته التي جمعها المؤرخ اليهودي الإنجليزي لوسيان وولف Lucien Wolf،، في دراسته: أول يهودي إنجليزي، سيرة أنتونيو فرنانديز كارفاجال، مع بعض وثائق منها The First English Jew, Notes on Antonio Fernandez Carvajal, With Some Biographical Documents، والتي نشرها، سنة ١٨٩٤م، في مجلة: أعمال الجمعية التاريخية اليهودية في انجلترا Transactions of The Jewish Historical Society of England

يقول وولف إن:

"كارفاجال كان يتظاهر بأنه بابوي Pretended To Be a Papist، ويحضر القداس الكاثوليكي الذي يقيمه سفير إسبانيا في لندن، وفي الوقت نفسه كان يمارس الطقوس اليهودية في الكنيس السري الذي أقامه التجار المارانو ... وحين اندلعت الحرب بين انجلترا والبرتغال، ظلت سفن كارفاجال التجارية تبحر بين موانى انجلترا والبرتغال، دون أن يتعرض لها هؤلاء ولا أولئك، لأن سفنه إنجليزية، وهو مواطن برتغالي ... وفي سنة ١٦٥٥م صار مواطناً إنجليزياً هو وأولاده، وحين بدأت الحرب بين انجلترا وإسبانيا سنة ١٦٥٥م، وصارت سفنه عُرضة لأن يستولي عليها الإسبان، أبلغ كرومويل بذلك، فقام كرومويل بعمل ترتيبات Arrangments، لكي يستمر كارفاجال في نقل البضائع من أملاكه في جزر الكناري إلى انجلترا، وذلك عن طريق رفع رايات وشعارات هولندية على السفينة الإنجليزية كنز البحر Seafortune، فكانت السفينة تبحر من دوفر Dover في انجلترا، يقودها ربان وطاقم هولندي، إلى جزر الكناري، ثم تعود

1) Joseph Jacobs: Maranos in England, The Jewish Encyclopedia, Vol. V, P168, Funk And Wagnalls Company, New York And London, Printed in USA, 1904.

محملة بالبضائع إلى أمستردام، حيث يتلقاها اثنان من التجار اليهود، هما لوبيز كيون Lopez Chillon، وفيليب فان هولتن Philip van Hulten، ومن أمستردام ترجع السفينة إلى كارفاجال في انجلترا، في حراسة سفن حربية إنجليزية"[١]!

أما جيمس لانكستر، فسفينة القيادة في السفن الثلاثة، التي أبحر عليها إلى الشرق، باسم شركة الهند الشرقية البريطانية، وهي سفينة حربية، كان اسمها: التنين الأحمر Red Dragon، وأبحر بها وأعلى صواريها يرفرف صليب فرسان الهيكل الأحمر المربع متساوي الأطراف، وقد صار أيضاً جزءًا من شعار شركة الهند الشرقية البريطانية.

وشعار شركة الهند الشرقية البريطانية، اتخذه محفل الهند الأعظم شعاراً له عند تكوينه سنة ١٩٦١م، وفي دراسة للمحفل عن: مجيء الماسونية إلى الهند Freemasonry Comes to India، أن ذلك:

"كان امتنانًا للشركة واعترافاً بفضلها، لأن شركة الهند الشرقية البريطانية هي التي أدخلت الماسونية إلى الهند وظلت ترعاها طوال فترة وجودها فيها"[٢]!

والصليب الأحمر على أرضية بيضاء، هو أيضاً شعار انجلترا، والتفسير الرسمي له أنه صليب القديس جورج Saint George.

والقديس جورج كان يعيش في فلسطين أواخر القرن الثالث الميلادي، وهي جزء من الإمبراطورية الرومانية، ولا توجد علاقة حقيقية بينه وبين الصليب الأحمر، أو دليل تاريخي على أنه كان شعاراً له، وإنما شاع الربط بينهما، ورُسمت لوحات تصوره وهو يحمله، إبان الحروب الصليبية وبعدها، ومصدر هذا الربط منظمة فرسان الهيكل نفسها، إذ جعلت القديس جورج من رموزها باعتباره نموذجاً لفارس الهيكل أو الراهب المقاتل.

واتخاذ انجلترا الصليب الأحمر راية لها، كان إبان الحروب الصليبية، وفي ذروة قوة منظمة فرسان الهيكل وسيطرتها على الحياة العامة في أوروبا كلها، على خلاف بين المؤرخين، هل

1) Lucien Wolf: The First English Jew. Notes on Antonio Fernandez Carvajal, with Some Biographical Documents, The Jewish Historical Society of England, Transactions, Session: 1894-1895, P16-18, Wertheimer, Lea And Co., London.

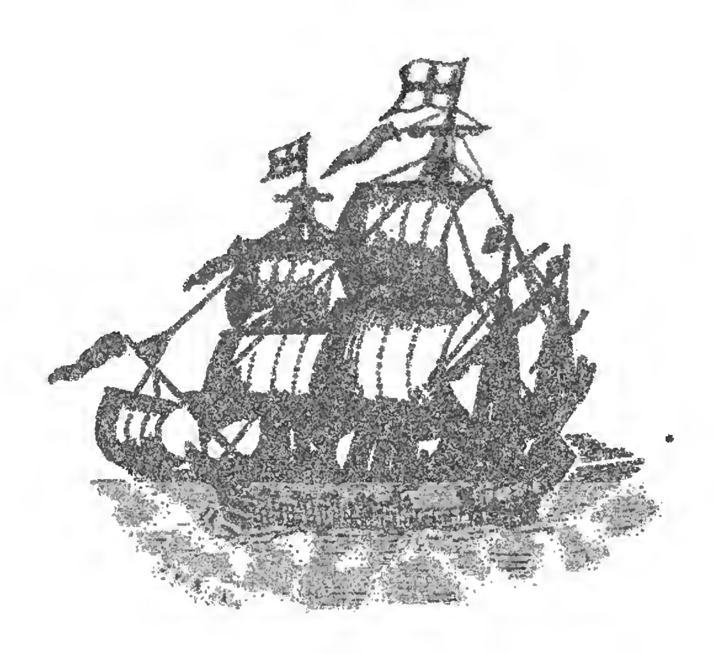
2) Grand Lodge of India: Freemasonry Comes to India,

http://www.masonindia.in/index.php/freemasonry-comes-to-india/

كانت بداية استخدامه في عهد الملك هنري الثاني Henry II، سنة ١١٨٨م، أم في عهد خلفه ريتشارد قلب الأسد، سنة ١١٩٠م.

وإذا ذهبت إلى كتابنا: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، ستعلم أن انجلترا واسكتلندا كانتا أحد المعاقل الرئيسية لفرسان الهيكل، ثم ملجأ المنظمة بعد حلها ومطاردة أعضائها، وأن الماسونية وُلدت من فرسان الهيكل، وانجلترا واسكتلندا هي المهد التي ولدت فيه.

وإليك لوحة أبيض وأسود، تصور سفينة التنين الأحمر، وأعلى صواريها صليب فرسان الهيكل الأحمر، وقد رسمها على الخشب بحارة شركة الهند الشرقية الهولندية، سنة ١٦٠٢م، إبان وجودها في مضيق ملقا، بين أرخبيل الملايو وجزيرة سومطرة.



سفينة التنين الأحمر

ثم هاك شعار شركة الهند الشرقية البريطانية، وهو أيضاً شعار محفل الهند الأعظم.



شعار شركة الهند الشرقية البريطانية، وهو أيضاً شعار محفل الهند الأعظم.

وفي ٣٠ نوفمبر سنة ١٦١٢م، وبعد عدة مواجهات، تمكن أسطول شركة الهند الشرقية البريطانية، وكان يتكون من أربع سفن، إحداها سفينة التنين الأحمر، من إنزال هزيمة ساحقة بأسطول برتغالي يتكون أيضاً من أربع سفن حربية، يصاحبها ستة وعشرون قارباً، في معركة سوفالي/سوالي Suvali/Swally، قرب سورات.

ومن الطريف، ولكي تتيقن أن الصليب الأحمر في شعار الشركة، لا علاقة له بانجلترا، بل وأن علم انجلترا نفسه من آثار فرسان الهيكل، أن تعلم أن الصليب الأحمر كان يرفرف أعلى سفينة التنين الأحمر، ليس وحدها، بل وأيضاً أعلى صواري السفن البرتغالية!!

ذلك أنه مثل انجلترا بالضبط، الذي صنع الإمبراطورية البرتغالية عبر البحار، ليس الدولة، بل منظمة فرسان المسيح Ordem Militar de Cristo، ومرة أخرى، إذا عدت إلى كتابنا: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، ستعلم أن منظمة فرسان المسيح لم تكن سوى امتداد منظمة فرسان الهيكل في إسبانيا والبرتغال، بعد أن حلها البابا كليمنت الخامس ClementV.

الشركة في الهند:

وبعد معركة سوفالي، ومع انحسار نفوذ البرتغال عن شبه القارة الهندية، وكانت تحكمها منذ سنة ١٥٢٦م سلطنة المغول المسلمة، أرسلت الشركة بعثة من التجار برئاسة توماس ألدورث Thomas Aldorth، إلى عاصمة المغول أكبر أباد Akbarabād (•)، فأصدر جهانكير نور الدين محمد خان(•)، رابع سلاطين المغول، فرماناً يسمح فيه للشركة بممارسة التجارة في سلطنته.

وفي سنة ١٦١٣م، وصلت إلى بلاط المغول بعثة دبلوماسية إنجليزية برئاسة السير توماس رو Thomas Roe، أرسلها الملك الماسوني جيمس الأول، لعقد معاهدة مع جهانكير نور الدين.

وتوماس رو كان مبعوث جيمس الأول ظاهراً، ويمثل تجار لندن في الحقيقة، والمعاهدة كانت تجارية محض، وهي كما يقول جيمس ميل:

"لمصلحة الشركة، ومن أجل زيادة نشاطها وتوسيع نفوذها، وكان لب المعاهدة السماح لمبعوثي الشركة بحرية التجارة وإنشاء مصانع في كل مكان يقع تحت سيطرة المغول In Any Part Of The Mogul Dominions، في مقابل جلب سفن الشركة الكماليات والتحف من انجلترا إلى بلاط المغول ... وكان هذا السماح لممثلي الشركة بممارسة التجارة لمصلحتهم الخاصة مصدراً للفساد، حتى في هذه الفترة المبكرة"(١).

وبناءًا على المعاهدة، أنشات الشركة في السنوات التالية مستوطنات أو وكالات تجارية في سورات وبومباي على سواحل الهند الغربية المطلة على بحر العرب، وفي مدراس على الساحل الشرقي المطل على المحيط الهندي، وحولها تكونت مدينة مدراس ومدينة بومباي.

وقبل أن ينتصف القرن السابع عشر، ويمر نصف قرن على تأسيس الشركة، كان قد صار لها في الهند ثلاثة وعشرون مقراً ووكالة تجارية، كل منها له حاكم أو قائد، هو أحد تجار الشركة المقيمين في الهند، ويعمل في كل منها نحو مائة موظف وعامل، وصار للشركة أسطول من ست

•) أكبر أباد، هي الآن مدينة أكرا، في ولاية أوتار براديش، وتقع على بعد مائتين وخمسين كيلومتراً من نيودلهي، في اتجاه الجنوب.

•) جهانكير لقب يعني بالفارسية والأوردية: الفاتح أو الغازي.

1) The History of British India, Vol. I, P33, 35.

وثلاثين سفينة تجارية، تتراوح حمولة كل منها بين مائة طن وألف طن، وعشر سفن حربية لحماية مقراتها وسفنها التجارية، يعمل عليها بضعة آلاف من البحارة.

وكان نشاط الشركة الرئيسي، تجارة التوابل والملح، والقطن والحرير ومنسوجاتها، والشاي، والأصباغ والملح، والقرصنة!

وكانت القرصنة جزءًا رئيسياً من نشاط الشركة في عقودها الأولى، خصوصاً في أرخبيل الملايو وجزر مالوكو أو جزر البهار ومضيق ملقا، وجزء من ثروة الشركة تكون من القرصنة على السفن التجارية البرتغالية، وأول نشاط للشركة في الشرق بعد تأسيسها، كان عملية قرصنة، استولى فيها جيمس لانكستر بسفينته الحربية التنين الأحمر على سفينة تجارية برتغالية بحمولتها البالغة ألف طن، سنة ١٦٠١م.

والقرصنة عموماً، وعلى السفن البرتغالية خصوصاً، كان نشاطاً تشترك فيه شركة الهند الشرقية البريطانية، مع نظيرتها شركة الهند الشرقية الهولندية Vereenigde Oostindische Compagnie، التي تأسست سنة ١٦٠٢م، قبل أن يتحول التنافس والصراع ليصبح بين الشركتين البريطانية والهولندية، وهو ما تسبب في بضعة حروب بين انجلترا وهولندا منذ منتصف القرن السابع عشر.

ولكي لا يفوتك ارتباط تحولات التجارة في الشرق بحركة اليهود في الغرب، نذكرك هنا بأن هزيمة انجلترا للأرمادا الإسبانية، ثم تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية ونظيرتها الهولندية، واشتراكهما في القرصنة على السفن البرتغالية، وحلولهما محل البرتغال في الشرق، يتزامن مع حركة اليهود، وما صاحبها من خروج الذهب والفضة والمعادن النفيسة من البرتغال وإسبانيا وتدفقها على انجلترا وهولندا، والذهب والفضة كانت المصدر الرئيسي لتأسيس الشركة وتمويل بناء سفنها ورحلاتها وتجارتها في الشرق.

وضبط نسب المعادن النفيسة في العملة الإنجليزية وضمانها والحفاظ عليها، الذي قام به توماس جريشام، هو الخطوة الأولى التي ما كان للشركة أن تكون، ولا أن تتمكن من التعامل بالعملة وتمويل رحلاتها وصفقاتها في الشرق من غيرها.

وقد بلغت الأرباح الصافية للشركة في بعض رحلاتها الأولى ٢٠٠%، وكان متوسط الربح في العشرين سنة الأولى من عمر الشركة ٨٧,٥%.

ومع زيادة نشاطها وأرباحها، تحولت الشركة إلى شركة مساهمة Joint Stock، فزادت عدد أسهمها وطرحتها للتجار في لندن، من أجل تمويل رحلاتها، عدة مرات، فزاد رأسمالها إلى حوالي ٤٢٠ ألف جنيه إسترليني سنة ١٦١٢م، ثم إلى ١,٦ مليون جنيه إسترليني سنة ١٦٣٢م، وارتفع سعر السهم في الشركة من ٦٠ جنيهاً إسترلينياً عن منتصف القرن السابع عشر، إلى ٣٠٠ جنيه إسترليني عند نهايته، وكان متوسط سعر السهم طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر ٢٠٠ جنيه إسترليني.

دولة الشركة

كانت هيئة إدارة شركة الهند الشرقية البريطانية تتكون من رئيس أو حاكم، وله نائب، تنتخبهما هيئة الإدارة، وتتكون من أربعة وعشرين مديراً، يُنتخبون من بين مالكي أسهم الشركة، وكان حق الترشح لعضوية هيئة الإدارة مقصوراً على كبار التجار، ممن تزيد قيمة أسهمهم على ٢٠٠٠ جنيه إسترليني، بينما كان حق التصويت والانتخاب مفتوحاً لكل من يمتلك أسهماً قيمتها ٥٠٠ جنيه إسترليني.

ومع رواج أنشطة الشركة، وزيادة أرباحها، تراكمت ثروات هيئة إدارتها وكبار تجار لندن المساهمين فيها، وصارت لهم قصور وقلاع ومزارع في انجلترا، ثم أصبح لهم بثرواتهم نفوذ سياسي، خصوصاً بعد تجديد امتيازات الشركة وزيادتها، بعد ثورة كرومويل والإطاحة بالملك تشارلز الأول والتحول إلى النظام البرلماني، الذي نقل السلطة والنفوذ من العرش إلى أعضاء البرلمان، فصار جزء من نشاط مديري الشركة وكبار تجارها، إنفاق أموال طائلة لشراء أعضاء البرلمان، وتدبير وصول من يوالونهم إلى مقاعده، وبعض هؤلاء التجار صار هو نفسه من أعضاء البرلمان.

وكان ما ينفقه التاجر من أموال لشراء عضو البرلمان في دائرته أو تدبير وصول من يواليه إلى البرلمان يبدو ثروة كبيرة، ولكنه في حقيقته مبلغ تافه إذا قورن بثروته والأرباح التي يجنيها من الشركة.

ثم امتد نفوذ الشركة وتجارها إلى بلاط الملك تشارلز الثاني Charles II، الذي صعد إلى العرش بعد موت كرومويل، فأصدر في ٣ أبريل سنة ١٦٦١م، مرسوماً أتبعه بعدة مراسيم أخرى، يمنح فيها الشركة:

"حق التوسع في مناطق جديدة، وسك العملة، وتشريع القوانين، وتشكيل المحاكم والقضاء بها في مناطق نفوذها، وتكوين جيش خاص بها، وبناء القلاع والحصون، وعقد التحالفات وإبرام المعاهدات، وشن الحروب على أي أمير أو شعب ليس مسيحياً Any Prince Or

People, Not Being Christians، واعتقال الأشخاص ضمن مناطق نفوذها وتوظيفهم أو إرسالهم إلى انجلترا"(١).

وبمراسيم تشارلز الثاني، تحولت الشركة فعلياً إلى دولة مستقلة في الشرق، من حقها تكوين الجيوش وشن الحروب، والتوسع بالغزو، فأقامت إلى جوار المستوطنات والوكالات التجارية الكبرى قلاعاً أو حصوناً لحراستها، أشهرها حصن وليام Fort William، في كلكتا، في إقليم البنجال، أقصى شرق الهند، وحصن القديس جورج Fort St. George، في مدراس، وقلعة بومباي Bombay Castle، ومع الوقت تحولت حاميات هذه المستوطنات والحصون إلى ثلاثة جيوش نظامية خاصة بالشركة، جنودها من الهنود وقادتها من ضباط الشركة الإنجليز، وفي القرن الثامن عشر وصل جيش الشركة في الشرق إلى ١٦٠ ألف جندي، وهو ما يفوق جيش التاج البريطاني.

وأنشأت الشركة سنة ١٦٧٣م محكمة في بومباي، تطبق فيها القانون الإنجليزي على الإنجليز وعلى أهل الهند المتخاصمين معهم، وكان قضاتها من الأوروبيين، ونصف المحلفين فيها من أهل الهند إذا كان أحد أطراف الخصومة غير أوروبي.

وفي مقابل هذه الامتيازات تولت الشركة إقراض الدولة والملك، لتمويل حروب انجلترا في أوروبا، خاصة سلسلة حروبها مع هولندا، التي بدأت سنة ١٦٥٢م، وامتدت لنحو قرن ونصف قرن من الزمان، وهي الحروب التي كانت شرارتها وبدايتها صراع شركة الهند الشرقية البريطانية مع نظيرتها الهولندية على التجارة ومناطق النفوذ في الشرق.

وهاهنا أوان الرد على التساؤل الذي يحلق في رأسك، وهو لماذا تتصارع الشركتان، وتثور الحروب بسببهما بين انجلترا وهولندا، وأموال اليهود القادمين من إسبانيا والبرتغال هي التي صنعت هذه وتلك؟

وتفسير ذلك هو نفسه تفسير الحروب بين الإمبراطوريات الماسونية التي شهدتها في القرن العشرين، فالشركات تقدح نار الحروب، لتتقاتل فيها الدول والإمبراطوريات بالأموال التي تقترضها من المرابين وبيوت المال قديماً، ثم من البنوك والمؤسسات المالية حديثاً، والمؤسسات المالية والبنوك، حتى المركزية منها، ليست مملوكة لهذه الدول كما تتوهم، بل هي مؤسسات خاصة

---

1) The History of British India, Vol. I, P93.

يمتلكها من كنزوا الأموال ويكدسونها عبر القرون، وما تقترضه الدول من أموال تنفقه في شراء السلاح واحتياجات الجيوش ولوازم الحروب من الشركات التي يمتلكها أصحاب هذه البنوك، ومن فوائد القروض وأرباح التجارة تتراكم ثرواتهم، وفي الوقت نفسه يقع زمام الدول والمجتمعات التي استدانت منهم بين أيديهم، وتنتقل السلطة الفعلية إليهم، ويصبح الحكام والساسة مجرد واجهات لهم.

فالحروب ضرورة ليس لمن يخوضونها، بل لمن يمولونها وينتجون ما تشتريه هذه الأموال، لكي تظل دورة كنزهم للثروات وإقراض الدول ووضعها تحت سرجهم فعالة ودائرة.

وشركة الهند الشرقية البريطانية كانت تقرض انجلترا الأموال، لكي تخوض الحروب التي تقاتل فيها بالبارود الذي تشتريه من الشركة بالأموال التي تقترضها منها!

وفي سنة ١٦٧٢م، عقد رئيس الشركة السير جون بانكس John Banks اتفاقية مع الملك تشارلز الثاني بقرض قيمته ٥٠ ألف جنيه إسترليني، ليعيدها للشركة مرة أخرى، من أجل تمويل شراء الملح الصخري Saltpetre، أو نترات البوتاسيوم Potassium Nitrate، اللازم لصناعة البارود، والشركة نفسها هي التي تنتجه وتجلبه من جزر الهند الشرقية، وتلا ذلك اتفاقية مماثلة في سنة ١٦٧٣م، قيمة القرض فيها ٣٧ ألف جنيه إسترليني.

رأس الدولة، جوزايا تشايلد، سيرة تقليدية ليهودي خفي:

وأبرز شخصية في مرحلة تكوين الشركة ووضع أسسها ونشأتها، كان كما علمتَ، البرتغالي جيمس لانكستر، أما محور مرحلة تحول الشركة إلى دولة، وتحالفها مع الملك والدولة البريطانية، فهو البارون جوزايا تشايلد Josiah Child.

يقول نِك روبنز Nick Robins، في كتابه: الشركة التي غيرت مسار العالم، كيف بنت شركة الهند الشرقية الإمبراطورية البريطانية، وقدمت الشركات العابرة للقارات، إن جوزايا تشايلد:

"واحد من أكثر المديرين التنفيذيين تأثيراً في تاريخها، وكون أول ثروة له كمورد طعام للبحرية إبان حكومة كرومويل ... وأصبح مساهماً مؤسساً للشركة الإفريقية الملكية، التي منحها الملك احتكار تجارة العبيد، وأصبح مقرها الرئيسي مثل شركة الهند الشرقية في شارع ليدنهول، وفي عام ١٦٧١م أصبح تشايلد مساهماً في شركة الهند الشرقية لأول مرة، وبعد عامين فقط أصبح يمتلك ٢% من الأسهم كلها، ليصبح أكبر مساهم سنة ١٦٧٩م، وقد منحته

الأسهم السلطة في الشركة، ولمدة ١٧ سنة، في الفترة من أبريل ١٦٧٤م حتى وفاته سنة ١٦٩٩م، كان تشايلد على رأس إدارة الشركة، وفي خلال سنوات عقد الثمانينيات في ذلك القرن، كان إما يشغل منصب الحاكم للشركة أو نائب الحاكم"[١].

فإليك من سيرة جوزايا تشايلد ما لم يذكره نك روبنز، وما يقربك، إذا استعنت بما قرأته من سيرة المارانو واليهود الأخفياء في انجلترا، من كشف حقيقته ومعرفة هويته التي طمسها الأميون.

وهاهنا ننبهك إلى فرق فاصل بيننا وبين المؤرخين الأميين، فكما ترى طوال الكتاب الذي بين يديك، فنحن لا نبتكر المعلومات، ولا نكشف وثائق لم تكن معلومة، والأميون أنفسهم هم مصادر معلوماتنا، والفرق بيننا وبينهم أننا نجمعها ونضعها معاً ونربط بينها، ثم نعيد تفسير التاريخ وفهم ما شهده من أحداث من خلال هذا الربط، وهم يرونها متناثرة متباعدة ولا رابط بينها، ولا يدركون أن بعضها يفسر بعضاً، وأن جمعها معاً يكشف ما هو خبيء خلفها، وأن تفريقها يضرب ستاراً كثيفاً عليها، ويعمي أعينهم عن النفاذ إلى ما وراءها.

في موسوعة ويكيبيديا الإنجليزية، وفي الموسوعة البريطانية، في طبعتها الحادية عشرة، طبعة سنة ١٩١١م، أن:

"السير جوزايا تشايلد وُلد سنة ١٦٣٠م، وهو الابن الثاني لريتشارد تشايلد Richard Child، أحد تجار لندن"[٢]،[٣].

وإليك ما في الموسوعتين، ويكيبيديا والبريطانية، من تدليس، وكيف يتم تزوير التاريخ، وصناعة سير ملفقة وأنساب مزورة.

في الموسوعتين أن أخا جوزايا تشايلد، هو السير جون تشايلد John Child، وأنه مع صعود أخيه جوزايا إلى هيئة إدارة الشركة ثم رئاستها، صار هو حاكم مقرها ووكالتها الكبرى في بومباي، فإذا ذهبت إلى المجلد الخامس، وعنوانه: الهند البريطانية British India، من تاريخ كمبردج

---

١) نِك روبنز: الشركة التي غيرت مسار العالم، كيف بنت شركة الهند الشرقية الإمبراطورية البريطانية، وقدمت الشركات العابرة للقارات، ص١٠١، ترجمة كمال المصري، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، يناير ٢٠٠٩م.

2) The Encyclopædia Britannica, Eleventh Edition: Child, Sir Josiah, Vol.VI, P135, Cambridge, England, at The University Press, New York, 35 West, 32nd Street, 1911.

3) Wikipedia, the free encyclopedia, Josiah Child.

للهند The Cambridge History Of India، والذي أشرف على وضعه وتحريره المؤرخ الإنجليزي وأستاذ التاريخ في جامعة لندن هنري دودويل Henry Dodwell، ستجده يخبرك أنه:

"ذكر بعض المؤرخين أن جوزايا تشايلد وجون تشايلد أخوَان، ولكن المؤرخ أوليفر ستراتشي Oliver Strachey، أثبت في تاريخه: تمرد كيجوين Keigwin's Rebellion(•)، أن ما بينهما تشابه في الأسماء، فهما يحملان الاسم نفسه Namesake، ولكن لا قرابة بينهما"(١).

فهذه الأولى، وأما الثانية، ففي كتابه الذي تتبع فيه سيرة جوزايا تشايلد في مختلف مصادرها: السير جوزايا تشايلد، التاجر والاقتصادي Sir Josiah Child, Merchant Economist، يقول وليام ليتوين William Letwin، أستاذ تاريخ الاقتصاد، في معهد ماستشوستس للتكنولوجيا MIT في الولايات المتحدة، ثم في جامعة لندن، إنه:

"يوجد غموض كبير واضطراب Confusion حول أصول تشايلد ونشأته، وقد ذكر بورني Bourne، في كتابه: التجار الإنجليز English Merchants، وكذلك مورانت Morant، في تاريخه، أن والد تشايلد كان أحد تجار لندن، وحاز ثروة كبيرة، فاشترى أملاكاً في بدفوردشاير Bedfordshire، ثم صار شريفها Sheriff، ولكن لا يوجد في السجلات الرسمية Official Records أي شيء يثبت أن الشريف ريتشارد تشايلد هو أبو جوزايا تشايلد"(٢).

والمعلومات النادرة عن الفترة المبكرة من حياة تشايلد، كما يقول ليتوين، لا توحي بأنه من أسرة ثرية، إذ:

•) ريتشارد كيجوين Richard Keigwin كان حاكم بومباي، من قِبل شركة الهند الشرقية البريطانية، وقائد قوتها العسكرية فيها، منذ سنة ١٦٧٧م، وبعد أن أصبح جون تشايلد الحاكم العام للشركة في الهند، سنة ١٦٨٢م، أرسل صهره ريتشارد وورد Charles Ward، ليكون نائبه في بومباي، فقاد كيجوين والميليشات التابعة له تمرداً على الشركة، وأعلن نفسه حاكماً لبومباي باسم الملك تشارل الثاني، وظل يحكمها عاماً، إلى أن أتى أمر الملك بعزله، فوقع صلحاً مع الشركة، وأعاد لها بومباي.

1) Henry Dodwell, Editor, The Cambridge History Of India, Vol.V, British India, P102, Cambridge University Press, Fetter Lane, London, 1929.

2) William Letwin: Sir Josiah Child, Merchant Economist, With a Reprint of Brief Observations Concerning Trade, and Interest of Money (1668), P12, Baker Library, Harvard Graduate School of Business Administration, Boston,Massachusetts 1959.

"لا توجد أي معلومات عن نشأة تشايلد سوى العبارة الفجة Bare Statment التي قالها السير إيفيلن Evelyn، في ١٦ مارس سنة ١٦٨٣م، وذكر فيها إن تشايلد بدأ حياته بخدمة التجار، وهي العبارة التي رسم منها ماكولاي Macaulay في تاريخه صورة متواضعة لتشايلد، يكنس فيها بيون أحد الكونتات في لندن ... وأول معلومات مؤكدة عن تشايلد وهو في الخامسة والعشرين من عمره، حين كان يعمل في سفن نقل البضائع من بليماوث إلى لشبونة في البرتغال، وقبل ذلك فسيرته مجهولة"[١].

فإذا عدت صفحات إلى الخلف، إلى سيرة المارانو في انجلترا، ستجد أن التجارة ونقل البضائع بين بليماوث والبرتغال، كان يسيطر عليها ويمتلك سفنها منذ أواسط القرن السادس عشر يهود المارانو الأخفياء من آل منديس.

وربما يقول بعض الأميين إنها مصادفة، فإليك الثانية.

إذا عدت إلى سيرة جوزايا تشايلد التي أوردها نك روبنز، ستجد فيها أن تشايلد كوَّن أول ثروة له من توريد الطعام للبحرية الإنجليزية في عهد كرومويل، وهي معلومة موجزة يفصلها البروفسور وليام ليتوين، بأن:

"تشايلد بدأ العمل مع البحرية كوكيل Agent عن التجار الذين يتعاملون مع البحرية، ثم تعاقدت معه البحرية لتوريد الأغذية إبان حكومة كرومويل"[٢].

وما أسقطه روبنز وليتوين، نأتيك به من سيرة رجل آخر، وفيها أن البحرية الإنجليزية في عهد كرومويل تعاقدت مع خمسة تجار لتوريد الحبوب والأغذية، وجوزايا تشايلد كان أحدهم، أما أول هؤلاء الخمسة فهو هذا الرجل الآخر، يهودي المارانو المتخفي فرنانديز كارفاجال[٣]!

وكارفاجال قد عرَّفناك بسيرته وما فيها من غرائب وطرائف من قبل، ونضيف إليك هنا أنه صار المستشار المالي والاقتصادي لكرومويل بعد نجاح ثورته، ولا توجد قوائم كاملة بالتجار أصحاب الأسهم ومالكي شركة الهند الشرقية البريطانية، ولكن كارفاجال كان يقيم في شارع

---

1) Sir Josiah Child, Merchant Economist, With a Reprint of Brief Observations Concerning Trade, and Interest of Money (1668), P12.
2) Sir Josiah Child, Merchant Economist, With a Reprint of Brief Observations Concerning Trade, and Interest of Money (1668), P12.
3) The First English Jew.Notes on Antonio Fernandez Carvajal,with Some Biographical Documents, The Jewish Historical Society of England, Transactions,Session: 1894-1895, P17.

ليدنهول في لندن Leadenhall، إلى جوار مقر الشركة الذي انتقلت إليه منذ سنة ١٦٤٨م، وظل مقرها إلى أن تم تصفيتها في القرن التاسع عشر.

أما جوزايا تشايلد رئيس الشركة فكان يقيم في شارع ثريد نيدل Threadneedle، وهو الشارع الذي كان يقيم فيه قبل قرن من الزمان السير توماس جريشام، وأقام فيه البورصة الملكية، وهو نفسه الشارع الذي صار بعد قرن آخر من الزمان مقراً لبنك انجلترا!

وما قرأته من سيرة جوزايا تشايلد، ربما يكون تفسير هذه العبارة الغريبة التي وصفه بها البروفسور ليتوين، رغم أنه لم يُشر إلى علاقاته بيهود المارانو وعمله بينهم، وفيها يقول إن:

"ارتباطات تشايلد التجارية والدينية والسياسية، كلها تشير إلى أنه ربما يكون له دوافع خفية Ulterior Motives من كتاباته الاقتصادية"[1].

وكان جوزايا تشايلد عضواً في البرلمان الإنجليزي، ويلقي محاضرات عامة، وخاصة للساسة وأعضاء البرلمان، ويدخل في نقاشات ومناظرات، وكتب عدة رسائل وكتب، لبيان فلسفته وسياساته الاقتصادية، وما يشير إليه البروفسور ليتوين بعبارته، أن جزءًا رئيسياً من مناظرات تشايلد وكتاباته، كان يدور حول الدعوة إلى تحرير التجارة من القيود الدينية والسياسية، وفتح انجلترا أمام حركة اليهود وتوظيف مهاراتهم في التجارة في إنهاض الاقتصاد الإنجليزي، وفي سنة ١٦٩٠م، وهو رئيس شركة الهند الشرقية البريطانية، كتب كتاباً عنوانه: حديث جديد عن التجارة New Discourse of Trade، دعا فيه إلى محاكاة هولندا في سياستها تجاه اليهود، ونص فيه على أن:

"ازدهار الهولنديين الكبير كان بسبب التجارة، وما اتبعوه من قواعد للنجاح، فقد سمحوا ليس فقط لشعبهم، بل وأيضاً لليهود But Even Jews، بالتحرر من قيود المجتمعات وسلطة المدن، ولا شيء يُمَكّننا من مجاراة الهولنديين سوى محاكاتهم بتحرير التجارة من هذه القيود وفتح المجال أمام المساهمين ... البعض يثير شكاً كبيراً Great Doubt في أن تكون مساواة اليهود بغيرهم مفيدة للمصلحة العامة، ومن ثَم يعارضون السماح لهم بالتجارة وامتلاك الأسهم في الشركات، ويقولون إن اليهود يتحالفون فيما بينهم ويتغلغلون في جميع أنواع التجارة Prying Into All Kinds of Trade، ولذا فالسماح لهم بحرية التجارة سوف

1) Sir Josiah Child, Merchant Economist, With a Reprint of Brief Observations Concerning Trade, and Interest of Money (1668), P12.

يؤدي إلى احتكارهم لها وحرمان التجار الإنجليز من الربح، وهم يَقْدمون أي بلد وليس معهم سوى الحبر والأقلام، وفي خلال سنوات يكونون ثروات كبيرة، ثم يحملونها وينتقلون بها إلى بلد آخر، والرد على ذلك، أولاً: أنه كلما زاد تغلغل اليهود في التجارة ازدهرت أكثر، وكان ذلك في المصلحة العامة للمملكة، رغم أنه قد يكون ضد مصلحة التجار الإنجليز Thogh Worse For The English Merchants، وهؤلاء قليلون إذا قورنوا بشعب انجلترا، فهم يشكلون أقل من واحد في الألف من الشعب الإنجليزي(!)، وثانياً: أن الرخاء والثروة التي تتسم بها معيشة اليهود سوف تكون مثالاً للشعب الإنجليزي، وثالثاً: كثير من التجار اليهود استقروا في انجلترا وصارت لهم فيها أملاك وعقارات، وهناك مئات غيرهم سوف يفعلون ذلك إذا تم منحهم الحرية والأمان، كما في إيطاليا وهولندا، حيث حصلوا على امتيازات كبيرة، وصلت إلى السماح لهم بسن القوانين التي يتعاملون بها فيما بينهم"[1].

ودفاع السير جوزايا تشايلد الحار عن التجار اليهود، ودعوته لفتح أبواب انجلترا وتجارتها وشركاتها لهم، بل وأن تكون لهم دولة داخلها يستقلون فيها بتشريعاتهم، حتى لو كان ذلك على حساب التجار الإنجليز، الذين من المفترض أن شركة الهند الشرقية التي يرأسها تتكون منهم، وأنه هو نفسه أحدهم، دفاع تشايلد الحار عن اليهود الذي انتهى بسيطرتهم على اقتصاد انجلترا وتجارتها ثم على بنكها المركزي، يزيل من أمامك الستار الكثيف الذي يحيط به، وتبقى غلالة رقيقة، ينزعها عنه، وتراه عارياً مكشوفاً على حقيقته، سلوكه وتلاعبه بأسواق المال، وبأسهم شركته وأرباحها، لكي يستولي عليها، فقط بنشر الشائعات وبث الأخبار الكاذبة عنها.

في كتابه الذي يدلك عنوانه على فحواه: تشريح سوق المال، او نظام عمل المساهمين، وإثبات فضائح التجارة الخاصة كما تمارس الآن The Anatomy of Exchange Alley, Or, a System of Stock-jobbing. Proving That Scandalous Trade, As It Is Now Carry'd On, To Be Knavish In Its Private Practice، يقول دانيال ديفو Daniel Defoe، وهو مؤلف رواية روبنسون كروزو الشهيرة، وكان معاصراً لجوزايا تشايلد ورئاسته لشركة الهند الشرقية البريطانية، يقول ديفو إن أساليب تشايلد وممارساته، هي النموذج المثالي على الغش والاحتيال في التجارة والتلاعب بأسهم الشركات في البورصة، إذ:

---

1) Sir Josiah Child: A New Discourse of Trade Wherein Is Recommended Several Weighty Points Relating To Companies of Merchants, The Act of Navigation, Naturalization of Strangers, and Our Woollen Manufactures, The Balance of Trade, P103-104, 141-142, Printed And Sold By: T. Sowle, London, 1698.

"بناءًا على أوامره الخاصة، كانت تُكتب خطابات وترسل من جزر الهند الشرقية، وفيها أخبار عن ضياع سفن قد وصلت بالفعل، أو وصول سفن فُقدت ولم تصل، وأخبار عن حرب مع عظيم المغول Great Mogul، بينما المنطقة في سلام وهدوء تام، وأخبار عن السلام مع عظيم المغول، في الوقت الذي كان يتأهب فيه لغزو مقر الشركة في البنجال على رأس مائة ألف رجل، وكان يفعل ذلك في الوقت الذي يراه مناسباً لبث الشائعات، من أجل رفع قيمة الأسهم أو خفضها، وتحقيق غرضه بشرائها بسعر منخفض، أو بيعها بسعر مرتفع ... وأعين جميع من يدخلون سوق المال مركزة على وكلاء السير تشايلد ويتساءلون: هل يفكر السير تشايلد في البيع أم في الشراء، وكانت تعليماته لوكلائه أن يجيبوا بالنظر إلى أسفل وهز رؤوسهم في أسى وهم يغمغمون بأن الأخبار القادمة من الهند سيئة، ثم يقولون في همس وكأنهم يُفشون لهم سراً إن السير تشايلد أرسلهم ليبيعوا ما يقدرون على بيعه من أسهم، فتمتليء البورصة على الفور بمن يريدون بيع أسهمهم، فيهبط سعر السهم ١٠% أو أكثر، وفي الوقت نفسه يرسل تشايلد موظفين آخرين عنده ليشتروا الأسهم دون أن يبدو أنهم على علاقة به، وبهذه الطريقة يشتري ما قيمته مائة ألف جنيه إسترليني من الأسهم بثمن أقل من سعرها بـ ١٠% أو ١٢%، وبعد أن ترتفع الأسهم وتعود إلى سعرها الحقيقي، يبيعها مرة أخرى، ثم يكرر ذلك كل فترة"(١)!

فإليك صورة طبق الأصل من هذه الطريقة التي استولى بها جوزايا تشايلد على الجزء الأكبر من أسهم شركة الهند الشرقية البريطانية، فيما فعله بعده بقرن وربع قرن من الزمان تشايلد آخر(•)، لتتيقن أن هذا هو نفسه ذاك، وأنهم ليسوا سوى نسخ تتكرر عبر الزمان، بتكوينها الذهني والنفسي وغاياتها وأساليبها.

---

1) Daniel Defoe: The Anatomy of Exchange Alley: Or, a System of Stock jobbing. Proving that Scandalous Trade, as it is Now Carry'd On, to be Knavish in Its Private Practice, and Treason in Its Public, P13-14, Printed For: E. Smith, Near Exchange, London, Second Edition, 1719.

•) اسم روتشيلد ألماني الأصل، ويتكون من مقطعين: روتن Rothen، وشيلد Schild، ومعناها: الدرع الأحمر، لأن ماير أمشيل Mayer Amschel، مؤسس الأسرة، اتخذ الدرع الأحمر شعاراً لمتجره في فرانكفورت، وهي تنطق بالألمانية: روتشِيلد، بكسر الشين، أما في انجلترا فالنطق الإنجليزي للاسم هو: روث تشايلد.

روتشيلد والاستيلاء على بنك انجلترا:

في سنة ١٧٩٨م، وهو في الحادية والعشرين من عمره، وصل ناثان روتشيلد Nathan Rothschild، ثالث أبناء روتشيلد الكبير، إلى انجلترا، وفي كتابه: آل روتشيلد حكام الأمم بالمال The Rothschilds, The Financial Rulers Of Nations، يقول المؤرخ الإنجليزي جون ريفز John Reeves، إنه بعد سنوات قليلة من وصوله وتأسيسه لمؤسسة روتشيلد في انجلترا:

"صار ناثان روتشيلد قائد بورصة الأسهم The Leading Man، ولا يوجد أحد في تاريخ البورصة تمكن من مضاعفة رأسماله فيها ٢٥٠٠ مرة خلال خمس سنوات غيره"(١).

وناثان روتشيلد هو الذي مول حملة انجلترا، بقيادة الجنرال آرثر ولسلي دوق ولنجتون Arthur Wellesley, Duke of Wellington، في مواجهة قوات نابليون، في معركة ووترلو Waterloo في بلجيكا، في ١٨ يونيو سنة ١٨١٥م، والتي انتهت بهزيمة نابليون وإنهاء إمبراطوريته، ونفيه إلى جزيرة سانت هيلانة.

فإذا عدت إلى باب: نابليون وحملة الماسون، من كتابنا: بلاليص ستان، ستجد أن الذي مول سلسة حروب نابليون، في مواجهة الحلفاء، انجلترا وهولندا وبروسيا، البنوك وبيوت المال اليهودية والماسونية، ومنها مؤسسة ياكوب/جيمس روتشيلد، في انجلترا.

ونابليون، كما علمت تفصيلاً ماسوني، ودوق ولنجتون أيضاً ماسوني، ويقول مؤرخ الماسونية والماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين فريك جولد Freke Gould، في كتابه: المحافل العسكرية، المئزر والسيف أو الماسونية في الجيوش Military Lodges. The Apron and The Sword or Freemasonry Under Arms، إن دوق ولنجتون:

"كان عضواً في المحفل الأيرلندي رقم: ٤٩٤ Irish Lodge No. 494، في دبلن، وكان توقيعه في سجلات المحفل: A. Wesley، ومازال المحفل يحفظ السجلات التي تحوي توقيعه، كأحد أثمن وثائقه"(٢).

---

1) John Reeves: The Rothschilds,The Financial Rulers Of Nations, P167, A. C. McClueg & Co., Chicago, 1887.

2) Robert Freke Gould: Military lodges, The Apron and The Sword or Freemasonry Under Arms, P102, Aldershot, Gale & Polden Ltd,London, 1899.

وأبو دوق ولنجتون، جافريت إيرل مورننجتون Gafrett, Earl of Mornington، كان الأستاذ الأعظم لمحفل أيرلندا الأعظم، وخلفه في رئاسته ابنه الأكبر وشقيق دوق ولنجتون، ريتشارد ولسلي، لورد مورننجتون.

فإذا تساءلت ببراءة: وكيف يقاتل الماسون الماسون، ولماذا يمول اليهود هؤلاء وأولئك، ومن انهزم ومن انتصر، فعُد صفحات إلى الخلف، وستجد الإجابة على سؤالك، في قصة صراع شركتي الهند الشرقية، البريطانية والهولندية.

ودوق ولنجتون، كان أحد ضباط جيش شركة الهند الشرقية في الهند، وقاده في عدة معارك في مواجهة سلطنة ميسور Mysore، في هضبة الدكن وسط الهند وجنوبها، إبان أن كان رئيس الشركة والحاكم العام للهند أخوه الأكبر ريتشارد لورد مورننجتون Richard, Lord Mornington، وبعد عودته إلى انجلترا، أصبح دوق ولنجتون أحد ضباط جيش الإمبراطورية، ثم أحد قواده، ثم وزير الحرب، فرئيس الوزراء.

والآن إليك الأرشيف الرسمي لأسرة روتشيلد على الإنترنت، يخبرك في فخر بالورطة التي كانت فيها الإمبراطورية البريطانية، وكيف أنقذها ناثان روتشيلد:

"في سنة ١٨١٤م، وبعد حملات متوالية استغرقت سنوات، تقدم ولنجتون شمالاً عبر إسبانيا، وأجبر الفرنسيين على التراجع خلف جبال البرنيه/البرانيس Pyrenees، لكنه كان في حاجة ملحة للمال، لكي يوفر النفقات لقواته، فقامت الحكومة البريطانية بتفويض ناثان روتشيلد لإمداد الدوق بما يحتاجه من تمويل، وبالاشتراك مع إخوته في أوروبا قام ناثان بتكوين شبكة من العملاء Network Of Agents، لشراء العملات المطلوبة، ونقلها إلى ولنجتون، وكان تفويض الحكومة البريطانية لمؤسسة روتشيلد، لأنها فشلت بالفعل في تكوين شبكة مماثلة تعمل لمصلحتها ... وقد وصف ناثان نفسه ما فعله بأنه: "أفضل صفقة قمت بها على الإطلاق The Best Business I Ever Did"[1].

فإليك ناثان روتشيلد نفسه يخبرك كيف دبر الذهب اللازم لإقراض الحكومة البريطانية، وتمويل حرب دوق ولنجتون، وكيف كان يستعد لهذه الصفقة منذ وصل إلى انجلترا، ومن قبل أن تحتاجها الحكومة البريطانية أو تفكر فيها:

---

1) 56)The Rothschild Archive: Nathan Mayer Rothschild and Waterloo, https://www.rothschildarchive.org/contact/faqs/nathan_mayer_rothschild_and_waterloo

"عندما انتقلت إلى لندن عرضت شركة الهند الشرقية البريطانية ما قيمته ٨٠٠ ألف جنيه إسترليني من الذهب للبيع، فقمت بشرائها كلها، لأنني أعلم أن دوق ولنجتون لابد سوف يحتاجها I Knew The Duke Of Wellington Must Have it، وقد أرسلتْ إليَّ الحكومة البريطانية، وطلبتها مني، وعندما حصلتْ عليها، لم تجد طريقة توصِّلها بها إلى الدوق في البرتغال، فقمت بتدبير ذلك كله، وأرسلتها عبر فرنسا(!)، وكانت هذه أفضل صفقة قمت بها على الإطلاق"[١].

ولا تغفل عن أغرب ما في عبارة ناثان روتشيلد، وهو أنه أرسل الذهب إلى دوق ولنجتون في البرتغال عبر فرنسا، التي كانت حرب الدوق معها وضدها!

وهاك وجه آخر لمعركة ووترلو تعرف منه لماذا كانت أفضل صفقة على الإطلاق لناثان روتشيلد.

يقول جون ريفز إن ناثان روتشيلد قام بتنظيم جهاز مخابرات وجمع معلومات خاص به، وكان له عملاء ورسل يبثهم داخل الجيوش وفي بلاط الحكومات، وينفق عليهم بسخاء Without Regard To Expense، لكي يجمعوا له الأخبار من أوروبا، ويرسلوها إليه قبل أن تصل إلى الحكومة البريطانية، وفي الوقت نفسه:

"قام بإنشاء نظام للبريد بواسطة الحمام Pigeon Post، لكي تصله الأخبار من أوروبا بسرعة وعلى فترات متقاربة، وأنفق على إنشاء هذا النظام مبالغ طائلة، وقد أثبت جهاز مخابراته الخاص في مناسبات عديدة أنه أكفأ من جهاز مخابرات الحكومة البريطانية"[٢].

وفي أرشيف أسرة روتشيلد الرسمي، نص رسالة أرسلها جون رُوُورث John Roworth، أحد مبعوثي ناثان روتشيلد، يقول له فيها:

"لقد وصلتني الأنباء، وعرفت أنك فعلتها بمهارة You Have Done Well، حين وصلتك مبكراً أخبار الانتصار في ووترلو"[٣].

---

1) The Rothschilds, The Financial Rulers Of Nations, P166-167.
2) The Rothschilds, The Financial Rulers Of Nations, P168-169.
3) 56)The Rothschild Archive: Nathan Mayer Rothschild and Waterloo,
https://www.rothschildarchive.org/contact/faqs/nathan_mayer_rothschild_and_waterloo

فهاك كيف لعبها ناثان روتشيلد بمهارة، بعد وصول أنباء انتصار ولنجتون في ووترلو إلى ناثان روتشيلد، كما يقول ريفز:

"ذهب إلى عموده المعروف في البورصة His Well Known Pillar، واستند إليه، وبدا يائساً محطماً، وكأن كارثة قد حلت به، فانتشرت الشائعات في أنحاء لندن ... ولأن جميع المساهمين يتطلعون إلى روتشيلد، امتلأت البورصة في الأيام التالية بالجلبة، وأصحاب الأسهم يتحركون بقلق في كل اتجاه، ويتساءلون في همس عن سبب بيع روتشيلد لأسهمه، وسرت شائعات أن روتشيلد أخبر أحد أصدقائه المقربين أن بلوخر Blucher، قائد الجيش البروسي، هُزم أمام الفرنسيين، ولم يستطع ولنجتون إيقاف تقدم قوات نابليون المنتصرة، وانتشرت الأخبار السيئة في المدينة كالنار في الهشيم Like Wildfire، فانهارت أسعار الأسهم ... وبعد يومين وصلت أخبار انتصار ولنجتون وهزيمة الفرنسيين، وكان ناثان روتشيلد نفسه أول من أشاع الأخبار السارة، وبعد أن أعلنت الحكومة الانتصار رسمياً، ارتفعت أسعار الأسهم مرة أخرى، وأشفق كثيرون على روتشيلد بسبب خسائره الجسيمة، لأنهم لا يعلمون أنه بينما كان وكلاؤه المعروفون يبيعون الأسهم، كان وكلاء آخرون له غير معروفين يشترون كل ما يتم عرضه للبيع من أسهمه وأسهم الآخرين، وبهذا التلاعب وضع ناثان في جيبه مليون جنيه إسترليني"(١)!

والأسهم التي استولى عليها ناثان روتشيلد بهذا الاحتيال، هي أسهم الشركات المؤسسة لبنك انجلترا، فصار بذلك صاحب أكبر حصة في أصول البنك، والذي تكون قبل ذلك بمائة وخمسة وعشرين عاماً، بأموال مالكي شركة الهند الشرقية البريطانية.

حرب جوزايا تشايلد في الهند:

ومن ناثان روتشيلد، نعود بك إلى النسخة الأولى منه، جوزايا تشايلد وما الذي فعله بشركة الهند الشرقية البريطانية، بعد أن استولى على أغلب أسهمها، وصار حاكمها ورئيس هيئة إدارتها والقائد الأعلى لقواتها البحرية وجيشها في الشرق.

بعد أن صار جوزايا تشايلد على رأس الشركة، سنة ١٦٨١م، بدأ في سياسة طويلة الأمد، للتقرب من الملك تشارلز الثاني وبلاطه، فافتتح رئاسته للشركة بتخصيص ١٠ آلاف جنيه

---

1) The Rothschilds, The Financial Rulers Of Nations, P173-175.

إسترليني من أرباح الشركة، لتكون هبة سنوية للملك، ثم دبر له قرضاً قيمته ٥٠٠ ألف جنيه إسترليني، وكان هذا القرض الخطوة الأولى في تكوين الدَين الحكومي، أو الدَين القومي البريطاني National Debt، الذي تفاقم كالمعتاد، ووضع المملكة عبر السنوات والقرون بين أنياب البنوك ومخالب الشركات التجارية، فحتى منتصف القرن التاسع عشر:

"كانت الدولة تنظر للشركة على أنها مصدر مهم للأموال منخفضة الفائدة"[1].

وبعد أن وثّق تشايلد علاقاته بالملك والحكومة، عبر الهبات والقروض، توجه إلى تحويل الشركة في الهند وسواحلها إلى قوة عسكرية وبحرية، قادرة على مواجهة حكام المغول، وإجبارهم على فتح الهند أمام الشركة ومستوطناتها وتجارتها، كما فعلت شركة الهند الشرقية الهولندية في مستوطنتها في باتافيا Batavia.

وفي بداية سنة ١٨٨٦م، وبعد موافقة الملك جيمس الثاني James II، وهو آخر ملك كاثوليكي لبريطانيا، وفي ظل استمرار هبات تشايلد وقروضه له:

"أرسل السير تشايلد عشر سفن حربية، مسلحة بالمدافع والبنادق، وعليها ست سرايا من المشاة، بقيادة الكابتن نيكولسون Nicholson، ومعه تعليمات بالاستيلاء على بلدة تشيتاجونج Chittagong الساحلية وتحصينها، من أجل الثأر من المغول، وإجبارهم على دفع تعويضات عن الإصابات والخسائر التي سببتها هجماتهم على مستوطنة الشركة ووكالتها في البنجال، والحصول على امتيازات للشركة من عظيم المغول"[2].

وفي شهر يونيو من السنة نفسها، أمر تشايلد بتحصين مستوطنات الشركة في بومباي ومدراس، وفي السنة التالية، ١٦٨٧م:

"تقدمت هيئة إدارة الشركة بطلب إلى الملك، من أجل تشكيل قوة عسكرية مستديمة بضباطها، وتم منح الشركة وحاكمها العام في الهند سلطة اختيار من يصلحون للعمل ضباطاً Officers في خدمة الشركة"[3].

---

١) الشركة التي غيرت مسار العالم، كيف بنت شركة الهند الشرقية الإمبراطورية البريطانية، وقدمت الشركات العابرة للقارات، ص١٨٤.

2) The History of British India, Vol. I, P122.
3) The History of British India, Vol. I, P122.

وهكذا بُنيت حصون الشركة، وتكونت جيوشها الخاصة في الهند.

وبعد عدة معارك صغيرة بين قوات الشركة والمغول، وبينما المفاوضات دائرة بين مبعوثي الشركة ومحمد محي الدين أورانجزيب Aurangzeb، سادس سلاطين المغول:

"أرسلت الشركة عدة سفن حربية وفرقاطة، بقيادة الكابتن هيث Heath، ومعه أوامر بالحرب، فهاجم سفن المغول واستولى على بعضها، وعلى إحدى سفن نقل الحجاج المتجهة لمكة، وحاول ضرب حصار على مواني سواحل الهند الغربية، فانفجرت في نهاية سنة ١٦٨٨م الحرب الإنجليزية المغولية Anglo Mughol War"[1].

وكما ترى، الحرب عنوانها في التاريخ وغلافها في كتبه أنها حرب بين انجلترا وسلطنة المغول، فإذا أزلت الغلاف سينكشف لك، كما يقول نك ، أنها:

"صراع بين شركة الهند الشرقية البريطانية والمغول"

فإذا كنت فطناً وتنبهت أن ما انكشف لك هو نفسه غلاف آخر، ثم أزلته، سترى الحرب على حقيقتها، وهي أنها، كما تصفها الموسوعة البريطانية وموسوعة ويكيبيديا:

"حرب جوزايا تشايلد Child's War".

وهكذا الحروب كلها.

وبعد مهاجمة أسطول الشركة لسواحل سلطنة المغول، وقرصنته على سفنها:

"أصدر أورانجزيب أوامره بتخريب ممتلكات الشركة، وطرد الإنجليز من جميع المناطق التي تقع تحت سيطرته، فاستولت جيوشه على مستوطنة الشركة في سورات، وفي مدراس، وماسوليبتام Masulipatam، وهاجم أسطوله بقيادة سيدي يعقوب جزيرة بومباي، واستولى على أغلبها، وضرب حصاراً على حاكم الشركة في قلعتها"[2].

وإزاء خسائر الشركة وعدم قدرتها على مواجهة جيوش أورانجزيب، أرسلت مبعوثين إلى بلاطه، فأعلنوا الخضوع له، وموافقتهم على شروطه لإنهاء الحرب، ولإعادة مستوطنات الشركة للعمل، فانتهت حرب جوزايا تشايلد، بمعاهدة فرض فيها أورانجزيب غرامة على شركة الهند

1) The Cambridge History Of India, Vol. V, British India, P103.
2) The History of British India, Vol. I, P125.

الشرقية البريطانية، قدرها ١٥٠ ألف روبية، مع دفع تعويض عن الخسائر التي تسببت فيها، في مقابل السماح لها بممارسة التجارة وإعادة وكالاتها التجارية، وتأسيس وكالة جديدة للشركة على الجانب الشرقي من دلتا نهر الجانج، غرب إقليم البنجال، وهي التي أقيمت حولها بعد ذلك مدينة كلكتا.

وهاك خريطة بحدود سلطنة المغول في الهند إبان حكم أورانجزيب



سلطنة المغول المسلمة، وتشمل أجزاء من أفغانستان وشبه القارة الهندية كلها، ما عدا الطرف الجنوبي.

شركة قديمة في زق جديدة:

وبقي من مرحلة تحول الشركة إلى دولة وقوة عسكرية في الهند، ما واكب ذلك من ظهور شركة بريطانية أخرى، من أجل كسر احتكار الشركة القديمة للتجارة مع الشرق، ثم اندماجهما معاً، لتحتكر الشركة الجديدة التجارة مع الشرق احتكاراً مطلقاً، بعد أن أصبح تجار الشركة القديمة هم أغلب من يملكون أسهم الشركة الجديدة!

في ٣٠ يونيو سنة ١٦٨٨م، وبعد اندلاع الثورة البروتستانتية ضد الملك جيمس الثاني، أرسل سبعة من الساسة وأعضاء البرلمان، وبعضهم كانوا أعضاء في حكومة الملك، أرسلوا رسالة سرية مع الأدميرال آرثر هربرت Arthur Herbert، إلى فيليم الثالث Willem III، أمير مقاطعة أورانج في هولندا Orange، والحاكم العام Stadtholder لاتحاد مقاطعات الأراضي الواطئة، يدعونه لغزو انجلترا، ويعدونه بمعاونته على الوصول إلى العرش البريطاني.

وفيليم الثالث بروتستانتي، وأبوه فيليم الثاني Willem III، من أسرة أورانج، وهي إحدى فروع الأسرة الميروفنجية، أما أمه فهي ماري ابنة الملك تشارلز الأول، وقد تحولت إلى البروتستانتية بعد زواجها من فيليم الثاني، وزوجة فيليم الثالث هي ابنة خاله، ماري الصغرى، كبرى بنات الملك جيمس الثاني، وكانت وريثة العرش البريطاني، إلى أن أنجب الملك جيمس الثاني من زوجته الثانية ماري مودينا الكاثوليكية Mary of Modena، ولداً هو جيمس ستيورات James Stuart، فصار الوريث الأول للعرش، وكانت هذه هي شرارة الثورة البروتستانتية.

وبعد غزوه لانجلترا، وفرار جيمس الثاني، وبعد موافقة مجلس العموم ومجلس اللوردات، تم تنصيب ماري الصغرى وزوجها وابن عمتها فيليم الثالث، في ١١ أبريل سنة ١٦٩٨م، ملكين على انجلترا واسكتلندا وأيرلندا، في كنيسة وستمنستر، إلى أن ماتت ماري سنة ١٦٩٤م، فانفرد زوجها بحكم بريطانيا، باسم الملك وليام الثالث William III.

ووليام الثالث هو الملك الذي تأسس في عهده بنك انجلترا المركزي، فنابليون، كما علمت، منح أصحاب البنوك والشركات التجارية في فرنسا، حق تكوين بنك فرنسا وإصدار العملة في مقابل تمويل حروبه، خصوصاً مع انجلترا، وقد سبقه وليام الثالث، فاتفق قبله بقرن من الزمان مع البنوك والشركات التجارية أن تؤسس شركة خاصة باسم: الحاكم وشركة بنك انجلترا Governor and Company of The Bank of England، سنة ١٦٩٤م، وأن يمنحها حق احتكار التجارة داخل المملكة، وإصدار العملة الإنجليزية، في مقابل إقراضه وتمويل حروبه في القارة الأوروبية، خصوصاً مع فرنسا!

أما عن شركة الهند الشرقية البريطانية، فبعد اعتلاء وليام الثالث لعرش بريطانيا مع زوجته ماري، تقدم عدد من التجار من لندن وخارجها، بشكاوى للبرلمان ضد احتكار الشركة للتجارة مع الشرق، وما يؤدي إليه ذلك من إضرار بغير المساهمين فيها من التجار.

وفي بداية سنة ١٦٩٠م أوصت لجنة شكلها مجلس العموم بتكوين شركة مساهمة جديدة، وبعدها بعامين أصدر المجلس قراراً بزيادة رأس مال الشركة وأسهمها وتوسيع دائرة المساهمين، وأن يكون الحد الأقصى لما يملكه أي مساهم ٥٠ ألف جنيه إسترليني، فرفض جوزايا تشايلد وهو مالك أغلب الأسهم القرار، فرفع المجلس عريضة إلى الملك وليام الثالث يلتمس منه فيها سحب ترخيص الشركة، وإصدار ترخيص جديد، وفي أكتوبر سنة ١٨٩٣م، أصدر الملك مرسوماً بتجديد ترخيص الشركة دون القيود التي قررها مجلس العموم، فأصدر المجلس في يناير سنة ١٦٩٤م قراراً يكسر فيه احتكار الشركة للتجارة في الشرق، ويضع تصديق البرلمان على التراخيص والامتيازات التي يصدرها الملك شرطاً في سريانها، وينص القرار على أن:

" جميع رعايا انجلترا لهم حقوق متساوية Equal Right في التجارة مع جزر الهند الشرقية، ما لم يتم منع ذلك بقانون من البرلمان"[١].

وبعد قرار البرلمان، تقدمت مجموعة من التجار بطلب لتكوين شركة مساهمة جديدة للتجارة في الشرق، فقدمت الشركة القديمة عرضاً للملك والبرلمان بالإبقاء على احتكارها للتجارة، في مقابل تقديم قرض للمملكة قيمته ٧٠٠ ألف جنيه إسترليني، بفائدة ٤% سنوياً، بينما عرض تجار الشركة الجديدة على الحكومة والبرلمان قرضاً بمليوني جنيه إسترليني بفائدة ٨% سنوياً، في مقابل السماح بتأسيس الشركة الجديدة، فرفعت الشركة القديمة قيمة القرض الذي تعرضه إلى مليوني جنيه إسترليني هي الأخرى، فقبلته الحكومة والبرلمان، وتم تجديد ترخيص عملها وامتيازاتها، في شهر يوليو سنة ١٦٩٨م.

وبعد شهرين، في سبتمبر ١٦٩٨م، أصدر الملك وليام الثالث مرسوماً آخر بإنشاء الشركة الجديدة، ومنحها حق التجارة مع الشرق، فتأسست كشركة مساهمة باسم: الشركة الإنجليزية للتجارة مع الهند الشرقية The English Company Trading to The East Indies، واشترى تجار الشركة القديمة ما قيمته ٣١٥ ألف جنيه إسترليني من أسهمها، فصارت الشركة القديمة مالكة لنحو ١٥% من أسهم الشركة الجديدة[٢]!

وبعد منافسة حامية بين الشركتين القديمة والجديدة في تسيير الرحلات التجارية بين انجلترا والهند، وفي إقراض الملك والدولة، اندمجت الشركتان، سنة ١٧٠٨م، في شركة واحدة باسم:

---

1) The Cambridge History Of India, Vol. V, British India, P97.
2) The Cambridge History Of India, Vol.V, British India, P98-99.

الشركة المتحدة لتجار انجلترا المتاجرين مع الهند الشرقية United Company of Merchants of England Trading To The East Indies، وأصدرت الملكة آن Anne، بموافقة البرلمان، مرسوماً بتكوين الشركة المتحدة ومنحها حق احتكار التجارة مع جزر الهند الشرقية، في مقابل إقراض المملكة مليون ومائتي ألف جنيه إسترليني، لتصبح ديون المملكة البريطانية للشركة ثلاثة ملايين ومائتا ألف جنيه إسترليني، بفائدة عامة ٥%.

وكما ترى، قصة شركة الهند الشرقية وبنك انجلترا، وسيطرتهما على اعصاب الدولة البريطانية وشرايينها بالتمويل والقروض، والاستيلاء على أصولها، وحيازة سلطة إصدار العملة، هي نفسها وبالضبط التي رأيتها من قبل مكررة، في قصة نابليون والتجار وبنك فرنسا، وقصة بلاليص ستان مع بيوت المال والبنوك واستيلائها على أصولها، ثم تكوين البنك الأهلي بأموال اليهود، وحيازته حق إصدار الجنيه المصري، وهي التي رأيتها في كتب أخرى لنا في قصة نظام الاحتياط الفيدرالي الأمريكي، وكيف تكون ومن الذين كونوه، وكما لابد أدركت الآن وفهمت، عبر كل العصور، وفي كل البلدان، يختلف المركوب، ولكن راكبه لا يتغير، لا هو ولا الغاية التي يسوق من يركبهم إليها.

احتلال الهند

الشركة هي التي احتلت الهند:

إذا ذهبت إلى أي كتاب للتاريخ، ستجد عنواناً كبيراً، هو احتلال بريطانيا للهند، أو تاريخ الهند البريطانية، وهو مثال نموذجي على مفارقة اللافتات لما تُرفع فوقه، وعلى كيف تكون العناوين التي يضعها الأميون، والتي يكتفي بها جُل البشر ولا يفحصون ما يوضع تحتها، كيف تكون العناوين أغلفة تطمس الحقائق، وتضلل البشر عنها، وتزور وعيهم، وتمنعهم من الفهم.

فالذي احتل الهند ونهبها واستولى على ثرواتها، وهدم سلطنة المغول المسلمة، وتحالف مع الهندوس، والذي تدور حوله مسألة التجارة في الشرق وما اندلع من حروب تريد قطع الطريق إليها، وأخرى لحمايتها، ليس بريطانيا المملكة والدولة، بل شركة الهند الشرقية البريطانية وتجارها، فهم الذين احتلوا الهند بأموالهم وجيوشهم، ومن أجل تجارتهم وزيادة ثرواتهم، والطريق الذي اندلعت الحروب لقطعه أو للحفاظ عليه، يوصل إليهم.

وكل صلة بريطانيا المملكة والدولة بالتجارة في الهند، أنها تمنح الشركة ترخيص العمل والامتياوات في مقابل الرسوم والرِشى التي يدفعها لها تجارها، والقروض التي يقرضونها للمملكة، والتي صاروا بها الفاعل الحقيقي المسيطر على زمامها، ويسري في أعصابها وشرايينها، بينما الأميون من البشر والمؤرخين لا يفهمون من السلطة سوى أنها من يرونهم جالسين في القصور، ويتصدرون الصحف وتحوم من حولهم الكاميرات.

وروبرت كلايف Robert Clive ، الذي احتل الهند، والحاكم العام لها بعد احتلالها، هو قائد جيش شركة الهند الشرقية البريطانية في البنجال، وسيرته وصعوده كان في الشركة وليس في الحكومة البريطانية، واحتل الهند بجيش الشركة وباسمها وليس بجيش المملكة ولا تحت راياتها.

وفي كتابه: دراسة عن اللورد كلايف Essay On Lord Clve، يقول المؤرخ الإنجليزي توماس ماكولاي Thomas Macaulay، مدافعاً عن كلايف ومبرراً ما فعله في البنجال:

"كان كلايف يرى نفسه جنرالاً تابعاً للشركة، لا للتاج البريطاني Not of the Crown, But of The Company، والشركة منحت وكلاءها في الهند سلطة اكتساب الثروة، عبر شراء الأمراء المحليين، وبأي وسيلة أخرى قد تبدو بغيضة"[1].

وقبل ذلك كله، فالشركة وحكامها في الهند وقادة جيشها الذي احتلها، ليسوا سوى امتداد للماسونية في بريطانيا، فلأن التجارة في بريطانيا واليهود والماسونية حزمة واحدة، أو كالأواني المستطرقة يفضي كل منها للأخرى، فالذين احتلوا الهند في الحقيقة هم تجار بريطانيا وماسونها.

علمتَ من قبل، أنه في سنة ١٥٦٧م، قرر الماسون في جنوب انجلترا الانفصال عن محفل يورك في شمالها، وهو أول محفل في تاريخها، وقاموا بتكوين محفل في لندن، وانتخبوا السير توماس جريشام Thomas Gresham أستاذاً أعظم لهم، وهو نفسه مؤسس البورصة الملكية، ورأس التجار والمرابين في انجلترا.

الشركة والماسونية في الهند:

ومع غزو التجار ويهود المارانو لانجلترا، انتشرت المحافل في لندن وازدهرت، وفي يوم ٢٤ يونيو سنة ١٧١٧م، انعقدت الجمعية العامة للماسون في لندن، وأعلنت محافل لندن الأربعة الكبرى توحدها، ليتكون باندماجها محفل انجلترا الأعظم.

وفي كتابه: صور الماسونية Illustrations of Freemasonry، يقول وليام بريستون William Preston، وهو مؤرخ ماسوني رسمي، والأستاذ الأعظم للمحفل العتيق في لندن Lodge of Antiquity، في سبعينيات القرن الثامن عشر، إنه في يوم ٢٧ ديسمبر سنة ١٧٢٨م، تم انتخاب لورد كنجستون Lord Kingston، في احتفال أقيم في مقر شركة الخياطين التجار في لندن Merchant Taylors' Hall، أستاذاً لمحفل انجلترا الأعظم، وبعد انتخابه:

"كتب اللورد كنجستون تفويضاً، منح فيه جورج بومفريت George Pomfret سلطة إنشاء محفل إقليمي في البنجال، وأن يصبح الأستاذ الأعظم الإقليمي في الهند الشرقية Provincial Grand Master"[2].

---

1)Thomas Macaulay: Essay On Lord Clive, P65, George Harper & Company, London, 1910.
2) William Preston: Illustrations of Freemasonry, P253, Printed For: J. Wilkie, Second Edition, London, MDCCLXXV/1775.

وكابتن بومفريت هو أحد ضباط جيش شركة الهند الشرقية البريطانية في البنجال، والمحفل الذي أنشأه، سنة ١٧٣٠م، وكان أستاذه الأعظم، هو محفل جيش الهند الشرقية رقم: ٧٢ No. 72 The East India Arms، ومقره في حصن وليام Fort William، في مستوطنة الشركة في كلكتا، وشعاره هو نفسه شعار الشركة.

وفي الموسوعة الماسونية Encyclopedia of Freemasonry، يقول ألبرت ماك كي إنه بعد تأسيس المحفل الإقليمي الأعظم في حصن وليام في كلكتا:

"أُنشأ سنة ١٧٥٢م محفل آخر في حصن سان جورج في مدراس، وأنشأ محفل ثالث سنة ١٧٥٨م في قلعة بومباي، ثم انتشرت المحافل انتشاراً كبيراً، وفي سنة ١٧٧٩م، كان من النادر أن توجد بلدة Town في أرض الهندوس Hindustan ليس فيها محفل"[١].

فمقرات شركة الهند الشرقية البريطانية ووكالاتها التجارية وحصونها، كانت مركز الماسونية وبؤرة بثها في الهند، وقد تواكب هذا البث مع احتلالها لها.

وفي الجزء الذي خصصه لتاريخ الماسونية في الهند، من المجلد الرابع، من كتابه: تاريخ الماسونية في العالم، يقول مؤرخ الماسونية الرسمي فريك جولد Freke Gould عن سيرة المحفل الإقليمي الأعظم في حصن وليام في مستوطنة الشركة في كلكتا، إنه:

"في سنة ١٧٣٠م خلف بومفريت في رئاسة المحفل الكابتن رالف فاروينتر Ralph Farwinter، وتلاه جيمس داوسون James Dawson، ثم زكريا جي Zachariah Gee، الذي تولى رئاسة المحفل الإقليمي الأعظم من سنة ١٧٤٠م إلى سنة ١٧٥٤م، ثم خلفه المبجل روجر دريك Hon. Roger Drake"[٢].

وروجر دريك الأستاذ الأعظم للمحفل الإقليمي الأعظم في البنجال، هو نفسه الحاكم العام لشركة الهند الشرقية البريطانية والقائد الأعلى لجيشها في الهند، ورئاسته للمحفل كانت إبان حكمه للشركة، إذ هو رئيس الشركة من سنة ١٧٤٦م إلى سنة ١٧٥٨م.

---

1) Albert Mackey: Encyclopedia of Freemasonry and Kindred Sciences, P350, A New and Revisd Edition, Puplished by The Masonic History Company, New York and London, 1914.
2) Robert Freke Gould: History of Freemasonry Throughout The World, Vol. IV ,P199, Charles Scribner' Sons, New York, Copyright, 1936.

الماسوني روبرت كلايف يحتل البنجال:

أما روبرت كلايف، الذي احتل الهند، فكان عضواً في محفل الصخرة رقم: ٢٦٠ Lodge of Rock No. 260، وهو محفل الشركة في حصن سان جورج في مدراس، ثم صار عضواً في محفل حصن وليام في كلكتا.

وفي دراسة الموسوعة البريطانية، في طبعتها الحادية عشرة، عن روبرت كلايف، أنه:

"وُلد سنة ١٧٢٥م، وكان أبوه تاجراً في شروب شاير Shropshir، ثم أرسله ليتلقى تعليمه في مدرسة ميرشانت تايلورز في لندن Merchant Taylors' School"[1].

ومدرسة ميرشانت تايلورز، أو مدرسة الخياطين التجار، هي مدرسة خاصة تملكها وتديرها شركة الخياطين التجار، لصناعة المنسوجات وتجارتها، فإذا رجعت بضع صفحات إلى الخلف، ستجد أن مقر الشركة في لندن Merchant Taylors' Hall، كان مكان انعقاد اجتماعات محفل انجلترا الأعظم وإقامة مؤتمراته وحفلاته، وفيه كان يتم انتخاب الأستاذ الأعظم وتنصيبه، إلى أن تم إنشاء بناية الماسون Freemason's Hall، سنة ١٧٧٥م، لتكون مقراً لمحفل انجلترا الأعظم، وما زالت مقره إلى يومك هذا.

وفي سنة ١٧٤٤م انتقل كلايف إلى الهند، ليعمل كاتباً ووكيلاً تجارياً لشركة الهند الشرقية البريطانية، وفي سبتمبر سنة ١٧٤٦م، هاجمت قوات شركة الهند الشرقية الفرنسية Compagnie Française Pour Le Commerce Des Indes Orientales حصن سان جورج في مدراس واستولت عليه، وأسرت قائده، ففر كلايف إلى حصن سان ديفيد Fort St. David، التابع للشركة في كودالور Cuddalore، على بعد ثمانين كيلومتراً إلى الجنوب من مدراس، وتطوع في جيش الشركة واشترك في الدفاع عن الحصن ورد هجوم القوات الفرنسية عليه، في مارس سنة ١٧٤٧م، فجعله الميجور سترنجر لورنس Stringer Lawrence، قائد قوات الشركة البريطانية، قائد فصيلة[2].

وفي سنة ١٧٤٩م استعادت الشركة البريطانية مدراس وحصن سان جورج من الشركة الفرنسية، بعد معاهدة بينهما دون أن تتوقف حروبهما.

---

1) The Encyclopædia Britannica, Eleventh Edition: Robert Clive, Baron, Vol.VI, P532, Cambridge England at The University Press, New York, 35 West, 32nd Street, 1911.
2) Essay On Lord Clve, P10-11:Thomas Macaulay.

وبعد اشتراكه في عدة معارك أخرى مع الفرنسيين ومع قوات المغول المحلية، تحت قيادة لورنس، ومتطوعاً أيضاً، أصبح كلايف سنة ١٧٥٠م ملازماً Lieutenant، وفي سنة ١٧٥١م غزا تشاندا صهيب Chanda Sahib، نواب/نائب سلطان المغول أحمد شاه بهادور Ahmad Shah Bahadur، في أركوت Arcot، بمعاونة قوات من شركة الهند الشرقية الفرنسية، غزا تيروشيرابالي Tiruchirapalli، على بعد ثلاثمائة كيلومتر جنوب مدراس، وكان حاكمها محمد علي خان Muhammed Ali Khan أكبر حلفاء شركة الهند الشرقية البريطانية في جنوب الهند، وكان الجنرال لورنس في انجلترا، فقاد كلايف قوة من الشركة، وغزا بها أركوت، وحاصر قلعتها خمسة عشر يوماً، وتمكن من هزيمة حاميتها والاستيلاء عليها[1].

وبعد معركة أركوت طار صيت كلايف، ورغم أنه لم يتلق تعليماً عسكرياً، صار، كما يقول ماكولاي: "**يعامل على أنه قائد عسكري Regarded Equal To Any Command**"[2]، وأصبح نائباً للجنرال لورنس، وعند عودته إلى انجلترا سنة ١٧٥٣م، انتخب عضواً في البرلمان الإنجليزي، ومنحه الملك جورج الثاني George II رتبة مقدم Lieutenant Colonel في الجيش البريطاني.

وفي سنة ١٧٥٥م عينته هيئة إدارة الشركة حاكماً لحصن سان ديفيد ومستوطنة الشركة في كودالور، وفي سنة ١٧٥٨م، وبعد احتلاله للهند، صار كلايف، الميجور جنرال الآن، حاكم البنجال والهند ورئيس شركة الهند الشرقية البريطانية في الهند، والقائد الأعلى لقواتها، إلى سنة ١٧٦٠م، ثم عاد لمناصبه هذه مرة أخرى من سنة ١٧٦٥م إلى سنة ١٧٦٧م.

فإليك قصة احتلال شركة الهند الشرقية البريطانية، بقيادة الماسوني والميجور جنرال بالخبرة روبرت كلايف للهند.

في سنة ١٧١٥م، وإبان وجود وفد من الشركة في بلاط تاسع سلاطين المغول جلال الدين محمد فرخ سير Farrukhsiyar، في دلهي، تمكن أحد أطباء الشركة، دكتور وليام هاملتون William Hamilton، من علاج السلطان من خراج في أعلى ساقه، فانتهز رئيس بعثة الشركة جون سورمان John Surman الفرصة وقدم التماساً، يطلب فيه بعض الامتيازات، فأصدر فرخ سير فرماناً ومرسومين في يوليو سنة ١٧١٧م، ونص فيهم على:

---

1) Essay On Lord Clve, P26-28.
2) Essay On Lord Clve, P28.

"حرية وكلاء الشركة في التجارة في البنجال، وإعفاء جميع البضائع التي يجلبها وكلاء الشركة ويتاجرون فيها، سواء عبر الأرض أو المياه، من الضرائب والرسوم Dues، في مقابل دفع ثلاثة آلاف روبية سنوياً، ويسمح للشركة باستئجار المناطق حول كلكتا والاستيطان فيها، واستمرار إعفاء التجارة في حيدر أباد Hyderabad من الضرائب، واستئجار الشركة للمناطق المحيطة بمدراس، والروبيات التي يتم سكها بمعرفة الشركة في بومباي قابلة للتداول في المناطق الواقعة تحت سيطرتها"(1).

وكانت سلطنة المغول من بعد السلطان أورانجزيب، مقسمة إلى صباحات Subahs، أو مقاطعات، ويحكم كل صباح منها ناظم Nazim، أو نواب/ نائب عن السلطان Nawab، وكانت ميزانية النواب تعتمد في جزء كبير منها على الرسوم والضرائب المفروضة على التجارة، وكان الديوان Diwan في الصباح هو المسؤول عن تحصيل الضرائب وتنظيم مالية الإقليم.

وكانت البنجال أكبر صباحات سلطنة المغول وأغناها، ويفوق إنتاجها الزراعي والصناعي انتاج المملكة البريطانية كلها، وبفرمان السلطان فرخ سير ومراسيمه، تجاوزت شركة الهند الشرقية البريطانية سلطة النواب والديوان في البنجال، وحاز وكلاؤها وعملاؤها سلطة وامتيازات ليست للتجار من أهل البنجال، واستولت على ٣٨ قرية حول كلكتا، ومنح حق سك العملة والتعامل بها الشركة سلطة عليا وسيطرة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

وزاد على ذلك استغلال الشركة للامتيازات التي حازتها، في نهب البنجال وامتصاص ثرواتها وتدمير اقتصادها، إذ بناءًا على الفرمان والمراسيم أصبحت الشركة تُصدر لكل وكيل لها إذن مرور Dastak، لكي يتحرك بالبضائع ويتاجر بها في البنجال، دون أن يتعرض لهم النواب والديوان، ثم أصبحت الشركة تصدر أذون مرور، ليس من أجل تجارتها هي، حسب الفرمان، بل لكي تبيعها لمديريها وضباطها، ثم للتجار المحليين في البنجال، وتُمكِّنهم بها من التجارة والعبور ببضائعهم الخاصة باسم الشركة دون سداد ضرائب ورسوم.

ومع ضعف سلاطين المغول، وزيادة نفوذ النواب في البنجال، وانفرادهم فعلياً بحكمها، اصطدموا بالشركة، ودخلوا في نزاعات معها، من أجل تقليص امتيازاتها، وتخفيف قبضتها على اقتصاد البنجال وثرواتها، وتمكن أقوى هؤلاء النواب، علي وردي خان Ali Wardi Khan، الذي

---

1) The Cambridge History Of India, Vol.V, British India, P112.

حكم البنجال ست عشرة سنة، من سنة ١٧٤٠م إلى سنة ١٧٥٦م، من إجبار الشركة على دفع تعويضات عدة مرات، بعد ضبط تجار ومعهم أذون مرور صادرة من الشركة، ويتحركون بتجارات لا علاقة للشركة بها.

وفي أبريل سنة ١٧٥٦م، وبعد أن خلف جده علي وردي خان في حكم البنجال، اتهم الميرزا محمد سراج الدولة Muhammad Siraj Ud Daulah، النواب في عهد السلطان علم جير الثاني Alamgir II، اتهم الشركة بنهب ثروات البنجال، وسرقة ١٥ مليون روبية، حصلت عليها الشركة في مقابل إصدار أذون مرور مزورة للتجار في البنجال.

وفي الوقت نفسه أرسل سراج الدولة رسالة مع مبعوثه ناريان سينخ Narayan Singh، إلى الماسوني روجر دريك حاكم الشركة والقائد الأعلى لقواتها، يطالبه بالتوقف عن التوسعة والإنشاءات العسكرية التي تقيمها الشركة في حصن وليام في كللكتا، والخنادق التي تحفرها من حول كلكتا والقرى التي استولت عليها في البنجال، فرفض دريك في صلف وأهان سينخ وطرده.

وفي ٤ يونيو سنة ١٧٥٦م:

"تحرك سراج الدولة بجيشه من مرشد أباد Murshid Abad، عاصمة البنجال، فهاجم مستوطنة الشركة في بلدة كاظم بازار Kasimbazar، على ضفاف نهر هوجلي Hugli، غرب البنجال، فاقتحم حصنها، واستولى عليها، وأسر قائدها الكابتن واتس Watts وبعض موظفي الشركة، ثم توجه نحو كلكتا، فوصلها بعد أن فر الجنرال دريك، وأبحر في طريقه إلى انجلترا، فاستولى في ٢٠ يونيو على مستوطنة الشركة وفتح حصن وليام، وأسر موظفي الشركة ومن بقي من ضباطها، وكانوا مائة وستاً وأربعين، فحبسهم في زنزانة ضيقة في الحصن، اسمها الحفرة السوداء Black Hole، فمات العشرات منهم اختناقاً"(١).

وعندما وصلت يوم ١٦ أغسطس أنباء سقوط كلكتا وحصن وليام، إلى حصن سان جورج في مدراس، قرر مجلس إدارة الشركة، شن حملة لاستعادة كلكتا، مع الاستعانة بالأدميرال تشارلز واتسون Charles Watson، قائد قوة الأسطول الملكي البريطاني في الهند الشرقية، والمتمركز لمواجهة الأسطول الفرنسي فيها، وكان سراج الدولة حليفاً للفرنسيين، فتوجه روبرت كلايف على

---

1) The History of British India, Vol. III, P163-166.

رأس جيش الشركة في مدراس نحو كلكتا، وأبحر الأدميرال واتسون في نهر هوجلي نحوها، وتمكنا من استعادة كلكتا وحصن وليام في يوم ٢ يناير سنة ١٧٥٧م.

وفي يوم ٩ فبراير سنة ١٧٥٧م تم توقيع اتفاقية بين سراج الدولة وروبرت كلايف، وفيها أعاد سراج الدولة للشركة مستوطنتها في كلكتا، وسمح لها بتحصينها، وبسك العملة/ الروبية والتعامل بها في كلكتا، وتعهد بدفع تعويضات عن الخسائر التي لحقت بها.

وبعد وصول كلايف إلى كلكتا، تحولت الحرب الناشبة بين انجلترا وفرنسا منذ سنة ١٧٥٤م إلى حرب واسعة، تحالفت فيها بريطانيا وبروسيا والبرتغال، في مواجهة فرنسا وإسبانيا والنمسا وروسيا، وعُرفت بحرب السنوات السبع، فقرر كلايف انتهاز الفرصة ومهاجمة مستوطنة شركة الهند الشرقية الفرنسية في بلدة تشاندر ناجور Chandernagore، شمال كلكتا، وعلى بعد خمسة وثلاثين كيلومتراً منها، وأرسل إلى سراج الدولة يطلب معاونته، فلم يجبه، فهاجم كلايف المستوطنة الفرنسية براً في ١٤ مارس، وعبر الأدميرال واتسون نهر هوجلي إليها في ٢٣ مارس، فاستولى كلايف عليها، ثم نهب تشاندر ناجور.

وفي أعقاب استيلاء كلايف وجيش الشركة على تشاندر ناجور، سعى سراج الدولة إلى التحالف مع المركيز شارل دي بوسي Charles De Bussy، قائد القوة الفرنسية في الهند، وحرك جيشه إلى منطقة بلاشي Palashi، خمسين كيلومتراً جنوب العاصمة مرشد أباد، وخمسين كيلومتراً شمال كلكتا.

وإبان ذلك، تمكن وليام واتس William Watts، مبعوث شركة الهند الشرقية البريطانية في بلاط سراج الدولة، من استمالة بعض أركان دولته، وكان أهمهم مير جعفر علي خان Mir Jafar Ali Khan، أحد قادة جيش سراج الدولة والمسؤول عن خزانة الجيش وصرف رواتب الجند، وأمير تشاند Amir Chand، وهو سيخي، وأكبر التجار في مرشد أباد، وأحد وكلاء الشركة، وكان يرتبط معها بعلاقات عمل طويلة.

وبعد موافقة كلايف ولجنة سرية شكلتها إدارة الشركة في كلكتا لمناقشة المسألة:

"تم توقيع اتفاقية سرية Secret Treaty بين وليام واتس ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية وبين مير جعفر، في يوم ٥ يونيو ١٧٥٧م، يتعهد فيها مير جعفر بمعاونة قوات الشركة في حربها ضد سراج الدولة، في مقابل أن تنصبه الشركة نواباً على البنجال، وأن يقوم

بتعويض الشركة عن الخسائر التي سببها الهجوم على منشآتها في كلكتا، وفي يوم ١١ يونيو أُرسلت الاتفاقية إلى اللجنة السرية في كلكتا، وفي يوم ١٢ يونيو غادر وليام واتس العاصمة مرشد أباد سراً، وفي اليوم التالي تحرك كلايف بقواته في اتجاهها"[١].

أما أمير تشاند، فقد اشترط للاشتراك في الإطاحة بسراج الدولة أن يحصل على ٥% من خزانة البنجال، وأن يكون ذلك جزءًا من الاتفاق مع مير جعفر:

"فكتب مجلس إدارة الشركة، بناءًا على اقتراح كلايف، نسختين من الاتفاقية مع مير جعفر، الأولى حقيقية وعليها توقيع وليام واتس، وليس فيها النص على نسبة ٥% من خزانة البنجال لأمير تشاند، والأخرى أطلعوا عليها تشاند، وفيها النص على النسبة التي يريدها، ولكنها مزورة، إذ وضعوا عليها اسم وليام واتس، دون أن يوقع عليها، بل وقع عليها لوشنجتون Lushington، على أنه واتس"[٢]!

وفي ٢٣ يونيو ١٧٥٧م، وعند أطراف غابة بلاشي التقى جيش الشركة بقيادة الكولونيل كلايف والميجور جيمس كيلباترك James Kilpatrick، بجيش البنجال يقوده سراج الدولة، وكان مير جعفر قائد ميسرة جيش البنجال، وقد أوقف القوات التابعة له عن القتال بعد أن بدأت المعركة.

وانتهت معركة بلاشي بهزيمة سراج الدولة ثم اغتياله، وبتنصيب مير جعفر نواباً على البنجال، وصارت شركة الهند الشرقية البريطانية الحاكم الفعلي للبنجال، واحتكرت تجارتها وصادراتها احتكاراً مطلقاً، فمنعت تجار البنجال من التعامل في السلع والبضائع التي تتاجر فيها، وكان أول ما احتكرته تجارة الملح الصخري أو نترات البوتاسيوم، عماد صناعة البارود، وسخرت العمال من أهل البنجال، وأجبرتهم على العمل في مستوطناتها الصناعية بالأجر الذي تريده.

ونهبت الشركة خزانة البنجال العامة، فقامت بتوقيع اتفاقية مع مير جعفر، لتعويضها عن خسائرها في كلكتا والقرى التابعة لها من حولها، والتي قامت بتقديرها لجنة شكلتها الشركة، فهذه هي قيمة التعويضات التي تم الاتفاق عليها، كما أوردها المؤرخ البريطاني جيمس ميل في الجزء الثالث من كتابه: تاريخ الهند البريطانية، نقلاً عن تقرير المستر بتشر أحد أعضاء اللجنة:

---

1) The Cambridge History Of India, Vol.V, British India, P148-149.
2) The Cambridge History Of India, Vol.V, British India, P148-149.

"١٠ ملايين روبية للشركة، و٥ ملايين روبية لسكان كلكتا من الإنجليز، ومليونا روبية للهنود، و٧٠٠ ألف روبية للأرمن، وقررت اللجنة أنه يجب منح مكافأة Donation لمن أسهموا في إتمام العمل، فقررت منح مليونين ونصف مليون روبية للأسطول، ومثلها لجيش الشركة، واقترح مستر بتشر Becher، أحد أعضاء اللجنة، مكافاة أعضاء اللجنة أسوة بقادة الجيش والأسطول، فقررت اللجنة منح ٢٨٠ ألف روبية لكل من الجنرال دريك حاكم الشركة، والكولونيل روبرت كلايف قائد جيشها، ومنح كل منهما ٢٤٠ ألف روبية أخرى بصفتهم أعضاء في اللجنة، ومثلها للمستر واتس والميجور كيلباتريك"(١).

وفي سنة ١٧٦٠م أزاحت الشركة مير جعفر ونصبت زوج ابنته مير قاسم نواباً على البنجال، فحاول التمرد على الشركة وتخفيف قبضتها على التجارة وتقييد سلطتها في البنجال، عبر التحالف مع الشاه علم جير الثاني، وفي يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٧٦٤م، وقعت مواجهة عسكرية على أطراف بلدة باكسر Baxar غرب البنجال، بين جيش الشاه علم جير الثاني، بقيادة صدره الأعظم ونواب ولاية أوده شجاع الدولة Shuja Ud Daula، المتحالف مع جيش مير قاسم، في مواجهة جيش الشركة بقيادة الميجور هكتور مونرو Hector Munro، وكان كلايف قد أصبح رئيس مجلس الشركة في كلكتا وحاكم حصن وليام.

وانتهت معركة باكسر بانتصار جيش الشركة، وتوقيع معاهدة الله أباد Allah Abad، مع الشاه علم جير الثاني، وبها أقر الشاه بالامتيازات التي حازتها الشركة، وأصبح لها مبعوث دائم في بلاطه، وصار هذا المبعوث قوة ضغط على الشاه ورقيباً على قراراته، وعزلت الشركة مير قاسم، وأعادت مير جعفر نواباً على البنجال، وامتدت سلطتها من البنجال إلى الهند كلها، فاحتكرت تجارتها، وأصبح النواب تابعين لها، هي التي تختارهم وتنصبهم، وجميعهم ألعوبة في يدها ومجرد واجهات لها.

نهب الهند:

وفي ١٢ أغسطس سنة ١٧٦٥م توج كلايف انتصار الشركة على سلطنة المغول، حين اضطر الشاه علم جير الثاني، لكي يحافظ على موارد السلطنة، أن يستجيب لضغوط كلايف، ويصدر فرماناً، يمنح فيه الشركة حق تحصيل ضرائب الديواني Diwany، في صباحات البنجال

---

1) The History of British India, Vol. III, P185-187.

وبيهار Behar وأوده Oudh، مقابل ٢,٦ مليون روبية، فأضافت الشركة إلى أرباحها من احتكار التجارة ١٢ مليون روبية أخرى من الضرائب التي تحصلها، وفي خلال ثلاثين سنة ضاعفت الضرائب أربع مرات.

ومرة أخرى نذكرك أن الذي احتل الهند ونهب ثرواتها واحتكر تجارتها، وصار المتحكم في ساستها واقتصادها، ليس بريطانيا، بل، كما يقول نك روبنز:

"شركة تتكون من تجار مسؤولين أمام مجموعة من حاملي الأسهم في لندن ... وكلايف لم يحصل على ضرائب الديواني من أجل تعزيز مصالح الإمبراطورية البريطانية، وهو الأمر الذي يخالف النظريات التي قدمها مؤرخو الاستعمار فيما بعد، لقد كان الدافع وراء ما قام به أكثر ببساطة من ذلك، وهو تحقيق مصالحه الشخصية، وتحقيق الثروة والرخاء للشركة"[١].

فالذين احتلوا الهند حوالي ألف شخص، هم أسر تجار لندن وماسونها، من مالكي أسهم شركة الهند الشرقية البريطانية، كما يقول تالبويز ويلر Talboys Wheeler في كتابه: الهند تحت الحكم البريطاني منذ تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية India Under British Rule From The Foundation Of The East India British Company:

"أمراء التجارة Prince Merchants في ليدنهول، مقر الشركة، هم الذين بنوا إمبراطوريتنا في الهند"[٢].

ومالكو الشركة في الحقيقة كانوا بضع عشرات من التجار، والمسيطرون على مقاليدها هم الطبقة العليا من هؤلاء، والباقون من أسرهم وأتباعهم، فلأن كل من يملك سهماً في الشركة قيمته ٥٠٠ جنيه إسترليني، كان من حقه التصويت في الاجتماعات وانتخابات مجلس الإدارة، ولأن لكل حامل أسهم صوتاً واحداً أياً كانت قيمتها وعددها، كان كل تاجر من الطبقة العليا في الشركة، يقسم حصته فيها إلى أسهم عديدة، ويجعلها بأسماء أفراد أسرته وأتباعه، لكي يزداد نفوذه في الشركة ويمتلك أصواتاً أكثر عند التصويت على قراراتها وانتخاب هيئة إدارتها ورئيسها.

أما أبطال معارك احتلال الهند، ومن سيطروا على مقاليدها، فلم يكونوا سوى وكلاء لهؤلاء التجار وموظفين عندهم، لا يخطون خطوة إلا بموافقتهم، ويقدمون لهم تقاريرهم عما فعلوه، وعن

---

١) الشركة التي غيرت العالم، ص١٥٠، ١٤٥.

2) Talboys Wheeler: India Under British Rule From The Foundation Of The East India British Company,P136, Macmillan And Co. London, 1886.

أعمال الشركة وموزانتها وأرباحها، ورروبرت كلايف نفسه تردد بين انجلترا والهند عدة مرات ليقدم تقاريره لمجلس إدارة الشركة في لندن، ويطلعها على إنجازاته، ويأخذ موافقتها على الاتفاقيات، وأخضعته هيئة إدارة الشركة للتحقيق عدة مرات بخصوص ما يحدث في البنجال، وما خاضه من معارك.

وكان أكثر من ربع البرلمان الإنجليزي من أعضاء الشركة وأتباعهم، وكلايف نفسه كان يستحوذ على دائرتين في لندن، إحداهما لنفسه والأخرى لمساعده لوك سكرافتون Luke Scrafton، وفي أبريل سنة ١٧٦٩م، كما يقول المؤرخ جيمس ميل:

"مرَّر البرلمان قانوناً Act Was Passed، يفوض فيه الشركة في إدارة موارد الهند، على أن تدفع ٤٠٠ ألف جنيه إسترليني للخزانة العامة سنوياً، وأن تقوم بتوريد بضائع ومستلزمات لمخازن البحرية والجيش قيمتها ٣٨٠,٨٣٧ جنيه إسترليني سنوياً، بفائدة ٢%"[١].

وبهذا القانون، صارت شركة الهند الشرقية البريطانية تحكم الهند وتسيطر على مواردها باسم مملكة بريطانيا.

وبعد أن أحكمت الشركة قبضتها على الهند سياسياً واقتصادياً، وصار جميع التجار فيها تابعين لها وتحت سيطرتها، اتجه من يديرون وكالاتها التجارية والصناعية في الهند وضباط جيشها وكبار مستخدميها إلى نهب ثروات مقاطعات الهند وجني الأموال للشركة ولأنفسهم بكل الوسائل.

فمن أجل زيادة الأرباح أجبرت الشركة التجار على خفض أسعار الشاي والمواد الخام التي يوردونها لها وتصدرها هي لبريطانيا وأوروبا، وكذلك مستلزمات صناعة النسيج في مستوطناتها، وزادت من الضرائب، وصار الحرفيون وصناع النسيج مجبرين على العمل في الشركة، إذ لا مكان آخر للعمل سواها، فخفضت أجورهم عما كان معتاداً إبان حكم النواب، وتحكمت في تصنيف ما ينتجونه من نسيج، فكانت تصنف الأنسجة الممتازة على أنها رديئة، وتشتريها منهم بأبخس الأسعار، ثم تصدرها إلى انجلترا على أنها من الفئة الأولى وتبيعها بأعلى الأثمان.

---

1) The History of British India, Vol. III, P482.

وبعد أن كانت الشركة تستورد سبائك الذهب والفضة من بريطانيا لتمويل صناعتها وتجارتها في الهند، لم تعد بحاجة لذلك، ومنذ سنة ١٧٦٦م صارت تمولها من تحصيل ضرائب الديواني، ومن أرباح احتكارها للتجارة، ومن تجارة الأفيون، التي صارت إحدى الأنشطة الرئيسية للشركة.

وزادت الشركة ومديروها وضباطها على ذلك، استغلال الكوارث الطبيعية، وتوظيفها في زيادة أرباح الشركة وأرباحهم هم من التجارة الجانبية الخاصة بهم، عبر تخزين السلع وسحبها من الأسواق ثم بيعها بأسعار مضاعفة.

وفي الشهور الأخيرة من سنة ١٧٦٩م، قلت الأمطار الموسمية، فشحت الحبوب والأقوات، ثم اجتاحت المجاعة البنجال مع بداية سنة ١٧٧٠م، وكان سلاطين المغول والنواب حين تقل الأمطار وتشح الأقوات يخففون الضرائب على تجار الحبوب والأغذية، ويمنعونهم من رفع أسعارها، ومن تصديرها خارج الهند، ويشترونها منهم على حساب الخزانة العامة، ويوزعونها على أهالي القرى والبلدات المنكوبة مجاناً، أما الشركة ومديروها وضباطها، فما أن قلت الأمطار وبدت نذر القحط، قاموا بجمع الحبوب من الأسواق وتخزينها في مخازن الشركة، إلى أن اختفت تماماً، ثم قاموا ببيع ما خزَّونه بعد رفع أسعاره أضعافاً مضاعفة.

وفي سنة ١٧٦٩م كان سعر الأرز: ١٢٠ سير للروبية الواحدة، والسير Sihr وحدة الوزن في الهند إذ ذاك، وتساوي ١,٢٥ كيلوجرام، وإبان المجاعة، وبعد رفع الشركة لأسعار الأغذية، صارت الروبية لا تشتري سوى ثلاث سير، أي أن الشركة رفعت سعر الأرز أربعين مثلاً.

وخلال سنتين من االمجاعة مات عشرة ملايين من أهالي البنجال، هم ثلث تعدادها، بينما عائدات شركة الهند الشرقية البريطانية من الضرائب وأرباحها من التجارة في ازدياد،.

وفي فبراير سنة ١٧٧١م أرسل مجلس إدارة الشركة في كلكتا تقريراً لهيئة إدارة الشركة في لندن، يقول فيه:

"على الرغم من شدة المجاعة الأخيرة، وما نجم عنها من نقص شديد في الأنفس، فقد تم تحقيق قدر من الزيادة في جمع العائدات"[١].

---

١) الشركة التي غيرت العالم، ص١٦٧.

وينقل نك روبنز عن ريتشارد بيتشر Richard Becher، ممثل الشركة في بلاط مرشد أباد، عاصمة البنجال، اعترافه إبان المجاعة بأن:

"**هذه البلاد الجميلة، التي كانت مزدهرة في ظل أكثر أنظمة الحكم استبدادية وظلماً، صارت على وشك الدمار عندما صار للإنجليز نصيب كبير في إدارتها**"[١].

---

١) الشركة التي غيرت العالم، ص١٦٦.

فساد وأزمات

فساد:

بعد معركتي بلاشي وباكسر، وحصولها على حق تحصيل ضرائب الديواني، وصلت شركة الهند الشرقية البريطانية إلى أوج قوتها، اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً، فحازت ثروة واسعة وصارت تتحكم في ربع حجم التجارة العالمية، بينما كان نصيب مملكة بريطانيا من هذه التجارة ١,٩% فقط، وصار لها نفوذ كبير في البرلمان الإنجليزي، والتاج البريطاني يمنحها ترخيص العمل ويغض الطرف عما تفعله في الهند، لأنه في الحقيقة خاضع لها، لما توفره هي وبنك انجلترا للمملكة من قروض، تمول بها حروبها في أوروبا، وإبان المجاعة في البنجال وصف السير كورتني إلبرت Courtenay Ilbert الحكومة البريطانية داخل البرلمان بأنها:

"شريك في ما يحدث في الهند من فساد Indian Spoil "[١].

وتوسعت الشركة بجيوشها في الهند عسكرياً، فتمددت وصارت تسيطر بالقوة على أغلب مقاطعات الهند، وواجهت إبان توسعها مقاومة عنيفة وخاضت معارك عديدة، مع سلطنة المغول، والنواب، ثم مع سلطنة ميسور أقصى جنوب الهند، وقد تمكن سلطانها حيدر علي ثم ابنه السلطان تيبو من إيقاع عدة هزائم بجيوش الشركة وألحقوا بها خسائر جسيمة، في سبعينيات القرن الثامن عشر وثمانينياته.

وكان هذا التوسع العسكري وما تخوضه جيوشها من معارك أول أسباب ظهور الأزمات الاقتصادية في الشركة واتجاهها نحو الانحدار، وحين وصلت إلى لندن أنباء انطلاق حيدر علي من سلطنته في ميسور، وغزوه ممتلكات الشركة وأراضيها واقترابه من مستوطنتها في مدراس سنة ١٧٦٩م، هبطت أسعار أسهم الشركة ١٦% خلال شهر واحد، ومع تواصل المعارك مع حيدر علي وابنه تيبو، ظلت الأسهم تواصل الهبوط حتى فقدت نصف قيمتها خلال عشر سنوات.

وتضاعفت قوات الشركة، وفي ستينيات القرن الثامن عشر صارت جيوشها في الهند تفوق الجيش الملكي البريطاني في أوروبا، جنوداً وقادة وضباطاً.

---

1) The Cambridge History Of India, Vol. V, British India, P184.

ومع تضاعف القوات وتضخم الجيش وما يخوضه من معارك زادت نفقاته، حتى تخطت عائدات الشركة، وفي سنة ١٧٧٠م بلغت نفقات جيش الشركة ومعاركه ثلاثة ملايين و ٢٠٠ ألف جنيه استرليني، بينما كانت عائدات الشركة مليونان و ٧٠٠ ألف فقط، وفي دراسة لجون ريتشاردز John Richards، الباحث في مدرسة لندن للاقتصاد London School of Economics، عن مالية الشركة وموازناتها منذ نشاتها إلى تصفيتها The Finances of The East India Company in India, 1766-1859، أنه:

"عند بداية القرن التاسع عشر كانت عائدات تجارة الشركة في الهند ثلاثة عشر مليوناً و ٤٦٤ ألف جنيه إسترليني، بينما نفقاتها أربعة عشر مليوناً وسبعة آلاف جنيه إسترليني"(١).

وثاني أسباب أزمات الشركة، وهو أولها، فساد مديريها وكبار موظفيها وضباطها في الهند، بعد أن صارت مقاليدها في أيديهم، لعدم وجود وسائل تمكن هيئة إدارتها في لندن من مراقبتهم وضبط سلوكهم، وأيضاً لغضهم الطرف عمداً في بعض الأحيان مع استمرار الأرباح التي يتم تحويلها إلى لندن.

فبعد معركة بلاشي صار أعضاء هيئة إدارة مستوطنات الشركة ووكالاتها الرئيسية في كلكتا وبومباي ومدراس، وكذلك كبار الموظفين والضباط، يستغلون اسم الشركة ومواقعهم فيها في ممارسة تجارة جانبية خاصة بهم، ومستقلة عن تجارة الشركة، وأحياناً يتاجرون معها!

وكان بعض أعضاء مجلس إدارة الشركة في البنجال يقبلون الرشاوى من التجار الذين يجلبون للشركة الشاي والتوابل والمواد الخام ومستلزمات صناعة النسيج، في مقابل شرائها لمصانع الشركة بأسعار أعلى من قيمتها الحقيقية، وبعضهم كان يشتريها من التجار لنفسه ثم يعيد بيعها للشركة بأسعار أعلى.

وإبان المجاعة وشح الأقوات في البنجال، كون مديرو الشركة وكبار ضباطها ثروات هائلة لأنفسهم من تخزين الحبوب وبيعها بعد رفع أسعارها، مع ما جلبوه للشركة من أرباح.

وروبرت كلايف نفسه أبرز نموذج على هذا الفساد، وكان كلايف يمتلك أسهماً في الشركة قيمتها ٢٠ ألف جنيه إسترليني، وإبان ضغطه ومفاوضاته مع الشاه علم جير الثاني، للحصول

---

1) John Richards: Finances of the East India Company in India, 1766-1859, Department of Economic History, London School of Economics, Working Papers No. 153/11, August 2011.

على حق تحصيل ضرائب الديواني للشركة، أرسل إلى محاميه جون وولش John Walsh في لندن، يطلب منه شراء أكبر عدد من أسهم الشركة، باسمه وباسم أفراد أسرته، فاشترى له ما قيمته ٣٠ ألف جنيه إسترليني، وبعد وصول نبأ حصوله على حق تحصيل الديواني إلى لندن، تضاعفت أسعار الأسهم، فصارت قيمة أسهمه ٧٥ ألف جنيه إسترليني، ثم عاد وباع جزءًا منها قبل أن تصل إلى لندن أنباء نزاع حيدر علي سلطان ميسور مع الشركة، فتنخفض أسعارها[١].

وبعد أن صار كلايف رئيس مجلس إدارة الشركة في كلكتا، في يونيو سنة ١٧٦٥م، أعاد تكوين المجلس، وأدخل فيه بعض الموالين له من أعضاء مجلس الرئاسة في مدراس، ثم كون خلال شهر واحد شركة تجارية Trading Company، لاحتكار تجارة الملح والتبغ داخل البنجال، وقسم رأس مالها إلى ٥٦ سهماً، وحصر الدخول فيها والاشتراك في أسهمها في أعضاء مجلس إدارة الشركة وكبار مستخدميها وضباطها في كلكتا، على خلاف أوامر هيئة إدارة الشركة في لندن ولوائحها، التي تمنعهم من ممارسة التجارة الخاصة داخل البنجال، وقسمهم كلايف إلى طبقات من حيث عدد ما هو مسموح لهم بامتلاكه من أسهم، فهاك هي:

"الطبقة الأولى، وتضم الحاكم Governer، كلايف نفسه، وله خمسة أسهم، ونائب رئيس مجلس الإدارة، وله ثلاثة أسهم، والجنرال، قائد الجيش، وله ثلاثة أسهم، وأعضاء مجلس الإدارة العشرة، ولكل منهم سهمان، واثنين من الضباط برتبة كولونيل/عقيد، ولكل منهما سهمان، والطبقة الثانية تضم القسيس Chaplain، والتجار الأربعة عشر الكبار، وثلاثة ضباط برتبة مقدم Lieutenant Colonel ، ولكل منهم ثلثا سهم، والطبقة الثالثة تضم ثلاثة عشر من وكلاء الشركة، واثنين من الضباط برتبة ميجور/رائد، والجراحين الأربعة الكبار في المستوطنة، والاثنين الأوائل من جراحي الجيش، وسكرتير المجلس، والمترجم إلى الفارسية، وحارس المخازن، ولكل منهم ثلث سهم"[٢].

وحين وصلت أنباء هذه الشركة الخاصة إلى هيئة إدارة شركة الهند الشرقية البريطانية في لندن في بداية سنة ١٧٦٦م، أصدرت قراراً بحلها، فتلكأ كلايف في تنفيذ القرار، أكثر من عامين، ثم نفذه وحلها في سبتمبر سنة ١٧٦٨م، بعد أن بلغت أرباح الشركة التجارية من احتكار تجارة

---

١) الشركة التي غيرت العالم، ص١٥٨.

2) The History of British India, Vol. III, P413.

الملح والتبغ في البنجال ٤٥% سنوياً، وكانت حصة كلايف وحده من هذا الربح ٢٠ ألف جنيه إسترليني في السنة.

وربما قلت، وأنت تقرأ صفات أعضاء الشركة الخاصة التي كونها كلايف: هؤلاء قوم مسيحيون متدينون، ولم يهملوا وسط أعمالهم وما يخوضونه من صراعات ومعارك، أن يقيموا كنيسة ويجعلوا لها قسيساً، بل وجعلوه شريكاً معهم!

فإليك مؤرخ الماسونية فريك جولد، يخبرك في الجزء الذي خصصه لتاريخ الماسونية في الهند، من كتابه: تاريخ الماسونية في العالم، بالذين أنشأوا هذه الكنيسة، وبمن يكون قسيسها:

"وجاء خطاب إلى المحفل الإقليمي الأعظم بإنشاء كنيسة بتمويل عام، خصوصاً من الماسون، فأُنشأت أول كنيسة في كلكتا، سنة ١٨٦٠م، وتم تكريسها للقديس يوحنا المعمدان St. John The Baptist، وافتتحت في يوم عيده، بناءًا على طلب الماسون الذين مولوا حفل الافتتاح، لأن القديس يوحنا المعمدان أحد آباء الأخوية، وكان وليام جونسون William Johnson، أحد أعضاء المحفل، قس المستوطنة والقس الإقليمي الأعظم ستة عشر عاماً Provincial Grand Chaplain"(١).

وأزمات:

ثم جاءت القشة التي قصمت ظهر بعير الشركة، ففي منتصف سنة ١٧٧٢م حدثت أزمة اقتصادية، بدأت في انجلترا ثم عمت أغلب دول أوروبا، وأفلس إبانها ثلاثون بنكاً، وزادت البطالة، وأصاب الركود حركة التجارة، فاقترضت الشركة من بنك انجلترا ٤٠٠ ألف جنيه إسترليني، وفي شهر أغسطس تقدمت بطلب للحكومة للحصول على قرض قيمته مليون جنيه إسترليني.

وبناءًا على طلبات من بعض أعضاء البرلمان، وضغوط من خصوم الشركة، كون رئيس الحكومة اللورد نورث Lord North لجنة خاصة Select Committee، برئاسة الجنرال جون بيرجوين John Burgoyne، للتحقيق في أنشطة الشركة، ثم انبثقت عنها لجنة سرية Secret Committee.

وفي شهر مايو سنة ١٧٧٣م قدم الجنرال بيرجوين تقريراً لمجلس العموم عن نتائج تحقيقاته، وفيه اتهم الشركة بالفساد، وتوظيف القوة العسكرية في احتكار التجارة، والمسؤولية عن المجاعة

---

1) The History of Freemasonry, Vol.IV, P205.

في البنجال، واتهم كلايف باستغلال موقعه في الشركة وحيازة ثروته بطرق غير قانونية، وقدم بيرجوين عدة مقترحات لإصلاح الشركة، قبل الموافقة على القرض الذي طلبته.

وبعد معارك بين أعضاء الشركة وأنصارها وبين خصومها في مجلس العموم ومجلس اللوردات، وبعد إدخال تعديلات على مقترحات لجنة بيرجوين، تم تمرير قانونين بالتصويت في المجلسين، ونص أولهما على:

"منح الشركة قرضاً قيمته مليون و ٤٠٠ ألف جنيه إسترليني، بفائدة ٤%"[1].

ومن الطريف أن القرض الذي وافق عليه البرلمان بمجلسيه، كان باسم الحكومة البريطانية، لكن الذي قدم مال القرض فعلاً كان بنك انجلترا، وهو كما علمتَ شركة خاصة، فما تقرأه الآن وحتى تصفية شركة الهند الشرقية، لم يكن سوى إحدى عمليات التداول المعتادة بين التجار وأصحاب المال والشركات عبر التاريخ، ووراثة قوة صاعدة لأخرى ذاهبة، ويماثلها على الجانب الأمريكي الانتقال من مرحلة البنوك والشركات المتفرقة إلى مرحلة نظام الاحتياط الفيدرالي، ويماثلها أيضاً ما مر بك من انتقال مركز التجارة والثروات مع حركة اليهود من إسبانيا والبرتغال إلى هولندا وانجلترا، خلال القرن السادس عشر والقرن السابع عشر.

والقانون الثاني والأهم، هو قانون تنظيم الشركة في لندن وفي الهند Regulating Act، ونص على أن:

"جميع الأراضي والممتلكات التي يحوزها الأشخاص من رعايا بريطانيا عن طريق القوة العسكرية أو توقيع معاهدات مع أمراء أجانب، تكون تابعة للدولة، ورفع قيمة الأسهم التي تمنح صاحبها حق التصويت على قرارات الشركة من ٥٠٠ جنيه إسترليني إلى ١٠٠٠ جنيه إسترليني، ويكون انتخاب المساهمين لهيئة إدارة الشركة كل أربع سنوات، وتنصيب حاكم عام للبنجال Governor General، وله السلطة على رئاسة الشركة في بومباي ومدراس، ومنحه سلطة شن الحرب وعقد المعاهدات، وتكوين مجلس لحكم الهند في كلكتا، من الحاكم العام وأربعة مستشارين، اثنان منهما تختارها الشركة، واثنان يعينهما البرلمان، وإخضاع موازنات الشركة في الهند لرقابة الخزانة في لندن، وإطلاع وزير الخارجية على مراسلات الشركة

1) The Cambridge History Of India, Vol. V, British India, P188.

الخاصة بالشؤون السياسية والمدنية، وإنشاء محكمة عليا Supreme Court في الهند، من قاضيين ورئيس، للحكم بقوانين بريطانيا بين رعاياها"[1].

ومن الطريف أيضاً أن قرار البرلمان بخصوص كلايف، نص على أنه ارتكب أخطاء جسيمة في الهند، وتسبب في كوارث، بسبب مغامراته العسكرية، لكنه في الوقت نفسه أدى خدمات جليلة لبريطانيا، وجلب لها شرفاً كبيراً ومجداً عظيماً.

أما الذي اختاره البرلمان ليكون أول حاكم عام للبنجال والهند، وظل في منصبه اثنتي عشرة سنة، فهو وارن هستنجز Warren Hastings، وهو ابن شركة الهند الشرقية البريطانية، إذ التحق بمستوطنتها في مدراس سنة ١٧٤٩م، وهو في السابعة عشرة من عمره، ثم تطوع في قوة كلايف التي استعادت مستوطنة الشركة وحصن وليام في كلكتا من نواب البنجال سراج الدولة، وبعد معركة بلاشي أصبح ممثل الشركة في مرشد أباد عاصمة نواب البنجال، ثم صار أحد قادة جيش الشركة في البنجال، ثم حاكم البنجال من قِبل الشركة سنة ١٧٧١م.

ولم تختلف سياسة هستنجز وأسلوبه في إدارة الشركة وحكم البنجال عن سياسة كلايف القائمة على احتكار التجارة بالقوة، واستكمل في عهده غزو ما تبقى من مقاطعات الهند وإخضاعها لحكم الشركة، وتنصيب نوابها ليكونوا واجهة لها.

وفي سنة ١٧٨٢م فعل هستنجز في ولاية أودة نسخة طبق الأصل مما فعله كلايف في البنجال، فقام بغزوها رغم أن الشركة كان لها حق تحصيل ضرائب الديواني فيها، بمقتضى الفرمان الذي أصدره الشاه علم جير الثاني سنة ١٧٦٥م، ونوابها آصف الدولة محمد يحي أماني كان طائعاً للشركة، ونهب هستنجز خزانة أودة واستولى على حلي نساء النواب وبناته، وبلغت قيمة ما استولى عليه مليوني جنيه إسترليني.

شركة الماسون:

وهستنجز ليس سوى ماسوني آخر من ماسون شركة الهند الشرقية البريطانية، فقد كان عضواً في محفل كوكب الشرق رقم: ٦٧ في كلكتا Star In The East, No. 67، وهو ثاني أقدم محفل في البنجال والهند كلها بعد محفل جيش الشركة في حصن وليام.

---

1) The Cambridge History Of India, Vol. V, British India, P189.

وفي كتابه: تاريخ الماسونية في العالم، أورد مؤرخ الماسونية فريك جولد المحافل الماسونية في الهند، في فترة حكم هستنجز لها، تفصيلاً، أسماءها وأماكنها وتواريخ إنشائها، فكان توزيعها كالتالي: ١١ محفلاً في البنجال، ٦ محافل في بومباي، ٨ محافل في مدراس والمناطق المحيطة بها، وجميع المحافل كانت تابعة لمقرات شركة الهند الشرقية البريطانية وجيوشها.

والأستاذ الأعظم للمحفل الإقليمي الأعظم في البنجال في عهد هستنجز، تشارلز ستافورد بليدل Charles Stafford Pleydell، كان عضو هيئة إدارة التجارة في البنجال، والمسؤول عن تحصيل الضرائب باسم الشركة في كلكتا[1].

وكل من خلفوا وارن هستنجز في رئاسة شركة الهند الشرقية البريطانية ومنصب الحاكم العام للهند، رغم تغير قوانين تنظيم الشركة ودخولها تحت سلطة الدولة والتاج البريطاني، كانوا من الماسون، فالذي تلاه مباشرة اللورد تشارلز كورنواليس Charles Cornwallis، ماسوني.

والذي تلا كورنواليس، ريتشارد ولسلي لورد مورننجتون Richard Wellesley، وهو الشقيق الأكبر لدوق ولنجتون قاهر نابليون، وكان الأستاذ الأعظم لمحفل أيرلندا الأعظم، وهو الحاكم العام للهند من سنة ١٧٩٨م إلى سنة ١٨٠٥م، وفترة حكمه للهند هي التي واكبتها حملة نابليون والماسون في فرنسا على مصر، التي تقرأ في كتب التاريخ التي يكتبها الأميون أنها كانت لقطع طريق انجلترا إلى الهند.

والذي تلاه اللورد منتو Minto، أيضاً ماسوني، وهو رئيس الشركة والحاكم العام للهند إلى سنة ١٨١٣م، والذي تلاه اللورد موارا Moira مركيز هستنجز Marquess of Hastings، وهو الأستاذ الأعظم للمحفل الإقليمي الأعظم في البنجال، وأسس ثمانية عشر محفلاً جديداً في الهند، وأحدهم باسمه: محفل موارا Moira Lodge، وفترة رئاسته للمحفل الإقليمي الأعظم في البنجال تواكب رئاسته للشركة في الهند وتوليه منصب الحاكم العام للهند، من سنة ١٨١٣م إلى سنة ١٨٢٣م[2].

والحاكم العام للهند وشركة الهند الشرقية بعد موارا، هو الجنرال أمهيرست Amherst، من سنة ١٨٢٣م إلى سنة ١٨٢٨م، والذي تلاه اللورد وليام بنتينك William Bentinck، من سنة ١٨٢٨م إلى سنة ١٨٣٥م، والذي تلاه جورج إيدن لورد أوكلاند George Eden Lord of

1) The History of Freemasonry, Vol. IV, P201.
2) The History of Freemasonry, Vol. IV, P210-211.

Auckland، من سنة ١٨٣٦م إلى سنة ١٨٤٢م، وهم معاصرو أول الآتين من الخلف وحملاته العسكرية، واصطدام انجلترا به من أجل التجارة في الهند، وجميعهم من الماسون.

ورؤساء شركة الهند الشرقية البريطانية، والحكام العموميون للهند باسمها، ليسوا هم الماسون وحدهم، بل وأيضاً قادة جيوشها، ويقول مؤرخ الماسونية الرسمي فريك جولد، في الفصل الذي خصصه للهند، من كتابه: المحافل العسكرية، المئزر والسيف أو الماسونية في الجيوش، إن:

"أغلب المحافل كانت تتألف بصورة أساسية، وأحياناً مطلقة، من العسكريين Chiefly And Sometimes Exclusively Of Military Members"[١].

وقد ذكر فريك جولد في كتابه، أسماء قادة جيوش الشركة الماسون ومراكزهم في الماسونية والمحافل التي كونوها أو كانوا ينتسبون إليها تفصيلاً، ورؤساء الشركة وحكام الهند أنفسهم كانوا من هؤلاء الماسون قادة جيوش الشركة.

وإليك عينة أخرى انتقيناها لك من فترات زمنية مختلفة:

"البريجادير جنرال ماتيو هورن Matthew Home، قائد جيش الساحل، الأستاذ الإقليمي الأعظم لمحفل مدراس، وقد أسسه سنة ١٧٧٤م، واشترك معه في تأسيسه الكابتن، السير لاحقاً، ديفيد بيرد David Baird ... الميجور جنرال وليام جرانت كير William Grant Keir، أول أستاذ أعظم لمحفل موارا، الذي تم تأسيسه سنة ١٨١٣م، ونائبه الكولونيل تشارلز دويل Charles Doyle ... الدكتور، والسير لاحقاً، جيمس بيرنز James Burnes، كبير جراحي جيش بومباي، في سنة ١٨٣٦م أصبح الأستاذ الأعظم الإقليمي لغرب الهند، وفي سنة ١٨٤٦م صار الأستاذ الأعظم للماسونية الاسكتلندية في الهند ... الجنرال تشارلز نابير Charles Napier، قائد قوات الشركة في بومباي، ثم القائد العام لجيش الهند، عضو محفل دويل Doyle's Lodge، وفي سبتمبر سنة ١٨٤٥م وضع حجر الأساس لبناية الماسون في محفل الأمل Lodge of Hope، في كراتشي"[٢].

---

1) Military lodges, The Apron and The Sword or Freemasonry Under Arms, P190.
2) Military lodges, The Apron and The Sword or Freemasonry Under Arms, P149, 166, 183, 196, 197.

ومن الطريف أن فريك جولد يقول في كتابه إن:

"الماسونية في الهند كانت تضرب حولها حجاباً، فتعمل في صمت وبصورة غير ملحوظة Silent And Unobserved، ومع ذلك فقد انتشرت في طبقات المجتمع كلها، وتغلغلت في جميع دوائره، والسرية الملحوظة في عمل الماسونية، والتزام أعضائها بها، وإخفاء ما يدور في المحافل، أثار فضول الطبقات العليا وحفزهم للانضمام إليها"[١].

وما قاله فريك جولد، عن طريقة عمل الماسونية في صمت، وأسلوبها في اجتذاب الأعضاء، واختراق المجتمع والسيطرة على مقاليده، لا تنفرد به الهند، بل هو طريقتها وأسلوبها في كل المجتمعات غرباً وشرقاً.

تدهور الشركة:

لم ينته نزاع شركة الهند الشرقية البريطانية مع الحكومة البريطانية ومع خصومها بقانون تنظيم الشركة سنة ١٧٧٣م، الذي وضعها تحت رقابة الدولة والبرلمان دون أن يمنحها السلطة عليها، فلم يكن سوى خطوة في طريق نزع السلطة على الهند منها ونقلها للدولة البريطانية.

وبعد صدور القانون لم تهدأ حملات أعضاء مجلس العموم ومجلس اللوردات على الشركة، مطالبين بإصلاحها وإعادة تكوينها على أسس تجارية محض، وإيقاف ولع رئاستها في الهند بالغزو، وخوضهم سلاسل حروب لا تنتهي، وأنه ليس من المقبول أن تكون الشركة والمناطق الشاسعة التي تسيطر عليها وتحكمها في الهند خارج سلطة التاج البريطاني.

وتصاعدت هذه الحملات مع عدم قدرة الشركة على تسديد ديونها، ومع انخفاض وارداتها من المنسوجات من الهند وقدرتها على تسويقها، بسبب دخول الآلات وميكنة صناعة النسيج وظهور مراكز لها في بريطانيا، وزيادة قدرتها على الإنتاج على قدرة مصانع الشركة في الهند التي تعتمد على العمال الهنود وإنتاجهم اليدوي.

وحين تقدمت هيئة إدارة الشركة بطلب للحكومة في مارس سنة ١٧٨٣م، لتخفيف الضغوط الاقتصادية والضرائب المفروضة عليها، رد اللورد إدموند بروك Edmund Burke في البرلمان على الطلب بأن ذلك لن يكون إلا إذا اقترن بإصلاح الشركة، وإصدار قانون جديد لتنظيمها.

---

1) Military lodges, The Apron and The Sword or Freemasonry Under Arms, P198.

وتقدم عدد من أعضاء البرلمان بمقترحات القوانين، وكان الذي تم الموافقة عليه في أغسطس ١٧٨٤م، قانون تنظيم شؤون الهند الذي قدمه رئيس الحكومة وليام بِت الأصغر William Pitt The Younger، وعُرف باسمه: قانون بِت Pitt's India Act، وفحواه:

"فصل أنشطة الشركة التجارية عن أنشطتها السياسية في الهند، وإدخال الهند تحت سلطة التاج البريطاني، عبر تكوين هيئة من المفوضين في بريطانيا تحتص بشؤون الهند Board of Commissioners for the Affairs of India، تتكون من ستة مفوضين، على رأسهم وزير الخارجية ووزير الخزانة، ومنحها سلطة إدارة الشركة وما تحت سيطرتها من المناطق في الهند"[١].

وبعد قانون بِت، أصدر البرلمان عدة قوانين ولوائح أخرى، سنة ١٧٨٦م، وسنة ١٧٩٣م، وسنة ١٨١٣م، وكانت تعديلاتها على قانون بِت طفيفة، غير أن لائحة سنة ١٨١٣م كسرت احتكار الشركة للتجارة في الهند، ما عدا تجارة الشاي، وهي أحد أعمدة الشركة وأكثرها ربحاً، والتجارة مع الصين، التي كان صلبها تجارة الأفيون، ونصت على إنشاء كنيسة في الهند تتبع الكنيسة الإنجليزية، وإلغاء حظر الشركة على التبشير ومنعها للمبشرين الإنجليز من العمل في الهند[٢].

وتزامن كسر احتكار الشركة للتجارة في الهند، خصوصاً تجارة المنسوجات، مع تطور الصناعة، وانقلاب اتجاه حركة المنسوجات، إذ صارت المصانع البريطانية تصدر المنسوجات القطنية للهند، بعد أن كانت بريطانيا تعتمد على واردات المنسوجات من الهند اعتماداً كاملاً، ومع ظهور طبقة من الصناعيين وأصحاب المصانع، وزيادة نفوذهم الاقتصادي والسياسي في بريطانيا، وزيادة عدد من يمثلونهم في مجلسي العموم واللوردات، في مقابل انخفاض عدد من يمثلون مالكي الشركة ويدافعون عنها.

وتحت ضغط الطبقة الجديدة من الصناعيين وأصحاب المصانع، فرضت الحكومة البريطانية ضرائب إضافية على الواردات من الهند في السنة نفسها التي كسرت فيها احتكار الشركة، ١٨١٣م، تحت شعار حماية صناعة النسيج الصاعدة في بريطانيا، في لانكشاير Lancashire، ومانشستر Manchester، وبيزلي Paisley، وليفربول Liverpoole، فتفاقمت مشاكل شركة

1) The Cambridge History Of India, Vol. V, British India, P200.
2) The Cambridge History Of India, Vol.V, British India, P313.

الهند الشرقية، وقلت وارداتها من الهند لبريطانيا من جميع السلع ما عدا الشاي، وزاد العجز في موازناتها.

وفي ١٩ أغسطس سنة ١٨٣٣م، أصدر البرلمان بعد تصويت مجلسيه قانوناً أو لائحة جديدة بخصوص الشركة، أنهت وجودها كشركة تجارية، وحولتها إلى مجلس لإدارة التجارة في الهند تحت سلطة الدولة، ونصت على:

"إلغاء سلطة رئاسة الشركة في مدراس وبومباي، وتكوين حكومة عامة للهند، باسم مجلس الهند India Council، يرأسه الحاكم العام، وله السلطة العامة على جميع شؤونها المدنية والعسكرية، ومنح هيئة المفوضين في بريطانيا السلطة الكاملة على حكومة الهند، على أن يكون رئيس الهيئة وزيراً مفوضاً لشؤون الهند، وإباحة الإقامة في الهند والتجارة مع الهند والصين لجميع الشركات والتجار من رعايا بريطانيا، وإنهاء الشركة لأعمالها التجارية، وبيع بضائعها وممتلكاتها، وتسليم أصولها للحكومة"(١).

وفي سنة ١٨٣٥م، وبناءًا على مذكرة وتوصية من توماس ماكولايThomas Macaulay ، المؤرخ وسكرتير هيئة المفوضين لشؤون الهند، ووزير الحرب لاحقاً، أصدر مجلس الهند برئاسة الحاكم العام للهند اللورد وليام بنتينك William Bentinck، قراراً بنجلزة الهند، عبر إحلال الإنجليزية محل الفارسية لغة رسمية للهند، واستخدام عائدات التجارة في الهند لإنشاء المدارس ونشر التعليم والآداب الإنجليزية فيها.

وفي سنة ١٨٥٣م أصدر البرلمان البريطاني آخر لائحة بخصوص الشركة قبل إلغائها نهائياً وإحلال الدولة محلها، وكان أهم بنودها:

"استمرار الشركة في إدارة شؤون الهند تحت سلطة التاج البريطاني، مع نقل حق تعيين الموظفين ومن يخدمون مدنياً في الهند Civil Servants، من هيئة إدارة الشركة إلى الحكومة، واختيارهم من بين جميع رعايا بريطانيا بلا تمييز، ووضع نظام واختبارات تنافسية بينهم لتحديد أكفئهم"(٢).

---

1) India Under British Rule From The Foundation Of The East India British Company,P138-139.
2) India Under British Rule From The Foundation Of The East India British Company,P178.

وفي فبراير سنة ١٨٥٦م اتهم رئيس الشركة والحاكم العام للهند اللورد جيمس أندرو دلهوسي James Andrew Dalhousie، اتهم نواب ولاية أودة المرزا أبو المنصور واجد علي، بسوء إدارة الولاية، وأعلن ضمها وتحويلها إلى إمارة تابعة للشركة وتحت الحكم البريطاني، وكانت هذه خطوة الشركة الأخيرة قبل الثورة عليها وتصفيتها.

الثورة في الهند

الشركة والمسلمون في الهند:

دخلت شركة الهند الشرقية البريطانية الهند، في بداية القرن السابع عشر، وهي تحت حكم سلطنة المغول، التي أقامها السلطان ظهير الدين محمد بابر، سنة ١٥٢٦م، وهو من نسل الفاتح المغولي تيمور لنك، وجده الأعلى جنكيزخان.

وفي عهد سلطنة المغول المسلمة، وسلاطينها من الأسرة التيمورية، استقرت الهند سياسياً وازدهرت اقتصادياً، وكانت إحدى أكثر مناطق العالم ثراءًا وغزارة في الانتاج الزراعي والصناعي، وفي عهد سادس سلاطين المغول أورنجزيب، في أوائل القرن السابع عشر، كان عدد العاملين في صناعة النسيج في مدينة لاهور وحدها خمسون ألفاً، وارتقت العمارة وفنون البناء، وازدهرت الفنون والآداب الإسلامية، وانتشرت المدارس في المدن والبلدات والقرى، وكانت المدينة الواحدة تحوي عشرات المدارس، من مختلف المستويات.

يقول المؤرخ الفرنسي جوستاف لوبون، في كتابه: حضارات الهند:

"**وبلغت مدينة احمد أباد ذروة عظمتها في العصر المغولي، فبدت أجمل مدينة في الهندوستان، وفي العالم على ما يحتمل، فكان عدد سكانها يزيد على المليونين، وكان لسائحيها وتجارها صلات ببلاد العرب وإفريقية وجميع أجزاء الهند، وكان لمصانع ديباجها ومخملها وحريرها وطيلسانها وورقها شهرة في كل مكان، وبلغ عمال الخشب والذهب والعاج فيها من اتقان الصنع ما يصعب معه التفوق عليهم، وفن العمارة في كوجرات، وهو الذي يعد طراز أحمد أباد مثالاً له، دليل بارز على اختلاف فن البناء الإسلامي في مختلف أقسام الهند**"[1].

ودخلت شركة الهند الشرقية البريطانية الهند، لا للتجارة، بل كما رأيت، لاحتكارها، وتسخير أهلها في مصانعها ومزارعها، ونهب ثرواتها وكنزها، ونقلها إلى انجلترا، لحيازة الضياع وبناء القصور، وشراء النفوذ والسيطرة على المملكة بالقروض، فأفقرت أهل الهند، وخربت اقتصادها وتفشت فيها الأمراض وتكررت المجاعات، ومع الثورة الصناعية حولتها من أغنى مناطق العالم

---

١) جوستاف لوبون: حضارات الهند، ص٥١٧، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٩م.

إنتاجاً وتصديراً إلى سوق لتصريف ما تنتجه بريطانيا، ونشرت زراعة الأفيون وتجارته في كل مكان وقع تحت سطوتها.

وكانت سلطنة المغول وسلاطينها يحكمون بالعدل، ويبسطون رعايتهم على مختلف الطبقات، وتشيع الثروة في عهدهم في أنسجة المجتمع كلها، ولا يحبسون الأقوات عن الناس ولا يحتكرونها، بل يواسونهم بالأموال في الأزمات، ويخففون عنهم عبء الكوارث والمجاعات، فأزاحتهم الشركة لتحكم الهند بالحصون والجيوش والمدافع، وتحول أهلها إلى عبيد في جيوشها ومستوطناتها، وتستنزفهم باحتكار السلع ورفع أسعارها، وبالضرائب.

وقد نقلنا لك من قبل عن ريتشارد بيتشر Richard Becher، ممثل الشركة في مرشد أباد، عاصمة البنجال، وعضو مجلس رئاسة الشركة في كلكتا، اعترافه إبان المجاعة بأن البنجال كانت جميلة مزدهرة في ظل حكم سلطنة المغول، ثم دمرتها سياسات الشركة.

ونزيدك على ذلك، أن الإنجليز نهبوا الهند وخربوها واستعبدوا أهلها، وهم يزعمون تحضيرها ويرفعون رايات تمدينها، كالمعتاد.

والمفكر الإنجليزي جون ستيورات مِل John Stuart Mill، يوصف بأنه أحد آباء الليبرالية، وكتابه: عن الحرية On Liberty، من أناجيلها، وهو وكتابه من معبودات بقر بلاليص ستان.

وجون ستيوارت مِل هو ابن المؤرخ جيمس مِل، صاحب أكبر مؤلف عن تاريخ شركة الهند الشرقية البريطانية، وكان مِل الأب أحد أعضاء هيئة إدارة الشركة في لندن، وابنه جون ستيوارت مِل بدأ هو أيضاً حياته في الشركة وهو في السابعة من عمره، وقضى فيها خمسة وثلاثين عاماً، وعند نهايتها كان المسؤول عن مراسلاتها.

وفي دراسة له عنوانها: جون ستيوارت مِل خادم شركة الهند الشرقية John Stuart Mill, Servant of The East India Company، يقول أبرام هاريس Abram Harris، أستاذ الاقتصاد في جامعة شيكاغو، إنه إبان مناقشات البرلمان البريطاني بخصوص الشركة، قبل إصدار القانون الذي أنهى وجودها، سنة ١٨٥٨م، قدم أبو الليبرالية ومعبود بقر بلاليص ستان، جون ستيوارت مِل، وقد صار رئيس فريق التحقيقات بشأن الشركة، مذكرة للبرلمان يدافع فيها عن الشركة وسياساتها في الهند، وكان عنوانها: مذكرة حول تحسن الإدارة في الهند خلال الثلاثين

سنة ماضية Memorandum on The Improvements In The Administration of India During The Last Thirty Years، وفيها قال إنه:

"توجد فروق جوهرية بين الشعوب المتمدنة والشعوب البربرية، والهند والصين الآن متخلفة وبربرية Stagnant And Barbarous، وهو ما يجعل حكم بريطانيا لها شرعياً، وإذا كان سيقضي على هذا التخلف والبربرية فهو استبداد نافع ومن أجل الخير Benevolent Despotism ... والشركة بما أنفقته من أموالها واستخدمته من موظفيها وبجيوشها قد أكسبت بريطانيا إمبراطورية فخمة في الشرق"(١).

وأحد وجوه استعباد الشركة لأهل الهند، تسخيرهم في جيوشها، وإبان القرن الثامن عشر، وجيوش الشركة تخوض الحروب للاستيلاء على مقاطعات الهند، ثم في مواجهة سلطنة ميسور، وسلطنة المراتها Maratha في هضبة الدكن وسط الهند وجنوبها، ثم في أفغانستان، ثم حروب الأفيون، كانت كتائب جيشها وفرقه تتكون من جنود من الهنود، تعتقلهم الشركة من القرى والبلدات التي تحت سيطرتها، وتقوم بتدريبهم وإلباسهم زي الجيش البريطاني، ثم تضعهم تحت إمرة ضباطها من الإنجليز، وتسميهم: سيبوي Sepoys، تمييزاً لهم عن الجنود البريطان، وهي كلمة أصلها فارسي: سپاهی، وهو اسم الجنود في جيش المغول.

ويقول المؤرخ الإنجليزي تالبويز ويلر، في كتابه: الهند تحت الحكم البريطاني منذ تأسيس شركة الهند الشرقية، إنه:

"في سنة ١٨٥٧م كان جيش الشركة يتكون من ٢٠٠ ألف جندي من الآسيويين Asiatics، تحت قيادة أربعة آلاف من الضباط الأوروبيين، وحوالي ٤٥ ألف جندي من أصل بريطاني British Born"(٢).

ودخلت الشركة الهند وهي إمبراطورية مسلمة، سلاطينها وقادة جيشها وحكام مقاطعاتها وصفوة مجتمعاتها من المسلمين، دون اضطهاد للهندوس، بل كان منهم أغنياء وأعيان، وكانوا يصلون إلى أعلى المراتب في الدولة ويحكمون البلدات والمقاطعات باسم سلاطين المغول

---

1) Abram Harris: John Stuart Mill, Servant of the East India Company, Canadian Journal of Economics and Political Science, Volume 30,Issue 2,May 1964, P185-202.
2) India Under British Rule From The Foundation Of The East India British Company,P186.

المسلمين، فحولت الشركة الهند إلى قارة ماسونية، ونشرت محافلها في كل مكان وقع تحت سيطرتها، وجعلت سياستها الطويلة التحالف مع الهندوس، وتقديمهم، ونشر الماسونية بينهم، وإحلالهم محل المسلمين في حكومات المقاطعات والولايات، وفي الوظائف الكبرى والإدارات.

وفي البنجال، وفي كل مقاطعة وقعت تحت سطوتها في الهند، ألغت الشركة القضاء والمحاكم التي كانت تحكم بالشريعة الإسلامية، وأحلت القضاء الإنجليزي محلها، وضيقت على المدارس التي كان الإسلام وشرائعه صلب التعليم فيها وأغلقتها، وصادرت الأوقاف التي أُوقفت على المساجد والمدارس وأبطلتها، واستولت على أراضي المسلمين وملكتها لمن يوالونها من الهندوس، فصار المسلمون بهذه السياسات الطويلة والمتراكمة أفقر الطبقات.

وأقامت الشركة الكنائس في الهند، وفتحتها للمبشرين بالطراز من المسيحية الذي يتواءم مع الماسونية، وأول كنيسة في البنجال وفي الهند كلها أقامتها الشركة، كما عملتَ، بأمر من محفل انجلترا الأعظم، والقسيس الإقليمي الأعظم في البنجال، في أول ستة عشر عاماً من عمر هذه الكنيسة، كان من أعضاء المحفل الإقليمي الأعظم في البنجال.

وكان القساوسة موظفين في الشركة، وهي التي تمنحهم مرتباتهم وتنفق على كنائسهم، والمبشرون يقيمون المدارس بتمويل منها، وهي التي تطبع لهم كتبهم وتتولى توزيعها، إلى أن أنهت اللائحة التي أصدرها البرلمان البريطاني سنة ١٨١٣م احتكار الشركة للتبشير وإنشاء الكنائس في الهند، وجعلته حقاً لجميع رعايا بريطانيا.

ويوجز لك ما فعلته الشركة بالمسلمين في الهند شهادة المؤرخ الاسكتلندي السير وليام ويلسون هنتر William Wilson Hunter، وهو أحد كبار أعضاء المجلس الإمبراطوري لموظفي الهند Imperial Civil Service، الذي حل محل شركة الهند الشرقية البريطانية بعد الثورة، والذي قام بمسح لبلدات الهند وأشرف على وضع القاموس الإمبراطوري الجغرافي للهند The Imperial Gazetteer of India، وله مؤلفات عديدة في تاريخها.

في كتابه: مسلمو الهند The Indian Musalmans، الذي نشر سنة ١٨٧١م، يقول هنتر، في تفسير ثورة المسلمين سنة ١٨٥٧م ضد الحكم البريطاني، وما تلاها من ثورات، إنه يعتقد في رأيه المتواضع Humble Opinion، أن حكومة الهند البريطانية كانت مخطئة في تعاملها مع المسلمين.

ثم يُفصل هنتر هذه الأخطاء، فيقول إن مسلمي الهند، خصوصاً في البنجال:

"يتهمون الحكم البريطاني بإغلاق سبل الحياة الكريمة أمام أئمتهم وعلماء دينهم، وبأننا وضعنا نظاماً للتعليم يقضي على الدين في مجتمعاتهم ويحولها إلى مجتمعات فقيرة محرومة ومحتقرة Contempt And Beggary، وبأننا جلبنا الفقر لآلاف الأسر، وعزلنا القضاة المسلمين الذين كانوا يبرمون عقود الزواج طبقاً لشريعة دينهم، ويحكمون مجتمعاتهم بها ويديرون شؤونها لقرون عديدة، وبأننا آذيناهم وعرَّضنا أرواحهم للخطر بمنعهم من ممارسة شعائر دينهم، وقبل كل هذا وأهم منه، أنهم يتهموننا بالاستيلاء على الأوقاف الموقوفة للإنفاق على التعليم الإسلامي والمساجد، وبتعمد صرفها في غير ما أُوقفت له، ويقولون في صراحة إننا وضعنا أقدامنا في البنجال خادمين لإمبراطورية محمدية Servants Of A Mohammadan Empire، ومع الوقت استولينا على الحكم، ولم تأخذنا شفقة بسادتنا السابقين، وعاملناهم بصلف وغطرسة Insolence ... والمحمدي المتعلم يرى نفسه محروماً من المشاركة في السلطة والعمل في الحكومة، ويرى كل المصالح ومنافع الحياة قد نُزعت منه وألقيت بأيدي الهندوس، بعد أن كانوا هم السادة والحكام ... والحقيقة أن الإنجليز حازوا البنجال بالسيف By The Sword، ولكنهم رسمياً لم يكونوا سوى جامعين لضرائب الديواني والعائدات باسم إمبراطور دلهي، ولذا يعتقد المسلمون أن الإنجليز بعد أن تولوا إدارة شؤون البنجال كان عليهم أن يحكموا بالنظم المحمدية لا أن يطيحوا بها"(١).

وكما ترى، سياسات شركة الهند الشرقية وبريطانيا في الهند، التي أزرت بالمسلمين وأطاحت بهم من السلطة، وبشرائع الإسلام من المجتمع، وصعدت بغيرهم، ووضعت مقاليد الهند في يد صنائعها ومن يتبعونها ويسيرون خلفها، هي نفسها سياساتها التي صنعت بها بلاليص ستان وبلاليصها ومن يدورون حولهم.

ومنذ وضعت الشركة أقدامها في البنجال، وسيطرت على مقاليد الهند، لم تنقطع مقاومة المسلمين لها، ولا جهود العلماء وفتاواهم في وجوب الجهاد ضد جيوشها واستعادة الهند منها، وكانت يتصدر هذه المقاومة والجهاد سلاطين مقاطعات الهند المسلمة، مثل السلطان حيدر علي، وابنه السلطان تيبو، في ميسور جنوب الهند، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أو

1) William Wilson Hunter: The Indian Musalmans, P148- 149, 151, 161, Trubner & Company, Third Edition, London, 1876.

العلماء أنفسهم، مثل شاه ولي الله الدهلوي ومدرسته في البنجال، ثم ابنه شاه عبد العزيز، طوال القرن الثامن عشر، وحركة أحمد عرفان البريلوي، وهو أحد تلاميذ مدرسة ولي الله الدهلوي وشاه عبد العزيز، في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

الثـورة:

أما عن الثورة التي تراكمت أسبابها عبر السنين والعقود، فقد كانت شرارتها أن جيش الشركة في البنجال، وجُل أهلها مسلمون، كان يتكون من سيبوي أو جنود من الهندوس والمسلمين، وكانت كل كتيبة فيه من ألف جندي، ثمانمائة منهم هندوس، ومائتان من المسلمين، وكان السلاح الرئيسي للجنود هو البنادق، وذخيرتها خراطيش من الكرتون الصلب، ولها غطاء يغلقها، ولابد للجنود من نزعه بأسنانهم قبل حشو البنادق به.

وفي بداية سنة ١٨٥٧م، زودت قيادة الجيش كتائبه بطراز جديد من البنادق: إنفيلد بي ٥٣ Enfield P-53، وكانت مقذوفاته خراطيش من الكرتون الصلب، وكانت تأتي من بريطانيا، ثم أصبحت تصنع في حصن وليام في كلكتا، وعند نزع الجنود غطاء الخراطيش، لتحرير البارود وحشو البنادق به، سالت منها بين أسنانهم وفي أفواههم شحوم حيوانية كانت متجمدة وتستخدم لإحكام الغطاء على الخرطوش.

وسرت بين جنود السيبوي في معسكراتهم وثُكناتهم، أن الشحوم التي تستخدم في الخراطيش وتسيل منها في أفواههم مصنوعة من دهون البقر والخنازير، واستشرى بينهم الضيق والنفور من استخدام الخراطيش الجديدة، الهندوس لتقديسهم البقر وحرمة أكل لحومها، والمسلمون لحرمة أكل لحوم الخنازير، وأن اللورد تشارلز كاننج Charles Canning، الحاكم العام البريطاني، قد وضع مخططاً لتحويلهم جميعاً إلى المسيحية[1].

وكانت شرارة الثورة في معسكرات السيبوي قرب ميروت Meerut، إحدى مدن البنجال، وتقع أربعين ميلاً شمال دلهي عاصمة البنجال، إذ في يوم ٢٤ أبريل سنة ١٨٥٧م، وإبان التدريبات، أمر الكولونيل جورج سميث George Smith، قائد سلاح الفرسان، في جيش الشركة في البنجال، فصيلة من ٩٠ جندي، بتعمير بنادقهم وإطلاق النار، فرفض ٨٥ منهم تنفيذ الأمر، فأمر الكولونيل، بوضعهم في السجن وإحالتهم إلى محاكمة عسكرية.

---

1) **India Under British Rule From The Foundation Of The East India British Company, P195-196.**

وفي يوم ٩ مايو انعقدت المحكمة العسكرية، في حضور الجنود المدانين، وكذلك زملائهم في معسكر ميروت، وحكمت عليهم المحكمة بالسجن لفترات تتراوح بين خمس سنوات وعشر سنوات، فخلع عنهم جنود بريطان الزي العسكري، وقيدوهم بأغلال حديدية، وساقوهم إلى السجن العسكري، وهم يوبخون زملاءهم من الجنود السيبوي على جبنهم وتخاذلهم عن نصرتهم.

وفي الساعة الخامسة صباح اليوم التالي، ١٠ مايو، انطلق السيبوي بأسلحتهم وهم يصيحون من ثكناتهم العسكرية إلى السجن، فحرروا زملاءهم وجميع من كانوا في السجن، وكان عددهم ١٥٠٠، وانطلقوا جميعاً لمهاجمة الضباط والجنود البريطان في المعسكر، وهاجم الناس في سوق ميروت كل من وجدوه من البريطان، واشترك معهم في مهاجمة البريطان دهان سينخ Dhan Singh، رئيس البوليس في ميروت، هو وجنوده(١).

وفي اليوم التالي، ١١ مايو،، زحف السيبوي من سلاح الفرسان في ميروت إلى دلهي عاصمة البنجال، فهزموا حاميتها البريطانية، وانضم إليهم الجنود السيبوي في قلعتها، وفي الكتائب الثلاث المحيطة بأسوار دلهي، وانطلقوا إلى قصر الشاه سراج الدين محمد بهادور، وكان في الثمانين من عمره، وهو السلطان رسمياً، ولكن حكومة الهند البريطانية كانت قد عزلته عن الحكم فعلياً، وتخصص راتباً له ولأسرته، فبايعه الجنود الثائرون وطالبوه بقيادتهم واستعادة الهند من البريطان.

وفي اليوم التالي، ١٢ مايو، عقد الشاه بهادور مجلس حكمه لأول مرة، وقرر الانضمام إليهم، واجتمع العلماء في جامع دلهي الكبير وأصدروا فتوى بوجوب الجهاد ضد الإنجليز، وأصدر الهندوس إعلاناً بانضمامهم إلى المسلمين في الثورة ورضاهم بحكم الشاه بهادور، فصارت قيادة الجنود الثائرة إلى ابني الشاه المرزا ظهير الدين مغول، والمرزا خضر الدين محمد، ومعهم قائد المدفعية في قلعة دلهي، بَخت خان(٢).

وأصدر الشاه بهادور أمراً بعدم الاعتداء على النساء والأطفال وغير المحاربين من الإنجليز، غير أن العوام انطلوا لمهاجمة البريطان في أسواق دلهي وشوارعها، وقتلوا من وقع بين أيديهم

---

1) India Under British Rule From The Foundation Of The East India British Company,P208.

٢) دكتور عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص٥٤٧-٥٤٨، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

منهم، فهُرعوا للاختباء في برج العلم Flag Staff، الذي أقامه جيش الشركة سنة ١٨٢٨م شمال دلهي للمراقبة والإنذار، ولحق بهم الجنود البريطان بقيادة البريجادير جريفز Graves[1].

وأرسل البريطان في البرج برقيات إلى رئاسات الشركة وأماكن تمركز جيش الشركة، وحين فشت أنباء سقوط ميروت ودلهي بين أيدي الجنود الثوار، ثار السيبوي في كل مكان وصلت إليه أخبار الثورة.

وكانت شركة الهند الشرقية البريطانية والحكومة البريطانية للهند ترفع شعار أن المُلك للشاه والحكم للشركة، وحين اندلعت الثورة أفتى جُل العلماء والفقهاء في دلهي ومدن البنجال والولايات المسلمة بوجوب الجهاد واستعادة الشاه والمسلمين للحكم، وانضم بعضهم للثورة وكانوا من قادتها، مثل مولانا قاسم محمد النانوتوي، ومولانا رشيد أحمد كنكوهي، في ديوبند Deoband، ومولانا أحمد شاه مدراسي في لكهنو Lucknow، ومولانا عظيم الله في كانبور Kanpur.

بل وكون العلماء والفقهاء حركة للجهاد المسلح إبان الثورة، وتمكنوا من إلحاق هزيمة فادحة بالقوات الإنجليزية.

ونقلاً عن كتاب: الثورة الهندية، لمولانا فضل حق، يقول الدكتور عبد المنعم النمر، في كتابه: تاريخ الإسلام في الهند، عن معركة شاملي وتهان بهونة، إن العلماء بعد اندلاع الثورة في دلهي قرروا الجهاد ضد الإنجليز، ثم:

"اجتمع من هؤلاء العلماء الحافظ ضامن والحاج إمداد الله ومولانا محمد، فبحثوا في أمر قيامهم بثورة ضد الإنجليز ... واستدعوا مولانا قاسم محمد نانوتوي ومولانا رشيد أحمد كنكوهي ... ولما قال مولانا محمد: ليس عندنا أسلحة توازي ما عند الإنجليز، قال مولانا قاسم: ألا توجد معنا أسلحة مثل ما كانت في يد أهل بدر ... وجعلوا إمامهم مولانا الحاج إمداد الله، ومولانا قاسم قائداً عاماً، ومولانا رشيد قاضياً، ومولانا محمد النانوتوي والحافظ ضامن قائدين على الميمنة والميسرة ... وبدأوا في تهانة بهون التابعة لمظفر نكر، قرب ديوبند، فاستولوا عليها وعلى ما حولها، وأقاموا فيها الحكم الإسلامي، وأخرجوا منها الحكام الإنجليز ... فلما وصلت هذه الأنباء إلى الإنجليز تحركوا من سهارانبور ومعهم مدافعهم متجهين إلى بلدة شاملي، وعلم العلماء بذلك ... ورأى مولانا رشيد أن يقوم بعمل جرئ ضد هذه القوة الزاحفة،

---

1) India Under British Rule From The Foundation Of The East India British Company,P213.

فأسرع وأخذ كتيبته المكونة من أربعين مجاهداً، وكمن بين الأشجار في طريق هذه القوة، حتى إذا مرت بهم أمطروها برصاص بنادقهم، ففر الإنجليز وتركوا مدافعهم وأسلحتهم، واستولى عليها مولانا رشيد وحملها إلى إمامهم الحاج إمداد الله ... ثم تقدموا فقبضوا على مديرية شاملي، بعد معركة حامية بينهم وبين الإنجليز استشهد فيها الحافظ محمد ضامن قائد الميسرة"(١).

أما المضحك ضحكاً كالبكا، فهو أن بعض من ينتسبون للعلم، وأبرزهم مولاهم سيد نظير حسين الدهلوي، عارضوا الثورة، وأفتوا بوجوب طاعة البريطان، لأنهم ولي الأمر المتغلب، بالضبط كما يفعل حفظة الأكلشيهات في بلاليص ستان!

وانتهت الثورة بالفشل، لأسباب عدة، أهمها تشتت الثوار وعدم وجود قيادة موحدة لهم، وعدم التنسيق بين مراكز الثورة في المدن المختلفة، وتفوق جيش الشركة والحكومة البريطانية للهند على الثوار في التسليح والتدريب والخبرة بالحروب، وانضمام جيش السيخ في البنجاب للقوات البريطانية، واشتراكه معها في قتال قوات السيبوي واستعادة المدن الثائرة، وخذلان نظام حيدر أباد للثورة، وانضمام أمرائها، وهم مسلمون، للقوات البريطانية.

ونظام حيدر أباد، دولة في هضبة الدكن في وسط الهند وباتجاه جنوبها، وقد أسسها نظام الملك آصف خان، سنة ١٧٢٤م، وكان يحكمها باسم سلطنة المغول، ثم مع ضعف سلطنة المغول أعلن خامس حكامها، نظام الملك آصف خان الثاني، انفصاله عن سلطنة المغول، سنة ١٧٩٨م، وحولها إلى إمارة مستقلة عاصمتها حيدر أباد، وصارت في الحقيقة من توابع شركة الهند الشرقية البريطانية وتأتمر بأمرها.

بعد الصدمة الأولى للثورة، وما أصاب البريطان من خسائر، وما فقدوه من مدن، أرسل اللورد تشارلز كاننج Charles Canning، رئيس الشركة والحاكم العام للهند، برقيات استدعاء لقوات جيشه المتناثرة في أرجاء الهند كلها، وللقوات التي تخوض حروباً في الصين وبورما وسنغافورة وسيلان وأفغانستان وفارس، لكي تحتشد في مناطق شمال الهند ووسطها، حيث مركز الثورة في البنجال وما حولها من الولايات، وانضم إليها السيخ من البنجاب وقوات نظام حيدر أباد.

---

١) تاريخ الإسلام في الهند، ص٥٥٩-٥٦٠.

وفي يوم ٧ مايو سنة ١٨٥٧م، وصل القائد العام البريطاني الميجور جنرال هنري برنارد Henry Barnard بقواته إلى علي بور Alipur، عشرة أميال شمال غرب دلهي، وفي أول يوم من شهر يونيو انضمت إليه قوة بريطانية قادمة من ميروت بقيادة الجنرال أركدال ويلسون Archdale Wilson، بعد أن قتلت في طريقها كل من قابلها من الأهالي.

وفي يوم ٩ يونيو تمكنت القوات البريطانية من هزيمة قوة من السيبوي الثائرين في منطقة كارافان سراي Caravansrai، على بعد ستة أميال من دلهي(١).

وبعد معركة سراي تقدمت القوات البريطانية، فاستولت على التلة المشرفة على مدينة دلهي، وعلى بعد ميلين منها، فنصبت مدافعها، وبدأت في حصارها وقصفها، وكان الذي يتولى الدفاع عن دلهي بخت خان، ودام حصار القوات البريطانية لدلهي نحو شهرين ونصف الشهر، لم ينقطع خلالها القصف، ومات الجنرال هنري برنارد بالكوليرا، ثم انضمت إلى الحصار قوات البريطان والسيخ المشتركة القادمة من البنجاب بقيادة الجنرال جون نيكلسون John Nicholson.

وفي يوم ١٤ سبتمبر ١٨٥٧م، وبعد أن تهدمت اجزاء من الأسوار، هاجمت القوات البريطانية في خمس فرق مدينة دلهي من اتجاهات مختلفة واقتحمتها، ودار قتال عنيف بينها وبين قوات السيبوي في شوارع المدينة، استمر ستة أيام، وفي نهايته استولت على المدينة، ورفعت يوم ٢٠ سبتمبر علم الشركة والعلم البريطاني على قصر الشاه بهادور(٢).

وكان الشاه بهادور بعد أن اقتحمت القوات البريطانية دلهي، قد ترك قصره واختبأ في ضريح السلطان نصر الدين محمد همايون، ثاني سلاطين المغول، أقصى جنوب دلهي، فاعتقلته قوة بريطانية بقيادة الميجور وليام هُدسون William Hodson، وفي اليوم التالي اعتقل ابنيه المرزا مغول والمرزا خضر الدين وحفيده المرزا أبا بكر، ثم وهو يقتادهم في طريقه إلى قصر المغول قتلهم غيلة، وقطع رؤوسهم وألقى جثثهم في الطريق، ثم علق رؤوسهم على إحدى بوابات دلهي، فصارت تعرف باسم: خونى دروازه، أو بوابة الدم.

وبعد استيلاء القوات البريطانية على دلهي، كما يقول مولانا فضل حق في كتابه: الثورة الهندية:

---

1) India Under British Rule From The Foundation Of The East India British Company,P218.
2) India Under British Rule From The Foundation Of The East India British Company,P230-231.

"استباحت المدينة، فنهبت أموالها وثرواتها، وخربت قصورها، وهدمت مساجدها، واحتلوا جامعها الكبير بخيولهم، وظلت الصلاة فيه موقوفة سنوات طويلة، وقتلوا من أهل المدينة أكثر من عشرين ألفاً، حتى ملأت الجثث والدماء شوارعها، وفي بعض القرى كانوا يغلقون البيوت على أهلها ويحرقونها بهم، وتجاوز عدد القتلى في البنجال خمسين ألفاً ... وعقدت القوات البريطانية محاكمات عسكرية صورية لجنود السيبوي وللثوار من المجاهدين، وكانت المحكمة تنعقد وقوفاً أو على ظهور الخيل، وتصدر فيها أحكام الإعدام الجماعي على العشرات والمئات خلال دقائق، ونصبوا المشانق لتنفيذ الأحكام في الشوارع، وصلبوا قادة الثورة على البوابات"(١).

أما أغرب طريقة للإعدام وأفظعها، فهي التي نفذتها القوات البريطانية في جنود السيبوي في كانبور وميروت، إذ كان الإعدام بتعليق أجسامهم وهم احياء في المدافع مع وضع رؤوسهم أمام أفواهها ثم إطلاقها لتفجرها.

فإليك هذه اللوحة التي تصور إعدام القوات البريطانية للجنود السيبوي الثائرين بتفجيرهم بالمدافع، وهي من مجموعة الرسام الروسي فاسيلي فرشاجن Vasily Vereshchagin، وهو متخصص في الرسومات التي تصور المعارك الحربية، وقد رسمها سنة ١٨٨٤م.



لوحة الإعدام بالمدافع للرسام الروسي فاسيلي فرشاجن

---

١) تاريخ الإسلام في الهند، ص٥٧١-٥٧٣.

وأما السلطان بهادور، فقد عقد له الميجور هدسون محاكمة صورية في يناير سنة ١٨٥٨م، كان هو فيها القاضي، وحكم عليه بالنفي إلى رانجون في بورما، فظل فيها إلى أن مات سنة ١٨٦٢م، فانتهت بذلك سلطنة المغول في الهند، وكان بهادور آخر سلاطينها.

حل الشركة وحكم بريطانيا الماسونية للهند

حل الشركة:

بعد القضاء على الثورة في الهند، اندلعت في بريطانيا معارك حامية شملت الساسة، وأعضاء مجلسي العموم واللوردات، والصحافة، اتفق فيها الجميع على الثناء على ما فعلته القوات البريطانية في الهند، للقضاء على الثورة واستعادة المناطق الثائرة، ولاستعادة سمعة بريطانيا وهيبتها.

وفي شهر يناير سنة ١٨٥٨م، تقدم رئيس الحكومة البريطانية لمجلسي البرلمان بمشروع قرار، لنقل حكم الهند من شركة الهند الشرقية ومجلس الهند، إلى التاج البريطاني، وتحت رقابة البرلمان، لأخطاء الشركة الفادحة، والقصور الشديد في إدارتها لشؤون الهند، سياسياً واقتصادياً، وما تسببت فيه من كوارث.

وفي يوم ٢ أغسطس ١٧٥٨م، تم إقرار قانون حكومة الهند Government of India Act، في مجلسي العموم واللوردات، وكانت فحواه:

"ضم الهند وجميع المناطق الواقعة تحت السيطرة البريطانية في الشرق إلى التاج البريطاني، وحكمها باسم الملكة، ونقل جميع سلطات هيئة إدارة الشركة إلى وزارة شؤون الهند، وتكوين مجلس من خمسة عشر عضواً لشؤون الهند Council Of India، والحاكم العام للهند يكون والياً عليها ونائباً للملكة Viceroy، وحكومة جلالتها هي التي تعينه، وتكوين مكتب عبر البحار لحكم الهند India Office، ويكون تابعاً لوزارة شؤون الهند"[1].

وفي اليوم الأول من نوفمبر ١٨٥٨م، صدر إعلان بريطاني باسم الملكة فكتوريا، ونشره الحاكم العام وأول نائب للملكة في الهند، تشارلز كاننج، في مدينة الله أباد، ونص على نقل حكم الهند من الشركة إلى التاج البريطاني، والالتزام بالمعاهدات الموقعة مع أمراء الهند، وتعيين كاننج نائباً للملكة في الهند، وضم قوات السيبوي في الهند إلى الجيش البريطاني.

1) India Under British Rule From The Foundation Of The East India British Company,P275-276.

وفي سنة ١٨٧٦م، أقر البرلمان قانون الألقاب الملكية Royal Titles Act، الذي تقدم به رئيس الحكومة البريطانية، وكان من بنوده أن يضاف إلى لقب الملكة الرسمي أنها إمبراطورة الهند Empress of India.

وهكذا انتهى عصر شركة الهند الشرقية البريطانية، وحكمها للهند، وسلمتها للدولة، ليبدأ احتلال مملكة بريطانيا لها، تحت اسم: الراج أو الحكم البريطاني British Raj.

أما عن خاتمة الشركة في بريطانيا، فقد أصدر البرلمان في مايو سنة ١٨٧٣م قانوناً لفض الشركة وتوزيع ما بقي من رأسمالها وأرباحها على مالكي أسهمها، ونقل ملكيتها للحكومة East India Stock Dividend Redemption Act، وتم تنفيذه في شهر يناير سنة ١٨٧٤م، وفي ٢٠ مايو ١٨٧٤م انعقد مجلس إدارة الشركة في لندن لآخر مرة، من أجل تسليم وثائق الشركة وأختامها للحكومة، وفي بداية شهر يونيو ١٨٧٤م تم إعلان حل الشركة رسمياً.

من شركة الماسون إلى مملكة اليهود والماسون:

ونذكرك الآن بما أخبرناك به من قبل، وهو أن حل الشركة وتسليمها الهند للتاج والحكومة البريطانية، لم يكن سوى تداول لها بين قوة من التجار ذاهبة وقوة أخرى صاعدة، والتجارة واليهود والماسون في بريطانيا، كما علمتَ، كالأواني المستطرقة، يفضي كل منها للآخر.

فالتاج والحكومة البريطانية لم تكن سوى امتداد لشركة الهند الشرقية البريطانية، وقد ورثت الشركة في احتلال الهند والسيطرة على تجارتها، بعد أن صارت مملكة بريطانيا وحكومتها هي نفسها واجهة للمؤسسات التجارية والبنوك وأصحابها من اليهود والماسون.

والشركة ظهرت في بداية القرن السابع عشر، وانجلترا كاثوليكية تكره اليهود وتمنعهم من الوجود فيها رسمياً، لأنهم قتلة المسيح، ثم سلَّمت الهند للحكومة البريطانية وبريطانيا بروتستانتية، تسعى من تلقاء نفسها نحو غايات اليهود، لأن مجيء المسيح رهن بعودتهم إلى أرضهم المقدسة وإعادة الهيكل، وظهرت الشركة والماسونية في بريطانيا ما زالت في مهدها، وسلمت الهند لحكومتها ومقاليدها في قبضة اليهود والماسون.

ففي سنة ١٧١٧م تكون محفل انجلترا الأعظم، ومع الوقت صارت الماسونية ديانة الطبقة الحاكمة والساسة وصفوة المجتمع البريطاني وطبقاته العليا، وفي سنة ١٨١٣م وقع التحالف

الرسمي بين المملكة والمحفل الأعظم، والذي ظهر من خلال إرساء تقليد أن يكون الأستاذ الأعظم للمحفل من الأسرة المالكة.

وفي سنة ١٦٩٤م تكون بنك انجلترا، وهو شركة خاصة، وفي سنة ١٨١٥م استولى ناثان روتشيلد على أغلب أصوله، ومع الزمان ورث البنك شركة الهند الشرقية في تمويل المملكة وحروبها، وصار الدائن الرئيسي لها.

والشركة تكونت بأموال يهود المارانو، وهم يتخفون ويخفون هوياتهم، وسلمت الهند للحكومة البريطانية، واليهود والماسون على رأسها.

ورئيس الحكومة البريطانية التي أصدرت قانون حكومة الهند، وحلت الشركة، وضمت الهند إلى التاج البريطاني، هو اللورد هنري جون تمبل بالمرستون Henry John Temple Palmerston، وهو وزير خارجية بريطانيا من سنة ١٨٣٠م إلى سنة ١٨٤١م، ورئيس الحكومة البريطانية من سنة ١٨٥٥م إلى وفاته سنة ١٨٦٥م، وهو المسيطر الحقيقي على سياسة بريطانيا الخارجية لأكثر من ثلاثين سنة.

وبالمرستون، كما علمت في فصل: أول الآتين من الخلف(•)، ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وراعي الماسونية في أوروبا في زمنه، والأستاذ الأعظم لطقس لوسيفر أو تنظيم الحكمة Order Of The Palladium، في لندن، وأحد الأربعة الذين اشتركوا في تأسيس الطقس، مع حبر الماسونية الأعظم ألبرت بايك Albert Pike في الولايات المتحدة، ومستشار ألمانيا أوتو فون بسمارك Otto Von Bismark، وبطل الوحدة الإيطالية جوتزيب ماتزيني Giuseppe Mazzini، وجميعهم ماسون من الدرجة الثالثة والثلاثين.

ورئيس الحكومة البريطانية الذي صاغ قانون الألقاب الملكية وأصدرته حكومته، لتصبح الملكة فكتوريا إمبراطورة الهند، هو صديق الملكة ومستشارها اللورد بيكونسفيلد Beaconsfield، واللورد بيكونسفيلد هو اليهودي بنيامين دزرائيلي، وكان وزير الخزانة في الحكومات البريطانية السابقة على تشكيله للحكومة.

•) في كتاب: بلاليص ستان.

واليهودي دزرائيلي أيضاً ماسوني، وفي ٢٤ فبراير سنة ١٨٧٧م، وهو رئيس الحكومة البريطانية، وبإذنه وتصريح كتابي منه، تم افتتاح محفل باسمه في لندن، وهو محفل بيكونسفيلد رقم ١٦٦٢ Beaconsfield Lodge No. 1662(١).

أما الملكة فكتوريا نفسها، فهي أول من يحكم بريطانيا من أسرة ساكس كوبرج جوتا Saxe-Coburg and Gotha، وهي أسرة ألمانية الأصل وليست انجليزية، وهي من فروع الأسرة الميروفنجية، وهم من اليهود الأخفياء، وقد ظل ساكس كوبرج جوتا لقب الأسرة المالكة رسمياً، إلى سنة ١٩١٧م، وبعد أن اندلعت الحرب العالمية الأولى، وأصبحت بريطانيا في حرب ضد ألمانيا، اضطر الملك جورج الخامس مراعاة لمشاعر الإنجليز الذين يحكمهم إلى تغيير لقب الأسرة إلى وندسور الإنجليزي Windsor.

فالأسرة المالكة البريطانية هي نفسها من اليهود الأخفياء Crypto Jews، إضافة إلى أنها ورثت عن الأسر السابقة التحالف مع الماسونية ومحفل انجلترا الأعظم، فهل يفسر لك ذلك تواطؤها مع فرنسا على إسقاط خلافة الإسلام وتمزيق بلاد العرب، من أجل صناعة بلاليص ستان وغرس دولة بني إسرائيل في قلبها، بديلاً عن تفسيرات الأميين من أعضاء نادي البقر في بلاليص ستان، الذين يفسرون سياسات بريطانيا وفرنسا والغرب كله في كل حقبة من الزمان بما يحدث فيه من ظروف وملابسات، وبتفسيرات مختلفة لا علاقة بينها، دون أن ينتبهوا أو يفسروا لك لماذا هذه السياسات ثابتة ولا تتغير عبر السنوات والقرون، رغم تباعد الزمان وتغير الظروف واختلاف الأحداث وتباين الدول؟

فهذه هي أصول الملكة فكتوريا ونسبها، من سيرتها: Queen Victoria، التي كتبها المؤرخ الإنجليزي ليتون ستارشي Lytton Strachey:

وُلدت الملكة فكتوريا سنة ١٨١٩م، وأبوها الأمير إدوارد دوق كنت Edward, Duke of Kent، رابع أبناء الملك جورج الثالث، ومات أبوها وجدها معاً وهي في السنة الأولى من عمرها، فربتها أمها فكتوريا ماري لويزا Victoria Mary Louisa، ابنة فرانز فريدريك Franz

1) **William Denslow : 10,000 Famous Freemasons, Vol. I ,P318, Missouri Lodge of research Independence, Missouri, published by: Macoy Publishing & Macoy Supply Co., Inc. Richmond, Virginia,1957.**

Frederick، دوق ساكس كوبرج، وهي دوقية في ألمانيا وداخل الإمبراطورية المقدسة، وكانت أسرته تحكمها بالوراثة منذ الحروب الصليبية، إلى أن سقطت الإمبراطورية الألمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى، سنة ١٩١٩م.

وبعد وفاة عمها الملك وليام الرابع William IV، سنة ١٨٣٧م، وكان جميع أعمامها من ورثة العرش قد ماتوا قبله، أصبحت فكتوريا ملكة بريطانيا وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وفي سنة ١٨٤٠م، تزوجت من ابن خالها الأمير فرانز أوجستس ألبرت ساكس كوبرج جوتا Franz Augustis Albert of Saxe Coburg And Gotha، وأنجبت منه تسعة أبناء(١).

وأم الملكة فكتوريا، ماري لويزا، من اليهود الأخفياء، وأبوها إدوارد دوق كنت:

ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان الأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم العتيق Ancient Grand Lodge، قبل أن يندمج مع محفل انجلترا الأعظم الأصيل Premier Grand Lodge، سنة ١٨١٣م، ليتكون باندماجهما محفل انجلترا الأعظم الموحد United Grand Lodge of England"(٢).

وبعد وفاة الملكة فكتوريا، سنة ١٩٠١م، وقد جلست على عرش بريطانيا أربعة وستين عاماً، خلفها أكبر أبنائها، ألبرت إدوارد ساكس كوبرج جوتا Albert Edward of Saxe Coburg And Gotha، ليصبح ملك بريطانيا والهند، وأول من يعتلي عرش بريطانيا من أسرة ساكس كوبرج جوتا من الرجال، ولتتحول بذلك وراثة العرش البريطاني إلى الأسرة.

والأمير ألبرت ساكس كوبرج جوتا، هو الذي اعتلى عرش بريطانيا باسم الملك إدوارد السابع Edward VII، وهو أيضاً ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان قبل أن يعتلي العرش ويصبح ملك بريطانيا، وفي عهد أمه الملكة، كان عضو المجلس السامي للماسونية في انجلترا Supreme Council، والأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم خمسة وعشرين عاماً، من سنة ١٨٧٥م إلى سنة ١٩٠١م، فانتقل من سدة محفل انجلترا الأعظم إلى عرش بريطانيا مباشرة، اتباعاً للحلف الذي بين المحفل والمملكة، والتقليد الذي يقضي بأن يكون الأستاذ الأعظم للمحفل

---

1) Lytton Strachey: Queen Victoria, P19, 134, Harcourt, Brace, And Company, New York, Copyright, 1921.

2) Albert MacKey: Encyclopaedia of Freemasonry, Revised and Enlarged Edition, Vol. II, D-L, P86, The Masonic History Company; 1929.

من الأسرة المالكة، ولكنه يمنع الجمع بين عرش الماسونية والعرش البريطاني في وقت واحد، وبعد أن اعتلى العرش منحه محفل انجلترا الأعظم لقب حامي الأخوية Protector of The Craft، وخلفه في رئاسة محفل انجلترا الأعظم ومنصب أستاذه الأعظم أخوه وثالث أبناء الملكة فكتوريا، الأمير آرثر ألبرت دوق كانوت Duke of Cannaught Arthur Albert[1].

وإليك نموذجاً تدرك منه أن التجارة واليهود والماسون في بريطانيا حزمة واحدة، وأن مملكة بريطانية لم تكن سوى امتداد لشركة الهند الشرقية، وأن التجار من اليهود والماسون الذين صاروا على رأس هذه هم أنفسهم من كانوا في قلب تلك، وأن المملكة ورثت الشركة في احتلال الهند والسيطرة على تجارتها، بعد أن صارت هي وحكومتها واجهة للمؤسسات التجارية والبنوك وأصحابها من اليهود والماسون، وتدرك أيضاً صلة التجارة في الهند ببلاليص ستان، وأنها لم تكن سوى مرحلة تاريخية وسيطة، ووسيلة للعودة إلى الشرق وبدء المشروع اليهودي.

والنموذج هو أسرة بيرنج Baring، وموقع أبنائها وأجيالها من التجارة والبنوك، ومن الماسونية، ومن الحكومة البريطانية، ومن شركة الهند الشرقية، ومن بلاليص ستان.

وأسرة بيرنج التقيت بها معنا عدة مرات سابقاً، في كتاب: بلاليص ستان، وهي كما علمت أسرة يهودية ألمانية، من مدينة بريمن، وتحولت إلى البروتستانتية مع هجرة يوهان بيرنج Johann Baring إلى انجلترا، سنة ١٧١٧م، وتغييره لاسمه من يوهان إلى جون John، وتأسيسه مع أخيه فرانز/فرانسيس لشركة تجارية باسمهما: John And Francis Baring Company، وهي التي تحولت سنة ١٧٦٢م إلى بنك بيرنج[2].

وأكبر أبناء يوهان بيرنج، اليهودي المتحول إلى البروتستانتية، هو السير فرانسيس بيرنج الأول Francis Baring، وورث عن أبيه شركة بيرنج، وهو الذي حولها إلى بنك بيرنج، وكان أيضاً من كبار ملاك الأسهم في شركة الهند الشرقية البريطانية، إبان أن كانت شركة خاصة يملكها ويديرها تجار لندن، وكان عضو هيئة إدارة الشركة في لندن، من سنة ١٧٧٩م إلى وفاته سنة ١٨١٠م.

---

1) Encyclopedia Of Freemasonry And Its Kindred Sciences, Revised and Enlarged Edition, Vol. 2, D-L, P87, 1929.
2) Harold Frederic: Red Coats on The Nile, Lord Cromer Converted Against British Evacuation, The New York Times, May, 3, 1896.

وابن فرانسيس بيرنج، هنري بيرنج Henry Baring، كان عضو البرلمان البريطاني، وأحد أعضاء مجلس إدارة بنك بيرنج، وابنه إيفلين بيرنج Evelyn Baring، كان هو الآخر عضو مجلس إدارة بنك الأسرة، وقد تخرج من الأكاديمية الملكية العسكرية Royal Military Academy، وصار ضابطاً في الجيش الملكي البريطاني، وفي سنة ١٨٧٢م، بعد أن ورثت المملكة الهند عن شركة الهند الشرقية البريطانية. أصبح إيفلين بيرنج سكرتير اللورد نورثبروك Lord Northbrook، الحاكم العام للهند ونائب الملكة فيها، واللورد نورثبروك هو عمه توماس بيرنج Thomas Baring، وهو أيضاً أحد أعضاء مجلس إدارة بنك بيرنج.

وأبو توماس بيرنج، فرانسيس بيرنج الثاني Francis Baring، كان وزير الخزانة في الحكومة البريطانية، أوائل عهد الملكة فكتوريا، من سنة ١٨٣٨م إلى سنة ١٨٤١م، وابن توماس بيرنج، اللورد فرانسيس بيرنج الثالث، كان يعمل مساعداً لأبيه وهو نائب الملكة في الهند، بالتعاون مع سكرتير أبيه وابن عمه إيفلين بيرنج!

وعائلة بيرنج يهودية، وبنكها كان شريك بنك روتشيلد ووكيله في بريطانيا، وهي أيضاً كما علمت من قبل، عائلة ماسونية، ولها محفل باسمها، وهو محفل بيرنج رقم: ٢٦٠٢ Baring Lodge No. 2602، في بلدة كرومر Cromer، شمال مدينة نورفولك Norfolk، شرق انجلترا، وأسرة بيرنج هم لوردات كرومر بالوراثة.

وفي دراسة للمحفل الإقليمي الأعظم في نورفولك Provincial Grand Lodge of Norfolk، عن تاريخ محفل بيرنج، أنه:

"اسم محفل بيرنج مأخوذ من اسم عائلة اللورد كرومر Derived From The Family Name Of Lord Cromer، وشعار الأسرة هو المستخدم في أعلام المحفل ووثائقه"[1].

وواسطة عقد أسرة بيرنج وأشهر أبنائها في الشرق، هو السير إيفلين بيرنج، الشهير باسم اللورد كرومر، وقد انتقل من منصبه في الهند سكرتيراً لعمه، مباشرة إلى مصر، ليكون القنصل العام فيها، وكان ذلك سنة ١٨٧٨م، وقد علمتَ تفصيلاً دوره في صناعة بلاليص ستان، وموقعه من قصة توريطها في الديون والاستيلاء على أصولها لصالح بنك روتشيلد، وصولاً إلى الاحتلال

---

1) Provincial Grand Lodge of Norfolk: Baring Lodge No. 2602, https://norfolkfreemasons.org/baring-lodge-2602/

البريطاني لمصر، ليصبح المندوب السامي البريطاني فيها والحاكم الحقيقي لها، ولتبدأ من عنده المرحلة الظاهرة والمرئية، السياسية والعسكرية، من المشروع اليهودي.

والخلاصة، وما نريد أن نصل بك إليه في نهاية قصة شركة الهند الشرقية البريطانية، هو ما أخبرناك به سابقاً، من أن التجارة لا تنفصل عن السياسة، بل هي عبر التاريخ كله، مع الحركات السرية والسيطرة على وسائل الخطاب العام، كانت من وسائل اليهود التي يتغلغلون بها في أنسجة المجتمعات، ومن أدواتهم في السيطرة عليها، وتحريك الأحداث بها ودفع التاريخ في المسار الذي يريدونه ونحو غايتهم.

وتجار لندن وماسونها لم يغزوا الهند من أجل التجارة، كما يفهم الأميون، بل احتلوا الهند واحتكروا التجارة وكنزوا الثروات من أجل تغيير وعي بريطانيا وعقيدتها، والسيطرة عليها وامتطائها، لتكون حمارهم الذي يعودون إلى الشرق على ظهره، ويعيدون وهم كامنون في رأسه رسم خرائطه، ليكون محضناً لهم ولمشروعهم، ولتكون هذه الخرائط وما أنتجته من دول ودويلات، هي نفسها أداة استكمال المسار اليهودي والوصول به إلى غايته.

وهذه الخرائط وما أنتجته، كما لابد تدرك الآن وتوقن مما تراه يحدث أمامك وحولك، ليست سوى بلاليص ستان.

تجارة الأفيون

الشركة والأفيون في الصين:

وزراعة الأفيون في الهند، وتصديره بالاحتيال وبالقوة العسكرية للصين، هو أحد وجوه فساد شركة الهند الشرقية البريطانية، وتخريبها لاقتصاد الهند والصين وإفسادها لمجتمعات الشرق، من أجل جني الأرباح وتكديس الثروات وكسب النفوذ والسيطرة على المجتمعات في الغرب.

في سنة ١٦١٩م، وبعد أن سمح السلطان نور الدين جهانكير لشركة الهند الشرقية البريطانية بالتجارة في الهند وإنشاء مستوطنات صناعية ووكالات تجارية فيها، تطلعت الشركة إلى الصين، ورغم صراعها مع شركة الهند الشرقية الهولندية، اتفقت الشركتان على الاشتراك في التجارة إلى الصين، واستيطان بعض الجزر القريبة من سواحلها، وتحويلها إلى مراكز للتجارة وجلب البضائع.

وكانت أسرة مينج Ming، التي تحكم الصين منذ القرن الرابع عشر، تسمح لشركة الهند الشرقية الهولندية ونظيرتها البرتغالية بالتجارة، عبر ميناء وحيد جنوب الصين، هو ميناء تونج شانج Tōngshāng، المعروف في الغرب باسم كانتون Canton، وبشروط صارمة، ضمن نظام للتعامل مع الأوروبيين، كانت إمبراطورية الصين تسميه قانون تقييد الهمج Prevention Barbarian Ordinances، بينما كان الأوروبيون الذين اضطروا للالتزام به يسمونه نظام الخضوع Tributary System.

ويقول بازل لابوك Basil Lubbock، في كتابه عن تاريخ زراعة الأفيون وتجارته: The Opium Clippers، إنه بمقتضى نظام تقييد الهمج، أو نظام الخضوع:

"كان المكان الوحيد المسموح للتجار الأجانب بالإقامة فيه وممارسة التجارة، هو المستوطنات أو الوكالات الثلاث عشرة المقامة في صف واحد على ضفاف نهر زهوجيانج/بيرل Pearl /Zhujiang، الذي تقع عند مدخله تونج شانج/كانتون، وكل وكالة تخص إحدى الشركات الأوروبية، البرتغالية والإسبانية والفرنسية والسويدية، ولم يكن يسمح للشركات وتجارها بالإقامة أو التنقل والتجارة في أي مكان آخر من الصين، وتكون ممارستهم للتجارة من خلال كوهونج Cohong، وهي رابطة من التجار الصينيين تمثل الإمبراطور، وتحت إشراف

هويو Hubu، وهو الموظف الرسمي المسؤول أمام الإمبراطور عن إدارة التجارة مع الأوروبيين وتحصيل الجمارك وجمع الضرائب"(١).

وكان كل عضو في الكوهونج أو هيئة التجارة الصينية، يتولى مسؤولية تاجر أو بعض التجار الأوروبيين، يتسلم منهم البضائع ويحصل الجمارك عليها، ثم يقوم ببيعها للتجار الصينيين ليتولوا توزيعها في أنحاء الصين، وفي الوقت نفسه يشتري للتجار الأوروبيين ما يريدونه من بضائع صينية، ويحصل ثمنها منهم.

وبعد اتفاقها مع شركة الهند الشرقية الهولندية، بدأت سفن شركة الهند الشرقية البريطانية تحوم في بحر الصين الجنوبي، وتدخل نهر بيرل لكي تنزل بضائعها في كانتون، وفي منتصف الثلاثينيات من القرن السابع عشر، ودون اتفاقية رسمية، سمحت الكوهونج أو هيئة التجارة الصينية، للشركة بالدخول في نظام الخضوع، وممارسة التجارة في كانتون، وأباحت لممثلي الشركة التواجد والإقامة في نطاق المستوطنات الثلاث عشرة، التي تمتلئ بمساكن التجار ومخازن بضائعهم ومتاجرهم.

وفي سنة ١٦٨٠م، صارت ممارسة الشركة للتجارة في الصين رسمية، بعد أن خففت أسرة كينج Qing، التي أطاحت بأسرة مينج، وحلت مكانها في حكم الصين منذ سنة ١٦٤٤م، شروط نظام الخضوع، وأصدر رابع أباطرتها كانج زي Kangxi، مرسوماً:

"يسمح فيه للتجار من خارج الصين بحرية الإقامة والتنقل وممارسة التجارة في عدد من موانئ الصين ومدنها الساحلية الجنوبية، أبرزها تونج شانج/كانتون، وزهوشان Zhoushan، وزيامين Xiamen"(٢).

وكانت السلع الرئيسية التي تستوردها الشركة من الصين، هي الشاي والحرير والخزف والأعشاب، وتجلب لها في مقابلها العقاقير الطبية وبعض المنتجات الزراعية، وكان ما تستورده الشركة من الصين يفوق ما تصدره لها، ومن أجل تعويض هذا الخلل في الميزان التجاري، وتوفير المال اللازم لشراء البضائع الصينية، كانت الشركة تجلب كميات كبيرة من سبائك الفضة من أوروبا إلى الصين.

---

1) Basil Lubbock: The Opium Clippers, P38-41, Brown Son & Ferguson Ltd, Nautical Publishers, Glasgow, 1933.

2) Jason A. Karsh: The Root of the Opium War, P5, University of Pennsylvania, 2008.

وخلال قرن من بدأ الشركة لنشاطها التجاري في الصين، تفاقم الخلل في الميزان التجاري، خصوصاً مع زيادة الطلب على الشاي في أوروبا، وإصرار أباطرة الصين على تقييد جلب البضائع من أوروبا، وأن المقابل الوحيد للسلع والبضائع الصينية هو سبائك الفضة والعملات المصنوعة منها.

ويقول جاسون كارش Jason Karsh، في دراسته الأكاديمية التي أعدها في جامعة بنسلفانيا عن: جذور حرب الأفيون The Root of The Opium War إن الشركة حاولت عبر نفوذها في البرلمان والبلاط البريطاني معالجة هذا الخلل وما نتج عنه من خسائر وفقدان للمعادن النفيسة، بالتودد إلى أباطرة الصين والضغط عليهم، فأرسل الملك جورج الثالث سنة ١٧٩٣م بعثة دبلوماسية رسمية، برئاسة اللورد جورج مكارتني George Macartney، إلى كيان لونج Qianlong، سادس أباطرة الصين من أسرة كينج، يطلب السماح بوجود ممثل لمملكة بريطانيا في عاصمته بيجينج/ بكين Beijing، وأن يسمح للتجار من رعايا بريطانيا بحرية ممارسة التجارة في مواني الصين المختلفة وتوسيع دائرة البضائع والمصنوعات المسموح بجلبها إلى الصين من أوروبا، فرفض الإمبراطور الطلبين، وأرسل رداً مكتوباً في رسالة إلى الملك جورج الثالث، يقول له فيها:

"بضائعكم البديعة ليس لها قيمة عندنا، وليس بنا أدنى حاجة إلى ما تصنعه بلادكم، ولذا أيها الملك فبالنسبة لطلبكم إرسال مبعوث من عندكم ليقيم في عاصمتنا، فإنه بالإضافة إلى أن ذلك لا يتناسب مع تقاليدنا ونظام إمبراطوريتنا، فإنه لن يعود على بلادكم بأي نفع أو فائدة Of No Advantage To Your Country"[1].

ومع خسائرها، وعدم قدرتها على توفير الفضة اللازمة لتمويل تجارتها في الصين، كان الحل البديل الذي ابتكرته شركة الهند الشرقية البريطانية، هو تجارة الأفيون!

وكان البرتغاليون قد سبقوا الشركة البريطانية إلى تجارة الأفيون، فكانت شركة الهند الشرقية البرتغالية، منذ سنة ١٧٠٠م، تجلب من الهند إلى الصين مائتي صندوق من الأفيون سنوياً، ورغم إصدار الإمبراطور يونج زهنج Yongzheng مرسوماً سنة ١٧٢٩م، بتجريم تجارة الأفيون إلا

---

1) The Root of the Opium War, P7.

برخصة خاصة وللأغراض الطبية، ارتفع عدد صناديق الأفيون المجلوبة من الهند إلى الصين عند منتصف القرن الثامن عشر إلى ألف صندوق.

وفي سنة ١٧٧٣م وصلت إلى الصين أول سفينة تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية محملة بصناديق الأفيون، وفي سنة ١٧٨١م، قام رئيس الشركة والحاكم العام للهند الذي عينه البرلمان البريطاني، بعد إصدار قانون تنظيم الشركة، الماسوني وارن هستنجز، بتنظيم زراعة الشركة للخشخاش في الهند، وإرساء نظام تصديره للصين، وورثه من خلفوه في كل العهود، والشركة خاصة، ثم والحكومة البريطانية شريك لها، وبعد أن صارت مقاليدها في يد التاج البريطاني.

ويقول بازل لابوك، في كتابه عن زراعة الأفيون وتجارته، إن:

"الشركة كانت تقتطع مساحات واسعة من الأراضي المزروعة بالحبوب، وتخصصها لزراعة الخشخاش، وتجبر المزارعين الهنود على زراعته، بأثمان بخسة تفرضها عليهم، ثم تقوم بتعبئة الأفيون في صناديق عليها اسم الشركة وشعارها، الذي صار علامة على جودة الأفيون، وتشحن الصناديق على متن سفنها، التي تقوم بقيادتها إلى بحر الصين الجنوبي، لترسو على الجزر المواجهة لشواطئ الصين، وأشهرها جزيرة لنتين Lintin، وجزيرة ماكاو Macao، فيستقبلها تجار صينيون محليون من كانتون على قوارب سريعة، ويقومون بتفريغ الأفيون من صناديق الشركة إلى صناديق أخرى صينية، ويسجلون على كل صندوق بالصينية نوع الأفيون وكميته وعلامة تدل على التاجر الذي اشتراه، ثم يقوم التجار المحليون بتوزيعه في مدن الصين المختلفة"[١].

ومع الوقت صارت شركة الهند الشرقية البريطانية المورد الرئيسي للأفيون إلى الصين، وتكاد تحتكر تجارته، وكانت أول سفينة أرسلها هستنجز بالأفيون إلى الصين تحمل ٣ آلاف صندوق، وارتفع ما تجلبه الشركة من الأفيون سنة ١٨٢١م إلى ٥ آلاف صندوق، وفي سنة ١٨٣٠م وصلت إلى ١٠ آلاف صندوق، من بين ١٨ ألف صندوق، هي حجم تجارة الأفيون الكلية في الصين، وفي سنة ١٨٣٣م صدرت الشركة للصين ١٥ ألف صندوق، تحوي ١٥٠٠ طن من الأفيون، وبعد أن كانت الشركة تجلب الفضة إلى الصين لتمويل تجارتها، صارت هي التي تستنزف الفضة من الصين وحولت تيارها إلى خزائنها في الهند وبريطانيا[٢].

---

1) The Opium Clippers, P54-55.
2) The Root of the Opium War, P13-14.

ورغم إغراقها لسواحل الصين ومدنها الجنوبية بالأفيون، وأنه أصبح نشاطها الأكبر في الصين، و،سيطرتها على تجارته، وأنها صارت المنظم الرئيسي لها، وهي التي وضعت تقاليدها وحكمت مواصفات الأفيون وأسعار أنواعه، ورغم أن أرباح الشركة وصلت إلى ٢٠٠٠%، من زراعة الأفيون وإنتاجه في الهند بأسعار زهيدة، وبيعه في الصين بأثمان مرتفعة، فقد كانت شركة الهند الشرقية البريطانية تنكر رسمياً أي علاقة لها بتجارة الأفيون!

وفي سنة ١٧٩٦م، وبعد أن انتشر إدمان الأفيون بين ملايين الصينيين، ووصل إلى الطبقات العليا، وظهرت آثاره على الاقتصاد والعمالة، أصدر الإمبراطور كيان لونج مرسوماً بتحريم زراعة رعايا الإمبراطورية للأفيون، وقصره على الحكومة، وتشديد العقوبة على تجارة الأجانب فيه، وفي السنة التالية، ١٧٩٧م، أصدر حاكم كانتون ونائب الإمبراطور أمراً بمنع تجارة الأفيون في كانتون، وقام بمداهمة مخازن الشركات الأوروبية في المستوطنات للبحث عن الأفيون وإحراقه.

وحينئذ:

"أصدر رئيس الشركة في الصين إعلاناً في كانتون وأرسله إلى حاكمها العام، أنها لا تمارس تجارة الأفيون، ولا علاقة لها بها، وطلبت من التجار المحليين الذين تورد لهم الأفيون أن يزيلوا عبارة أفيون الشركة Company Opium، التي كانوا يضعونها على صناديقهم لكي تكون علامة على جودة الأفيون"(١).

وتكررت المراسيم الإمبراطورية لتقييد تجارة الأفيون وتشديد عقوبتها، وكذلك أوامر حكام كانتون ومداهماتهم لمخازن التجار من أجل مصادرة الأفيون، عبر السنوات، دون أن تتمكن من إيقاف تجارته.

وبعد إصدار البرلمان البريطاني قانون سنة ١٨٣٣م، الذي أحل مجلس الهند محل الشركة في حكم الهند، وجعلها تحت سيطرة هيئة المفوضين في بريطانيا، وأنهى احتكارها للإقامة والتجارة في الهند والصين، وأباحها لجميع الشركات ورعايا بريطانيا دون تمييز، استكملت الحكومة البريطانية ما كانت تفعله الشركة في الهند والصين، وعلى رأسه تجارة الأفيون.

وفي شهر ديسمبر سنة ١٨٣٣م، صدر قرار بتعيين اللورد وليام جون نابير William John Napier، ممثلاً لمملكة بريطانيا، ومشرفاً على التجارة البريطانية في الصين،

---

1)The Root of the Opium War, P12.

Superintendent Of Trade، وكان الذي اختاره لهذه المهمة وأصدر قرار إسنادها له وزير الخارجية، الماسوني وأحد عبَّاد لوسيفر، اللورد جون تمبل بالمرستون.

وكانت التعليمات الصادرة إلي نابير هي:

"الإشراف على التجار من رعايا بريطانيا المقيمين في إمبراطورية الصين وحماية مصالحهم، وإمدادهم بالمعلومات، وتأمين تجارتهم ومعاملاتهم التجارية Commercial Transactions، والعمل على إزالة العوائق في الصين من أمامها، مع وضع القوات البحرية البريطانية في بحر الصين تحت إمرته"(١).

ورغم أن مملكة بريطانيا صارت هي المسؤول الرسمي عن التجارة في الصين، وتحولت شركة الهند الشرقية البريطانية للعمل في الصين تحت إشراف الممثلين الرسميين للمملكة والحكومة البريطانية، وصار هؤلاء يمثلون الشعب البريطاني كله، فلم تكن هناك، كما يقول جاسون كارش في دراسته الأكاديمية، فواصل ولا حدود واضحة بين رئاسة الشركة في كانتون وبين ممثلي التاج البريطاني، ولذا ظل ممثلو الشركة يعملون بحرية داخل كانتون، ورابطة التجار الصينيين فيها تتعامل معهم على أنهم ممثلو مملكة بريطانيا.

وعلى متن سفينة حربية تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية، وصل اللورد جون نابير إلى جزيرة ماكاو في شهر يوليو سنة ١٨٣٤م، مبعوثاً دبلوماسياً من مملكة بريطانيا للتفاوض مع السلطات الصينية من أجل تحرير التجارة، وتخفيف القيود المفروضة عليها.

وبتدبير من وليام جاردن William Jardine، أشد التجار في كانتون حماسة للضغط على الصين عسكرياً من أجل فتحها أمام التجار، وكان قبل قدومه للصين تاجراً في الهند وأحد أطباء شركة الهند الشرقية البريطانية فيها ومن جراحي جيشها، بتدبير من جاردن:

"دخل نابير إلى المستوطنة البريطانية في كانتون دون تصريح من حاكمها ونائب الإمبراطور، وأرسل رسالة يطلب فيها لقاءه فأُحيل إلى الكوهونج أو هيئة التجارة الصينية حسب نظام الخضوع، فرفض لقاءها وأصر على لقاء الحاكم، فرفض طلبه وعاقبه على صلفه بمنع التعامل مع الوكالة التجارية البريطانية والتجار البريطان في كانتون، وإصدار أوامر بمنع بيع الأغذية لهم، فعد نابير ذلك استهانة بالتاج البريطاني، وأرسل رسالة من كانتون إلى وزير

---

1) The Root of the Opium War, P64.

الخارجية بالمرستون يطلب معاقبة الصين عسكرياً، ثم ترك كانتون عائداً إلى ماكاو بعد أن أصيب بمرض التيفوس Typhus، وأمر سفينتين تابعتين للبحرية البريطانية بالدخول في نهر بيرل وإطلاق النار على قلعة صينية في كانتون، ثم مات في ماكاو يوم ١١ اكتوبر سنة ١٨٣٤م"[1].

وتوالى على منصب ممثل التاج البريطاني في الصين والمشرف على التجارة معها بعد نابير، ثلاثة، هم جون ديفز John Davis، وجورج روبنسون George Robinson، وتشارلز إليوت Charles Elliot، وكانوا من المقيمين في الصين، وأكثر خبرة بشؤونها والتعامل مع سلطاتها، وديفز كان أحد أعضاء شركة الهند الشرقية البريطانية، ورئيس لجنة التجار البريطان التي تتولى التنسيق مع الكوهونج أو رابطة تجار الصين، وقد حاول الثلاثة، عبر التفاوض مع الكوهونج بطريقة ودية وتقديم الرشاوى لأعضائها، الوصول لاتفاق من أجل تخفيف القيود الصينية على التجارة البريطانية، وتوسيع دائرة المدن والسلع المسموح بالتجارة فيها، فلم يفلحوا.

ورغم ذلك وفي كل الأحوال، ظلت تجارة شركة الهند الشرقية البريطانية في الأفيون مزدهرة، وما يتم تهريبه لكانتون ومدن الصين يزيد عاماً بعد عام، وفي سنة ١٨٣٨م، قبل اندلاع حرب الأفيون الأولى، كان عدد صناديق الأفيون التي تقوم الشركة بشحنها من الهند وتهريبها لتجار الصين، قد وصل إلى ٢١ ألف صندوق، وتشكل ٦٠% من إجمالي تجارة الشركة في الصين، وصار أكثر من ربع الصينيين من الرجال من مدمني الأفيون، حوالي ١٣ مليون صيني، ووصل إدمانه إلى الحرس الإمبراطوري في المدينة الحرام Forbidden City، مقر الإمبراطور وقصوره، داخل بكين.

حرب الأفيون الأولى:

وفي ديسمبر سنة ١٨٣٨م، أصدر الإمبراطور داوجوانج Daoguang، أوامر بالقضاء على مشكلة إدمان الأفيون في منابعها في كانتون، وقام بتعيين لين تسي زو Lin Zexu مفوضاً عنه، وخوله صلاحية اتخاذ كل ما يراه من إجراءات وتدابير للقضاء على المشكلة.

ووصل لين تسي زو إلى كانتون، وفي يوم ١٧ مارس سنة ١٨٣٩م:

---

1) The Root of the Opium War, P68-69.

"اجتمع بالتجار الصينيين من أعضاء الكوهونج، ليعرف منهم أسماء تجار الأفيون، وهددهم بقطع رؤوسهم جميعاً إذا لم تتوقف تجارته، ثم أصدر أمراً لجميع التجار من الأوروبيين بتسليم صناديق الأفيون التي يخزنونها في جزيرتي ماكاو ولنتين، وكتابة مذكرات عن الأسلحة التي يمتلكونها"(١).

وفي اليوم التالي اجتمع كبار تجار الأفيون في كانتون، ميسرز Messrs، وماثيسون Matheson، وجرين Green ، ودانيال Daniell ، ورستم الفارسي Rustom، وجميعهم من البريطان ما عدا رستم، وقرروا التضحية بألف صندوق أفيون وتقديمها للين تسي زو، لامتصاص غضبه، بينما ما كان في حوزتهم فعلاً ٥ آلاف صندوق في كانتون، و١٥ ألف صندوق مخزنة في لنتين.

ورفض لين تسي زو عرض تجار الأفيون، وأمر بفرض حصار من الجنود على مستوطنات التجار الأوروبيين الثلاث عشرة، التي فيها مساكنهم ومخازنهم، وبسحب العمال الصينيين منها، ومنع دخول الطعام إليها، ثم قام بوضع قوارب في نهر بيرل لإغلاق القناة المائية الواصلة بين كانتون وجزيرتي ماكاو ولنتين والسفن الراسية حولها.

وبعد عشرة أيام، وفشل مفاوضات الممثل الملكي البريطاني والمشرف على التجارة البريطانية، تشارلز إليوت، مع الكوهونج لرفع الحصار عن التجار، طلب من التجار البريطان في كانتون تسليم جميع ما لديهم من صناديق الأفيون، ووعدهم أن تقوم الحكومة البريطانية بتعويضهم عنها، فسلموا ٢٠ ألفاً و٢٨٨ صندوق، تبلغ قيمتها ٣ ملايين جنيه إسترليني، فقام لين تس زو وحاكم كانتون بتفريغها وإغراقها في خنادق عميقة Tenches حفروها وملأوها بالمياه.

وفي يوم ٥ أبريل ١٨٣٩م، وبعد رفع الحصار، أمر لين تسي زو تجار الأفيون الذين تسلم منهم الصناديق بأوراق تسليم رسمية، أن يقدموا تعهدات مكتوبة بعدم العودة لتجارة الأفيون لاحقاً، وهدد من يتم ضبطه منهم يخالف تعهده بالإعدام ومصادرة سفينته، أو أن يغادروا كانتون، فأمر إليوت التجار البريطان ألا يوقعوا على التعهد، وأن يغادروا كانتون، ثم وضع إحدى سفن البحرية البريطانية عند مدخل نهر بيرل، لكي يمنع سفن التجار البريطان من الدخول إلى كانتون(٢).

---

1) The Opium Clippers, P157.
2) The Opium Clippers, P158-161.

وفي يوم ٢٢ مايو غادر إليوت نفسه كانتون، ثم أرسل رسالة إلى وزير الخارجية بالمرستون، يخبره بما حدث، وفي الوقت نفسه أرسل التجار البريطان ممثلاً عنهم إلى لندن، هو التاجر الطبيب وليام جاردن، أحد وكلاء شركة الهند الشرقية البريطانية، لكي يعرض مطالبهم على بالمرستون، وعلى البرلمان البريطاني، ويطلب استخدام القوة العسكرية، لإجبار الصين على دفع تعويضات لهم عن الأفيون الذي استولت عليه وأغرقته، وعلى السماح للتجار البريطان بحرية الحركة وممارسة التجارة في الصين.

وأمام البرلمان البريطاني قال جاردن صراحة إن الأفيون هو عماد التجارة البريطانية في الهند والصين، فانقسم أعضاء مجلسي العموم واللوردات، في مناقشة المسألة، إلى فريقين، أحدهما يرى أن المسألة أخلاقية، ولا يجب الدفاع عن تجارة المخدرات وتجارها، والثاني يرى أن المسألة تتعلق بحرية التجار البريطان في ممارسة التجارة، والحفاظ على هيبة بريطانيا، ويصف استيلاء الصين على الأفيون بأنه عدوان على ممتلكات بريطانية British Property.

وكان على رأس الفريق الثاني وزير الخارجية بالمرستون، الذي تزعَّم ضرورة شن حملة عسكرية لمعاقبة الصين على إهانتها لممثلي التاج البريطاني وتعنتها مع التجار من رعايا بريطانيا، ولإجبارها على تحرير التجارة من القيود التي تكبلها بها، وفتح أراضيها أمام حركة التجار.

وتحت ضغط التجار في لندن، من أصحاب الشركات العاملة في الصين، وافق البرلمان على مشروع وزير الخارجية بالمرستون، بمعاقبة الصين عسكرياً، ثم في أول أكتوبر سنة ١٨٣٩م اتخذت الحكومة البريطانية برئاسة اللورد وليام ملبورن William Melbourne، قراراً:

"**بإرسال حملة عسكرية إلى الصين، تتكون من ١٦ سفينة حربية، تحمل ٥٤٠ مدفعاً، و٤ بواخر مسلحة Steamers ، و٢٨ ناقلة بحرية، و٤ آلاف جندي، بقيادة الأدميرال جورج إليوت George Elliot، ابن عم تشارلز إليوت**"[1].

وبعدها بشهر أرسل بالمرستون تعليمات إلى رئاسة شركة الهند الشرقية البريطانية، والحاكم العام للهند، جورج إيدن George Eden، بإرسال قوات الشركة وسفنها إلى الصين للاشتراك في

1) The Root of the Opium War, P81.

مهمة حربية، تحت قيادة إليوت، فأرسلت ٤ سفن حربية، وفرقة من جيش البنجال، وفرقة من المهندسين والجنود متخصصة في بناء الاستحكامات وحفر الخنادق.

وفي شهر فبراير ١٨٤٠م أرسل بالمرستون، رسالتين، الأولى إلى تشارلز إليوت، ممثل التاج البريطاني، وابن عمه جورج إليوت قائد القوة البريطانية، وفيها تعليمات بإغلاق نهر بيرل وحصار كانتون، والاستيلاء على إحدى الجزر المواجهة لسواحل الصين لتكون قاعدة للتمركز، وتأمين التجارة منها، وكذلك إغلاق نهر يانج تسي Yangtze، ومنع الحركة فيه، وهو أكبر أنهار الصين، وينبع من هضبة التبت في وسط الصين ثم يمتد جنوباً وشرقاً حتى مصبه في بحر الصين عند مدينة شنغهاي Shanghai.

والرسالة الثانية أرسلها بالمرستون إلى تشارلز إليوت، لكي يقوم بتسليمها إلى نائب الإمبراطور في كانتون، ثم إلى الإمبراطور داوجوانج في بكين، وفيها ينذر الإمبراطور بشن بريطانيا حرباً على الصين، بسبب استيلائها على الممتلكات البريطانية/الأفيون، وإهانتها لممثلي بريطانيا، وتعديها على رعاياها، ويطلب منه لإيقاف الحملة العسكرية الموافقة على عدة مطالب، رفضها الإمبراطور، وهي التي اضطر لقبولها بعد ذلك في معاهدة نانكنج Nanking.

وفي شهر سبتمبر سنة ١٨٤٠، بدأت الحملة العسكرية البريطانية، بالاستيلاء على جزيرة زهوشان Zhoushan، على بعد ٩ كيلومترات من شاطئ الصين، وقصف المدن الساحلية بالمدافع، واستمرت الحرب البريطانية الصينية عامين، شنت خلالهما القوات البحرية البريطانية، بالاشتراك مع قوات شركة الهند الشرقية البريطانية، حملات على نهر بيرل ونهر يانج تسي ونهر بيهو أو النهر الأبيض Peiho ، الواصل إلى بكين، فسيطرت على حركة الملاحة فيها، وتوغلت في جنوب الصين ووسطها، واحتلت عدة مدن وموانى، أهمها كانتون وشنغهاي وزيامين/أموي Amoy(١).

وهاك خريطة بمواقع حرب الأفيون الأولى وأماكن تمركز القوات البريطانية حول سواحل الصين واتجاه حركتها في أراضيها.

---

1) The Root of the Opium War, P82.



خريطة بمواقع حرب الأفيون الأولى وأماكن تمركز القوات البريطانية حول سواحل الصين واتجاه حركتها في أراضيها.

ومع فشل القوات الصينية في إيقاف تقدم القوات البريطانية، وقد صار طريقها مفتوحاً إلى بكين عبر نهر بيهو، اضطر الإمبراطور داوجوانج إلى إرسال مبعوث خاص اسمه كيشين Keshen، للتفاوض مع تشارلز وجورج إليوت، وكان الأدميرال إليوت على متن البارجة مدغشقر Madagascar، على مدخل نهر بيهو، وهي إحدى بارجتين حديثتين بمحركات بخارية وقدرات

قتالية كبيرة، أرسلتهما شركة الهند الشرقية البريطانية من الهند، والأخرى نمسيس Nemesis، وقد صنعتا خصيصاً من أجل الشركة، ولم يكن في البحرية الملكية مثلهما.

ولكي يخفف كيشين ضغط القوات البريطانية على بكين طلب أن يكون التفاوض في كانتون، فبدأت المفاوضات في شهر ديسمبر سنة ١٨٤١م، وانتهت دون اتفاق.

وأعقب مفاوضات كانتون، مفاوضات أخرى في مدينة نانجينج/نانكين Nanjing، في دلتا نهر يانج تسي، جنوب شرق الصين، وانتهت بتوقيع معاهدة نانكين، في ٢٩ أغسطس سنة ١٨٤٢م(١).

وكانت هذه هي وقائع حرب الأفيون الأولى.

ومن الطريف أن بازل لابوك يقول في كتابه عن تاريخ زراعة الأفيون وتجارته وحروبه، إنه مع بداية العمليات العسكرية البريطانية، وبمجرد دخول السفن البريطانية إلى نهر بيرل:

"وبينما العمليات العسكرية دائرة وفي تقدم، كانت تجارة الأفيون التي اندلعت بسببها الحرب قد عادت وازدهرت Was Flourishing، وبين شهري أغسطس ونوفمبر ١٨٤٠م، كانت هناك على الأقل ١٦ سفينة، تحمل كل منها بين ٦ مدافع و١٦ مدفعاً، وعلى متنها بين ٨٠ و٩٠ رجلاً، تعمل في تجارة الأفيون، ومع سكون الرياح الموسمية، كان عدد صناديق الأفيون المحملة على السفن الراسية على الشاطيء وتنتظر تفريغ حمولتها ١٢ ألف صندوق، بالإضافة إلى ٣٠ ألف صندوق قادمة في الطريق من الهند"(٢).

أما معاهدة نانكين، فقد وقع على النسخة الصينية منها الإمبراطور داوجوانج، والنسخة الإنجليزية وقعها ممثل الملكة فكتوريا السير هنري بوتنجر Henry Pottinger، قبل إرسالها إلى لندن لتوقعها الملكة، وتم استكمالها بملحق أو اتفاقية تكميلية في ٨ أكتوبر سنة ١٨٤٣م.

وقد نشر قنصل بريطانيا في شنغهاي في سبعينيات القرن التاسع عشر وليام فريدريك مايرز William Frederick Mayers، نص معاهدة نانكين كاملاً، وكذلك الاتفاقية الإضافية، وما يرتبط بهما من تصريحات وإعلانات، في كتابه: المعاهدات بين إمبراطورية الصين والقوى

---

1)The Opium Clippers, P196.
2) The Opium Clippers, P197-198.

الأجنبية Treaties Between The Empire of China And Foreign Powers، فإليك أهم شروطها:

"**المادة الثانية: يوافق جلالة إمبراطور الصين على السماح لرعايا بريطانيا وأسرهم، بالإقامة وممارسة التجارة دون قيود ولا تضييق، في المدن والبلدات التالية: كانتون، وأموي، وفوشاو فو Fuchau fu، ونينجبو Ningpo، وشتغهاي، على ان تقوم جلالة ملكة بريطانيا بتعيين مراقبين Superintendents، أو قناصل Consular Officers، في المدن والبلدات المذكورة، ليكونوا وسطاء بين السلطات الصينية وهؤلاء التجار ... المادة الثالثة: من الضروري والمرغوب فيه، أن يكون لرعايا بريطانيا ميناء ترسو عليه سفنهم، ويقومون فيه بإصلاحها عندما يلزم ذلك، وأيضاً لكي تكون لهم فيه مخازن يحفظوا فيها تجارتهم، ولذا يتنازل جلالة إمبراطور الصين لجلالة ملكة بريطانيا عن جزيرة هونج كونج Hongkong، لتكون في ملكية جلالتها وخلفائها إلى الأبد To Be Possessed In Perpetuity، وتكون محكومة بقوانين بريطانيا ... المادة الرابعة: يوافق إمبراطور الصين على دفع ٦ ملايين دولار(•)، قيمة الممتلكات البريطانية (الأفيون) التي تم الاستيلاء عليها في كانتون في شهر مارس سنة ١٨٣٩، كتعويض لممثلي بريطانيا ورعاياها الذين تم سجنهم وتهديدهم بالإعدام من قبل السلطات الصينية ... المادة الخامسة: أجبرت الحكومة الصينية التجار البريطان على التعامل مع مجموعة محددة من التجار الصينيين، الكوهونج، تحمل ترخيصاً من الحكومة الصينية بذلك، فيتعهد إمبراطور الصين بإلغاء الكوهونج وهذا الأسلوب في التعامل في جميع الموانى التي يقيم بها التجار البريطان، وبأن يسمح لهم بممارسة التجارة بحرية مع أي شخص يرغبون في التعامل معه ... المادة السادسة: اضطرت حكومة جلالتها لإرسال حملة لمواجهة تعدي السلطات الصينية وتعاملها العنيف مع ممثلي بريطانيا ورعاياها، ولذا يوافق إمبراطور الصين على دفع ١٢ مليون دولار تعويضاً، ويوافق ممثل الملكة نيابة عن جلالتها على أن يُخصم منها أي مبالغ حصلت عليها القوات البريطانية كتعويضات من المدن والبلدات الصينية بعد يوم ١ أغسطس ١٨٤١م ... المادة العاشرة: يقوم جلالة إمبراطور الصين بتحديد قيمة عادلة**

(•) الدولار المقصود هنا، هو تالر ماريا تريزا Maria Theresa Thaler، وهو عملة من الفضة وزنها ٢٨ جراماً تقريباً، وتم سكه لأول مرة سنة ١٧٤١م، في عهد ملكة الإمبراطورية الرومانية المقدسة/النمساوية الهنجارية ماريا تريزا، وكان عملة شائعة في التعامل التجاري في الهند.

وثابتة لتعريفة الضرائب الجمركية على الصادرات والواردات **Tariff of Export and Import Customs**، وأن يقوم بإصدار إعلان عام بها"[1].

أما الاتفاقية التكميلية، أو معاهدة بوجي Bogue، فأهم بنودها عدم محاكمة رعايا بريطانيا أمام محاكم صينية، بل أمام محاكم بريطانية خاصة بهم.

وبناءًا على معاهدة نانكين واتفاقية بوجي التكميلية، استولت بريطانيا على جزيرة هونج كونج، التي تقع أمام سواحل الصين ولا يفصلها عنها سوى كيلومترين، وكان السير هنري بوتنجر أول حاكم بريطاني لها، وتم إلغاء الكوهونج/هيئة التجارة الصينية مع الأجانب، وفتح المواني الخمسة التي نصت عليها الاتفاقية أمام تجار بريطانيا، ليستوطنوها ويفعلوا فيها ما يشاؤون، وتم تحديد قيمة تعريفة الضرائب الجمركية لتكون ٥% من قيمة جميع السلع والبضائع، ما عدا الشاي، إذ يمكن أن تزيد بحد أقصى ١٠%.

وكما ترى، فمعاهدة نانكين فتحت الصين ليس أمام مملكة بريطانيا، بل فتحتها أمام تجار بريطانيا وشركاتها التجارية الخاصة، وأباحتها لهم، والمملكة لم تكن فيها سوى واجهة لهؤلاء التجار وهذه الشركات.

حرب الأفيون الثانية:

ومن حرب الأفيون الأولى وُلدت حرب الأفيون الثانية، فبعد معاهدة نانكين، عقدت الولايات المتحدة مع الصين معاهدة شبيهة بها، هي معاهدة وانجهيا Wanghia، في ٣ يوليو ١٨٤٤م، تلتها معاهدة وُهامبوا Whampoa مع فرنسا، في ٢٤ أكتوبر ١٨٤٤م، وقد منحت المعاهدتان تجار الدولتين حرية الإقامة والتجارة في المواني الخمسة مثل نظرائهم البريطان، ووجود تمثيل دبلوماسي، وزادت على ذلك السماح للمبشرين والبعثات التبشيرية بالعمل في المواني الخمسة.

ومع الوقت واستقرار التجار في المواني المنصوص عليها في المعاهدات، صاروا يتطلعون لمكاسب أخرى، وبدأوا في الضغط على حكوماتهم، لكي تضغط على الحكومة الصينية، من أجل زيادة عدد المواني المفتوحة أمام تجارتهم، والسماح لهم بالحركة داخل الصين، وحرية الملاحة في نهر اليانج تسي والمناطق الشمالية من الصين، وكذلك إباحة تجارة الأفيون.

---

1) William Frederick Mayers: Treaties Between The Empire of China and Foreign Powers, P1-3, North China herald, Ltd, Shanghai, 1902.

وفي سنة ١٨٥٤م تقدم ممثلو الدول الثلاث إلى نائب الإمبراطور في كانتون، بطلب جماعي لمراجعة المعاهدات وتعديل بنودها، فرفض، فأرسل ممثل بريطانيا، جون بَورِينج John Bowring، إلى الحكومة البريطانية مذكرة بما حدث، وأنه يرى أن لا سبيل لموافقة الصين على المطالب البريطانية سوى القوة العسكرية.

وفي ٣٠ يوليو ١٨٥٦م، وبعد موافقة البرلمان، اتخذت الحكومة البريطانية قراراً بشن حملة على مواني الصين الشمالية، وصارت تنتظر ذريعة شن الحملة.

وفي يوم ٦ اكتوبر ١٨٥٦م، جاءت الذريعة، إذ اعترض أحد الزوارق الصينية السفينة أرو Arrow، لاعتقال بحارتها المتهمين بالقرصنة، وكان مالك السفينة وبحارتها صينيين، ولكنها تعمل في التجارة مع البريطان وترفع العلم البريطاني.

وأطلق حاكم كانتون سراح تسعة من البحارة المعتقلين، ولكنه رفض طلب قنصل بريطانيا بَورَينج، بإطلاق سراح الثلاثة الآخرين، وتقديم اعتذار رسمي لحكومة بريطانيا، وفي ٢٧ أكتوبر أطلقت سفن البحرية البريطانية مدافعها على قصر نائب الإمبراطور في كانتون، ثم قصفت القوات البريطانية القلاع الصينية المشرفة على نهر بيرل وميناء كانتون، واستولت على المدينة، فأحرق الصينيون المستوطنات التجارية الأوروبية في المدينة.

وأما على الجانب الفرنسي، فكانت السلطات الصينية قد اعتقلت في صيف سنة ١٨٥٦م، المبشر الأب أوجست شابدلان Auguste Chapdelaine، وكان قد افتتح مدرسة للتبشير المسيحي، قبلها بثلاث سنوات، دون علم السلطات، وفي مدينة جوانج تسي Guangxi، وهي خارج المدن المنصوص عليها في المعاهدات، والمسموح للأجانب بالإقامة فيها، ولم يكن في معاهدة وُهامبوا نص يبيح للبعثات التبشيرية بالتواجد في الصين أصلاً.

وصدر حكم على المبشر شابلان بالإعدام، وإن لم ينفذ، وطلب قنصل فرنسا في الصين، مونتاني Montigny، إطلاق شابلان ولم تستجب له السلطات الصينية.

وفي يوم ٥ ديسمبر ١٨٥٦م، عقدت الحكومتان البريطانية والفرنسية، التي يرتكز تفسير الأميين للتجارة في الشرق ولقطعها على العداوة بينهما، عقدت الحكومتان اتفاقية لشن حملة مشتركة على الصين.

واستغرق الإعداد للحملة سنة كاملة، قامت خلالها الحكومتان البريطانية والفرنسية بتغيير قناصلهما في الصين، وفي يوم ٢٥ ديسمبر ١٨٥٧م، قدم قنصل بريطانيا، اللورد إلجن Elgin، وقنصل فرنسا، دي بوربولون De Bourboulon، إنذاراً مشتركاً لنائب الإمبراطور في كانتون، بيه مِنج شن Yeh Mingchen، بفتح المدينة للتجار، وتقديم تعويضات للتجار عن الأضرار التي لحقت بممتلكاتهم وبضائعهم، إبان أحداث السفينة أرو، فرفض بيه.

وفي يوم ٢٧ ديسمبر، قصفت المدفعية البريطانية كانتون، واستولت على قلعتها، ثم احتلتها واعتقلت نائب الإمبراطور، وأرسلته إلى حصن وليام في كلكتا، التابع لشركة الهند الشرقية البريطانية، وظل معتقلاً فيه إلى أن مات.

وبعد أن انضمت القوات البحرية الفرنسية إلى البريطانية، تقدمت القوتان شمالاً وشرقاً في مياه بحر الصين الشرقي، أو البحر الأصفر Yellow Sea، حتى وصلتا إلى خليج بوهاي Bohai Gulf، واستولت القوتان على مدينة تيانجين/ تيانسين Tianjin/Tientsin، شمال شرق الصين، والمطلة على الخليج، وليس بينها وبين بكين سوى ١٢٠ كيلومتراً.

وتحت الضغط العسكري، اضطر الإمبراطور تسيان فونج Xianfeng، إلى طلب التفاوض، وانتهت مفاوضات ممثل الإمبراطور مع قنصلي بريطانيا وفرنسا، إلجين ودي بوربولون، في مدينة تيانسين، بالاتفاق على معاهدة باسم المدينة، في ٢٦ و٢٨ يونيو ١٨٥٧م، وكانت أهم شروطها:

"المادة الثانية والثالثة والرابعة: ... يوافق جلالة إمبراطور الصين على أن تقوم جلالة ملكة بريطانيا بتعيين وزراء وسفراء في بلاط بكين، وأن يقيموا مع أسرهم بصفة دائمة في العاصمة بكين، ويوافق على منحهم حرية الحركة والتنقل في أي مكان من الصين، وكذلك إرسال الرسائل وتلقيها دون الاطلاع عليها، وبالمثل توافق جلالتها على أن يقوم جلالته إذا رأى ذلك، بتعيين وزراء وسفراء في بلاط القديس جيمس Court of St. James ... المادة الثامنة: تقوم السلطات الصينية بحماية معتنقي الديانة المسيحية ومن يبشرون بها، سواء كانوا من البروتستانت أو الكاثوليك، ما لم يقوموا بعمل يخالف القوانين ... المادة التاسعة: لرعايا بريطانيا الحق في التنقل في أي مكان داخل الصين All Parts Of The Interior، سواء كان ذلك للسياحة أو التجارة، ماداموا حاملين للجوازات التي يصدرها قناصل بريطانيا، المادة العاشرة: حرية سفن التجار البريطان في الحركة وممارسة التجارة في النهر الكبير، نهر

يانج تسي، واستخدام ميناء تشنج يانج Zhenjiang ... المادة الحادية عشرة: يوافق جلالة الإمبراطور على فتح الموانى التالية أمام التجار البريطان ومنحهم فيها نفس الامتيازات التي تم منحها لهم في الموانى الخمسة المنصوص عليها في معاهدة نانكين: نيوشوانج Newchwang، وتانج شو Tang Chow، وتايوان Taiwan، وفورموزا Formosa، وشاو شاو Chao Chow، وكيونج شو Kiung Chow ... المادة الأربعون: تتعهد حكومة الصين بدفع مليوني تيل(•) من الفضة Tael مقابل النفقات التي تحملتها القوات البريطانية، ومثلها لتعويض التجار البريطان ... المادة التاسعة والأربعون: من الآن فصاعداً تتوقف السلطات الصينية سواء في العاصمة أو الأقاليم عن وصف ممثلي حكومة بريطانيا ورعاياها في الوثائق الرسمية بكلمة: يي 夷، أو الهمج Barbarian"[1].

وحين انطلق اللورد إلجين ودي بوربولون من شنغهاي إلى تيانسين للتصديق على المعاهدة، وجدا طريقهما إلى المدينة في نهر بيهو مغلقاً بجذوع الأشجار، فاضطرا للعودة إلى شنغهاي دون توقيع المعاهدة.

وبدأ الإمبراطور تسيان فونج في تحصين قلاع تاكو Taku، جنوب شرق تيانسين، فشنت القوات البريطانية والفرنسية حملة جديدة بدأت في مايو سنة ١٨٥٨م، واستمرت عامين، هاجمت خلالهما قلاع تاكو ثلاث مرات، واستولت على مدينة تيانسين، ثم تقدمت إلى بكين العاصمة، فاقتحمتها في يوم ٦ أكتوبر ١٨٦٠م، ودخلت المدينة الحرام، مقر الحكم وإقامة الإمبراطور، في ١٨ أكتوبر، ونهبت قصور الإمبراطور.

وكان الإمبراطور قد ترك المدينة مع دخول القوات البريطانية والفرنسية إلى بكين، وانطلق إلى مدينة شينج دي Chengde، شمال سور الصين العظيم، حيث قصوره الصيفية، وترك أخاه الأمير جونج تسوهونج Gongzhong، بعد أن فوضه ليفاوض البريطان والفرنسيين.

وفي يوم ٢٤ اكتوبر ١٨٦٠م، وقع الأمير جونج تسوهونج نيابة عن الإمبراطور تسيان فونج، معاهدة بكين Convention Of Peking، وكانت معاهدة ثلاثية، مع اللورد جيمس

•) التيل Tael: عملة صينية، ويختلف وزنها من منطقة لأخرى، ووزن تيل كانتون: ٣٧,٥ جرام من الفضة، وتيل شنغهاي: ٣٤ جراماً.

1) Treaties between the Empire of China and foreign powers, P11-19.

بروس إلجين James Bruce Elgin ممثلاً لبريطانيا، والبارون جان باتيست لويس جرو Jean Baptiste Louis Gros ممثلاً لفرنسا.

وشملت المعاهدة روسيا القيصرية، ووقعها عنها الكونت نيكولاي إيجناتييف Nikolay Ignatyev، رغم أن روسيا لم تشترك في الحملات على الصين، وقد أجبرت بريطانيا وفرنسا الصين على أن تمنح روسيا القيصرية امتيازات مثيلة لما حصلت عليه كل منهما، وعلى أن تتخلى لروسيا في معاهدتها معها عن أجزاء من إقليم منشوريا.

وهو ما ينسف التفسيرات التي يحاصرك بها الأميون في بلاليص ستان، للحملات الاستعمارية الغربية عليها، منذ حملة الماسوني نابليون، مروراً بضربة انجلترا لأول الآتين من الخلف، ثم احتلالها لمصر، وتمزيقها للدولة العثمانية، وتقسيمها لبلاليص ستان بينها وبين فرنسا إبان الحرب العالمية الأولى، وهي التفسيرات التي عمادها التنافس على التجارة في الهند والصين بين بريطانيا وفرنسا، وبينهما وبين الإمبراطورية الروسية، وروسيا كما ترى كانت حليفاً لبريطانيا وفرنسا في الحملات على الصين لفتحها ونهبها وتمزيقها، كما كانت حليفاً لهما في اتفاقية سايكس بيكو كما علمتَ من قبل.

وكانت أهم بنود معاهدة بكين مع بريطانيا، هي:

"المادة الثانية والسابعة والثامنة: التصديق على معاهدة تيانسين، وتفعيلها دون تأخير Without Delay Come Into Operation، وطبعها وتوزيعها على نواب الإمبراطور والسلطات الصينية في العاصمة والأقاليم ... المادة الرابعة: يوافق جلالة إمبراطور الصين على فتح ميناء تيانسين أمام التجارة، وعلى منح التجار البريطان نفس الحقوق والامتيازات التي تم منحها لهم في المواني التي سبق فتحها للتجارة في معاهدتي نانكين وتيانسين ... المادة السادسة: يوافق جلالة الإمبراطور على التنازل لجلالة ملكة بريطانيا ولخلفائها وإلى الأبد عن جزيرة كولون Cowloon في منطقة جوانج تونج Gwang Tung، لتكون تابعة لنائب جلالتها في هونج كونج"[1].

وهكذا، وبحروب الأفيون، وفتح الصين بالقوة العسكرية أمام التجار وتجارة الأفيون، بدأ تاريخ الصين الحديثة!

---

1) Treaties between the Empire of China and foreign powers, P8-10.

الكشوف الجغرافية والتجارة في الشرق والمشروع اليهودي

الفرضية البني إسرائيلية

والآن إلى ما جئناك بقصة شركة الهند الشرقية البريطانية وغزو التجار للشرق من أجله، فقد علمتَ أن التجارة لا تنفصل عن السياسة، بل هي عبر التاريخ كله إحدى وسائل اليهود التي يتغلغلون بها في أنسجة المجتمعات، ومن أدواتهم في السيطرة عليها، وتحريك الأحداث بها ودفع التاريخ في المسار الذي يريدونه ونحو غايتهم، وعلمتَ أن تجار لندن وماسونها احتلوا الهند واحتكروا التجارة وكنزوا الثروات من أجل تغيير وعي بريطانيا وعقيدتها، والسيطرة عليها وامتطائها، ثم غزوا الشرق بها من أجل تغيير خرائطه وتهيئته للمشروع اليهودي، وغرس بذوره وتعهدها فيه.

والمشروع اليهودي، والعودة للشرق من أجل إعادة الدولة اليهودية واستعادة أورشليم/القدس والهيكل، هي الغاية الحقيقية من حملات التجار وشركاتهم على الشرق، والقوى البحرية التي تكونت حول هذه الشركات بمختلف أسمائها، والدول التي ترفع أعلامها لم تكن سوى غلافاً لهذه الغاية ووسيلة لتحقيقها، وليس فقط بريطانيا وشركة الهند الشرقية البريطانية.

فهذه هي الغاية الخبيئة في أذهان الجميع ونفوسهم، منذ ظهرت فكرة الكشوف الجغرافية، للالتفاف حول عالم الإسلام والوصول إلى أقصى الشرق، من أجل كنز الثروات وتكوين الجيوش والأساطيل، والاقتراب بها من عالم الإسلام والمرابطة على تخومه، والتسلل إلى مياهه وأراضيه، ومناوشته وتكرار المحاولات لاختراقه والوصول إلى قلبه، من أجل إعادة تصميمه وهيكلته، وتحويله إلى محضن لليهود ومشروعهم.

وها هنا ينبغي أن نعرفك بالفرضية البني إسرائيلية، أو فرضية بني إسرائيل، التي استلهمناها من القرآن، وأقمنا فهمنا لأحداث التاريخ والمسار الذي تكون منها من خلالها، وتجدها سارية في كل ما كتبناه، وهو كله من أجل إثباتها والبرهنة عليها، ولكي تدركها حق الإدراك وتتيقن من صحتها يجب أن تقرأ كتبنا كلها.

ونوجز لك هنا الفرضية البني إسرائيلية، في أن القرآن هو بيان الإله إلى البشرية كلها، وأنه تاريخها من الخلق إلى القيامة، وتاريخها فيه هو تاريخ أفكارها، وروح الوحي أن الأحداث وحركة البشر ليست سوى ترجمة لأفكارهم، وأفكارهم تسري فيها، وهذه الأفكار هي ما يربط بين الأحداث ويتكون باتصالها المسار، ومن ثَم فالصانع الحقيقي للتاريخ والمسيطر على مساره، ليس من

تصنعهم الأحداث ويتصدرونها، بل من يصنعونهم ويصنعون الأحداث بهم دون أن يراهم أحد في مشاهدها وعلى مسارحها، عبر تكوين عقولهم وأبنيتهم الذهنية النفسية، لتتوافق هي وما يتكون فيها وما تتنجه مع غاياتهم.

والوصول لهؤلاء الصانعين الحقيقيين للتاريخ والمسيطرين على مساره، ليس بالاستغراق في رصد ظواهر الأحداث وما فيها من حركة وصخب وإثارة، بل بالوعي بالأفكار التي تسري في الأحداث وتتبعها إلى منابعها، والانتباه إلى الرابط بين هذه الأفكار التي تسري في الأحداث التي تبدو مختلفة في زمانها ومكانها وظروفها وملابساتها، وإدراك المسار الذي يتكون من هذا الربط، والذي تتحول به الأحداث من التفكك والبعثرة والعشوائية والتلقائية، لتصبح خطوات متوالية في طريق واحد، ويفضي إلى غاية، سوف تسفر حيئذ وحدها، ولن يكون من العسير رؤيتها وهي ما زالت في عالم الغيب رأي العين.

وداخل بيان الإله إلى البشرية، وتاريخه لها من الخلق إلى القيامة، والذي جعله تبياناً لكي شيئ، لم يفرد لأحد في العالمين مساحة ولا عناية كتلك التي أولاها لبني إسرائيل وعقائدهم وغاياتهم وخصائصهم الذهنية والنفسية، وموقعهم فيه لا يقاربه ولا يقترب منه إمبراطورية ولا دولة ولا شعب ولا سلالة مالكة.

فتفهم من ذلك، أن موقع بني إسرائيل من تاريخ البشرية لا يدانيه موقع لأحد غيرهم، وأن أثرهم في صناعة أحداثه الكبرى وتكوين مساره، يفوق أعتى الإمبراطوريات وأعرق الملكيات، فالغرب بإمبراطورياته وجيوشه وشركاته وجامعاته وأبطاله هو الذي صنع أحداث العالم وتصدرها ظاهراً، ولكن بنو إسرائيل هم الصانع الحقيقي للتاريخ، لأن أفكارهم هي التي صنعت أحداثه وتسري في أذهان من صنعوها، والمسار الذي يتكون من هذه الأفكار هم من رسموه ويسيطرون عليه، ويتجهون به نحو غايتهم الخبيئة في نفوس من تصدروا الأحداث ويتحركون بها ومن أجلها.

ولأن موقع بني إسرائيل المحوري من البشرية وأحداثها المفصلية وتاريخها، وآثارهم التي لا يدانيها أثر لأحد غيرهم في صناعة مساره وتحديد وجهته، تكوَّن عبر الأفكار وصناعة من يصنعون الأحداث، ولأن ما يريدونه ويفعلونه يغلفونه ويموهونه في غايات غيرهم وما يفعلونه، فموقعهم وآثارهم خفية عصية على عموم البشر أن يروها ويتتبعوها، أو أن يفطنوا إلى وجودها أصلاً، ولا وسيلة للانتباه إليها سوى الوحي وفهم أنه سيرة البشرية، وإدراك أن موقع بني إسرائيل فيه هو نفسه موقعهم منها ومن أحداثها.

وهذا هو الفرق بين الأميين وبين الأذهان التي يصنعها الوحي، فالأمي هو من خلا تكوينه وذهنه ونفسه من الوحي وما يرشد إليه من فهمٍ للوجود، وإن كان مسلماً ويلتزم الشعائر، وهو الذي غاب عنه أن الوحي هو سيرة البشرية، وأن سيرة البشر الحقيقية فيه هي السيرة العقائدية، وأن الأفكار هي الصانع للأحداث والرابط بينها، وأن صانعها هو المحرك للتاريخ، وإن لم ترصده كاميراته، ولذا فهو يرى الأحداث متناثرة لا رابط بينها، وينحصر تفسيرها عنده في ما ظهر لحواسه من ملابسات مكانها وظروف زمانها، والمسار الذي يسير فيه التاريخ تكوَّن عنده وحده وتلقائياً بتراكم الأحداث، ويسير عشوائياً بلا غاية ولا إرادة ولا تدبير من أحد.

والأمي هو الذي خلا ذهنه وهو يرصد أحداث التاريخ ويفسرها من الفرضية البني إسرائيلية، فهو لا يراهم ولا يدرك آثارهم، وإذا رآهم ورآها لا يفهم صلتها وصلتهم بما يحدث، ولا يفطن إلى صلة ما يحدث بغاياتهم، ولا إلى أين يتجه المسار الذي يتكون بأفكارهم.

وشركات التجارة وغزو التجار للشرق، والقوى البحرية والجيوش التي تكونت حولها، مثال نموذجي على الفرضية البني إسرائيلية، وعلى الفرق بين الأذهان التي ترى بالوحي ومن خلاله وبمنهجه وبموقع بني إسرائيل فيه وغاياتهم منه، وبين الأدمغة الأمية التي تخلو من ذلك كله.

فإليك سيرة الكشوف الجغرافية والتجارة في الشرق في أزمنتها المتعاقبة، وفي دولها وقواها التي تبدو مختلفة في أسمائها وأغلفتها وأبطالها، بل وقد تبدو متعادية، ولكن، كما سترى، الغاية التي تحملها وتحركها وتتحرك بها هي هي، وعداوتها واقتتالها ليس على الغاية، بل على كيف تكون ومن يحوز شرف تحقيقها، وهذه الغاية ليست سوى المشروع اليهودي لإقامة الدولة التوراتية والوصول إلى أورشليم/القدس والهيكل.

إليك سيرة الكشوف الجغرافية والحملات في بحار الشرق، منذ بدايتها وإلى أن تحققت الغاية منها بوصول بني إسرائيل إلى القدس.

اليهودي كرستوفر كولومبس ومشروع المارانو

ونبدأ معك حركة الكشوف الجغرافية، وقد أخبرناك من قبل، أن دافعها وهدفها اكتشاف طريق آخر إلى شرق عالم الإسلام ولا يمر به، بعد أن صار هو والبحار التي تقع فيه مغلقة بدولة المماليك ثم بالدولة العثمانية.

والوصول إلى شرق عالم الإسلام واتخاذ الهند وجزر الهند الشرقية والمحيط الهندي قاعدة لتمركز القوى البحرية، ليس غايته التجارة وجني الثروات، بل هو والتجارة نفسها وجني الثروات ليس سوى وسيلة لغاية أخرى فوقها، هي بناء الجيوش والقوى الحربية وتوفير الأموال اللازمة للمرابطة على تخوم قلب عالم الإسلام في بلاد العرب ثم التسلل إلى مياهه وغزوه، من أجل غاية اليهود المستقرة في رؤوس الجميع والراسخة في نفوسهم.

فإليك نموذجاً في فاتحة الكشوف الجغرافية، وأول روادها وأشهرهم، كرستوفر كولومبس، يخبرك هو نفسه بغايته الحقيقية ودوافعه لخوض المحيط بحثاً عن طريق يصل به إلى الهند دون المرور في بحار الإسلام، وهي الغايات التي لا يراها ويضللك عنهم الأميون في الغرب ومن يقتفون أثرهم من الأميين في بلاليص ستان في الشرق.

من أجل أورشليم:

في مقدمة يوميات رحلته الأولى Diario، التي بدأها من ميناء بالوس دي لا فرونتيرا Palos De La Frontera، جنوب إسبانيا، يوم ٣ أغسطس ١٤٩٢م، برعاية فرناندو الثاني Ferdinand II وإيزابيلا الأولى Isabella I، ملكي أرجون وقشتالة، والتي كتبها بنفسه، وترجمها إلى الإنجليزية المؤرخ والمستكشف البريطاني الأدميرال كليمنت ماركهام Clements Markham، سنة ١٨٩٣م، وضع كرستوفر كولومبس نص الرسالة التي أرسلها إلى فرناندو وإيزابيلا، سنة ١٤٩٢م، في ختام رحلته الأولى عن خطته وهدفه من رحلته الاستكشافية في المحيط، وبدأها باستعراض حروب الملكين مع المسلمين المغاربة، ثم يخبرهم أنه:

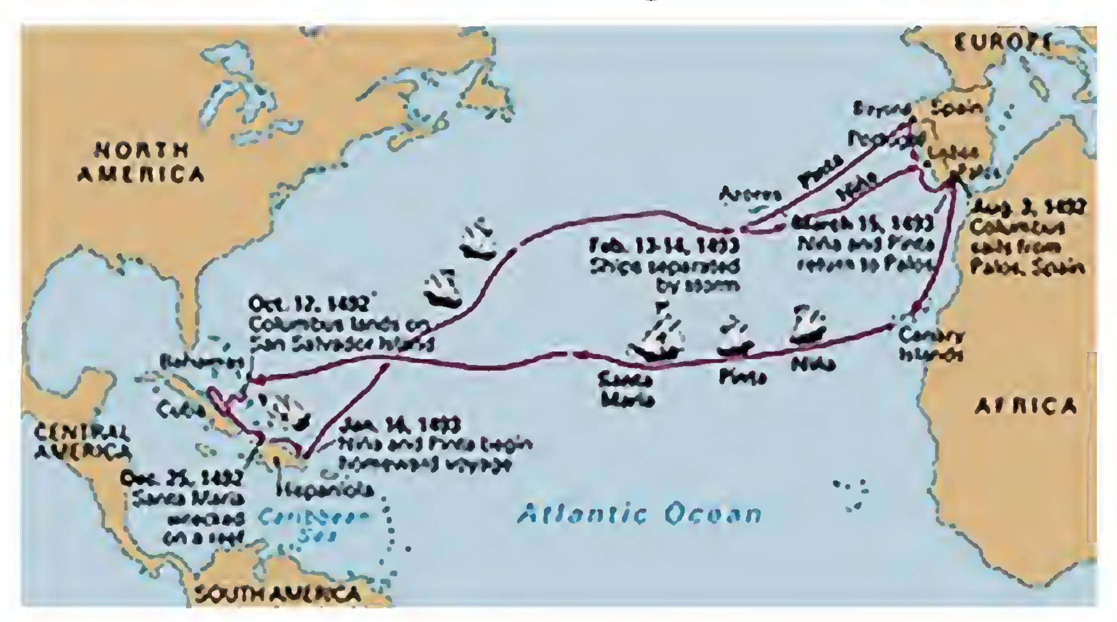
"لقد منحتُ لجلالتكما تماساً مع أراضي الهند، ومع خان الصين العظيم Great Khan، الذي كثيراً ما أرسل إلى روما يطلب رجالاً للتعرف على عقيدتنا المقدسة، ولم يستجب له الأب المقدس Holy Father ... وجلالتكما كمسيحيين كاثوليك، وكذلك الأمراء المحبون للعقيدة المسيحية المقدسة والمدافعون عنها، وأعداء عقيدة محمد المزيفة Enemies Of The

False Doctrine Of Mahomet، وأعداء الوثنية والهرطقة، قد فكرتم في إرسالي، أنا كرستوبل كولون/ كرستوفر كولومبس Christobal Colon، إلى البلاد التي تُسمى الهند، لرؤية أمرائها وشعوبها وأرضها، وكيف يمكن تحويلهم إلى عقيدتنا المقدسة، وقد أمرتموني ألا أذهب من الطريق المعتادة في اتجاه الشرق، بل عن طريق الغرب، التي لا نعرف أن أحداً قد سار فيها من قبل"[(١)(•)].

1) Clements Markham: The Journal of Christopher Columbus During First Voyage, 1492-1493, P16, Printed For The Hakluyt Society, Lincolin's Inn Fields, London, M.DCCC.XCIII/ 1893.

•) الغرب وهو يكتب تاريخه ويعيد كتابة تاريخ العالم اعتبر أن تاريخ أي بقعة أو أمة في الأرض يبدأ من معرفته هو بها، وأنها قبل معرفته بها لم يكن لها وجود، وإن وجدت فمن غير حضور، ثم بعد ذلك كتب تاريخها من خلال تاريخه هو وصلتها به، وحكم على تاريخها هذا بموازيينه ومقاييسه، وفي ثنايا ذلك نفى كل ما يتعارض مع مركزيته أو يقلل من أثره فيها، والغرب في ذلك يحاكي بني إسرائيل ومنهجهم في تدوين سيرتهم التي قامت على أن التاريخ بدأ بهم ويدور من حولهم، وأن ما سبقهم كان تمهيداً لهم، ولذا لم يذكروا في سيرتهم المقدسة من الأمم والشعوب والبلاد إلا ما اتصل بسيرتهم والتقى بها وأسقطوا ما عداه، وكولومبس يكذب في قوله: "عن طريق الغرب التي لا نعرف أن أحداً قد سار فيها من قبل"، فأمير البحر العثماني الريس أحمد محي الدين بيري تظهر في خرائطه الشواطىء الشرقية للقارة الأمريكية بجبالها وأنهارها، وهو ما يعني أنه كان يدرك وجودها ويعرف تضاريسها، والغريب أن خرائطه توجد بها القارة القطبية الجنوبية، بينما أول بعثة استكشافية غربية تصل إليها هي تلك التي قادها النرويجي روالد أموندسن Roald Amundsen، سنة ١٩١١م، وخريطة الريس بيري للشواطئ الأمريكية رسمها أوائل القرن السادس عشر، سنة ١٥١٢م، وقد رسمها كما ذكر هو من خرائط من سبقوه من المسلمين واستكشفوا الأطلنطي، والذين سبقوا كولمبس والغربيين إلى اقتحام المحيط الأطلنطي واستكشاف ما خلفه، ورسم خرائط ملاحية له، هم المسلمون المغاربة والأندلسيون، ومن أشهر هؤلاء ابن فروخ الغرناطي، الذي خاض المحيط أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ووصل إلى جزر الكناري ثم استكشف بعض الجزر بعدها، والذي وصل فعلاً إلى الشواطيء الأمريكية هو أمير البحر خشخاش بن سعيد بن أسود القرطبي، فقد عبر مع مجموعة من ملاحيه المحيط الأطلنطي، سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م، ووصل إلى البلاد التي خلفه ثم عاد ومعه طرائف مما وجده هناك، وقد أشار إلى رحلته المسعودي المؤرخ في تاريخه: مروج الذهب، ورسم المسعودي خريطة يظهر فيها المحيط ومن خلفه الأرض التي وصل إليها خشخاش، وسماها المسعودي: الأرض المجهولة، يقول المسعودي: "بحر الظلمات والأخضر والمحيط ... وقد ذهب قوم إلى أن هذا البحر أصل ماء سائر البحار، وله أخبار عجيبة قد أتينا على ذكرها في كتابنا: "أخبار الزمان في أخبار من غرر وخاطر بنفسه في ركوبه، ومن نجا منهم، ومن تلف، وما شاهدوا منه، وما رأوا"، وأن منهم رجلاً من أهل الأندلس، يقال له خشخاش، من فتيان قرطبة، فجمع جماعة من أحداثها، وركب بهم مراكب استعدها في هذا البحر المحيط، فغاب فيه مدة ثم انثنى بغنائم واسعة، وخبره مشهور عند أهل الأندلس" (المؤرخ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١١٩، تحقيق: الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، وكولمبس اعتمد في رحلته على خرائط الأندلسيين والمغاربة واستعان فيها ببحارة منهم، والميناء

فهاك خريطة لمسار رحلة كولمبس الأولى.



خريطة لمسار رحلة كولمبس الأولى.

وفي يوم ٢٦ ديسمبر ١٨٩٢م، وهو في البحر الكاريبي، كتب كولومبس، ولا يعلم أنه قد اكتشف أرضاً جديدة:

"أملي في الرب، وعندما أعود إلى قشتالة Castile، أرجو أن يكون في حوزتي طن من الذهب، وأن أجد مقادير كبيرة من التوابل والبهارات Spices، يتمكن بها جلالته من تجهيز حملة خلال ثلاث سنوات لاستعادة أورشليم/القدس، وقد توسلت إلى جلالته وجلالتها لكي يقوما

الذي أبحر منه لا يبعد سوى كيلومترات عن ميناء ولبة الذي بدأت منه رحلة أمير البحر خشخاش، ولا ريب أن كولمبس كان على علم برحلات المغاربة والأندلسيين في الأطلنطي، وبوصول خشخاش إلى الشواطيء التي خلفه، لأنها كانت معروفة ومدونة في كتابات المؤرخين والجغرافيين الأندلسيين، مثل أبي عبيد الله البكري وأبي حامد الغرناطي، وفي كتاب صدر سنة ١٩٢٠م، وعنوانه: إفريقيا واكتشاف أمريكا Africa and the Discovery of America، ذكر المؤرخ والأنثروبولوجي الأمريكي ليو وينر Leo Wiener أن قاطني جزر الكاريبي والشواطيء الشرقية للقارة الأمريكية قبل وصول كولمبس إليها، كانوا فروعاً من قبائل غرب إفريقيا المسلمة، وأتى في كتابه بأدلة عديدة على ذلك، بعضها لغوي، وبعضها من الوثائق التاريخية ومذكرات المستكشفين الغربيين، وبعضها من الآثار والنقوش:

Leo Wiener: Africa and The Discovery of America, Pa.: Innes & Sons, Philadelphia, MCMXXII/1920.

بتخصيص جميع أرباح مشروعي من أجل استعادة أورشليم/القدس In The Conquest Of Jerusalem"[1].

وفي سنة ١٩٨٥م اكتشف المؤرخ الإسباني أنتونيو روميو دي أرماس Antonio Rumeu De Armas، أستاذ التاريخ في جامعة مدريد Universidad de Madrid، وعضو الأكاديمية الملكية الإسبانية للتاريخ Real Academia De La Historia، مجموعة رسائل لم تكن معروفة لكرستوفر كولومبس، ونشرها مع تحقيقها وشروح لها، سنة ١٩٨٩م، في كتاب ضخم عنوانه: كتاب رسائل كرستوفر كولومبس Libro Copiador De Cristobal Colon، وإحدى هذه الرسائل كتبها كولومبس لفرناندو وإيزابيلا، يوم ٤ مارس ١٤٩٣م، وقد اقترب من الشاطئ الإسباني، في طريق عودته من رحلته الأولى.

وفي دراستها الأكاديمية: قراءة كولومبس Reading Columbus، الصادرة عن مطبعة جامعة كاليفورنيا، نشرت مرجريتا زامورا Margarita Zamora، الأستاذة في قسم التاريخ والآداب الإسبانية والبرتغالية، في جامعة وسكونسن Wisconsin الأمريكية، نشرت نص رسالة كولومبس الإسبانية كاملاً مع ترجمتها الإنجليزية، وفيها يصف كولومبس للملكين رحلته وما اكتشفه من جزر وما التقاه من قبائل وما تمكن من تسخيره من الهنود، وفي نهاية الرسالة يخبرهم أنه:

"في خلال سبع سنوات من الآن، سأكون قادراً على أن أوفر لجلالتكما نفقات خمسة آلاف فارس، وخمسين ألف جندي مشاة، من أجل شن الحرب واستعادة أورشليم/القدس La Guerra E Conquista De Jerusalem، وهو الغرض الذي من أجله كان هذا المشروع Sobre El Qual Popósito Se Tomó Esta Empresa، وفي خلال خمس سنوات أخرى، سأكون قادراً على تجهيز خمسة آلاف فارس وخمسين ألف جندي آخرين، وبذلك يكون تحت إمرتكما عشرة آلاف فارس ومائة ألف جندي، يمكن بها أخذ بلاد الهند كلها"[2].

---

1) The Journal of Christopher Columbus During First Voyage, 1492-1493, P139.
2) Margarita Zamora: Reading Columbus. P187, 195,University of California Press, Berkeley • Los Angeles • Oxford,1993.

وتُعقِّب زامورا على الفرق بين تقدير كولومبس للزمن الذي يحتاجه، في رسالته الأولى بثلاث سنوات، وفي الثانية باثنتي عشرة سنة، بأنه لابد قد أدرك أن مشروعه لجمع الذهب اللازم وتجهيز حملة لاستعادة أورشليم/القدس يحتاج إلى زمن أطول.

وكما ترى، ما كتبه كرستوفر كولومبس وسجله في رسائله يعرفك بحقيقة قصة الكشوف الجغرافية والتجارة في الشرق بكل عناصرها، وفي كل حقبها، الدوران حول بلاد الإسلام، واستكشاف طريق أخرى للوصول إلى الشرق من غير المرور في مياه الإسلام، والتجارة والبحث عن التوابل والذهب، من أجل بناء جيوش وأساطيل، يمكن بها الاقتراب من عالم الإسلام والمرابطة على تخومه، ثم اختراقه وشن الحملات عليه لاستعادة أورشليم/القدس، والسنوات والعقود والقرون ليست سوى الزمان اللازم من أجل تحقيق هذه الغاية وتوفير أسبابها ووسائلها وتكرار محاولاتها.

غاية اليهودية في غلاف المسيحية:

وقد تقول إن أورشليم/القدس مقدسة في اليهودية والمسيحية، وكولومبس كان مسيحياً وقام برحلاته الاستكشافية بتمويل من ملكي أرجون وقشتالة، شديدي التعصب للكاثوليكية، وربما تكون رغبته الملحة في شن حملة لاستعادة أورشليم/القدس لأنه مسيحي كاثوليكي مثل فرناندو وإيزابيلا، كما قال هو نفسه في إحدى رسائله.

وسؤالك هذا يفتح الباب لنعرفك بحقيقة أخرى من حقائق التجارة في الشرق وحملات شركاتها وجيوشها عليه في كل العصور، وهي أن المسيحية فيها لم تكن سوى غلاف لقلبها اليهودي.

وكرستوفر كولومبس شن حملاته الكشفية والتجارية، وتوسل إلى ملكي أرجون وقشتالة لكي يخصصا أرباحها لتجهيز حملة لاستعادة أورشليم/القدس، ليس من أجل المسيحية، بل من أجل إعادة بناء هيكل بني إسرائيل في غلاف المسيحية، وليكون هو نفسه المسيا/الهامشيحاه!

في إحدى رسائل كولومبس، والتي نشرها المؤرخ الإيطالي جاكوبو موريللي Jacopo Morelli، سنة ١٨١٠م، في كتابه: رسائل كرستوفر كولومبس النادرة Lettera Rarissima Di Cristoforo Colombo، رسالة أرسلها كولومبس إلى فرناندو وإيزابيلا يوم ٧ يوليو ١٥٠٣م، وفيها يصف رحلته الاستكشافية الرابعة، وقد نشرت ترجمتها الإنجليزية كارول ديلاني Carol Delaney، أستاذة الثقافة الإنسانية Cultural Anthropology، في جامعة ستانفورد

الأمريكية، في دراستها وكتابها: كولومبس والبحث عن أورشليم/القدس، كيف قاد الدين الرحلات التي أدت لاكتشاف أمريكا Columbus And The Quest For Jerusalem, How Religion Drove The Voyages That Led To America.

وفي رسالته يقول كولومبس:

"ستُبنى أورشليم/القدس وجبل صهيون بيد مسيحي By The Hand Of A Christian، كما قال الرب على لسان نبيه في المزمور الرابع عشر، وقد اخبرني الأب يواخيم Abbot Joachin أنه سيخرج من إسبانيا"(١)!

وتقول ديلاني إن الكلمة الإسبانية التي استخدمها كولومبس لوصف جبل صهيون في الإسبانية هي: كازا Casa، ومعناها الحرفي البيت، وهو يقصد بها في كتاباته الهيكل Temple.

ولكي تزيل الغلاف عما قاله كولومبس، وتتكشف لك حقيقة ما يعنيه، إليك نص المزمور الرابع عشر:

"٤أَلَمْ يَعْلَمْ كُلُّ فَاعِلِي الإِثْمِ، الَّذِينَ يَأْكُلُونَ شَعْبِي كَمَا يَأْكُلُونَ الْخُبْزَ، وَالرَّبَّ لَمْ يَدْعُوا. ٥هُنَاكَ خَافُوا خَوْفًا، لأَنَّ اللهَ فِي الْجِيلِ الْبَارِّ. ٦رَأْيَ الْمِسْكِينِ نَاقَضْتُمْ، لأَنَّ الرَّبَّ مَلْجَأُهُ. ٧لَيْتَ مِنْ صِهْيَوْنَ خَلاَصَ إِسْرَائِيلَ. عِنْدَ رَدِّ الرَّبِّ سَبْيَ شَعْبِهِ، يَهْتِفُ يَعْقُوبُ، وَيَفْرَحُ إِسْرَائِيلُ"(٢).

والمزمور الرابع عشر الذي يسعى كولومبس لتحقيق نبوءته، ليس في استعادة أورشليم/القدس، بل هو، كما ترى، في استعادتها مع خلاص بني إسرائيل وإعادتهم إليها، وهي، وكما ترى أيضاً، غاية يهودية خالصة، والمسيحية ليست سوى غلاف لها، بالضبط مثل كولومبس نفسه، كما ستعرف.

وإبان رحلته الرابعة والأخيرة، كتب كولومبس كتيباً صغيراً، سماه: كتاب النبوءات: El Libro De Las Profecías، ويخاطب فيه فرناندو وإيزابيلا، والنسخة الخطية الأصلية المكتوبة بيد كولومبس ما زالت موجودة ومحفوظة في مكتبة كولومبس Biblioteca Columbina، الملحقة بكاتدرائية إشبيلية، وقد حقق نصه الإسباني ونشره كاملاً، مع مقدمة وشروح، روبرتو روسكوني

1) Carol Delaney: Columbus and the Quest for Jerusalem, How Religion Drove the Voyages that Led to America, P219, Free Press, New York, 2011.

٢) مزامير: ١٤: ٤-٧.

Roberto Rusconi، أستاذ تاريخ العصور الوسطى في جامعتي تريستي Trieste، وروما Rome، واشترك معه في تحريره بلير سوليفان Blair Sullivan، فألحق بكل فقرة إسبانية ترجمتها الإنجليزية، وصدر عن مطبعة جامعة كليفورنيا سنة ١٩٩٧م.

وفي كتاب نبوءاته، جمع كولومبس عبارات عديدة من أسفار التوراة والعهد القديم، عن آخر الزمان، والمسيا/الهامشيحاه، واستعادة أورشليم/القدس، وإعادة الهيكل، مع تعليقات للقديسين وآباء الكنيسة الكاثوليكية والقساوسة عليها وأقوالهم في تفسيرها، لكي يُعرِّف الملكين بها.

ويبدأ كولومبس مقدمة كتاب نبوءاته التي يخاطب فيها فرناندو وإيزابيلا بحساب الزمان الذي سينتهي فيه العالم، فيقول إن:

"القديس أوغسطين St.Augustine حدد نهاية العالم بأنها ستكون في الألفية السابعة من بداية الخلق، ومن الخلق، أو من آدم، حتى مجيء يسوع المسيح ٥٣٤٣ سنة و٣١٨ يوماً، حسب تقويم الملك دون ألونسو /ألفونسو Don Alonso، وهو أدق تقويم، وفي عبارته العاشرة يضيف إليها الكاردينال بيترو دي ألياكو Pietro D'Aliaco، ١٥٠١ سنة، فيصبح المجموع ٦٨٤٥ سنة، وطبقاً لهذا الحساب تبقى ١٥٥ سنة لتكتمل السبعة آلاف سنة، التي سينتهي عندها العالم"[1].

ويقول كولومبس إن المجيء الثاني للمسيح، يسبق نهاية العالم، ومعظم النبوءات السابقة على هذا المجيء وهذه النهاية قد تحققت، ولم يبق إلا القليل، والوصول إلى الشرق واستكشاف جزره والقضاء على ديانة المحمديين هو الذي سيعجل به وبها.

ويستدل على ذلك ببضع نبوءات من سفر إشعياء، وفي إحداها يقول الرب على لسان إشعياء:

"١٩وَأَجْعَلُ فِيهِمْ آيَةً، وَأُرْسِلُ مِنْهُمْ نَاجِينَ إِلَى الأُمَمِ، إِلَى تَرْشِيشَ وَفُولَ وَلُودَ النَّازِعِينَ فِي الْقَوْسِ، إِلَى تُوبَالَ وَيَاوَانَ، إِلَى الْجَزَائِرِ الْبَعِيدَةِ الَّتِي لَمْ تَسْمَعْ خَبَرِي وَلاَ رَأَتْ مَجْدِي، فَيُخْبِرُونَ بِمَجْدِي بَيْنَ الأُمَمِ. ٢٠وَيُحْضِرُونَ كُلَّ إِخْوَتِكُمْ مِنْ كُلِّ الأُمَمِ، تَقْدِمَةً لِلرَّبِّ، عَلَى خَيْل وَبِمَرْكَبَاتٍ

1) Roberto Rusconi, Editor, Blair Sullivan, Translator: The Book of Prophecies Edited by Christopher Columbus, P19, Wipf and Stock Publisher, University of California Press, 1997.

وَبِهَوَادِجَ وَبِغَال وَهُجُنٍ إِلَى جَبَلِ قُدْسِي أورشليم، قَالَ الرَّبُّ، كَمَا يُحْضِرُ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَقْدِمَةً فِي إِنَاءٍ طَاهِرٍ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ. ٢١وَأَتَّخِذُ أَيْضًا مِنْهُمْ كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ، قَالَ الرَّبُّ"[١].

ومرة أخرى، تنبه أن نبوءة إشعياء، التي جعلها كولومبس دليلاً ومرشداً له، ليست في مجيء الرب ولا وصول مجده إلى الجزائر البعيدة فقط، بل في اقتران ذلك بعودة اليهود إلى أورشليم/القدس وإعادة الهيكل ووجودهم فيه.

ومن الطريف، والذي يقربك أكثر من هوية كولومبس ويكشف لك حقيقة ما كان يفعله، أنه يخبر في كتابه فرناندو وإيزابيلا، أنه يريد أن يذكرهم بنبوءات إشعياء، ثم يصف إشعياء بأنه:

"لم يكن فقط نبياً، بل وكان أيضاً مبشراً Evangilst، وقد كرس كل جهوده من أجل الكتابة عن المستقبل، وفي دعوة جميع الشعوب إلى عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة Our Holy Catholic Faith"[٢].

ولعلك قد فطنت وحدك إلى وجه الطرافة، وحقيقة ما يفعله كولومبس، فهو يخبر الملكين الكاثوليكيين، أن إشعياء مبشر مسيحي، وأن دعوته كانت لتحويل الشعوب إلى العقيدة الكاثوليكية، بينما إشعياء، نبي بني إسرائيل الذي يتحدث عنه ويستدل بنبوءاته، كان يعيش في القرن الثامن قبل ميلاد المسيح، وقبل ظهور العقيدة الكاثوليكية وكنيستها باثني عشر قرناً!

فحقيقة ما يفعله كرستوفر كولومبس، أنه يقرطس الملكين الكاثوليكيين، ولكي يدفعهما إلى تبني مشروعه اليهودي، وتحقيق نبوءات أنبياء بني إسرائيل عن أورشليم والهيكل، يغلفها في نشر المسيحية ومجيء المسيح.

وها هنا ينبغي أن تعلم أن عودة بني اسرائيل للأرض المقدسة واستعادتهم لأورشليم/القدس وإعادة الهيكل، شرطاً في المجي الثاني للمسيح، ليس عقيدة كاثوليكية، بل عقيدة بروتستانتية، ولم تترسخ وتصبح جزءًا من عقائد الغرب إلا بعد مارتن لوثر، وبعد ازدهار البروتستانتية، بتحول انجلترا إليها في القرن السابع عشر، بعد كولومبس بقرنين من الزمان، ولكنها فكرة أو عقيدة كان اليهود الأخفياء يسعون إلى بثها في كل مكان يحلون فيه من الغرب المسيحي، لأنها تحول المجتمعات المسيحية التي تنتشر فيها إلى محضن لليهود وغاياتهم، وتجعل إعادة اليهود إلى

---

١) إشعياء: ٦٦: ١٩.

2) The Book of Prophecies Edited by Christopher Columbus, P73

أورشليم/القدس وإعادة الهيكل تلقائياً جزءًا من الغايات العليا لهذه المجتمعات، وهو ما حدث فعلاً في البلاد التي تحولت إلى البروتستانتية، خصوصاً انجلترا وامتدادها في الولايات المتحدة الماسونية.

والفرق الجوهري بين العقيدة الكاثوليكية والعقيدة البروتستانتية في هذه المسألة، أن مجيء المسيح في الكاثوليكية في يوم الدينونة، بعد نهاية العالم، وهو ما يجعلها عقيدة أخروية لا شأن لها بالسياسة والمشروع اليهودي وغايات بني إسرائيل، أما في البروتستانتية، فمجيء المسيح قبل الدينونة، في الدنيا والعالم، ومجيئه يكون في أورشليم/القدس، والهيكل وبنو إسرائيل فيها، وهو ما يجعل المشروع اليهودي وغايات بني إسرائيل جزءًا من العقيدة البروتستانتية، ومشروعاً سياسياً تسعى لتحقيقه الدول التي تعتنقها والجيوش التي تتكون وتتحرك بها، بالإضافة إلى كونه الغاية الحقيقية للماسونية والحركات السرية التي ازدهرت في هذه الدول وصارت المحاضن التي يتكون فيها ساستها ونخبها.

فهاك كولومبس المفترض أنه كاثوليكي، يصرح هو نفسه في كتابه بغايته اليهودية الحقيقية، بعد أن موهها في العقيدة المسيحية، بل وينص على أنها دافعه الرئيسي لخوض المحيط والبحث عن طريق للوصول إلى الهند، وأنها الغاية التي يسخر من أجلها كل ما تعلمه من علوم وفنون:

"لقد أخبرت جلالتكما من قبل، أنه لا العقل ولا الحسابات ولا خرائط العالم هي التي دفعتني للابحار في المحيط، بل تحقيق نبوءة إشعياءThe Fulfillment Of Ishaia Prophecy، وهذا ما أود أن أكتب عنه هنا، لكي أرسخه في أذهان جلالتكما To Fix It، ولكي تتقبلا بسرور نبوءات الأنبياء وأقوال القديسين الأخرى التي سأخبركم بها عن أورشليم/القدس ... لقد منحني الإله القدرة على اكتساب العلوم والمهارات الضرورية لاستكشاف البحار، الفلك والتنجيم والجغرافيا وقراءة الخرائط، وألهمني أأنه يمكنني أن أبحر من هنا إلى الهند"[1].

فإليك نماذج أخرى من نبوءات أنبياء بني إسرائيل وأقوال القديسين التي يُعرِّف بها كولومبس في كتابه الملكين فرناندو وإيزابيلا، تتيقن بها من حقيقته، وأن غايته الحقيقية هي أورشليم اليهودية بهيكلها وبنو إسرائيل فيها، وعباراته عن المسيحية ليست سوى وسيلة لتمريرها في أذهان الملكين الكاثوليك.

1) The Book of Prophecies Edited by Christopher Columbus, P75.

وأطول ما أورده كولومبس في كتاب نبوءاته من أقوال، رسالة أرسلها الربي صمويل الإسرائيلي Samuel of Israel، حاخام مدينة فاس، إلى الربي إسحق Rabbi Isaac، كبير الأحبار في المغرب، والرسالة في أصلها بالعربية، وأوردها كولومبس بالإسبانية القشتالية، وفيها يُذكر الربي صمويل الربي إسحق بنبواءت الأنبياء عمن سيعيد أورشليم والهيكل، فهاك هي وستفهم وحدك لماذا وجهها كولومبس لفرناندو وإيزابيلا:

"سيدي وأستاذي، كما نعرف فيما بيننا ومن معارفنا الخاصة، نحن أبناء الأب يعقوب وبنو إسرائيل، وأكثر ما أخشاه، أن ما تنبأ به إشعياء بخصوصنا قد أوشك أن يتحقق: "١٥ فَيُمِيتُكَ السَّيِّدُ الرَّبُّ وَيُسَمِّي عَبِيدَهُ اسْمًا آخَرَ"[١]، ما أخشاه أن هؤلاء الذين يستبدلهم الرب بنا ويخدمونه هم الأمميون The Gentiles، كما قال موسى: "..."، وكذلك ما قاله إرميا عن الأمميين: "..." ، وما قاله سليمان في صلاته في سفر الملوك: "..."، فجعل الأمميين شركاء لنا Participants في معرفة الرب وفي بيته المقدس الذي أخرجنا منه، وموسى نفسه أخبرنا في سفر الشريعة عن هؤلاء الأمميين: "..."، وذكرهم داوود في المزمور الحادي والعشرين: "..."، ويقول عنهم إشعياء: "١٠ وَبَنُو الْغَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكِ، وَمُلُوكُهُمْ يَخْدِمُونَكِ. لأَنِّي بِغَضَبِي ضَرَبْتُكِ، وَبِرِضْوَانِي رَحِمْتُكِ. ١١وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُكِ دَائِمًا. نَهَارًا وَلَيْلاً لاَ تُغْلَقُ. لِيُؤْتَى إِلَيْكِ بِغِنَى الأُمَمِ، وَتُقَادَ مُلُوكُهُمْ. ١٢لأَنَّ الأُمَّةَ وَالْمَمْلَكَةَ الَّتِي لاَ تَخْدِمُكِ تَبِيدُ، وَخَرَابًا تُخْرَبُ الأُمَمُ"[٢]، فمن يكون يا سيدي هؤلاء الغرباء الذين يأتون إلى بيت الرب إن لم يكونوا الأمميين الذين كانوا يجهلون الرب ويعبدون الأوثان، وليس الشعوب فقط، بل وحكامهم أيضاً كما قال إشعياء في نبوءته سيأتون إلى البيت المقدس ... ويقول إرميا: "١٧فِي ذلِكَ الزَّمَانِ يُسَمُّونَ أورشليم كُرْسِيَّ الرَّبِّ، وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهَا كُلُّ الأُمَمِ، إِلَى اسْمِ الرَّبِّ، إِلَى أورشليم، وَلاَ يَذْهَبُونَ بَعْدُ وَرَاءَ عِنَادِ قَلْبِهِمِ الشِّرِّيرِ"[٣]، وحتى زكريا يخبرنا في الإصحاح الثالث أن الأمم كلها وجميع الأمميين سيأتون إلى البيت المقدس من كل مكان في الأرض ومن جزائر البحر، فيتكلمون باسم الرب ويخدمونه معناً كتفاً بكتف Shoulder To Shoulder ... والآن يا سيدي، أنت تعلم أكثر مني أن الرب عاقبنا، وبعثرنا لأكثر من ألف سنة في كل مكان من العالم، وأوقعنا في أسر

١) إشعياء: ٦٥: ١٥.

٢) إشعياء: ٦٠: ١٠-١٢.

٣) إرميا: ٣: ١٧.

الأمميين في كل ركن من أركانه الأربعة، وأن موت بني إسرائيل الذي أخبرنا به إشعياء ليس فقد الخبز، بل نبذ الإله لنا وجفاف أرواحنا Drought Of Our Souls، كما قال النبي عاموس في الإصحاح السادس: "..."، وقد سمى الرب هؤلاء الشعوب من الأمميين عبيده ومن يخدمونه His Servants، وقد تلقوا بالفعل ما وعد به الإله على لسان إشعياء ... هؤلاء الشعوب لم يكن عندهم أي شيء صالح قبل أن يؤمنوا بالإله ومسيحه His Christ، وقد جعلونا مثل الأسماك والمخلوقات التي لا قائد لها Creatures Without Ruler، التي تكلم عنها النبي حبقوق في الإصحاح الأول، وبعد أن استنارت هذه الشعوب بالإيمان، صار لها صيامها وأعيادها وطقوسها طبقاً للشريعة الجديدة/الإنجيل New Law، وفي الوقت نفسه ومن أجل طهارة أنفسهم يوقرون الشريعة القديمة/التوراة Old Law، ويتبعون كل ما جاء فيها، وأنت ترى يا سيدي الشعوب في كل ركن من الأرض، في الشرق والغرب، يذكرون اسم الرب ويعظمونه، ولكنهم لا يؤمنون به من خلال موسى وأنبياء بني إسرائيل كما كنا نحب، ومع ذلك فهم متضلعون Well versed من الشريعة وأسفار الأنبياء، فقد دعاهم الإله إليه بواسطة حواريِّ رجل صالح Disciples Of The Righteous One، كما نطق الرب من فم النبي حبقوق في الإصحاح الثالث: "..."، وهؤلاء الحواريون والرسل Apostles كانوا أبناءنا ومن بني إسرائيل، وأنا أرى أنهم هم الذين أخبر عنهم الرب من فم النبي داوود في المزمور التاسع عشر: "٤فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ. جَعَلَ لِلشَّمْسِ مَسْكَنًا فِيهَا"(١)"(٢).

وبعد ان قرأت رسالة الربي صمويل إلى الربي إسحق، أول ما يجب أن تنتبه إليه، أن هذه رسالة كُتبت في أصلها بالعربية، وهي مرسلة من حاخام فاس في المغرب إلى كبير الأحبار فيها، والسؤال الذي يجب أن تفكر في إجابته، هو كيف وبأي طريقة ولماذا وصلت هذه الرسالة من يهود المغرب إلى كرستوفر كولومبس الكاثوليكي الإيطالي الإسباني؟!

وثاني ما يجب أن تنتبه إليه من غرائب، أن هذه رسالة كتبها الربانيون في المغرب، وهي مسلمة وليس فيها مسيحيون إذ ذاك مطلقاً، ولكن موضوعها كله يدور حول الشعوب المسيحية في أوروبا، وموقعها من نبوءات أنبياء بني إسرائيل!!

١) مزامير: ١٩: ٤.

2)The Book of Prophecies Edited by Christopher Columbus, P125-133.

والإجابة على المسألتين معاً، في أن تدرك أن ثمة تواصلاً واتصالاً بين اليهود الذين نثرهم الله عز وجل وبعثرهم بين الأمم، وأنهم يشتركون في نشر الأفكار التي يقدح شرارتها الربانيون والأحبار في أي مكان، ويتعاضدون على إشاعتها بين الشعوب ونقلها وتحريكها من بلد لآخر، ويتعاونون، على تباعد المسافات واختلاف اللغات، من أجل تحويلها إلى خطط وخطوات وسياسات.

ونحسب أنك قد أدركت وحدك لماذا وضع كولومبس رسالة الربي صمويل إلى الربي إسحق في كتاب نبوءاته عن أورشليم والهيكل الذي يخاطب فيه ملكي أرجون وقشتالة.

فرسالة الربي صمويل وما أورده فيها من نبوءات أنبياء بني إسرائيل معناها أن الشعوب المسيحية هي الشعوب الأممية التي بشرت بها هذه النبوءات، وأخبرت أنها ستعرف الرب، وأنها هي التي ستعيد بني إسرائيل إلى أورشليم/القدس، وتعيد بناء الهيكل، وتخدم الرب فيه مع بني إسرائيل كتفاً بكتف، وكولومبس وضع رسالة الربي صمويل في كتابه وعرَّف فرناندو وإيزابيلا بها وبما فيها من نبوءات، ليدس في أذهانهما، أن إسبانيا في عهدهما هي الأمة المقصودة في هذه النبوءات، ويغرس في نفوسهما أنهما هما اللذان اختارهما الرب لخدمته وإنجاز هذه المهمة.

فرسالة الربي صمويل، ووضع كولومبس لها في كتابه، في حقيقته، ليس سوى خطة لاستيطان أذهان الشعوب المسيحية، وامتطائها وتحويلها إلى أداة لتحقيق غايات بني إسرائيل.

وها هنا ينبغي أن نذكرك، أن وصْل الشعوب المسيحية ببني إسرائيل، وتحويلها إلى امتداد لهم، وكذلك استعادة أورشليم/القدس وبناء هيكل اليهود باسم المسيحية، ليس عقيدة كاثوليكية ولا أرثوذكسية، فعهد الرب مع بني إسرائيل في العقيدة الكاثوليكية والأرثوذكسية انتهى بمجيء المسيح، والخلاص والدخول في مملكة الرب لم يعد من بابهم، بل انتقل إلى الكنيسة وصار من بابها.

وإعادة بني إسرائيل إلى أورشليم/القدس وبناء هيكلهم باسم المسيحية، عقيدة الحركات السرية التي تسعى لبثها في أذهان الشعوب المسيحية في كل العصور، وإذا عدت إلى كتابنا: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، ستعلم أنها كانت عقيدة منظمة فرسان الهيكل وغايتها الحقيقية.

وإليك فـي هـذا الموضـع عبـارة واحـدة مـن كتـاب عقيـدة الطقـس الاسـكتلندي القـديم وآدابـه Morals And Dogma Of The Ancient And Accepted Scottish Rite Of Freemasonry، لحبر الماسونية الأعظم في القرن التاسع عشر، اليهودي ألبرت بايك Albert Pike، توجز لك حقيقة فرسان الهيكل وغايتها واستراتيجيتها، وهـي نفسها غاية الماسونية وجميع الحركات السرية التـي خرجت منها وكانت امتداداً لها، وتعرفك باستراتيجيتها فـي إخفـاء أهدافها الحقيقية وتغليفها في أهداف ظاهرة، تذهل عموم الناس عن إدراك ما يريدونه وما يفعلونه:

"الهدف الظاهر لفرسان الهيكل كان حماية الحجاج المسيحيين القادمين للأماكن المقدسـة، ولكـن غرضـهم السري Their Secret Object، كـان إعادة بنـاء هيكل سليمان كمـا وصفه النبي حزقيال في نبوءته، وحين يُبنـى هيكل سليمان باسم الكاثوليكيـة سيصبح عاصمة الكون Metropolis Of The Universe"(١).

مارتن لوثر وكولمبس والروزيكروشيان:

ومرة أخـرى، استعادة أورشليم/القدس وبنـاء الهيكـل باسم المسيحية، لـم يصـبح عقيدة عامـة للشعوب الأوروبية وامتدادها في العالم الجديد، إلا بعد ازدهار البروتستانتية، وخروجها علـى تفسير الكنيسـة الكاثوليكيـة التـأويلي للكتـاب المقدس، ودعوتهـا للتفسـير الحرفـي لـه، لأن هـذا التفسـير الحرفي للعهد القديم، كما رأيت في كتاب كولومبس، يعنـي تلقائياً الإطاحـة بالكنيسـة، وإحـلال بنـي إسرائيل في تكوين الغرب محلها، ووصْل الشعوب المسيحية بهم، وتحويلها إلـى امتداد لهم، واتحـاد غاياتها بغاياتهم.

ومارتن لوثر Martin Luther، مؤسس المذهب البروتستانتي، كان معاصراً لكولومبس، فقد ولـد كـولمبس سـنة ١٤٤٦م، ومـات سـنة ١٥٠٦م، بينمـا وُلـد لـوثر سـنة ١٤٨٣م، ومـات سـنة ١٥٤٦م.

وما نريد أن نعرفك به هنا، ليس ما قد يتبادر إلـى ذهنك من أن أحدهما تأثر بـالآخر وأخـذ منه، بل أن أفكارهما هما الاثنان معاً أتت من نبع واحد، فالزمان الذي ظهر فيه كولومبس ولـوثر

---

1) **Albert Pike: Morals and Dogma of the Ancient and Accepted Scottish Rite of Freemasonry , P816, prepared for the Supreme Council of the Thirty Third Degree for the Southern Jurisdiction of the United States, Charleston, 1871.**

هو نفسه الزمان الذي نشأت فيه وازدهرت حركة الروزيكروشيان Rosicrucian، في إيطاليا من حيث جاء كولومبس، وفي ألمانيا، حيث ظهر لوثر ودعوته، وعقيدتهما هي نفسها أفكارها.

وحركة الروزيكروشيان هي إحدى الحركات التي انحدرت من فرسان الهيكل، ولكنها أشد انغلاقاً وسرية من الماسونية.

وفي وثيقة إشهار الحركة Fama Fraternitatis Roseae Crucis Oder Die Bruderschaft des Ordens der Rosenkreuzer، التي ظهرت لأول مرة في ألمانيا سنة ١٦١٤م، أنها تكونت قبل هذا الإشهار بأكثر من قرن من الزمان، وأنها في بدايتها والأجيال الأولى منها، لم تكن سوى أفكار تعمل الحركة على اجتذاب الأنصار وتجنيد الأعضاء لبثها في المجتمعات وتغيير وعي عموم الناس بها، ممزوجة بممارسة الطب وتقديم العلاجات وتطوير العلوم، دون وجود هيكل تنظيمي ولا درجات ولا مراتب، ولا حتى مقرات أو مراكز للاجتماع[1].

ومن أشهر أعلام حركة الصليب الوردي في أجيالها الأولى غير التنظيمية، الرسام والمثال الإيطالي ليوناردو دافنشي Leonardo Da Vinci (١٤٥٢م-١٥١٩م)، والطبيب والجراح توماس ليناكري Thomas Linacre (١٤٦٠م-١٥٢٤م) ، وهو مؤسس كلية الجراحين الملكية في إنجلترا، والطبيب والصيدلي والمنجم الألماني ثيوفراستوس بومباستوس فون هوهنهايم Theophrastus Bombastus von Hohenheim الشهير باسمه الرمزي: باراسيلسوس Paracelsus (١٤٩٣م-١٥٤١م)، وهو أول من ينسب إليه الكلام عن السموم وتصنيف العقاقير في الغرب، والفلكي والمنجم الفرنسي الشهير نوستراداموس Nostradamus (١٥٠٣م-١٥٦٦م)، والمنجم والفلكي والقبالي الإيطالي جيوردانو برونو Giordano Bruno (١٥٤٨م-١٦٠٠م)، وهو أول من تبنى نموذج الكون المفتوح في الغرب، والفلكي والخيميائي الدانمركي تيخو براهي Tycho Brahe (١٥٤٦م-١٦٠١م)، والمنجم والفلكي والخيميائي يوهانس كبلر Johannes Kepler (١٥٧٠م-١٦٣٠م)، أحد آباء الكون الشمسي.

وثمة أدلة وقرائن عديدة على صلة أفكار مارتن لوثر بحركة الروزيكروشيان، ليس هنا موضعها، ولكن إليك أكثر هذه القرائن طرافة وأشدها إثارة.

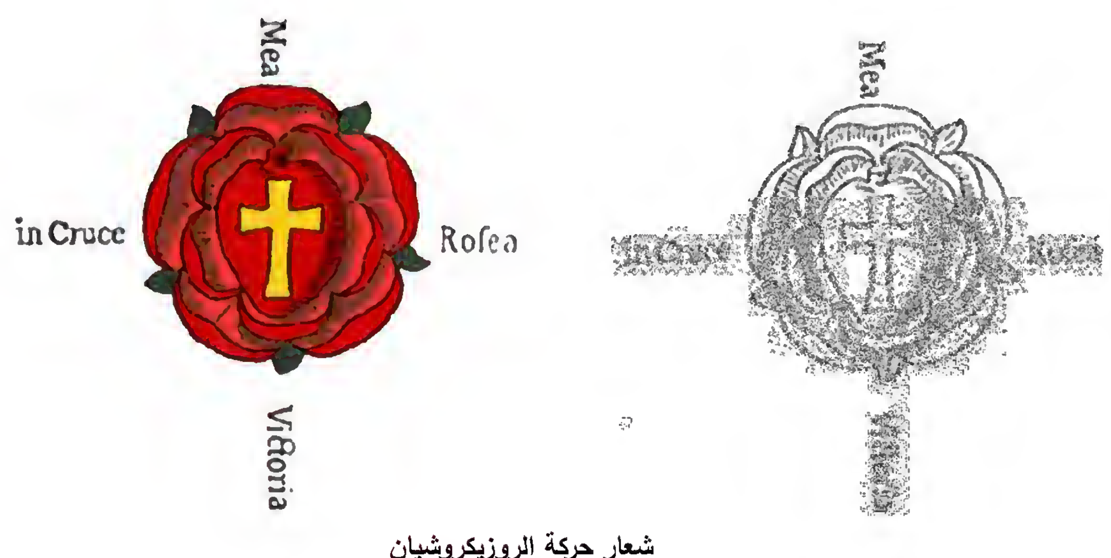
---

1) Eugenius Philalethes :Fama Fraternitatis or A Discovery of The Fraternity of The Most Laudable Order of The Rosy Cross, With A Preface P14-15, Printed By: F. M. for: Giles Calvert, At The Black Spread Eagle, At The West End of Pauls, London,1653.

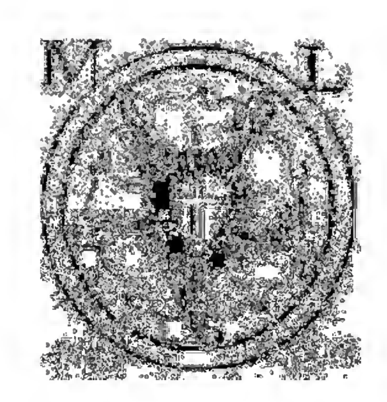
اسم حركة الروزيكروشيان معناه الصليب الوردي أو الصليب والوردة Rose And Cross، وهو نفسه رمز الحركة وشعارها، والرمز الأصلي القديم للحركة عند إشهارها كان يُرسم في صورة صليب أبيض يحوي في وسطه، في موضع التقاء يديه وجسمه، وردة حمراء ، أو في صورة وردة حمراء في وسطها صليب أبيض داخل قلب.

وهذا الشكل الأخير هو نفسه شعار مارتن لوثر ورمزه، فشعار لوثر هو الصليب والوردة، وهو في صورة وردة بيضاء تحيط وريقاتها بصليب في وسطها داخل قلب أحمر، وشعار لوثر ما زال محفوظاً منقوشاً على زجاج إحدى نوافذ كنيسة كوبشتاد Cobstadt، في تورنجن Thuringen، في ألمانيا.

فإليك شعار حركة الروزيكروشيان وشعار مارتن لوثر على زجاج كنيسة كوبشتاد، لتقارن بينهما وتتيقن.



شعار حركة الروزيكروشيان





شعار مارتن لوثر على زجاج كنيسة كويشتاد

اليهودي كرستوفر كولومبس ومشروع المارانو:

وبعد أن علمت غاية كولومبس الحقيقية التي دفعته لخوض المحيط، وتوظيف علومه ومهاراته من أجل استكشافه، والبحث عن طريق يصل به إلى الهند، إليك من أين استلهم رحلته البحرية، ومن أين جاءته فكرة أن يكون استكشاف البحار هو وسيلة التجارة وجمع الذهب اللازم لاستعادة أورشليم/القدس وبناء الهيكل.

بين نبوءات أنبياء بني إسرائيل العديدة عن عودة بني إسرائيل إلى أورشليم وبناء الهيكل، التي ملأ بها كولومبس كتاب نبوءاته، عبارة من سفر الملوك الأول عن الأسطول الذي بناه سليمان وأرسله للبحث عن الذهب والخشب والأحجار التي بنى بها الهيكل، فهاك هي[1]:

"٢٦وَعَمِلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ سُفُنًا فِي عِصْيُونَ جَابَرَ الَّتِي بِجَانِبِ أَيْلَةَ عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ سُوفٍ فِي أَرْضِ أَدُومَ، ٢٧فَأَرْسَلَ حِيرَامُ فِي السُّفُنِ عَبِيدَهُ النَّوَاتِيَّ الْعَارِفِينَ بِالْبَحْرِ مَعَ عَبِيدِ سُلَيْمَانَ، ٢٨فَأَتَوْا إِلَى أُوفِيرَ، وَأَخَذُوا مِنْ هُنَاكَ ذَهَبًا أَرْبَعَ مِئَةِ وَزْنَةٍ وَعِشْرِينَ وَزْنَةً، وَأَتَوْا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ ... ١١وَكَذَا سُفُنُ حِيرَامَ الَّتِي حَمَلَتْ ذَهَبًا مِنْ أُوفِيرَ، أَتَتْ مِنْ أُوفِيرَ بِخَشَبِ الصَّنْدَلِ كَثِيرًا جِدًّا وَبِحِجَارَةٍ كَرِيمَةٍ ... كَانَ لِلْمَلِكِ فِي الْبَحْرِ سُفُنُ تَرْشِيشَ مَعَ سُفُنِ حِيرَامَ. فَكَانَتْ سُفُنُ تَرْشِيشَ تَأْتِي مَرَّةً فِي كُلِّ ثَلاَثِ سَنَوَاتٍ. أَتَتْ سُفُنُ تَرْشِيشَ حَامِلَةً ذَهَبًا وَفِضَّةً وَعَاجًا وَقُرُودًا وَطَوَاوِيسَ"[٢].

---

1) The Book of Prophecies Edited by Christopher Columbus, P331

٢) الملوك الأول: ٩: ٢٦، ١٠: ١١، ٢٣.

فرحلة كولومبس الاستكشافية في المحيط، ومحاولته الوصول إلى جزر الهند، من أجل التجارة وجمع الذهب، لم تكن سوى محاكاة لرحلة سليمان التي أرسل بها تابعه حيرام على رأس الأسطول الذي بناه في ميناء عصيون جابر على شاطئ البحر الأحمر، ومن أجل الهدف نفسه.

وما يؤكد لك ذلك، ويجعلك على يقين منه، الرسالة التي كتبها، يوم ٩ أغسطس ١٤٩٥م، بيتر مارتير Peter Martyr، أحد أصدقاء كولومبس ومرافقيه في رحلاته، وأرسلها من جزيرة إسبانيولا قرب كوبا في الشاطيء الآخر من الأطلنطي، إلى كاردينال إسبانيا المبجل برناردينوس كارفاخال Bernardinus Cavajal، وقد أورد نصها الإسباني كاملاً مع ترجمتها الإنجليزية، المؤرخ الأمريكي جون بويد ثاتشر John Boyd Thacher، في المجلد الأول من كتابه: حياة كولومبس وأعماله وآثاره Christopher Columbus, His Life, His Works, His Remains.

وفي رسالته، يقول مارتير لكاردينال إسبانيا عن كولومبس:

"الأدميرال كولومبس نفسه، بطل هذا الكشف الكبير، قد ترك الآن إسبانيولا، التي يعتقد أنها ربما تكون هي نفسها أوفير سليمان المليئة بالذهب The Gold Producing Ophir of Solomon ... وهو يؤكد أن هذه الأرض تقع في الهند بلاد نهر الجانج، ويستند في ذلك على ما قاله أرسطو في كتابه: السماء والأرض On Heaven And Earth، من أن سواحل إسبانيا ليست بعيدة جداً عن الهند"(١).

وبقي من كتاب نبوءات كرستوفر كولومبس، أنَّا أخبرناك، أنه يريد بما حشاه فيه من نبوءات أنبياء بني إسرائيل، أن يغرس في أذهان ملكي أرجون وقشتالة، فرناندو وإيزابيلا، اللذين يخاطبهما في الكتاب، أن إسبانيا هي الأمة المقصودة في هذه النبوءات، وأنهما هما اللذان اختارهما الرب لخدمته وتحقيق نبوءات أنبيائه، ولكن الدكتورة كارول ديلاني، بعد دراستها لرسائل كولومبس وكتاب نبوءاته، ترى، ونحن نوافقها، أن:

"كولومبس كان يرى أنه هو نفسه المقصود بنبوءات إشعياء، والقديس يوحنا في سفر الرؤيا، وفي رسالته التي أرسلها في أكتوبر سنة ١٥٠٠م، إلى دونا خوانا دي توريز Juana

---

1) John Boyd Thache: Christopher Columbus, His Life, His Works, His Remains, As Revealed by Original Printed and Manuscript Records, Vol. I, P75-76, G.P. Putnam's Sons,New York & London, 1903.

de Torres، أشار إلى نبوءات إشعياء ويوحنا عن السموات والأرض الجديدة، ثم قال: "لقد جعلني الرب رسوله Our Lord Made Me The Messenger ، كما قال يوحنا، وأراني إلى أين أذهب وأين أهبط"(١).

فكرستوفر كولومبس كان يعتقد، كما تقول ديلاني، أنه هو نفسه المسيا/الهامشيحاه Messia، المذكور في نبوءات الأنبياء أنه سوف يُعيد بني إسرائيل إلى أورشليم/القدس، وأنه الذي سيعيد بناء الهيكل بالذهب الذي وجده كما بناه سليمان بالذهب الذي جلبه من أوفير.

والآن إليك تفسير لماذا كانت هذه هي عقيدة كرستوفر كولومبس، ولماذ كانت إعادة بني إسرائيل إلى أورشليم/القدس وبناء الهيكل غايته الحقيقية من رحلته الاستكشافية في المحيط، ومن البحث عن طريق للوصول إلى الهند، ومن التجارة وجمع الذهب، ولماذا لم تكن هذه الرحلة نفسها سوى محاكاة لبعثة سليمان للبحث عن الذهب والمواد اللازمة لبناء الهيكل.

في سيرة كولومبس التقليدية التي دونها من أرخوا له أنه كاثوليكي إيطالي من جنوة، وفي الجزء الرابع والأخير من كتابه: تاريخ حياة كرستوفر كولومبس ورحلاته A History of The Life And Voyages of Christopher Columbus، الصادر سنة ١٨٢٨م، خصص المؤرخ الأمريكي واشنطن إرفنج Washington Irving، أشهر من أرخوا لسيرة كولومبس وأعماله، خصص باباً عن: نسب كولومبس Lineage of Colombus.

ويقول إرفنج في بداية الباب، إنه:

"ثمة خلاف كبير وتضارب بخصوص نسب كولومبس، وتوجد عدة عائلات كبيرة في مناطق مختلفة من جنوة تدعي أن كولومبس من أبنائها، لكي تحوز شرف صلتها به وانتمائه إليها، بينما يلقي ابن الأدميرال، فرناندو كولومبس، عظمة غامضة وغيوماً حول أصول أبيه Vague And Cloudy Magnificence About The Origin Of His Father، ويقول في سيرته لكولومبس: "إن التأريخ للأدميرال بدءًا بيوم مجده أفضل من البحث عن هل

---

1) Columbus and the Quest for Jerusalem, How Religion Drove the Voyages that Led to America, P184.

كان أبوه تاجراً أم مربياً للصقور"، ومن ثَم يترك فرناندو مسألة أصول أبيه ونسبه معتمة Obsecure"[1].

وعبارة فرناندو كولومبس الإنشائية عن أبيه، تعني في حقيقتها طمس أصوله وإخفاء نسبه، فهل تذكرك هذه العبارة بعبارات أخرى شبيهة لها في وصف رجال عديدين مررت بهم وأنت تقرأ الكتاب الذي بين يديك، وكشفنا لك حقيقة أصولهم[•]؟!

وما وصل إليه واشنطن إرفنج بعد دراسته لمزاعم أسر جنوة النبيلة عن انتماء كرستوفر كولومبس إليها، وتفنيده لها، هو أنه:

"والأكثر احتمالاً، هو أن كولومبس ينحدر من أسرة متواضعة Humble، من المواطنين الكادحين Industrious Citizens، كانت تعيش في جنوة منذ زمن جياكومو كولومبو Giacomo Colombo، نادف الصوف Wool Carder، سنة ١٣١١م، الذي ذكره سبورتونو Spotorno"[٢].

ومن ثَم يذهب إرفنج إلى أن أصول كرستوفر كولومبس وأسرته المتواضعة، هي السبب في تعمد ابنه فرناندو طمس نسب أبيه والتعتيم على هوية أسرته وأسماء آبائه وأجداده، دون أن يرد على ذهنه أن ثمة تفسيراً آخر لهذا الطمس وهذا التعتيم المتعمد.

وما يعينك على أن تدرك هوية كرستوفر كولومبس الحقيقية، ولماذا كان يرى في نفسه الهامشيحاه مخلص بني إسرائيل، أن تعلم أنه في سنة ١٣٩٣م، وبعد مصادمات بين اليهود والمسيحيين، أصدر مارتن الثاني Martin II، ملك أرجون وفالنسيا وكورسيكا وصقلية، مرسوماً بإقامة اليهود في أماكن مغلقة عليهم، جيتوهات، وأن يضعوا شارة تميزهم على ملابسهم، وفي ٥ فبراير سنة ١٤٢٨م أصدر الملك ألفونسو الخامس Alfonso V، مرسوماً بإجبار اليهود على الاشتراك في الاحتفال بالأعياد المسيحية وحضور جلسات لهدايتهم وتحويلهم إلى المسيحية Conversionist Sermons، وقد أوقف العمل به بعد وفاة ألفونسو الخامس.

وفي ٣١ مارس سنة ١٤٩٢م، وبعد سقوط آخر دول الطوائف العربية في الأندلس:

---

1) Washington Irving: A History of the Life and Voyages of Christopher Columbus, Vol. IV, P118, John Murray, Albemarle Street, London, MDCCCXXVIII/1828.

•) كتاب: بلاليص ستان.

2) A History of the Life and Voyages of Christopher Columbus, Vol. IV, P122.

"أصدر فردناندو وإيزابيلا Ferdinando & Isabella، ملكا أرجون وقشتالة، مرسوم الهمبرا The Alhambra Decree، الذي ينص على طرد كل من يبقى على يهوديته من مملكتي أرجون وقشتالة وجميع المناطق الواقعة تحت سيطرتهما"[١].

وتم تخيير اليهود في المملكتين بين الخروج منها أو التحول إلى المسيحية، واختار أغلب اليهود الخروج من إسبانيا، واتجه أغلبهم إلى فرنسا وإيطاليا شمالاً وإلى المغرب جنوباً.

وبضع مئات من الأسر اليهودية اختارت البقاء والتحول إلى المسيحية، وغيرت أسماءها إلى أسماء مسيحية، وكان تحولهم إلى المسيحية ظاهرياً، وكان كثير من أسر اليهود قد تحول بالفعل إلى المسيحية خلال القرن السابق، من بعد مرسوم الملك مارتن الثاني.

وتكونت من هؤلاء اليهود المتحولين إلى المسيحية ظاهراً، طائفة يهود المارانو، وهم إحدى أكبر التجمعات في ظاهرة اليهود الأخفياء، ويناظرون في موقعهم من الغرب وآثارهم في الشعوب المسيحية، يهود الدونمة في تركيا وآثارهم في البلاد الإسلامية.

واليهود الأخفياء Cypto Jews، هم اليهود الذين يعيشون بين الشعوب فيعتنقون دياناتها ظاهراً ويمارسون طقوسها وشعائرها، دون أن يؤمنوا بها، بينما عقيدتهم الحقيقية أنهم من نسل بني إسرائيل، وأن دماءهم المقدسة تجري في عروقهم، وأن مهمتهم في أي مكان نزلوا فيه من العالم توجيهه في الاتجاه الذي يفضي يوماً ما إلى إعادة دولة بني إسرائيل واستعادة الهيكل، من خلال السيطرة الناعمة على مقاليد الشعوب، بزعزعة العقيدة الإلهية وإزاحتها بالعقيدة القومية، والتسلل إلى الجيوش، وإشاعة الربا، وامتلاك أعصاب الأمم المالية والاقتصادية، واستيطان وعيها وإذابة معاييرها وموازينها عبر وسائل الإعلام ووسائط اللهو والترفيه.

وبعد سبعة عشر يوماً من صدور مرسوم الهمبرا وطرد اليهود من إسبانيا، في يوم ١٧ أبريل ١٤٩٢م، عقد فرناندو وإيزابيلا اتفاقية سانتا في Santa Fe مع كولومبس، والتي بدأ رحلته في المحيط بحثاً عن طريق للوصول إلى الهند بمقتضاها!

---

1) Joseph Jacobs, Schulim Ochser: Sicily, The Jewish Encyclopedia, Vol. IX, P325, Funk And Wagnalls Company, New York And London, Printed in USA, 1905.

ومن الطريف أن كولومبس نفسه ربط بين الأمرين، وكأنه يجعل أحدهما رداً على الآخر، ففي مقدمة يوميات رحلته الأولى التي يخاطب فيها فرناندو وإيزابيلا، وهو يستعرض مراحل مشروعه وضع هذه العبارة:

"وبعد أن قمتم جلالتكما بطرد جميع اليهود من مملكتكما، وفي الشهر نفسه، شهر يناير January، أصدرتم لي أمراً بالإبحار على رأس أسطول كافٍ لاستكشاف الطريق إلى الهند"[1].

ولعلك تكون قد تنبهت وأنت تقرأ أن كولومبس ينص في يومياته على أن اتفاقيته مع فرناندو وإيزابيلا لاستكشاف المحيط الأطلنطي، كانت في شهر يناير، بينما هي في الحقيقة كانت في شهر أبريل، وفي ذلك سر سنعرفك به بعد قليل، وهو من القرائن الدالة على هويته.

وعن حقيقة مشروع كولومبس لاستكشاف المحيط، يقول أستاذ الاقتصاد وتاريخه في جامعة برلين، فيرنر سومبارت Werner Sombart، وهو من المعادين لليهود، في كتابه: اليهود والرأسمالية الحديثة The Jews and Modern Capitalism، الصادر لأول مرة بالألمانية سنة ١٩١١م، إن:

"اكتشاف أمريكا يرتبط باليهود بصورة غير عادية In An Extraordinary Fashion ... وكولومبس ومن معه كانوا مجرد منفذين لمشروع إسرائيلي ... فقد تمكن اليهودي أبراهام زاكوتو Abraham Zacuto، أستاذ الرياضيات والفلك في جامعة سلمنكا Salamanca، سنة ١٤٧٣م، من إتمام خرائطه وجداوله الفلكية AlmanacK Ptrpttuum، وقد ترجم هذه الجداول إلى اللاتينية والإسبانية يهودي آخر، هو خوسيه فِكيوهو Jose Vecuho، وكان طبيباً ومنجماً في بلاط ملوك البرتغال، وهذه الجداول هي التي اعتمد عليها كولومبس في رحلته، وتمويل رحلة كولومبس الأولى جاء من اليهود، فقد قام بتجهيز سفن الأسطول الذي أبحر به بتمويل منحه إياه لويس دي سانتانجيل Luis de Santángel، عضو مجلس المملكة والمشرف على الخزانة الملكية"[2].

1) The Journal of Christopher Columbus During First Voyage, 1492-1493, P16-17.
2) Werner Sombart:The Jews and Modern Capitalism, P30-31, Translated From German By: M. Epstein, E. P. Dutton & Company, New York, 1913.

وسومبارت المعادي لليهود، وصف مشروع كولومبس بأنه مشروع يهودي، أما مؤرخ اليهود اليهودي سيسيل روث، فقد كان وصفه أدق، وبتفاصيل أكثر، فمشروع كولومبس هو في حقيقته مشروع يهود المارانو.

يقول المؤرخ اليهودي سيسيل روث Cecil Roth، في الفصل الذي خصصه لدور اليهود في تكوين المستعمرات في العالم الجديد، من كتابه: تاريخ المارانو A History of The Marranos:

"حملة كولومبس سنة ١٤٩٢م لاستكشاف المحيط، كانت في حقيقتها مشروعاً يهودياً، أو بالأحرى مشروع المارانو A Marrano Enterprise، وهو ما يجعلنا نعتقد أن كولومبس نفسه كان من أسرة يهودية تحولت إلى المسيحية ... أما عن شركائه في المشروع فهم من اليهود يقيناً، فلويس دي سانتانجيل الذي منحه القرض الذي بدأ به رحلته الأولى يهودي، وهو حفيد الربي نوح شينيلو Noah Chinillo، ودي سانتانجيل هو أول من استمع لأحلام كولومبس بجدية، ولولا توسطه لكولومبس عند الملكة ما كانت لتهتم بكولومبس ومشروعه، وأيضاً جابرييل سانشيز Gabriel Sanchez، المسؤول عن جمع الضرائب وتنظيم المالية في مملكة أرجون وأحد رعاة كولومبس ومشروعه، كان يهودي الدم من جهة أبويه معاً، فأبوه وأمه ابنا عم من أسرة ألعازر أوساف Alazar Ussuf، من سراجوسا Saragossa ، وهي أسرة يهودية تحولت إلى المسيحية، ودي سنانتاجيل وسانشيز هما اللذان كتب لهما كولومبس أول رسالة بعد أن وصل إلى الجهة الأخرى من الأطلنطي يخبرهما باكتشافه، وبين رعاة كولومبس أيضاً ألفونسو دي لا كباليرياAlfonso De La Caballeria، وهو من أسرة مارانو شهيرة ... والعديد من أعضاء حملة كولومبس الاستكشافية كانوا أيضاً من اليهود، ومنهم ألفونسو دي لا كالي Alonso De La Calle، ورودريجو سانشيز Rodrigo Sanches، ومستري برنال Mestre Bernal، طبيب سفينة كولومبس، والجراح ماركو Surjano Marco، ولويس دي توريز Luis De Torres، مترجم البعثة، وهو يهودي يقيناً، وتعمَّد في المسيحية قبل بدء الرحلة مباشرة، وهو أول أوروبي تطأ أقدامه الأرض الجديدة"[1].

1) **Cecil Roth: A history of the Marranos, P272, Schocken Books, New York , 1975.**

وإذا كان المؤرخ اليهودي سيسل روث يرجح من سيرة كولومبس ومشروعه ومن كانوا يحيطون بـه أنـه يهـودي، فإليك البروفسـور فيرنـر سـومبارت الأكـاديمي يثبـت لـك أنـه يهـودي، وبالأدلـة والبراهين:

"... وكولومبس نفسه يهودي، وهي معلومة لم أكن متأكداً من صحتها، ولكن في لقاء للجمعية الجغرافية الملكية في مدريد، قدم العلامة الشهير سيلسو جراشيا دي لا ريجا Celso Garcia de La Riega، دراسة عن كولومبس، قال فيها إن اسم كرستوفر كولومبس الصحيح هو كرستوبل كولون Christobal Colon، وقال إنه إسباني ويهودي من جهة أمه، وأظهر وثائق من بلدة بونتفيدرا Pontevedra، في إقليم جاليشيا Galicia، تثبت أن: "أسرة كولون كانت تعيش هناك بين سنة ١٤٢٨م وسنة ١٥٢٨م، وكان بينها وبين أسرة فونتيروزا Fonterosa مصاهرات عديدة، وأسرة فونتيروزا يهودية على سبيل القطع وتحولت إلى المسيحية، وأم كرستوبل كولون هي سوزانا فونتيروزا Suzanna Fonterosa، وبعد أن اضطربت الأحوال في إقليم جاليشيا هاجر والدا مكتشف أمريكا من إسبانيا إلى إيطاليا، وهذا هو السبب في أن كولومبس كان يجيد الإسبانية ولا يعرف الإيطالية"، وما يجعلني أميل إلى صحة نتائج دون سيلسو أن كتابات كولومبس تحوي كثيراً من التعبيرات اليهودية والعبارات المكتوبة بالعبرية"(١).

وما وصل إليه البروفسور دون سيلسو، من أن كولومبس وأسرته كلها من اليهود المتحولين للمسيحية ظاهراً، يؤكده الباحث اليهودي دافيد صرفاتي David Sarfaty، في كتابه: إعادة اكتشاف كولومبس Columbus Re-Discovered، فيقول إن:

"كولومبس كان مزدوج الهوية، يهودياً مسيحياً Jewish Christian"(٢).

وجُل أدلة صرفاتي على أن كولومبس يهودي، قد مرت بك من قبل فيما عرَّفناك به من أفكار كولومبس وغاياته التي احتوتها يومياته ورسائله وكتاب نبوءاته، غير أن صرفاتي انفرد بدليل طريف على يهودية كولومبس، نقله عن كتاب: لغز كرستوفر كولومبس El Enigma De

---

1) The Jews and Modern Capitalism, P31-32.
2) David Sarfaty: Columbus Re-Discovered, P173, Dorrance Publishing, Pennsylvania, United States, Sep 30, 2010.

Cristobal Colón، وهوكتاب صدر بالإسبانية سنة ١٩٦٤م، للباحث الإسباني ريناتو للاناس دي نيوبو Renato Llanas De Niubó، وهو أيضاً يهودي.

فهاك دليل اليهوديَيْن دي نيوبو وصرفاتي.

علمتَ أن كرستوفر كولومبس سجل في بداية يومياته التي كتبها بنفسه، أن رحلته الأولى لاستكشاف المحيط بدأت بعد مرسوم طرد اليهود من إسبانيا، بتوقيعه اتفاقية سانتا في مع ملكي أرجون وقشتالة، وكان ذلك في الشهر نفسه، وأن هذا الشهر كان شهر يناير.

ويحدد ريناتو دي نيوبو تواريخ هذه الأحداث بدقة من المصادر الإسبانية، فيقول إن مرسوم طرد اليهود صدر في يوم ٣١ مارس ١٤٩٢م، واتفاقية سانتا في Santa Fe، بين فرناندو وإيزابيلا وبين كولومبس، التي وافقا فيها على تمويل رحلته وتنصيبه أدميرالاً على الأسطول ونائباً عنهما فيما يكتشفه من أراض، تم توقيعها يوم ١٧ أبريل ١٤٩٢م، طبقاً للتقويم الكاثوليكي.

ويتساءل دي نيوبو:

" كيف وقع كولومبس في هذا الخلط، فسجل أحداثاً وقعت في شهر مارس وشهر أبريل على أنها في شهر يناير، ويقول إن الحدثين في الشهر نفسه بينما هما حدثا في شهرين مختلفين؟!"(١).

وكان تفسير دي نيوبو، أن الأدميرال كولومبس لم يخلط في الحقيقة بين التواريخ، فالشهر الذي بدأ فيه كولومبس رحلته كان الشهر الأول من السنة العبرية، وكولومبس سجل الأحداث طبقاً لتقويم الربانيين القمري اليهودي، وليس التقويم الشمسي المسيحي!!

يقول دي نيوبو إن:

"الشهر الأول في السنة العبرية حسب تعاليم الربانيين هو شهر نيسان Nissan، واليوم الأول منه، مثل بقية شهور السنة العبرية، يختلف بحسب القمر، وبمراجعة الحسابات والتقويمين، فإن أول يوم في شهر نيسان في السنة التي بدأ فيها كولومبس رحلته، كان يقع بين ٢٦ مارس و٢٧ أبريل من السنة المسيحية، وهكذا فإنه طبقاً للتقويم العبري يكون مرسوم طرد اليهود ورحلة كولومبس قد حدثا في شهر واحد، هو الشهر الأول من السنة التوراتية"(٢).

---

1) Columbus Re-Discovered, P166.
2) Columbus Re-Discovered, P167.

ويضيف دي نيوبو توضيحاً، وهو أن:

"التقويم العبري تم إصلاحه وتعديله سنة ٣٣٨م، وكان الذي أصلحه الربي صمويل، وبعد هذا الإصلاح صارت السنة العبرية المدنية Civil Year، تبدأ في شهر تشري Tishrei، وهو الشهر السابع في سنة الربانيين التوراتية، وكولومبس كتب يومياته طبقاً لتقويم الربانيين التوراتي Biblical Calender"(١).

ويقول دي نيوبو إن تقويم الربانيين التوراتي كان شائعاً في زمن كولومبس، والربي أبراهام زاكوتو استخدمه في جداوله الفلكية AlmanacK Ptrpttuum، وهي الجداول التي اعتمد عليها كولومبس في رحلته الاستكشافية.

فإذا تساءلت: ولكن كولومبس سجل في يومياته اسم شهر يناير، الشهر الأول في السنة المسيحية، وليس اسم شهر نيسان، الشهر الأول في السنة اليهودية التلمودية.

والإجابة على سؤالك، هي أن كولومبس كان يستخدم في تسجيل أحداث رحلته ويومياته الشهور العبرية مع تمويهها في الشهور المسيحية، فيضع مكان اسم الشهر العبري الذي يستخدمه فعلاً اسم الشهر الذي يناظره في الترتيب من السنة المسيحية، فتقويم كولومبس كان مثله، تقويماً يهودياً مسيحياً!

وبقي من كولومبس ورحلته في المحيط الأطلنطي بحثاً عن طريق إلى الهند، للتجارة وجمع الذهب اللازم لاستعادة أورشليم/القدس وبناء الهيكل، أنه أبحر من ميناء بالوس دي لا فرونتيرا على رأس أسطول يتكون من ثلاث سفن، سفينته وسفينة القيادة سانتا ماريا Santa Maria، والسفينة بِنتا Pinta، والسفينة نينا Nina، وصواريها يرفرف عليها صليب فرسان الهيكل الأحمر المربع متساوي الأطراف.

فإليك نموذجاً مجسماً لسفينة القيادة وسفينة كولومبس، سانتا ماريا، ويملأ أشرعتها صليب فرسان الهيكل الأحمر، والنموذج محفوظ في قلعة سان كرستوبل Castillo San Cristóbal، في سان خوان San Juan، عاصمة جزيرة بورتوريكو Puerto Rico، وهي إحدى الجزر التي رسا عليها كولومبس.

---

1) Columbus Re-Discovered, P167.



نموذج لسفينة القيادة وسفينة كولومبس، سانتا ماريا، ويملأ أشرعتها صليب فرسان الهيكل الأحمر.

البرتغال ومنظمة فرسان المسيح

الهدف أورشليم

الأمير هنري الملاح ومنظمة فرسان المسيح في إفريقيا

وإذا كان البحث عن طريق إلى الهند بالإبحار في المحيط الأطلنطي غرباً، مشروع يهود المارانو، فالبحث عن هذا الطريق إلى الهند بالإبحار جنوباً والدوران حول قارة إفريقيا، هو مشروع منظمة فرسان المسيح، وريثة منظمة فرسان الهيكل وامتدادها في البرتغال، وكما كانت إسبانيا غلافاً لمشروع اليهودي كولومبس والمارانو، لم تكن مملكة البرتغال سوى غلاف لمنظمة فرسان المسيح ومشروعها.

وغاية منظمة فرسان المسيح ورجالها من الإبحار في الأطلنطي جنوباً، هي تجاوز عالم الإسلام وبحاره التي صارت مغلقة ولا يمكن المرور من خلالها، والوصول إلى الهند والجزر الشرقية من أجل التجارة وكنز الثروات، ولتكون هذه الثروات أداة تكوين القوى البحرية والجيوش اللازمة للمرابطة على تخوم عالم الإسلام، وللعمل على التسلل إلى مياهه وأراضيه، وتكرار محاولات اختراقه والوصول إلى قلبه، لاستعادة أورشليم/القدس وبناء هيكل اليهود باسم المسيحية، وما بعد ذلك ليس سوى الزمان اللازم لتحقيق الغاية وتكرار المحاولات.

واستعادة أورشليم/القدس وبناء الهيكل في غلاف المسيحية، هي نفسها، كما رأيت، غاية كرستوفر كولومبس ويهود المارانو من الإبحار في الأطلنطي غرباً، وهي أيضاً غاية منظمة فرسان الهيكل، كما أشرنا لك من قبل، وكما فصلنا لك في كتابنا: اليهود والحركات السرية في لحروب الصليبية[١].

فرسان الهيكل وفرسان المسيح:

فإذا رجعت إلى كتاب: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، ستعلم أنه في ٢٢ مارس سنة ١٣١٢م، وبالاتفاق مع ملك فرنسا فيليب الرابع Philipe IV، أصدر البابا كليمنت الخامس Clement V مرسوماً بابوياً: Vox In Excelso بحل منظمة فرسان الهيكل، بعد أن كان قد أمر في مرسوم سابق: Postoralis Praeeminentiae، باعتقال قادتها ومحاكمتهم بتهم عديدة، أبرزها الهرطقة والعمل على هدم المسيحية، والشذوذ والإباحية، والشعوذة وممارسة السحر.

---

١) دكتور بهاء الأمير: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٣.

وأتبع البابا مرسوم حل المنظمة، بمرسوم آخر: Ad Providam، يأمر فيه بمصادرة ممتلكات فرسان الهيكل ومقراتها وما فيها من أموال وثروات، وتحويلها إلى منظمة فرسان إسعاف القديس يوحنا Hospitellars of Saint Jhon.

وحين صدر مرسوم البابا كليمنت الخامس، كانت ثروات فرسان الهيكل التي جمعوها من التجارة والإقراض بالربا خلال قرنين من الزمان، قد اختفت من كاتدرائياتهم ومقراتهم، واختفت معها وثائق المنظمة وسجلات الأموال والقروض، واختفى أسطولها الذي يتكون من ثماني عشرة سفينة حربية وتجارية، ولم يكن لأي دولة في أوروبا أسطول يناظره في عدد سفنه وحجمها وكفاءة أطقم بحارتها، ولم يُعثر لأسطول المنظمة على أثر، أو يعلم أحد إلى أين ذهب، رغم أنه كان راسياً قبل صدور قرار الحل بيوم واحد في ميناء لاروش La Rochelle، في فرنسا.

وقبل ذلك كله، اختفى فرسان الهيكل المقاتلون المحترفون أنفسهم، واختفى معهم جهاز المنظمة المالي والإداري، وخبراء المال والأعمال البنكية والأنشطة التجارية.

ولم ينفذ مرسوم حل المنظمة واعتقال قادتها فعلاً سوى في فرنسا، وكان الذين تم اعتقالهم ومحاكمتهم بضع مئات، بينما كان عدد فرسان الهيكل في أوروبا بضع عشرات من الألوف، فهم في أقصى تقدير لهم خمسون ألفاً، وفي أقل تقدير عشرون ألفاً، ومقاطعة لانجدوك Langueduc في جنوب فرنسا، وهي معقل فرسان الهيكل الرئيسي، كان يوجد فيها وحدها ثلاثة آلاف فارس.

ولم ينفذ مرسوم حل منظمة فرسان الهيكل في اسكتلندا، بل وفر كثير من فرسان الهيكل من إنجلترا وفرنسا إليها، إذ كانت اسكتلندا المملكة الوحيدة في أوروبا المتمردة على سلطة البابا، فلم تصل إلى فرسان الهيكل فيها أوامره، ولم تصبهم مراسيمه ومنشوراته، ثم تحالفت المنظمة مع ملك اسكتلندا روبرت بروس Robert The Bruce، وصارت صلب جيش اسكتلندا في حروبها التي لا تنقطع مع انجلترا.

ومن فرسان الهيكل في اسكتلندا وُلدت الماسونية، وفيها أقدم محفل ماسوني رسمي في العالم، وهو محفل كيلْوِيننج Kilwinning، وجزء من اسمه الرسمي أنه المحفل رقم صفر Lodge 0، والمحفل الأم Mother Lodge، وما زال موجوداً وعاملاً، وهو أحد المحافل التابعة لمحفل اسكتلندا الأعظم.

وفي فرنسا نفسها، وبعد حل المنظمة واعتقال أستاذها الأعظم جاك دي مُولاي Jacque de Molay، ومن ظهروا من قادتها، انضم كثير من فرسان الهيكل إلى منظمة فرسان إسعاف القديس يوحنا، وهي المنظمة العسكرية الشبيهة بفرسان الهيكل التي أحال لها البابا أملاك فرسان الهيكل ومقراتهم، وبعضهم فر من فرنسا إلى جبال الألب في سويسرا، المتاخمة لجنوب فرنسا معقل المنظمة، ومن فرسان الهيكل في سويسرا وُلدت الميليشيات السويسرية وبنوكها، وقد أتيناك من قبل بقصتها وصلتها ببنوك فرنسا

أما البرتغال فهي البلد الكاثوليكي الوحيد الذي لم تُحل فيه المنظمة، ولم يتعرض أحد من فرسانها لضغط ولا اعتقال، بل كانوا تحت حماية الملك دينيس الأول Dinis I، لحاجته إليهم في مهمة قتالية لا بديل لهم فيها، فظلت فرسان الهيكل في البرتغال كما هي بكامل تنظيمها وفرسانها ومقراتها، مع تغيير وحيد، هو تعديل اسمها وتحوير شعارها.

ومنظمة فرسان المسيح، مثل أمها منظمة فرسان الهيكل، ليست سوى حركة سرية داخل غلاف كاثوليكي، فإليك موجز سيرتها من ثلاث موسوعات مختلفة، موسوعة الماسونية[١] Encyclopedia of Freemasonry، للماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين ومؤرخ الماسونية الرسمي ألبرت ماك كي Albert MacKey، والثانية دراسة شارل مولر Charles Moeller، وهو متخصص في تاريخ التنظيمات العسكرية الكاثوليكية، دراسته عن المنظمة في الموسوعة الكاثوليكية[٢] Catholic Encyclopedia، التي تم تحريرها تحت إشراف الفاتيكان وصدرت من مطابعه سنة ١٩١٣م، والثالثة موسوعة ويكيبيديا[٣].

كانت البرتغال إحدى أوائل الدول في أوروبا التي استوطنتها منظمة فرسان الهيكل، إذ تأسست المنظمة في البرتغال سنة ١١٢٢م، بعد ثلاثة أعوام فقط من تكوين المنظمة في أورشليم/القدس، إبان الحروب الصليبية، وصار لها مقرات عديدة، وكان مقرها الرئيسي في منطقة براجا Braga، أقصى شمال غرب البرتغال.

وبالإضافة إلى انخراطها في الحروب الصليبية، مثل غيرها من فروع فرسان الهيكل في بلدان أوروبا المختلفة، وما تمارسه من أنشطة تجارية ومالية، كان لفرسان الهيكل في البرتغال مهمة

1) Albert MacKey: Christ, Order of, Encyclopedia of Freemasonry, P148.

2) Charles Moeller: Order of the Knights of Christ, The Catholic Encyclopedia, Vol. XIII, P698 , Edited By: Charles George Herbrmann, The Encyclopedia Press, Inc. 1913.

3) Wikipedia, the free encyclopedia: History of The Order of Christ.

أخرى، خصوصاً بعد أن أصبحت البرتغال مملكة مستقلة عن قشتالة سنة ١١٢٨م، ألا وهي الإسهام في حروب الاسترداد Recoquesta، التي تخوضها المملكة ضد المسلمين في المغرب والأندلس، وأيضاً الاشتراك في بناء المملكة، بما تملكه من ثروات وقدرات تنظيمية وخبرات هندسية وإنشائية اشتهر بها فرسان الهيكل في كافة بلدان أوروبا.

وصار فرسان المنظمة قوة رئيسية في جيش البرتغال، واشتركت المنظمة في عدد من معارك الاسترداد، أشهرها سلسلة المعارك التي استولت بها البرتغال من المسلمين على مملكة غرب الأندلس/الجرف Algarve، أقصى جنوب البرتغال، وهي المعارك التي دامت سبع سنوات، من سنة ١٢٤٢م إلى سنة ١٢٤٩م.

وبعد صدور مرسوم البابا كليمنت الخامس بحل فرسان الهيكل في جميع بلدان أوروبا، سنة ١٣١٢م، ولحاجته للمنظمة وثرواتها وخبراتها في قتال المسلمين، احتال الملك دينيس الأول من أجل الإبقاء على فرسان الهيكل، فحاكمهم في محاكمات كنسية صورية بالاشتراك مع مطران لشبونة Lisbone وكومبستيا Copestella، حسب أوامر البابا.

وبعد تبرئة فرسان الهيكل في البرتغال، وفي سنة ١٣١٧م، كون الملك دينيس منهم منظمة جديدة، وهي في الحقيقة منظمة فرسان الهيكل القديمة، بعد أن قام بتعديل اسم المنظمة وحذف الهيكل منه، فتحولت من: تنظيم الفرسان الفقراء من أتباع المسيح وهيكل سليمان Pauperes Commilitones Christi Templique Salomonici، إلى تنظيم الفرسان من أتباع الرب يسوع المسيح Ordem Dos Cavaleiros De Nosso Senhor Jesus Cristo، وتم تعديل شعار المنظمة من صليب فرسان الهيكل الأحمر المربع المتساوي الأطراف، إلى الصليب نفسه وقد صار له قلب أبيض داخل إطار أحمر.

فهاك صليب منظمة فرسان الهيكل وتحويره في منظمة فرسان المسيح معاً، لترى الفرق بينهما.


شعار منظمة فرسان الهيكل


شعار منظمة فرسان المسيح

وتم تنصيب جل مارتنز Gil Martins، أستاذاً أعظم للمنظمة، وكان أول مقر لها في كاتدرائية فارو Faro، في بلدة كاسترو ماريم Castro Marim، في إقليم الجرف/الغرب، جنوب البرتغال، على مقربة من ممالك الأندلس المسلمة، ثم عاد المقر في سنة ١٣٥٧م إلى قلعة تومار Tomar، في مقاطعة سانتاريم Santarém، وسط البرتغال، وهي مقر فرسان الهيكل قبل حلها.

وبعد وفاة البابا كليمنت الخامس، أرسل الملك دينيس رسالة إلى خلفه البابا يوحنا الثاني عشر John XXII، يلتمس منه الموافقة على المنظمة الجديدة ومباركتها، لكي تشترك في القتال ضد المسلمين، فأصدر البابا، في ١٤ مارس سنة ١٣١٩م، مرسوماً: Ad Ea Ex Qvibvis، يبارك فيه منظمة فرسان المسيح، على أن تكون تحت إشراف الملك، وتحت رقابة رئيس أديرة السستريشيان Cistercian، في ألكوباس Alcobaça.

وأتبع البابا مرسومه بآخر سنة ١٣٢٣م، يوافق فيه على تحويل مقرات منظمة فرسان الهيكل في البرتغال وممتلكاتها إلى منظمة فرسان المسيح.

ويقول شارل مولر في دراسته عن المنظمة في الموسوعة الكاثوليكية، إن:

"منظمة فرسان المسيح لم تكن سوى امتداد Continuation لمنظمة فرسان الهيكل في البرتغال، وبعد مباركتها فر إليها كثير من فرسان الهيكل في أوروبا، وصار في حوزتها ثروة هائلة"(١).

وبعد جل مارتن تولى رئاسة تنظيم فرسان المسيح خمسة، كان آخرهم لوبو ديا دي سوزا Lopo Dia De Sousa.

الأمير هنري الملاح ومدرسة الملاحة واليهود:

وفي سنة ١٤٢٠م، أرسل ملك البرتغال خواو الأول João I رسالة إلى البابا مارتينوس الخامس Martinus V، يلتمس الموافقة على تنصيب ثالث أبنائه، الأمير هنريك دوق فيزيو Henrique, Duke of Viseu، أستاذاً أعظم لمنظمة فرسان المسيح.

---

1) Charles Moeller: Order of the Knights of Christ, The Catholic Encyclopedia, Vol. XIII, P698.

وكان الأمير هنريك فارساً في المنظمة، واشترك مع أبيه وإخوته في الحملة التي استولى فيها، سنة ١٤١٥م، على مدينة سبتة المشرفة على مضيق جبل طارق من جهة المغرب، وكانت قبلها ضمن مملكة فاس التي يحكمها بنو مرين.

وبعد موافقة البابا صار الأمير هنريك الأستاذ الأعظم لمنظمة فرسان المسيح، وهو في السادسة والعشرين من عمره، وظل أستاذها الأعظم أربعين سنة، من سنة ١٤٢٠م إلى وفاته سنة ١٤٦٠م.

والأمير هنريك، الأستاذ الأعظم لمنظمة فرسان المسيح، هو نفسه رائد الكشوف الجغرافية البرتغالية، والذي بدأ به عصر الكشوف الجغرافية الأوروبية وإليه يُنسب، وقد اشتهر في مؤلفات المؤرخين الغربيين منذ القرن التاسع عشر باسم الأمير هنري الملاح Henry The Navigator.

وبعد أن أصبح الأمير هنري الملاح الأستاذ الأعظم لمنظمة فرسان المسيح، انتقل إلى ساجريس Sagres، وهي شبه جزيرة في الزاوية الجنوبية الغربية لمقاطعة الجرف/الغرب، تطل على المحيط الأطلنطي، وآخر نقطة من اليابسة في أوروبا كلها.

ويقول ريتشارد هنري ميجور Richard Henry Major، وكان المشرف على قسم الجغرافيا والخرائط في المتحف البريطاني، أواخر القرن التاسع عشر، في كتابه: اكتشافات الأمير هنري الملاح ونتائجها The Discoveries of Prince Henry The Navigator And Its Results، إنه:

"بعد استقرار الأمير هنري الملاح في ساجريس بفترة قصيرة، غيَّر اسمها إلى ترسانابال، أو الترسانة البحرية Terçanabal، ثم أنشأ حولها أسواراً عالية وسماها فيلا دو إنفانتو أو بلدة الأمير Villa Do Infante ... وأقام فيها مدرسة للملاحة والفلك، واستعان في إنشائها برسام خرائط من مايوركا، هو ميستري جايمي Mestre Jayme، فأصبح مدير المدرسة والمشرف عليها"[١].

---

1) Richard Henry Major: The Discoveries of Prince Henry The Navigator And Its Results, P48, 188, Sampson Low, Marston, Searle, & Rivington, 188 Fleet Street, London, 1877.

وفـي كتابـه: كرسـتوفر كولـومبس، وإسـهام اليهـود فـي الاستكشـافات الإسـبانية والبرتغاليـة Christopher Columbus and The Participation of the Jews In The Spanish And Portuguese Discoveries، يقول المؤرخ اليهودي وعضو الأكاديمية الملكية في مدريد مائير كيسيرلنج Meyer Kayserling،إن:

"ميسـتري جـايمي هـو اليهـودي يهـودا كريسـكس Jehuda Cresques، ابـن أبراهـام كرسكس Abraham Cresques، وكـان يقيم فـي شـارع جبل صـهيون Mount Zion Street، فـي بالمـا Palma، عاصـمة مايوركـا، وكـان أبراهـام كرسـكس خبيـراً فـي علـوم الملاحة"[١].

ومايوركا جزيرة في غرب البحر المتوسط، كان فيها تجمع كبير من اليهود، واشتهروا برسم الخرائط الجغرافية والملاحية، ويهودا كريسكس اشترك مع أبيه في وضع أطلس كاتالونيا Atles Català، سنة ١٣٧٥م، وكافأهما عليه ملك أرجون بدرو الأول Pedro I مكافأة كبيرة، وكانت مايوركا تتبع مملكة أرجون.

وفي سنة ١٣٩١م، وبعد مصادمات اليهود والمسيحيين في أرجون، ومرسوم الملك مارتن الثاني، الذي أخبرناك عنه من قبل، تحول يهودا كريسكس وأسرته كلها إلى المسيحية، وكان تحولاً ظاهرياً، كالمعتاد، فهاك سيرة أبراهام كريسكس، ووصف ابنه يهودا كريسكس في موسوعة الشتات اليهودي Encyclopedia of the Jewish Diaspora، التي أشرف على تحريرها أفروم إرليك Avrum Ehrlich:

"واشترك مع أبراهام كريسكس في وضع أطلس كاتالونيا، بنيامين الطُليطلي Benjamin Of Tuleda، وآخرون كثيرون ممن عبروا إلى إفريقيا، وفتحوا طرقاً للتجارة في أوروبا، وغامروا خلال الصحراء من الجزائر إلى المغرب وتمبكتو، وابنه يهودا كريسكس يهودي خفي Crypto Jew، وهو الذي أسس مدرسة ساجريس، التي أصبحت المركز الأول لتدريب الملاحين والمستكشفين، وميسيا دي فلاديستس Mecia De Villadests، وهو أيضاً يهودي خفي من مايوركا، وأحد تلاميذ كريسكس، كان خبيراً في طرق إفريقيا، وقام برسم خريطة

---

1) Meyer Kayserling: Christopher Columbus and the Participation of the Jews in the Spanish and Portuguese Discoveries, P5-6, Lomgmans, Green & Co., New York, 1894.

للصحراء الكبرى، وأبراهام فاريسول Abraham Farrisol، وهو أحد من قاموا باستكشاف إفريقيا، وكان يجلب منها البضائع إلى أوروبا"(١).

واهتمام أبراهام ويهودا كرسكس، وتلاميذهما من اليهود الأخفياء، بإفريقيا ورسمهم خرائط لها، له هدف آخر غير التجارة، وهو الهدف الذي يقابلك أينما سرت في التاريخ، ونقبت عن حقائق ما شهده من أحداث، والغايات الحقيقية لمن صنعوها، فهاك هو من سيرة يهودا كرسكس في الموسوعة اليهودية المطبوعة في إسرائيل Encyclopedia Judaica.

تقول الموسوعة اليهودية إن يهودا كرسكس كان مقرباً من ملوك أرجون، وبعد بدء المصادمات بين اليهود والمسيحيين في المملكة، منذ سبعينيات القرن الرابع عشر، ومع تحول كثير من اليهود إلى المسيحية، ومنهم كرسكس نفسه وأسرته:

"**بذل كرسكس جهوداً كبيرة من أجل حماية مجتمعات اليهود في مملكة أرجون ... وقام أيضاً بتدبير عبور آمن على سفن للآلاف من اليهود المتحولين Conversos، إلى خارج البلاد المسيحية، مثل شمال إفريقيا، حيث يمكنهم العودة إلى بلاد اليهودية وأرض إسرائيل"(٢).**

ومما عرفته من موسوعة الشتات اليهودي، ومن الموسوعة اليهودية، من أن العمل الرئيسي لأبراهام كريسكس وابنه يهودا وتلاميذهما، كان استكشاف إفريقيا والصحراء الكبرى من شمالها حتى تمبكتو جنوباً، من أجل التجارة والبحث عن طريق لعودة اليهود إلى فلسطين، تدرك لماذا استعان الأمير هنري الملاح بيهودا كرسكس في إنشاء مدرسته وجعله مشرفاً عليها، ولماذا كان يهود مايوركا الكونفرسو/المتحولون إلى المسيحية عماد مدرسته ورحلاته الاسستكشافية.

وغاية الأمير هنري الملاح، رائد الكشوف الجغرافية والأستاذ الأعظم لمنظمة فرسان المسيح، من إنشاء مدرسة الملاحة، كانت هي نفسها غاية اليهود، ألا وهي استكشاف سواحل إفريقية وغزوها، من أجل التجارة والذهب، ومن أجل البحث عن طريق إلى أورشليم/القدس، ولكن باسم المسيحية، بالضبط مثل فرسان الهيكل من قبله، ومثل اليهودي كولومبس الذي جاء بعده.

---

1) Avrum Ehrlich: Encyclopedia of the Jewish Diaspora: Origins, Experiences, and Culture, Volume I, P352, ABC-CLIO, Santa Barbara, California, First Edition October 3, 2008.
2) Fred Skolnik, Editor in Chief, Michael Berenbaum, Executive Editor: Encyclopedia Judaica, Vol. V, P284, Macmillan Reference USA, In Association with Keter Publishing House, Jerusalem, Second Edition, Thomson Gale, Printed In USA, 2007.

فرسان المسيح في إفريقيا:

من أجل خطته الاستكشافية، بنى الأمير هنري الملاح عدداً من سفن الكارفل Caravel، وهي سفن شراعية صغيرة وسريعة، كان يشيع استخدامها في جزر البحر المتوسط، ويقول ريتشارد هنري ميجور في كتابه عن استكشافات هنري الملاح، إن:

"الأمير بدأ رحلاته الاستكشافية، سنة ١٤١٨م، وكان ما زال في سبتة، فأرسل ثلاثة من أخلص فرسانه، هم خواو جونزالفس زاركو João Gonçalves Zarco، وتريستاو فاز تيشيرا Tristão Vaz Teixeira، وبارتلوميو بريستريلو Bartolomeu Perestrello، وكانوا قد اشتركوا في استعادة سبتة، أرسلهم لاستكشاف سواحل شمال غرب إفريقيا، ولكن هبت عاصفة خارج رأس سان فنسنت Cape St. Vincent، فطوحت بهم إلى جزيرة لم تكن معروفة، فأطلق عليها الأمير اسم بورتو سانتو Porto Santo، ثم أمر زاركو باستيطانها مع بحارته، وفي سنة ١٤٢٠م، انتقلوا منها إلى جزيرة ماديرا Madeira، ونصَّب الأمير هنري الملاح زاركو حاكماً عليها، واكتسب زاركو باكتشاف أرخبيل ماديرا شهرة وسمعة كبيرةً، وصارت أسرته من الأسر النبيلة في البرتغال"[١].

وخواو زاركو، أخلص فرسان الأمير هنري الملاح، والذي بدأت به الكشوف الجغرافية الأوروبية، وأول من يرتاد المحيط الأطلنطي من الأوروبيين على الإطلاق، هو الآخر يهودي من الكونفرسو المتحولين إلى المسيحية.

فهاك أسرته وأصوله، كما تنقلها موسوعة ويكيبيديا في دراستها عنه، عن كتاب: من مندو دي جواردا إلى مانويل الأول De Mendo da Guarda A Manuel I، وهو كتاب عن تاريخ البرتغال، ومؤلفته هي المؤرخة البرتغالية إيزابيل فيولانتي بيريرا Isabel Violante Pereira:

"وزاركو من اليهود الكونفرسو/المتحولين إلى المسيحية Jewish Converso، وزاركو عائلة يهودية مشهورة من سانتاريم Santarém، ومن أشهر أفرادها موشيه زاركو Mossé Zarco، وكان خياط الملك خواو الثاني João II، والطبيب والقبالي الكبير جوزيف زاركو Joseph Zarco، والشاعر يهودا زاركو Yehuda Zarco"[٢].

1)The Discoveries of Prince Henry The Navigator And Its Results, P54-55.
2) Wikipedia, the free encyclopedia: João Gonçalves Zarco.

وبعد أرخبيل ماديرا، الذي يقع داخل المحيط الأطلنطي، على بعد ألف كيلومتر من سواحل البرتغال، أرسل الأمير هنري الملاح بعثة للبحث عن أرخبيل الأزور The Azores، على بعد ألف و ٣٦٠ كيلومتراً من البرتغال.

يقول ريتشارد هنري ميجور، إن جزيرة ماديرا، وكذلك جزر الأزور، تظهر على خريطة رسمها بحارة جنوة، ومحفوظة في مكتبة فلورنسا، ويعود تاريخها إلى سنة ١٣٥١م، وعلى ذلك فقد كانت الجزر معروفة عند الإيطاليين قبل الأمير هنري الملاح، ولكن:

"الأمير هنري الملاح هو صاحب الفضل الحقيقي في اكتشافها واستيطانها ... في سنة ١٤٣١م أرسل الأمير هنري الملاح جونزالو فيلهو كابرال Gonçalo Velho Cabral للبحث عن الجزر، فاكتشف جزيرة فورميجا Formigas الصخرية، وفي شهر أغسطس من السنة التالية هبط على الجزيرة الموجودة في الخريطة الإيطالية، واسمها فيها: أوفو Uovo، أو البيضة، فسماها سانتا ماريا Santa Maria، وأمره الأمير باستيطانها، ونصبه حاكماً عليها، ومنحه جميع السلطات اللازمة لجمع المتطوعين لاستيطانها، فجمع عدداً كبيراً من الأسر والرجال في ثلاث سنوات ووطنهم في الجزيرة، وفي سنة ١٤٤٤م اكتشف جزيرة ثانية، فأطلق عليها اسم ساو ميجيل São Miguel، ونصبه الأمير حاكماً عليها أيضاً، وأمره باستيطانها، وسميت الجزيرتان معاً جزر الأزور"(١).

وفي سنة ١٤٣٣م، وبمجرد اعتلائه لعرش البرتغال، أصدر الملك دوارت الأول Duarte I مرسوماً وهب فيه جزيرة ماديرا وجزيرة سانتا ماريا وما يتبعهما من جزر لمنظمة فرسان المسيح، فصارت ملكاً خاصاً لها وخالصاً لرجالها.

وجونزالو فيلهو كابرال، هو أحد قادة منظمة فرسان المسيح، وكان بين أسرته وأسرة اليهودي الكونفرسو وعضو المنظمة خواو زاركو مصاهرات عديدة، وبعد أن مات كابرال سنة ١٤٦٠م، خلفه في حكم أرخبيل الأزور ابن أخته خواو سواريز دي ألبيرجاريا João Soares De Albergaria، وكان قبلها يعيش في جزيرة ماديرا، في كنف حاكمها خواو زاركو، وفي سنة ١٤٧٤م تنازل خواو سواريز عن جزيرة ساو ميجيل في جزر الأزور لرُوِي جونزالفس كامارا Rui Gonçalves Da Câmara، وهو ثاني أبناء اليهودي خواو زاركو.

---

1)The Discoveries of Prince Henry The Navigator And Its Results, P13-132.

والأسر والرجال الذين جمعهم جونزالو فيلهو كابرال لاستيطان جزر الأزور، وكذلك من قدموا لاستيطانها في عهد ابن أخته خواو سواريز، كان جلهم من اليهود الفارين من محاكم التفتيش، كما تقول موسوعة ويكيبيديا في دراستها عن تاريخ جزر الأزور:

"كثير من المستوطنين الأوائل لجزر الأزور كانوا من يهود السفارديم البرتغاليين Portuguese Sephardic Jews، الهاربين من ضغوط التفتيش في البرتغال"[١].

واكتشاف أرخبيل ماديرا وأرخبيل الأزور واستيطانهما كان عملاً جانبياً، أما أكبر إنجازات الأمير هنري الملاح، وأكبر إنجازات منظمة فرسان المسيح في عهده، فاستكشاف سواحل إفريقيا والهبوط على أراضيها، وهو عمله الحقيقي، الذي من أجله أنشأ مدرسة الملاحة وأنشأ أسطول سفن الكارفل، لكي يتمكن من إتمام غايته وغاية المنظمة، التجارة والبحث عن الذهب، وإيجاد طريق داخل إفريقيا يمكن عبرها تجاوز دول الإسلام والوصول إلى أورشليم/القدس.

يقول ريتشارد هنري ميجور إن آخر نقطة وصل إليها الملاحون والبحارة الأوروبيون من سواحل إفريقيا، قبل الأمير هنري الملاح، كانت رأس لا أحد Cabo Nun، عند دائرة عرض ٢٩ درجة شمال خط الاستواء، وقد أطلقوا عليها هذا الاسم لأنهم كانوا يخافون العبور إلى ما بعدها، ويسمونه بحر الظلام، ويشيع بينهم أنه لا يوجد خلفها سوى الشياطين.

وفي أغسطس سنة ١٤٣٣م، أرسل الأمير هنري الملاح رسالة إلى أحد فرسان منظمة فرسان المسيح، وهو جِل إينس Gil Eannes، بعد أن تخوف من تنفيذ أمره بعبور رأس لا أحد، واستكشاف ما بعده، يقول له فيها:

"لو كان هناك أي أساس لهذه القصص، لما لُمتكَ، ولكنك أتيتني بأقاويل لبحارة اعتادوا السير عبر الطرق التي يعرفها الجميع، وخلف ذلك لا يعرفون شيئاً Have No Knowledge Of The Needle Or The Sailing-Chart، فارحل ولا تستمع لهذه الآراء"[٢].

وأبحر إينس، فعبر رأس لا أحد، وسار بعدها ١٠٠ فرسخ/٥٠٠ كيلومتر، حتى وصل إلى رأس بوجادور Cabo Bojador، وهي رأس اليابسة على الساحل الشمالي الغربي لصحراء إفريقيا الكبرى، جنوب مراكش، وهبط على الشاطئ دون أن يلتقي أحداً، ثم عاد إلى الأمير هنري

---

1) Wikipedia, the free encyclopedia: Azores.
2) The Discoveries of Prince Henry The Navigator And Its Results, P68-69.

الملاح، ومعه مجموعة من الورود، لكي تكون دليلاً على نزوله في شواطئ إفريقيا، فكافأه الأمير، وأطلق على الورود اسم: ورود القديسة ماري St. Mary's Roses.

وفي السنة التالية، ١٤٣٤م:

"أرسل الأمير هنري الملاح إينس لاستكشاف رأس بوجادور مرة أخرى، وأرسل معه أحد قادة منظمة فرسان المسيح، وقائد قوة الفرسان الخاصة به، ألفونسو جونزالفس بالدايا Affonso Gonçalves Baldaya، في سفينة أكبر وأقوى، فعبرا رأس بوجادور، وأبحرا جنوبه خمسين فرسخاً / ٢٤٠ كيلومتراً، وهبطا على الشاطئ الإفريقي، فوجدا آثاراً لبشر وجمال، دون أن يريا أحداً، فعادا بها إلى الأمير، الذي اعتبرها دليلاً على وجود بشر وحياة في منطقة غير بعيدة عن البقعة التي هبطا فيها، والتي سماها: أنجرا دوس رُوفِوس، أو خليج الحُمْر Angra dos Ruivos"(١).

وأرسل الأمير هنري الملاح ألفونسو جونزالفس بالدايا مرة أخرى، وأمره أن يواصل الإبحار جنوباً حتى يصل إلى شواطئ مأهولة، فأبحر بالدايا ١٢٠ فرسخاً/٥٨٠ كيلومتراً جنوب رأس بوجادور، حتى وصل إلى مصب نهر ينفتح على المحيط، صار يُعرف بنهر أورو Rio d'Ouro، وأرسل بالدايا اثنين من بحارته الشباب بالسلاح على فرسين للبحث عن قرى أو تجمعات من البشر، فسارا مع النهر، وتمكنا من محاصرة مجموعة من تسعة عشر شخصاً من الرُحَل، وقيدوهم بالحبال، وحين عادوا إليهم مع قوة لحملهم إلى السفينة لم يجدوهم، ولم يعثروا على أثر لخيامهم، فعاد بالدايا إلى البرتغال وأخبر الأمير هنري الملاح عن وصوله إلى مناطق مأهولة من شواطئ إفريقيا.

وفي سنة ١٤٤١م، أرسل الأمير هنري اثنين من فرسانه، نانو ترستاو Nuno Tristão، وأنتاو جونزالفس Antão Gonçalves، في سفينتين، إحداهما مسلحة وفيها مقاتلون، من أجل مهمة وحيدة، ليست الاستكشاف، بل اصطياد البشر Hunting، والعودة بهم ليكونوا مصدراً للمعلومات عن إفريقيا والطرق داخلها.

وتخطى ترستاو وجونزالفس نهر أورو، ونزلا على خليج صغير في جنوبه، سُمي بعد ذلك ميناء الفرسان Porto Do Cavalleiro، وتمكنا مع أطقم سفينتيهما من اعتقال عشرة من البربر،

---

1) The Discoveries of Prince Henry The Navigator And Its Results, P70.

وأحدهم كان رئيس قبيلة، وعاد بهم جونزالس إلى البرتغال، بينما واصل تريستاو إبحاره جنوباً، حسب تعليمات الأمير هنري الملاح، حتى وصل إلى الرأس الأبيض Cabo Branco، وهي شبه جزيرة، أو لسان من اليابسة يمتد من جنوب الصحراء الكبرى في المحيط الأطلنطي، عند دائرة عرض ٢٠ درجة شمالاً، وتقع الآن في موريتانيا، وسُميت بذلك لرمال شواطئها البيضاء[١].

وفي البرتغال، سعد الأمير الملاح بالأسرى من البربر سعادة بالغة، وأمر بالعمل على تحويلهم إلى المسيحية، وأخضع الرئيس فيهم لاستجواب عن طريق مترجم من البربر، أتوا به من سبتة، عن المنطقة التي يعيشون فيها، وأي مملكة تتبع، ومن يحكمها، فلم يحصل منهم سوى على معلومات شحيحة.

وطلب رئيس البربر المختطفين من أنتاو جونزالفس أن يعيده إلى بلاده وحيث وجده، على أن يفتدي نفسه بستة من الزنوج وأشياء أخرى نفيسة، فأخبر جونزالفس الأمير هنري، وطلب منه أن يبحر مرة أخرى بحثاً عن العبيد والمعلومات، فوافق، ثم عاد جونزالفس من إفريقيا إلى الأمير هنري، ومعه عشرة من الزنوج، وحفنة من تبر الذهب، وعدد كبير من بيض النعام، والجلود[٢].

وكانت هذه هي بداية تجارة العبيد من إفريقيا إلى أوروبا، ثم إلى القارة الأمريكية المكتشفة، وصار أنتاو جونزالفس، عضو منظمة فرسان المسيح، أول تاجر للعبيد من إفريقيا في تاريخ القارة الأوروبية.

وأرسل الأمير هنري الملاح رسالة إلى البابا إيوجينيوس الرابع Eugenius IV، مع أحد فرسانه، لوبيز دي أزيفيدو Lopes d'Azevedo، يخبره بأنه تمكن من استكشاف سواحل إفريقيا الغربية وهبط ببحارته وملاحيه على شواطئها، ويطلب من البابا الموافقة على أن تكون جميع الأراضي التي يتم استكشافها من إفريقيا وحتى جزر الهند تابعة لمملكة البرتغال.

وتنبه من فحوى رسالة الأمير وطلبه من البابا إلى غايته الكامنة في رأسه، وهي أنه يستكشف سواحل إفريقيا، غرب عالم الإسلام، وهدفه الوصول إلى الهند في شرقه، من أجل تجاوزه والمرابطة على تخومه غرباً وشرقاً.

---

1)The Discoveries of Prince Henry The Navigator And Its Results, P89-90.
2) The Discoveries of Prince Henry The Navigator And Its Results, P91-92.

وكان نبأ حروب الأمير ومنظمة فرسان المسيح ضد المسلمين، وغاراته على طنجة، بعد استيلائه على سبتة، وكذلك نبأ الاستكشافات، قد وصل فعلاً إلى البابا ومجلس الكرادلة، فأصدر البابا مرسوماً في ديسمبر ١٤٤٢م، وفيه:

"أثنى على ولدنا المحبوب الأمير هنري دوق فيزيو Our Beloved Son، قائد تنظيم فرسان المسيح، ووافق على طلبه، بأن تكون الأراضي المكتشفة تابعة لملك البرتغال، ووعد بالغفران كل من يشترك مع منظمة فرسان المسيح في الحرب التي تشنها ضد المسلمين في المغرب"[1].

وفي الوقت نفسه أصدر الأمير بدرو Pedro، وهو أخو الأمير هنري الملاح، وكان وصياً على العرش، إذ كان الملك ألفونسو الخامس Afonso V في التاسعة من عمره، أصدر مرسوماً يمنح الأمير هنري ومنظمة فرسان المسيح خُمس عائدات الاستكشافات التي تتم باسم مملكة البرتغال، ويمنع فيه أي أحد من الإبحار إلى إفريقيا واستكشافها سوى بموافقة الأمير هنري الملاح وعن طريقه.

وفي سنة ١٤٤٣م، أمر الأمير هنري نانو تريستاو بالإبحار مرة أخرى إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه جنوب نهر أورو، فوصل إلى خليج جنوب شواطئ موريتانيا، خمسة وعشرين ميلاً جنوب الرأس الأبيض، يحوي جزيرتين وعدداً من الشواطئ الرملية، أسموه خليج أرجوين Baía De Arguim، فأمر الأمير هنري باستيطان الجزر، وبناء حصن صغير فيها، واتخاذها قاعدة لفتح طرق للتجارة مع سكان إفريقيا جنوب الصحراء، للبدء في جني الأرباح من الاستكشافات بدلاً من الإنفاق عليها.

والحصن الذي بدأ إنشاؤه في عهد الأمير هنري الملاح واكتمل سنة ١٤٨٢م، تم تسميته حصن القديس جورج São Jorge، فإذا عدت إلى بداية الكتاب الذي بين يديك ستعلم أن القديس جورج هو صاحب الصليب الأحمر، وكان الرمز الأعلى لمنظمة فرسان الهيكل.

وفي سنة ١٤٤٤م، أرسل الأمير هنري الملاح ستاً من سفن الكارفل، وعلى قيادة كل منها أحد فرسان منظمة فرسان المسيح، ويقودهم جميعاً جِل إينس، إلى خليج أرجوين، ثم عادوا وقد أسروا مائتين من زنوج إفريقيا، ليبيعوهم في البرتغال.

---

1) The Discoveries of Prince Henry The Navigator And Its Results, P91.

وبين سنة ١٤٤٤م وسنة ١٤٤٦م كان عدد سفن المنظمة التي وصلت إلى خليج أرجوين، من أجل أسر الأفارقة والعودة بهم عبيداً إلى البرتغال، يُقدر بالعشرات.

وفي سنة ١٤٤٤م أيضاً، أبحر نانو تريستاو مرة أخرى، بمحاذاة سواحل إفريقيا جنوباً، حتى وصل إلى شبه جزيرة تمتد من الشاطئ الإفريقي داخل المحيط الأطلنطي، أسموها رأس البربر Ponta Da Berberia، وتقع قرب مصب نهر السنغال في المحيط.

ولأن نهر السنغال هو الحد الفاصل بين الصحراء الكبرى وبلاد البربر وقبائل صنهاجة شمالاً، وبين إفريقيا جنوب الصحراء وقبائلها، عاد تريستاو إلى الأمير هنري الملاح، ليخبره في ابتهاج أنه قد وصل إلى غينيا Guinea، أو أرض السُود Terra Dos Guineus.

وفي سنة ١٤٤٥م، واصل دينيس دياز Dinis Dias الإبحار، حتى وصل إلى شبه جزيرة مثلثة الشكل، أو لسان يمتد من اليابسة في المحيط، ١٦٠ فرسخاً/٨٠٠ كيلومتر جنوب الرأس الأبيض، ولشدة الخضرة فيها، وكثرة أشجارها وحشائشها، سماها الرأس الأخضر Cabo Verde[1].

والرأس الأخضر تقع قرب داكار في السنغال، وهي أخر نقطة من اليابسة في إفريقيا في اتجاه الغرب، وأبعد شواطئها الغربية المطلة على المحيط الأطلنطي، وبعدها يبدأ الشاطئ في الانحناء والعودة إلى الداخل في اتجاه الشرق، قبل أن يتجه جنوباً ويستكمل مساره حتى آخر نقطة في القارة في اتجاه الجنوب، وهي رأس الرجاء الصالح.

وفي سنة ١٤٥٥م قدِم إلى البرتغال الأخوان ألفيز وأنتونيو كاداموستو Alvise And Atonio Cadamosto، وهما تاجرا عبيد من فينيسيا، إلى الأمير هنري الملاح، وطلبا الدخول في خدمته والإسهام في الاستكشافات تحت قيادته، فأبحرا في سفينتهما، ومرا بالنقاط والمراكز التي تم استكشافها من قبل، ثم واصلا الإبحار حتى تجاوزا نهر السنغال، ونزلا على الشاطئ جنوبه، وكان تجار العبيد من البرتغال قد عقدوا صفقات سابقة مع قبائل السنغال، يشترون فيها كل عشرة من العبيد بحصان واحد، فاشترى الأخوان كاداموستو مائة من العبيد.

ثم واصل الأخوان كاداموستو الإبحار، حتى وصلا إلى نهر جامبيا، الذي يقع أقصى جنوب السنغال ويفصلها عن جامبيا، وكانا أول من يصل إليه من الأوروبيين، فصعدا في النهر

---

1) The Discoveries of Prince Henry The Navigator And Its Results, P97.

لاستكشافه والبحث عن العبيد، فوقعت مواجهة مسلحة على ضفاف النهر بينهم وبين مجموعة من قبائل المادينكا Mandinka، أصيب فيها بعض البحارة، فانسحب الأخوان كاداموستو، وعادا إلى البرتغال بعد رسم خريطة بدائية للمواقع التي وصلا إليها[١].

وآخر استكشافات الأمير هنري الملاح كانت رأس النخيل Cabo Das Palmas، إذ أرسل أحد فرسانه، دييجو جوميز Diogo Gomes، سنة ١٤٥٨م، فواصل الإبحار جنوب الرأس الأخضر، حتى وصل إلى شبه جزيرة تمتد في المحيط وتكثر فيها أشجار النخيل، شرق خليج غينيا، فسماها رأس النخيل، وتقع في أقصى الزاوية الجنوبية الغربية للجزء الشمالي من القارة، وعندها تنتهي السواحل الغربية، ويبدأ الشاطئ الجنوبي المتجه شرقاً.

فهاك خريطة بأهم المواقع في سواحل إفريقيا الغربية، التي استكشفها الأمير هنري الملاح ووصلت إليها منظمة فرسان المسيح.



خريطة بأهم المواقع في سواحل إفريقيا الغربية، التي استكشفها الأمير هنري الملاح ووصلت إليها منظمة فرسان المسيح.

---

1) The Discoveries of Prince Henry The Navigator And Its Results, P158-159.

وهكذا، كما يقول ريتشارد هنري ميجور:

"وصلت استكشافات الأمير هنري إلى نقطة شديدة الأهمية، إذ تمكنت من تخطي الحدود الجنوبية للصحراء الكبرى، وتأسيس مراكز للحصول على المعلومات، وللتواصل والتجارة مع دول الزنوج في السنغال وجامبيا Senegal and Gambia، وحقق الأمير أكبر أمانيه، ألا وهي تجاوز طرق التجارة التي يسيطر عليها المسلمون، ويبدأ الذهب والعبيد في التدفق على البرتغال"(١).

وأكبر أماني الأمير هنري الملاح وغاياته، ليس ما ذكره ريتشارد هنري ميجور، وربما لم يفطن إليها، لأنها كانت كامنة في رأسه، والاستكشافات ما زالت بعيدة عنها، فها هي يخبرك بها المؤرخ الأمريكي جيمس كارول James Carroll، في كتابه: أورشليم، كيف ألهبت المدينة القديمة عالمنا الحديث Jerusalem, How the Ancient City Ignited Our Modern World، الذي تتبع فيه مشاريع العودة إلى أورشليم/القدس واستعادتها في الغرب، وكيف يدور تاريخه حول هذه الاستعادة.

"أدرك الأستاذ الأعظم لمنظمة فرسان المسيح، الأمير هنري الملاح، أن البحر هو الطريق إلى سيادة البرتغال، وأيضاً لتحقيق غاية المنظمة التي ورثتها عن منظمة فرسان الهيكل، ألا وهي استعادة أورشليم Reconquest Of Jerusalem، ومن أجل ذلك أسس مدرسة الملاحة الشهيرة في ساجريس، ويبدأ رحلات البرتغال الاستكشافية العظيمة في سواحل إفريقيا، وانطلق البحارة الرهبان Sailor Monks في المحيط، باحثين عن الذهب والعاج، وعن طريق إلى الهند من أجل التوابل، وأيضاً عن طريق عبر المحيط يصلون من خلاله إلى أورشليم"(٢).

وما أخبرك به جيمس كارول، ستتيقن منه، وأنت تواصل رحلتك مع خلفاء الأمير هنري الملاح في قيادة منظمة فرسان المسيح، وفي استكمال الاستكشافات بحثاً عن طريق للوصول إلى الهند، فلما وصلوا إليها ظهرت الغاية الخبيئة التي تتوارثها الأجيال، وتتنقل بينها في النفوس والأذهان، ألا وهي تطويق عالم الإسلام والمرابطة على تخومه، ثم اختراقه للوصول إلى أورشليم/القدس.

---

1) The Discoveries of Prince Henry The Navigator And Its Results, P94.
2) James Carroll: Jerusalem, How the Ancient City Ignited Our Modern World, P150, Scribe Publications Pty Limited, Oct 3, 2011.

كرستوفر كولمبس ومنظمة فرسان المسيح:

وفي كتابه، خصص ريتشارد هنري ميجور ثلاثة أبواب لنتائج استكشافات الأمير هنري الملاح، وفي أولها، والذي خصصه لكرستوفر كولومبس والإبحار في المحيط الأطلنطي غرباً، يقول ميجور إن هذه الفكرة كانت إحدى نتائج استكشافات الأمير هنري الملاح، إذ قذفت في عقل كولومبس أنه كما أن الإبحار جنوباً قد أدى إلى اكتشاف جزر وسواحل غير معروفة، وأمكن منها الوصول إلى أقصى جنوب قارة إفريقيا، وبدأ الدوران منها في اتجاه الهند، وكان بارتلوميو دياز قد وصل إلى رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٨٨م، فإنه يمكن بالإبحار غرباً اكتشاف جزر مثلها، واتخاذها قواعد لمواصلة الإبحار حتى الوصول إلى سواحل الهند.

وما هو أكثر أهمية من ذلك، أن ميجور يقول إن كولومبس بدأ استكشافاته من البرتغال، قبل أن يتجه إلى فرينادو وإيزابيلا، ملكي أرجون وقشتالة، وذلك بعد أن فشل في إقناع قادة منظمة فرسان المسيح، وملك البرتغال ألفونسو الخامس، بفكرة الإبحار في الأطلنطي غرباً.

يقول ميجور:

"قدِم كولومبس إلى لشبونة سنة ١٤٧٠م، وظل في البرتغال إلى نهاية سنة ١٤٨٤م، وخلال هذه الفترة أبحر عدة مرات إلى سواحل غينيا في خدمة البرتغاليين، وفي لشبونة تزوج من فليبا مونز دي برستريلو Felipa Moniz de Perestrello، ابنة بارتلوميو برستريلو Bartolomeu Perestrello، وعاش معها فترة من حياته في جزيرة بورتو سانتو ... وفي كتابه: تاريخ جزر الهند History of The Indies، يقول لاس كازاس Las Casas، إن دون دييجو Don Diego، ابن كولومبس، أخبره أن أباه حصل على كثير من معلوماته عن الاطلنطي من خرائط برستريلو وأوراقه، وأنه أبحر إلى سواحل إفريقيا مع البرتغاليين كأنه واحد منهم"[١].

وهنا نذكرك بأمر ونعرفك باثنين، فالأول أن الإبحار من البرتغال في الأطلنطي جنوباً واستكشاف سواحل إفريقيا، كان حِكراً على منظمة فرسان المسيح، حسب المرسوم الذي صدر سنة ١٤٤٣م في عهد الملك ألفونسو الخامس.

1) The Discoveries of Prince Henry The Navigator And Its Results, P222-223.

وأما ما نعرفك به، فأولاً أنه منذ صار الأمير هنري الملاح أستاذاً أعظم لفرسان المسيح، ثم بعد مباركة البابا إيوجينيوس الرابع للمنظمة وما تقوم به حروب ضد المسلمين ومن استكشافات، صار من تقاليد المنظمة أن يكون أستاذها الأعظم من أمراء الأسرة الحاكمة في البرتغال.

والأستاذ الأعظم للمنظمة بعد موت الأمير هنري الملاح، سنة ١٤٦٠م، هو الأمير فرناو Infante Fernão، أحد أبناء الملك دوارت الأول، وأخو الملك ألفونسو الخامس، وبعد موته سنة ١٤٧٠م تولى قيادة المنظمة ابنه الأمير دييجو Infante Diogo، إلى أن مات سنة ١٨٨٤م، ووجود كولومبس في البرتغال واشتراكه في الاستكشافات البرتغالية كان في عهد رئاسة الأمير دييجو لمنظمة فرسان المسيح.

والأمر الثاني الذي نعرفك به، أن بارتلوميو برستريلو، الذي تزوج كرستوفر كولومبس من ابنته وعاش في بيته في بورتو سانتو، كان أحد قادة منظمة فرسان المسيح، وهو أحد الثلاثة الذين أرسلهم الأمير هنري الملاح في أول رحلة استكشافية في الأطلنطي، مع تيشيرا واليهودي زاركو، وبعد اكتشافهم لأرخبيل ماديرا، نصَّبه الأمير هنري الملاح حاكماً على جزيرة بورتو سانتو، كما نصَّب زاركو على جزيرة ماديرا.

وقد علمتَ من قبل تفصيلاً أن كرستوفر كولومبس يهودي، وأن يهود المارانو في إسبانيا هم الذين تبنوا مشروعه لعبور الأطلنطي غرباً، بحثاً عن طريق إلى الهند، ومنها إلى أورشليم/القدس، والذي ذكره ريتشارد هنري ميجور، نقلاً عن لاس كازاس، وهو معاصر لكولومبس ومؤرخ رحلاته، وأول مؤرخ في تاريخ القارة الأمريكية، ليس له سوى معنى واحد، وإن لم يصرح ميجور بذلك، أن كرستوفر كولومبس كان من أعضاء منظمة فرسان المسيح في البرتغال، قبل أن يتركها إلى أرجون وقشتالة.

بارتلوميو دياز في رأس العواصف

بعد موت الأمير هنري الملاح، خمدت الاستكشافات البرتغالية، واتجه نشاط منظمة فرسان المسيح الرئيسي إلى تدعيم المراكز التي أقيمت على السواحل الغربية لإفريقيا، وإلى التوسع في التجارة مع بلاد إفريقيا جنوب الصحراء.

وفي سنة ١٨٨٤م، وبعد موت الأستاذ الأعظم لمنظمة فرسان المسيح، الأمير دييجو، تولى قيادة المنظمة أخوه الأمير مانويل، وقد اعتلى عرش البرتغال سنة ١٤٩٥م، باسم الملك مانويل الأول Manuel I.

وبعد أن صار الأمير مانويل الأستاذ الأعظم لفرسان المسيح، قرر بالاتفاق مع الملك خواو الثاني João II، استكمال استكشافات الأمير هنري الملاح لسواحل إفريقيا، ومواصلة الإبحار في المحيط الأطلنطي إلى أقصى جنوب القارة، بحثاً عن طريق بحري يمكن منه الوصول إلى الهند، فأرسلوا سنة ١٨٤٤م دييجو كاو Diogo Cão، الذي أبحر حتى وصل إلى رأس الصليب Cabo da Cruz، على ساحل إفريقيا الغربي المتجه جنوباً، عند دائرة عرض ٢١ درجة جنوب خط الاستواء، ثم عاد.

ثم وقع اختيار الملك خواو الثاني والأمير مانويل على بارتلوميو دياز Bartolomeu Dias، من أجل استكمال المهمة.

وبارتلوميو دياز هو أحد أعضاء منظمة فرسان المسيح، والاختيار وقع عليه لهذه الرحلة التي لا يُعلم كم تستغرق، وإلى أين تصل، لكفاءته وحماسته، ولتاريخ أسرته الحافل في الاستكشاف، إذ اشترك كثير من أعمامه وأفراد أسرته في استكشافات الأمير هنري الملاح، واستيطان المراكز التي أقيمت على سواحل إفريقيا، وأبوه دينيس دياز كان أحد قادة المنظمة، وهو الذي اكتشف الرأس الأخضر سنة ١٤٤٥م.

وفي كتابه: بارتلوميو دياز واكتشاف الممر الجنوبي الشرقي من المحيط الأطلنطي إلى المحيط الهندي Bartolomeu Dias And The Discovery of The South East Passage Linking The Atlantic To The Indian Ocean، يقول المؤرخ دبليو جي راندلز W. G. L. Randles، وهو متخصص في التاريخ الجغرافي للعصور الوسطى، يقول إن بارتلوميو دياز بدأ رحلته، في أغسطس ١٤٨٧م، بالإبحار من لشبونة، في ثلاث سفن تتقدمها

سفينته وسفينة القيادة، ساو كرستوفاو/القديس كرستوفر São Cristóvão، وعلى قيادة السفينة الثانية أخوه بيرو دياز Pêro Dias، وعلى الثالثة خواو إنفانتي João Infante.

وفي طريقه مر دياز بحصن القديس جورج في خليج أرجوين، وبالنقاط التي أقامها من سبقوه من المستكشفين على طول السواحل الغربية لإفريقيا، للتزود بالمؤن، دون توقف طويل، ودون انشغال بالتجارة ولا العبيد، حسب أوامر الملك خواو الثاني والأمير مانويل قائد المنظمة.

وبعد أن عبر الرأس الأخضر ورأس النخيل، بدأ دياز يدور مع الجزء من سواحل إفريقيا المتجه من الغرب إلى الشرق، ثم سار بموازاة الساحل في اتجاه الجنوب مرة أخرى، وواصل الإبحار، واكتشف في طريقه عدداً من الخلجان وشبه الجزر، وكان يقيم في كل منها، حسب عادة المستكشفين البرتغاليين صليباً كبيراً من الحجارة Padrão، ومن هذه الخلجان والجزر، خليج إلهيوس Angra Dos Ilheos، ورأس الدوامات Cabo Voltas، وخليج قطعان البقر Angra Dos Vaqueiros، وخليج الحيتان Walvis Bay.

وعند رأس الدوامات، وتقع عند دائرة عرض ٢٦ درجة جنوب خط الاستواء، ومكانها الآن في ناميبيا، هبت عاصفة عنيفة، قذفت بسفن بارتلوميو دياز ورفاقه إلى المحيط المفتوح، وبعد ثلاثة عشر يوماً، بدأ دياز يبحث عن سواحل إفريقيا مرة أخرى، فسار مع رياح الأطلنطي نحو الشرق، دون أن يجد الساحل، فاتجه إلى الشمال.

وبعد ثلاثين يوماً من الإبحار شرقاً وشمالاً، وصل دياز إلى خليج، سماه خليج القديس براس Aguada De São Brás، ويقع على السواحل الشرقية لإفريقيا، عند دائرة عرض ٣٤ درجة جنوب خط الاستواء، ومكانه الآن خليج الأسماك Visbaai، في جنوب إفريقيا.

وهكذا، كما يقول راندلز Randles:

"خرج بارتلوميو دياز من المحيط الأطلنطي إلى المحيط الهندي، وعبر أقصى نقطة في قارة إفريقيا من الجنوب، دون أن يراها، أو يدرك أنه عبرها Without Realizing It And Without Seeing It، ولكنه رسا على الشاطئ الشرقي للقارة، وأدرك أن طريقه مفتوح إلى الشرق، وراوده الأمل أنه يمكنه مواصلة الإبحار إلى الهند"[1].

---

1) W. G. L. Randles: Bartolomeu Dias And The Discovery of The South East Passage Linking the Atlantic to the Indian Ocean,P25, Coimbra, Largo De S. Salvador, 1988.

وواصل دياز الإبحار شمالاً حتى وصل إلى رأس زاوية الشاطئ Kwaaihoek، وهي رأس صخرية على الساحل الشرقي لإفريقيا، في خليج ألجوا Algoa Bay، عند دائرة عرض ٣٣ درجة جنوباً، وكان ذلك يوم ١٢ مارس ١٤٨٨م.

وكانت رأس زاوية الشاطئ، آخر نقطة يصل إليها بارتلوميو دياز، وبعدها تذمرت أطقم البحارة على السفن، وقد مر عليهم تسعة أشهر في المحيط، وطلبوا العودة إلى البرتغال، وفي طريق عودته مر دياز بآخر رأس في قارة إفريقيا من الجنوب، وأدرك أنه عبرها دون أن يراها، فسماها رأس العواصف Cabo Das Tormentas، وعندما وصل إلى البرتغال في شهر مايو قرر الملك خواو الثاني تغيير اسمها إلى رأس الرجاء الصالح Cabo Da Boa Esperança، رجاءًا في عبورها مرة أخرى والوصول إلى الهند، وهي الخطوة التالية، والتي خطاها فاسكو دا جاما.

السفاح فاسكو دا جاما في الهند

نبوءة من يهودي:

وفاسكو دا جاما Vasco da Gama كان عضواً في منظمة فرسان المسيح، وكان أبوه استيفاو دا جاما Estêvão da Gama أيضاً عضواً في المنظمة، ومن مجموعة الفرسان الخاصة بقائد المنظمة، الأمير فرناو.

وفي سنة ١٤٩٥م، اعتلى قائد المنظمة الأمير مانويل عرش البرتغال، باسم مانويل الأول، وكان أمله أن يتمكن من تحقيق غاية المنظمة والأمير هنري الملاح، في الوصول إلى الهند، فاختار لذلك فاسكودا جاما، وكان الذي رشح فاسكو دا جاما لهذه المهمة، وتنبأ بأن الغاية ستتحقق على يديه، الفلكي ومنجم الملك مانويل الأول، اليهودي أبراهام زاكوتو.

وزاكوتو قد التقيت به معنا من قبل، وعلمتَ أن اليهودي كرستوفر كولومبس استخدم جداوله وخرائطه AlmanacK Ptrpttuum، وكذلك كان يدون يوميات رحلته طبقاً لتقويم الربانيين العبري، الذي كان يستخدمه زاكوتو.

وفي كتابه: كرستوفر كولومبس، وإسهام اليهود في الاستكشافات الإسبانية والبرتغالية، يقول المؤرخ اليهودي وعضو الأكاديمية الملكية في مدريد مائير كيسيرلنج، إنه:

"بعد طرد اليهود من إسبانيا سنة ١٤٩٢م، رحل زاكوتو إلى البرتغال، ولمعرفته الواسعة بالفلك والرياضيات، استقبله الملك خواو الثاني والأمير مانويل بترحاب كبير، وألحقه الملك خواو الثاني ببلاطه، فأصبح منجمه الخاص، ومستشاره في الفلك والشؤون الملاحية Maritime Matters، ثم بناءًا على طلب الملك مانويل الأول، قام بدراسة عن العواصف وأثرها على السفن، وأثبت فيها أنه يمكن الإبحار إلى رأس الرجاء الصالح، في وقت أقصر من الذي استغرقه بارتلوميو دياز، واستشاره االملك مانويل في الإبحار إلى الهند، فشجعه على ذلك، ووضع فاسكو دا جاما خطته الملاحية من أجل الوصول إلى الهند بالتشاور معه With Conferred Him"[1].

---

1) **Christopher Columbus and the Participation of the Jews in the Spanish and Portuguese Discoveries, P112-113.**

وفي كتاب المؤرخ البرتغالي جاسبار كوريا Gaspar Correa، وهو معاصر لدا جاما وأرخ لرحلاته: رحلات فاسكو دا جاما وولايته على الهند The Three Voyages Of Vasco da Gama And His Viceroyality، وقد ترجمه من البرتغالية إلى الإنجليزية مع تعليقات وشروح طويلة المستكشف الإنجليزي الشهير هنري ستانلي Henry Stanley، في كتاب جاسبار كوريا نتيجة قراءة الطالع التي قام بها اليهودي زاكوتو، حين استشارة الملك مانويل الأول، بشأن الإبحار الهند، فهاك هي:

"وقال زاكوتو للملك: سيدي، لقد قمت بالمهمة التي كلفتني بها باهتمام عظيم وسعادة كبيرة، ووجدت أن الهند بعيدة جداً عن بلدنا، ويفصلها عنا بحار وأراض كثيرة، وكلها يقطنها شعوب ذَوو بشرة داكنة Dark People، وفيها ثروات كبيرة وبضائع كثيرة، وتذهب منها لمناطق عديدة في العالم، وقد قرأت طالعها، ورأيت أن جلالتك ستكتشفها، وأن جزءًا كبيراً من الهند سيكون خاضعاً لك وتابعاً لمملكتك، لأن نجمك يا سيدي في دائرة الأفق عظيم Your Planet Is Great Under The Sphere، وتجتمع فيه السموات والأرض، وسيضع الإله هذه القوة بين يديك، وستظل بين يديك إلى الأبد"(١).

ونبوءة اليهودي زاكوتو، كما ترى، تحريض لملك البرتغال على غزو الهند واحتلالها، ثم هي، كما لابد قد فطنت، مصدرها ليس قراءة الطالع، بل الجواسيس الذين نثرهم الله عز وجل في الأرض، وهم على تناثرهم مترابطون، ويعملون لغاية واحدة، ويتمم كل منهم في المكان الذي نزل فيه عمل الآخر، وقد علمت من قبل أن التجار اليهود كانوا موجودين في الهند، من قبل وصول الأوروبيين إليها، وكانت أخبارهم ورسائلهم تصل إلى الربانيين في إسبانيا والبرتغال.

في موزمبيق:

وفي يوم ٨ يوليو ١٤٩٧م، بدأ فاسكو دا جاما رحلته للوصول إلى الهند، بالإبحار من لشبونة، في أسطول من أربع سفن، مسلحة ومزودة بالمدافع، وتتقدمهم سفينته: القديس جابرييل São Gabriel، فسار في الطريق البحري الذي سلكه المستكشفون البرتغال من قبله، حتى وصل إلى الرأس الأخضر، ولكنه اتباعاً لنصيحة زاكوتو، واصل إبحاره بعدها في اتجاه الجنوب في المحيط

1) Gaspar Correa: The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P24-25, Translated From The Poruguese By: Hon. Henry Stanley, Printed for the Hakluyt Society, London, 1869.

المفتوح، بعيداً عن سواحل إفريقيا، بخلاف مسار رحلة بارتلوميو دياز، لكي يتجنب المستنقعات والدوامات في المناطق القريبة من الشاطئ.

وبعد أن عبر أسطول فاسكو دا جاما رأس الرجاء الصالح، في يوم ٢٣ نوفمبر ١٤٩٨م، اتجه شمالاً في الطريق الذي سلكه بارتلوميو دياز، حتى وصل أمام موزمبيق، يوم ٢ مارس ١٤٩٨م، وهي على الساحل الشرقي لإفريقيا، عند دائرة عرض ٢٥ درجة جنوب خط الاستواء، وكانت إذ ذاك مركزاً تجارياً كبيراً، وولاية مسلمة، وهذا هو وصف جاسبار كوريا في كتابه: رحلات فاسكو دا جاما، لها ولأهميتها التجارية في سواحل إفريقيا:

"وهي تتبع سلطنة كِلوة Quiloa، ويرأسها شيخ Sheikh، وهو الذي يقوم بجمع الضرائب المفروضة على سفن التجار، التي ترسو على الجزر خارجها، والسفن كثيرة العدد، وتأتي من جميع البلدان، محملة ببضائع من مختلف الأنواع، ويذهب بها التجار على طول الساحل، ويتحركون بها عبر الأنهار، ويقايضونها بالذهب والفضة والعاج والصمغ والشمع، ومعظم هؤلاء التجار من المغاربة Moors(•)، ورغم انخراطهم الكبير في التجارة فإنهم يظلون مثل أهل البلد الأصليين Natives Of The Country، وأغلب سلاطين هذه البلاد من طائفة محمد Of The Sect Of Mohamed"(1).

وفي يوميات رحلة فاسكو دا جاما الأولى A Journal of The First Voyage of Vasco da Gama, 1497-1499، التي سجلها خواو دي سا João de Sá(•)، كاتب فاسكو دا جاما وأحد بحارته، وترجمها إلى الإنجليزية مؤرخ الجغرافيا وعضو الجمعية الجغرافية في لشبونة إرنست جورج رافنشتين Ernest Georg Ravenstein، أن:

•) كان الإسبان والبرتغاليون يستخدمون كلمة:Mouros، التي تعني حرفياً مغاربة، كاسم لمسلمي المغرب وشمال إفريقيا، وهم الذين التقوا بهم في التجارة وفي الحروب، ولكنهم كانوا أيضاً يستخدمون الكلمة للدلالة على المسلمين عموماً، ولذا وصفوا مسلمي الفلبين في كتاباتهم، بعد أن وصل إليها ماجلان، بأنهم: مورو، وصار الاسم علماً عليهم، وهو الآن اسم الأقلية المسلمة في الفلبين.

1) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P86.

•) البحار الذي دون يوميات رحلة فاسكو دا جاما، وكان مرافقاً له، لم يسجل اسمه عليها، ولكن المؤرخين البرتغاليين على أنه أحد اثنين: خواو دي سا، أو ألفارو فلهو Alvaro Velho، ومترجم اليوميات، المؤرخ والجغرافي إرنست جورج رافنشتين، يرجح في دراسته لليوميات التي وضعها كمقدمة للترجمة، أنه خواو دي سا.

"الشيخ/حاكم موزمبيق المسلم كان يُلقب بالسلطان Sultan، ولكنه في الحقيقة كان والياً/نائباً عن السلطان Viceroy"[١].

وفي تعليقاته على كتاب كوريا، ينقل المستكشف الإنجليزي هنري ستانلي، عن المؤرخ خواو دي باروس João de Barros، وهو أيضاً من مؤرخي رحلات دا جاما، أن والي موزمبيق المسلم، كان اسمه: زاكوسجا Zacocja[٢].

وكِلوة سلطنة مسلمة، نشأت في القرن العاشر الميلادي، وعاصمتها في جزيرة كِلوة، في زنزبار Zanziba، وتقع الآن في تنزانيا، وكانت تحكم إمارات سواحل شرق إفريقيا، وتمتد من الصومال جنوباً إلى موزمبيق شمالاً، وظلت تحكم الساحل الإفريقي، حتى أسقطها البرتغاليون بقيادة فرانشيسكو دا ألميدا Francisco da Almeida، سنة ١٥٠٥م.

وفي يوميات رحلة فاسكو دا جاما، أنه بعد أن وصل أمام شواطئ موزمبيق، أرسل نيكولاو كويلهو Nicolau Coelho، وهو ربان أحد سفنه، في قارب لاستكشاف الميناء، والبحث عن مكان للرسو فيه، وكان الملك مانويل الأول قد زود دا جاما بعبيد من إفريقيا يتكلمون لغات مختلفة، ليتمكن من التواصل مع أهل البلاد التي يمر بها، فأرسل بعضهم إلى موزمبيق، والتقوا بمترجمين مغاربة، ثم:

"قدَّموا فاسكو دا جاما وأتباعه لشيخ موزمبيق، على أنهم مسلمون مغاربة، يعملون بالتجارة، وقدموا من بلاد بعيدة Moors From Some Foreign Land"[٣].

والتقى فاسكو دا جاما شيخ موزمبيق، وعقد معه اتفاقاً، أن يسمح له بأن ترسو سفنه في إحدى الجزر أمام الشاطئ، وأن يحصل على الماء من موزمبيق، في مقابل ستين مثقالاً من الذهب Mithcals Of Gold، وأطلق دا جاما على الجزيرة اسم القديس جورج São Jorge، رمز منظمة فرسان الهيكل.

---

1) João de Sá: A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, 1497-1499, Translated And Edited With Notes And Introduction By: Ernest Georg Ravenstein , P25, Printed for the Hakluyt Society, London, 1898.
2) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P80.
3) A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P28.

وفي يوميات رحلة فاسكو دا جاما، التي سجلها البحار خواو دي سا، يقول:

"وفي يوم السبت ١٠ مارس، أبحرنا من جزيرة ساو جورج، ورسونا في البحر قرب جزيرة أخرى على بعد فرسخ/٥-٦ كيلومتر، من أجل إقامة القداس Mass، وفي يوم الأحد أقمنا القداس تحت شجرة طويلة"[١].

ورغم حرص فاسكو دا جاما ومن معه على التخفي، والتظاهر بأنهم مسلمون، فقد كشف شيخ موزمبيق وأهلها هويتهم، ولا يوجد في يوميات خواو دي سا، ولا في تاريخ جاسبار كوريا ما يوضح كيف عرف شيخ موزمبيق وأهلها أن دا جاما وأتباعه ليسوا مسلمين، ولكن المستكشف هنري ستانلي، ينقل في شروحه الطويلة على كتاب كوريا، عن المؤرخ البرتغالي باروس، أنه:

"بعد عشرة أيام من اتفاق فاسكو دا جاما مع شيخ موزمبيق ورُسوه في جزيرة ساو جورج، حضر مع المغاربة الذين يجلبون الماء والمؤن ثلاثة من الأحباش Abyssinians، من بلد برستر جون Prester John، وحين رأوا صورة الملاك جبرائيل Angel Gabriel مرسومة في السفينة، سجدوا أمامها، لأنهم كانوا يعرفونها وتعودوا على السجود أمامها في كنائسهم"[٢].

وبرستر جون، بالبرتغالية برستي خواو Preste João، شخصية أسطورية شاعت قصتها منذ الحروب الصليبية، وخلاصتها أن برستر جون راهب نسطوري تمكن من إقامة مملكة مسيحية في الشرق، وانه انتزعها بالقوة من المسلمين، وعند بداية ظهور أسطورة برستر جون في القرن الثاني عشر، كان الأوروبيون يعتقدون أن مملكته في الهند، ولكن منذ بداية القرن الرابع عشر، وبعد أن كتب التاجر والرحالة الإيطالي ماركوبولو Marco Polo رحلته الشهيرة، وذكر فيها أن في الحبشة مملكة مسيحية قوية، وكانت المملكة المسيحية الوحيدة في إفريقيا، شاع بين الأوروبيين أن الحبشة هي مملكة برستر جون.

وأحد أهداف الاستكشافات البرتغالية، منذ بدأها الأمير هنري الملاح، وإحدى استراتيجياتها في كل عصورها، كان الوصول إلى مملكة برستي خواو في الحبشة، والتحالف معها لتطويق بلاد الإسلام.

---

1) A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P25, 28.
2) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P81.

وبعد أن عاد المغاربة إلى شيخ موزمبيق، أخبروه بما رأوه:

"فاجتمعت أعداد كبيرة من أهل موزمبيق على الشاطئ وهم يتصايحون، وركبوا قواربهم متجهين إلى سفن فاسكو دا جاما، ومسلحين بالحراب والسهام، ولم يكن لديهم خبرة بعدُ بقدرة مدافعنا Not Yet Experienced The Fury Of Our Artillery، وأمر دا جاما بإطلاق النار عليهم، فقُتل خمسة رجال منهم"[١].

وينقل هنري ستانلي، في شروحه على تاريخ جاسبار كوريا، عن المؤرخ البرتغالي دي باروس، أنه بعد إطلاق سفن دا جاما مدافعها على أهل موزمبيق:

"أبحر فاسكو دا جاما بسفنه، بعد أن أسر بعض المغاربة وأخذهم معه، ثم استجوبهم وهو يعذبهم With Torture، عن تجارة الذهب مع سوفالا Sofala، وعن الرحلة إلى كاليكوت Calecut، فأخبروه أنها تستغرق شهراً، فسعد بذلك"[٢].

وبعد أن ترك أسطول فاسكو دا جاما موزمبيق يوم ٢٩ مارس ١٤٩٨م، اتجه شمالاً بمحاذاة سواحل إفريقيا الشرقية، فمر بجزر كيرمبا Kerimba، وجزر كابيساس/ الرؤساء Cabeças، وجزيرة كِلوة، وجزر بمبا Pemba، ويقول خواو دي سا في يومياته، إنها كلها:

"جزر صغيرة وقريبة من الشاطئ ومأهولة بالسكان، وأهلها ينتقلون بينها وبين الشاطئ بسهولة، وجزر بمبا جُل أهلها من المغاربة، ويعملون في صناعة الصواري Masts، ويزودون السفن بها"[٣].

في مُمباسا:

وفي يوم ٧ أبريل، وصل أسطول دا جاما إلى شواطئ مُمباسا Mombaça، عند دائرة عرض ٤ جنوب خط الاستواء، وتقع الآن في كينيا على شاطئ المحيط الهندي، ويصفها خواو دي سا في يومياته بأنها:

---

1) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P82
2) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P82.
3) A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P32-34.

"مدينة تجارية كبيرة، وميناؤها واسع، وبه عدد كبير من السفن، ولها قلعة صغيرة تطل على المحيط، ويسكنها عدد كبير من المغاربة، يعملون بتجارة الذهب والعاج والتوابل، كما يوجد بها عدد كبير من المسيحيين، يعملون بالتجارة، ويعيشون في أحياء خاصة بهم تحت سلطة قضاتهم Under Their Alcaide"[1].

وحين وصل أسطول دا جاما إلى مُمباسا، وجدوا السفن في الميناء مزينة وترفرف عليها الأعلام، لدخول شهر رمضان، وأرسل دا جاما اثنين من المغاربة الذين جلبهم معه من موزمبيق إلى ملك مُمباسا ببعض الهدايا، ويطلب أن يسمح له بدخول الميناء، فأذن له، ولكن:

"القائد الأعلى/دا جاما Captain Major ارتاب في الأمر، فقام باستجواب المغاربة، وهو يصب الزيت المغلي على جلدهم Dropping Boiling Oil Upon Their Skin، فقالوا له إن الملك علم بما حدث في موزمبيق، وأنه أمر بأسر سفنهم بمجرد أن تدخل الميناء ... وجاءوا بالمغاربة لاستجوابهم مرة أخرى تحت التعذيب، فألقوا بأنفسهم في الماء، رغم أن أحدهما كانت يداه مقيدتين بالحبال"[2].

وترك فاسكو دا جاما وأسطوله ممباسا، واتجه شمالاً، وفي يوم ١٤ أبريل رأوا قاربين بعيداً عن الشاطئ، فقرروا القرصنة عليهما، ولكن تمكن أحد القاربين من النجاة إلى الشاطئ، وأسر دا جاما الآخر، وكان فيه سبعة عشر رجلاً، واستولى على ما فيه من ذهب وفضة[3].

وقبل أن تكمل رحلتك مع فاسكو دا جاما، ننبهك أنَّا نأتيك بهذه التفاصيل، لأن جُل الأميين في بلاليص ستان، ممن ينقلون عن الغربيين نقل العميان، يسقطونها، ويفخمون دا جاما وأمثاله ممن قاموا بالكشوف الجغرافية، ويقدمونهم لك على أنهم أبطال ومن عظماء التاريخ، وهم كما ترى، ليسوا سوى لصوص وقراصنة، ومن ذوي القلوب القاسية.

---

1) A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P32-34.
2) A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P36-37.
3) A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P39.

في ماليندي:

وفي اليوم نفسه، ١٤ أبريل، وصل أسطول دا جاما إلى خليج ماليندي Malindi، عند دائرة عرض ٣ جنوب خط الاستواء، وهي الآن في كينيا، فألقى دا جاما مراسيه أمام شاطئ مدينة ماليندي، ويقول خواو دي سا في يومياته، إن دا جاما:

"كان في حاجة ماسة إلى دليل Pilot يرشده إلى الطريق إلى الهند، ولم يكن يعرف هل يواصل سيره شمالاً أم يتجه شرقاً، فاستجوب المغاربة الذين أسرهم في القارب، فأخبروه أن ماليندي يوجد بها أربع سفن لمسيحيين من الهند ويعملون في التجارة، ويمكنهم أن يدلوه على الطريق"(١).

وأرسل فاسكو دا جاما رسالة مع أحد المغاربة إلى ملك ماليندي، وكان على خلاف مع ملك مُمباسا، فرحب الملك بدا جاما، وأرسل إليه هدايا، وطلب منه القدوم للقائه في قصره، فاعتذر دا جاما، بأن تعليمات ملكه أن لا ينزل إلى الشاطئ إلا في الهند، فقدم ملك ماليندي للقائه في سفينته الخاصة، ثم عاد وأرسل إليه الهنود المسيحيين أصحاب السفن الأربعة، وكانوا هنوداً من ذوي البشرة السمراء الداكنة، ولهم شعور طويلة ويطلقون لحاهم، فحذروا دا جاما أن يسير مع الشاطئ، ومن أن يغتر بالترحاب الذي استقبلوه به في ماليندي، ونصحوه أن يطلب من الملك دليلاً مسيحياً.

وطلب دا جاما الدليل من ملك ماليندي، فتأخر في الرد عليه يومين، وفي يوم ٢٢ أبريل:

"أرسل إليه الملك أحد مستشاريه الذين يثق فيهم Confidential Servants، في سفينته الخاصة إلى دا جاما، فحبسه وأرسل إلى الملك أنه لن يطلق سراحه حتى يأتيه الدليل الذي طلبه، فأرسل إليه الملك دليلاً مسيحياً A Christian Pilot"(٢).

---

1) A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P40.
2) A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P45

ولا يوجد في يوميات البحار خواو دي سا، أي معلومات عمن يكون هذا الدليل، سوى أنه مسيحي، ولكن في تعليقاته على اليوميات يقول مترجمها المؤرخ والجغرافي إرنست جورج رافنشتين:

"هذا الدليل من أهل البلاد الأصليين Nativa، من كوجرات Gujarat، وفي تاريخ دي باروس وفاريا سوسا Faria Sousa، أنه يُدعى ماليما كناكا Malema Kanaqua، وماليما معناها الأستاذ أو المُعلم، وكناكا لقبه"(١).

أما جاسبار كوريا في تاريخه لرحلا فاسكو دا جاما، فيقول إن:

"ملك ماليندي أمد دا جاما بثلاثة أدلاء مسيحيين، ومنح دا جاما كلاً منهم خمسين كروزادوس ذهبية Cruzados، في حضور الملك، لكي يتركوها لأسرهم، وأخذ دا جاما اثنين منهم في سفينته، وجعل الثالث في السفينة التي يقودها أخوه باولو دا جاما Paoulo da Gama"(٢).

هل دل أحمد بن ماجد فاسكو داجاما على الطريق إلى الهند؟

ولا وجود في يوميات خواو دي سا، وكان أحد البحارة في سفينة دا جاما، ولا في تاريخ جاسبار كوريا، وهو معاصر لدا جاما ومؤرخ لرحلاته، ولا في تاريخ دي باروس، وهو أول مؤرخ في تاريخ البرتغال، وكتابه: آسيا Da Asia، تأريخ لكشوفها الجغرافية وإمبراطوريتها عبر البحار، لا وجود لأحمد بن ماجد، الذي يشيع أنه دل فاسكو دا جاما على الطريق إلى الهند، ويتيه بعض البقر في بلاليص ستان بذلك، من باب التمسح في الغرب، ولكي يؤلفوا الأغاني عن الإسهام في الحضارة العالمية.

ولو صح أن ابن ماجد كان دليل فاسكو دا جاما على الطريق إلى الهند، لكان ذلك وصمة عار في تاريخه، لأنه دل قرصاناً وسفاحاً على الطريق إلى بلاد المسلمين، وقد وصل إلى ماليندي ما فعله دا جاما في موزمبيق ومُمباسا، ولأن وصول دا جاما إلى الهند، كان الخطوة

---

1) A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P45-46.
2) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P142-143.

العملية الأولى في تطويق بلاد الإسلام، والمرابطة على أطرافها، من أجل التسلل إلى مياهها واختراق قلبها، والوصول إلى أورشليم/القدس.

وأحمد بن ماجد بن محمد بن عمر بن فضل بن دويك بن أبي معلق بن أبي الركايب، أحد أشهر الملاحين وعلماء الملاحة العرب، وهو من جلفار، وكانت تابعة إذ ذاك لمملكة هرمز، وموقعها الآن رأس الخيمة في الإمارات، وكان ابن ماجد كأبيه خبيراً في الملاحة في البحر الأحمر وبحر العرب والمحيط الهندي، وكان العرب يسيطرون على الملاحة والتجارة في المحيط الهندي، وهو محيط الإسلام، سيطرة تامة.

ولابن ماجد عدة مؤلفات في علوم الملاحة، أشهرها كتابه: الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، وهو الذي طور البوصلة.

يقول دكتور أنور عبد العليم، رئيس قسم العلوم البحرية في جامعة الإسكندرية، في كتابه: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عن أحمد بن ماجد:

"الملقب بالمعلم وأسد البحار، عاش في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجري، وفي كتابه: دستور الملاحة تعاليم في فنون البحر والملاحة تصلح لأن تكون دستوراً للبحر في كل الأوقات والعصور، وليست قاصرة بحال من الأحوال على العصر الذي عاش فيه، ويعتبر هذا الملاح الذي سلخ أكثر من خمسين سنة من عمره في البحر شيخ ربابنة المحيط الهندي وجزره وسواحله الإفريقية والآسيوية غير منازع، واليه يرجع الفضل في تطوير فنون الملاحة العربية ووضع تعاليم صارمة للملاحين والربابنة تكفل لهم الأمن والسلامة في جميع الأوقات"[١].

وقصة إرشاد أحمد بن ماجد لفاسكو دا جاما، لا وجود لها سوى في مصدر واحد، ونقلها عنه بعض مؤرخي الغرب، ثم التقطها بقر بلاليص ستان، لكي يتمسحوا في الغرب، وليتباهوا بها كما تتباهى القَرعة بشعر بنت أختها، وبعد ذلك صارت من الثقافة العامة في بلاليص ستان، وشاع

---

١) دكتور أنور عبد العليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص١٧٥، سلسلة عالم المعرفة، العدد: ١٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ١٩٧٩م.

في أسئلة المسابقات والبرامج التلفزيونية السؤال عن البحار العربي الذي أرشد فاسكو دا جاما، ولا فخر، إلى الطريق إلى الهند!

والمصدر الواحد الذي فيه إرشاد ابن ماجد لدا جاما، هو كتاب: غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة، المسمى البرق اليماني في الفتح العثماني، لقطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي، يقول النهراواني في أول الباب الثاني من كتابه:

"**وقع في أوائل القرن العاشر من الحوادث الفوادح النوادر، دخول الفرتقال/البرتغال اللعين، من طائفة الإفرنج الملاعين، إلى ديار الهند، وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبتة في البحر ويَلِجون في الظلمات ... ويمرون بموضع قريب من الساحل في مضيق، أحدُ جانبيه جبل، والجانب الثاني بحر الظلمات، في مكان كثير الأمواج، لا تستقر به سفائنهم وتنكسر، ولا ينجو منهم أحد، واستمروا على ذلك مدة، وهم يهلكون في ذلك المكان، ولا يخلص من طائفتهم أحد إلى بحر الهند، إلى أن خلص منهم غراب/سفينة إلى الهند، فلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر، إلى أن دلهم شخص ماهر، يقال له أحمد بن ماجد، صاحَبه كبير الفرنج، وكان يقال له الملندي، وعاشره في السُكر، فعلَّمه الطريق في حال سكره، وقال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان، وتوغلوا في البحر ثم عودوا فلا تنالكم الأمواج، فلما فعلوا ذلك، صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم، فكثروا في بحر الهند**"[١].

والنهراواني لم يكن معاصراً لفاسكو دا جاما ولا أحمد بن ماجد، وكتب كلامه هذا بعد وفاة ابن ماجد بنحو ثمانين سنة، ولم يورد مصدره لهذه الرواية، وهو يذكر ابن ماجد على أنه شخص مجهول أو مغمور، مع أنه أشهر الملاحين العرب في عصره، وبعد عصره.

وما في رواية النهراواني يتنافى مع سيرة ابن ماجد وتبجيل الملاحين العرب له وتخليدهم لذكراه، لقرون بعد وفاته.

---

١) المؤرخ قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي: غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة، المسمى البرق اليماني في الفتح العثماني، ص١٨-١٩، أشرف على طبعه: حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

في الباب الأول من كتابه: الخطوات الأولى في شرق إفريقيا، أو استكشاف هرار First Footsteps In East Africa or, An Exploration of Harar، يقول المؤرخ والرحالة الإنجليزي ريتشار بيرتون Richard Burton، إنه دخل هرار كحاج مسلم Haji، لكراهية أهلها الشديدة للأوروبيين، خصوصاً الإنجليز، وفي يوم الأحد ٢٩ أكتوبر ١٨٥٤م، بعد وفاة ابن ماجد بثلاثة قرون ونصف قرن، أبحر بيرتون مع صديق له عربي يرمز له بحرف: **S**، من عدن، في سفينة ملاحوها من العرب، ثم:

"عند عبورنا قارب خفر السواحل Guard Boat، أبرزنا تصاريحنا، وقبل أن ننطلق في البحر المفتوح، تلونا مع البحارة سورة الفاتحة Fatihah Prayer، على روح الشيخ ابن ماجد، مخترع بوصلة البحارة"[١].

وفي دراسته عن كتاب أحمد بن ماجد: الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، التي نشرها في مجلة العرب، سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، يقول دكتور أنور عبد العليم:

"في كتاب المحيط للأميرال التركي سيدي علي شلبي، الذي كُتب بعد ابن ماجد بنحو خمسين سنة، أثنى ثناءًا جماً على شخصية ابن ماجد، وكانت مهمة سيدي علي شلبي الأولى أن يطرد البرتغال من الهند، ولو كان يعلم أن ابن ماجد كان له أدنى ضلع في مساعدة البرتغال لما أوسعه بذلك الثناء العاطر"[٢].

في كاليكوت الهند:

ونعود بك إلى رحلة القرصان فاسكو دا جاما.

وإليك أولاً خريطة لرحلة فاسكو دا جاما، منذ غادر البرتغال إلى أن وصل إلى كاليكوت في الهند.

---

1) Richard Burton: First Footsteps In East Africa Or, An Exploration of Harar, Vol. I, P2-3, Tylston And Edwards, London, 1894.

٢) دكتور أنور عبد العليم: الفوائد في أصول علم البحر والفرائد، مجلة العرب، السنة الرابعة، الجزء التاسع، ربيع الأول ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.



خريطة لمسار رحلة فاسكو دا جاما الأولى من لشبونة إلى كاليكوت.

في يوم ٢٤ أبريل ١٤٩٨م غادر أسطول دا جاما ماليندي، وحسب توجيهات الدليل المسيحي، كما يقول خواو دي سا في يومياته، أبحر شرقاً، فعبر بحر العرب، وبعد ثلاثة وعشرين يوماً، وفي يوم ١٨ مايو:

"**ظهرت جبال الهند، وحاول الأسطول الاقتراب من الشاطئ، فلم يستطع بسبب الأمطار الغزيرة والعواصف الرعدية، وفي يوم ٢٠ مايو، وبعد أن صار الأسطول بمحاذاة الشاطئ، أخبرهم المعلم كناكا، أن هذه هي كاليكوت التي جاءوا من أجلها**"(١).

وفي تاريخ جاسبار كوريا زيادة على يوميات خواو دي سا، وهي أن الجبال التي وصل إليها أسطول دا جاما، هي جبال ديليلي Delielly، في مملكة كانانور Cananor، وأنه حين ظهر الأسطول أمام شاطئ مدينة كانانور، هُرعت أعداد غفيرة من الناس لرؤيته، ومشاهدة الرجال البيض الذين على متنه، وأرسل ملك كانانور، الراجا كولاتيري Kolathiri، رجاله لاستطلاع

1) **A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P47-48.**

الأمر، ولما عادوا إليه جمع المتنبئين والعرافين في بلاطه Soothsayers And Diviners، فأخبروه أن هذه السفن لمملكة عظيمة من بلاد بعيدة، وأنها ستملك الهند بالحرب أو بالسلام، ونصحوه أن يهادنهم، ثم تابع الأسطول سيره حتى رسا أمام بلدة كابوكيت Capocate، في خليج صغير، تبدأ من عنده مدينة كاليكوت، على بعد اثني عشر فرسخاً من كانانور.

وكاليكوت Calicut مدينة على ساحل مالابار Malabar، وهو الساحل الغربي لجنوب الهند، وموقعها الآن في ولاية كيرالا جنوب الهند، وهذا هو وصف جاسبار كوريا لكاليكوت وسواحل الهند، عندما وصل إليها أسطول قراصنة البرتغال:

"في الزمان الذي وصلت فيه سفننا، كان يصل إلى ساحل الهند في السنة الواحدة أكثر من ٨٠٠ سفينة كبيرة وصغيرة، من مناطق كثيرة في ملقا والصين ولكيوس Lequeos، محملة بمختلف أنواع البضائع والتجارات، فيأتون إلى كاليكوت، ويبحرون بطول الساحل، ويصلون إلى كامبايا Cambay، وكان عددهم التجار كثيراً، وبعضهم استقر في البلدات الساحلية، حيث كانوا يستقبلون كتجار ويعاملون بترحاب Welcomed Like Merchants"[١].

وفي يوميات خواو دي سا، أن:

"مدينة كاليكوت يقطنها مسيحيون، ولهم بشرة سمراء مصفرة Tawny، وبعضهم يطيلون شعورهم ولحاهم، وبعضهم يقص شعره ويجعله قصيراً، وبعضهم يحلقون رؤوسهم علامة على أنهم مسيحيون Sign That They Are Christians ... وعندما دخلنا كاليكوت أخذونا إلى كنيسة كبيرة مبنية بالحجارة، وينتصب أمام بوابتها البرونزية عمود طويل من البرونز يشبه الصارية، وفي أعلاه طائر، يبدو أنه ديك Cock، وفي حرم الكنيسة صورة لسيدتنا Our Lady، وفي هذه الكنيسة تلا القائد الأعلى الصلوات وتلوناها معه"[٢].

وحاول فاسكو دا جاما التقرب إلى أهل كاليكوت، فاشترى منهم أسماكاً وأخشاباً، وبعد تشاوره مع أخيه باولو ونيكولاو كويلهو، أرسل اثنين من أدلائه، برسالة إلى ملك كاليكوت، يخبره فيها أنه قدم إليه سفيراً من ملك البرتغال Ambassador، ويطلب لقاءه، فرحب به الملك، ونزل دا جاما

1) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P146-147.
2) A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P49, 52-53.

في قارب إلى الشاطئ، في ثلاثة عشر من رجاله، وكان أحدهم خواو دي سا، كما يقول هو نفسه، فاستقبله على الشاطئ رسول من الملك يحيط به عشرات من الحراس مسلحين بالسيوف والحراب[١].

ودخل فاسكو دا جاما كاليكوت محمولاً على محفة أرسلها إليه الملك، ورجاله يسيرون خلفها، والشوارع تفيض بأهل كاليكوت، رجالاً ونساءً وأطفالاً، يتفرجون عليهم، حتى وصل إلى قصر الملك، ويقول خواو دي سا، إن دا جاما قال للملك إنه:

"سفير ملك البرتغال، واسمه مانويل، وهو يحكم بلاداً عديدة، ويملك ثروات عظيمة، تفوق ما يملكه أي ملك في هذه البلاد، ومنذ ستين سنة وأسلافه يرسلون السفن بحثاً عن الطريق إلى الهند، لأنهم يعرفون أن فيها ملوكاً مسيحيين مثلهم، هذا هو السبب الذي قال القائد الأعلى إنه جاء إلى هذه البلاد من أجله، وليس البحث عن الذهب والفضة Not Because They Sought For Gold Or Silver"[٢]!

ويقول خواو دي سا إن ملك كاليكوت، كان مسيحياً، واسمه ساموليم çamollim، وفي تاريخ جاسبار كوريا أنه هندوسي واسمه زامورين Zamorin، وطلب ملك كاليكوت من دا جاما الهدايا التي أرسلها ملكه القوي الغني، كما هو العُرف بين الملوك، فردعليه دا جاما أنه جاء لاستكشاف الطريق، وليس معه هدايا، ولكنه جاء ببضائع للتجارة، فأمر الملك بتجهيز أماكن لإقامتهم، وطلب من دا جاما أن يرسل لرجاله في السفن، لكي ينزلوا البضائع إلى الشاطئ، وأرسل رجاله ليعاينوها ويقدروا ثمنها، فعادوا وأخبروه أنها أشياء تافهة لا قيمة لها.

وبعد عدة لقاءات مع الملك، طلب دا جاما أن يعود إلى سفنه، وأن يعود إلى البرتغال، فأذن له الملك أن يذهب إلى السفن، ولكنه استبقى بعض رجال دا جاما، ورفض السماح لسفنه بالإبحار إلا بعد دفع الرسوم المقررة على السفن التي ترسو في الميناء بالعملات الذهبية.

ومن الطريف أن خواو دي سا يتأسف على معاملة الملك المسيحي لهم بهذه الطريقة، ويفسر ذلك بأنه صدق المغاربة المسلمين، وكذبهم وهم مثله مسيحيون:

---

1) A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P51.
2) A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P58.

"شعرنا بالأسى لأن ملكاً مسيحياً عاملنا بهذه الطريقة المهينة، والسبب في ذلك أن المغاربة الذين كانوا في قصر الملك، والذين كانوا تجاراً من مكة Mecca وأماكن أخرى، اخبروا الملك أننا لصوص، وأننا إذا عدنا مرة أخرى إلى بلده فلن تأتي إليه السفن من مكة ولا هُرمز ولا من أي مكان آخر"[١].

وهذا هو وصف جاسبار كوريا في تاريخه، لعلاقة التجار المغاربة/المسلمين بمملكة كاليكوت، ولموقعهم من التجارة في سواحل الهند:

"وكاليكوت مدينة رئيسية في الهند، وبسبب تجارة الهند الكبيرة منذ أزمان قديمة، يقطن مدنها عدد كبير من المغاربة من الأجانب ومن أهل البلاد الأصليين Foreign And Native Moors، وهم الأغنى بين جميع التجار في الهند، خصوصاً في المدن الساحلية، التي يوجد فيها مغاربة من القاهرة العظيمة Grand Cairo، ويحضرون في أساطيل كبيرة وسفن كثيرة، محملة ببضائع نفيسة، يجلبونها من مكة، ويأخذون في مقابلها التوابل والأعشاب الطبية، وبسبب ثراء المغاربة وقوتهم ونفوذهم الكبير أصبح كثير من سكان الهند من المغاربة"[٢].

وأسر دا جاما بعض الصيادين، وهدد ملك كاليكوت بإطلاق مدافعه على المدينة، إذا لم يرسل إليه رجاله، فأرسلهم إليه الملك في قوارب، ثم عقد معه اتفاقاً، ترك دا جاما بمقتضاه بعض رجاله والتجارة التي أتى بها، على أن يعود إليهم مرة أخرى لاحقاً بتجارة أكبر، وأرسل ملك كليكوت مع دا جاما رسالة إلى ملك البرتغال، أن بلاده غنية بالفلفل، والقرفة، والزنجبيل، والقرنفل، والأحجار النفيسة، وأنه يرحب بمبادلتها معه في مقابل الذهب والفضة والملابس.

جاسبار دا جاما، جاسوس يهودي:

وبعد سبعين يوماً في كاليكوت، وفي يوم ٢٩ أغسطس ١٤٩٨م، أبحر فاسكو دا جاما بأسطوله من سواحل الهند عائداً إلى البرتغال، وعند جزيرة أنجديفا Angediva، جنوب مدينة جوا Goa بعشرين ميلاً، جاءه من تلقاء نفسه جاسبار دا جاما Gaspar da Gama، وهو كما يقول خواو دي سا في يومياته:

---

1) A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P71-72.
2) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P154-155.

"رجل أبيض في الأربعين من عمره، وأخبره أنه مسيحي من أوروبا، ويعمل عند حاكم جوا العربي، ولكنه مازال مسيحياً في قلبه At Heart Still A Christian، وأنه يريد أن يلتحق بأسطوله، ويعود معه إلى بلده الأصلية، في البرتغال، وإذا لم يأخذوه سيموت من الحزن والأسف"[١].

وجاسبار دا جاما، يهودي وليس مسيحياً، وجاسبار دا جاما ليس اسمه الحقيقي، واسمه الحقيقي غير معروف، والبرتغال ليست بلده!

في كتابه: كرستوفر كولومبس، وإسهام اليهود في الاستكشافات الإسبانية والبرتغالية، يقول المؤرخ اليهودي وعضو الأكاديمية الملكية في مدريد مائير كيسيرلنج، إن:

"أسرة جاسبار دا جاما من بوزنان Poznań، في بولندا، ثم هاجرت إلى فلسطين، وفي شبابه ركب جاسبار دا جاما البحر الأحمر إلى مكة، ثم اتجه إلى الهند، واستقر في جوا، وكان يعمل عند سابايو Sabayo، حاكم جوا، وهو من المغاربة/المسلمين"[٢].

وفي تاريخ جاسبار كوريا لرحلات فاسكو دا جاما، أن:

جاسبار دا جاما ليس اسم اليهودي الحقيقي، فقد أخفى اسمه، وطلب من البرتغاليين أن يختاروا له اسماً، فكانوا يسمونه جاسبار الهند Gaspar De Las Indias، وأخبر فاسكو دا جاما أنه صار أباه الروحي Godfather، وسمى نفسه جاسبار دا جاما"[٣].

وكان جاسبار دا جاما يتكلم عدة لغات، منها العربية والإيطالية والبرتغالية، فقرر فاسكو دا جاما إلحاقه بأسطوله، ليعمل مترجماً له، ولكي يستفيد من معرفته الواسعة ببلاد الشرق وسواحل الهند، وبعد وصوله إلى البرتغال عينه الملك مانويل الأول مترجماً رسمياً، وكان مرافق فاسكو دا جاما في رحلتيه التاليتين، واشترك في جميع حملات البرتغال البحرية على الهند، إلى أن مات سنة ١٥١٠م.

---

1) A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P84.
2) Christopher Columbus and the Participation of the Jews in the Spanish and Portuguese Discoveries, P114.
3) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P272-273.

ومن سيرة اليهودي جاسبار دا جاما، وتطوعه للدخول في خدمة فاسكو دا جاما، وفي أسطول البرتغال، ومن سيرة اليهودي أبراهام زاكوتو من قبله، ودوره في إرشاد حملة فاسكو دا جاما، وتوفيره الدراسات العلمية التي تسهل مهمتها وتجنبها المخاطر، تدرك أن كشوف البرتغال الجغرافية لاكتشاف طريق بحري إلى الهند، وحملاتها البحرية عليها، أو بتعبير أدق: كشوف منظمة فرسان المسيح وحملاتها على الهند، كانت تتوافق ولا ريب مع غاية اليهود ومشروعهم.

وفي طريق عودته، أصيب بحارة فاسكو دا جاما بالإسقربوط Scurvy، وحين وصل إلى ماليندي في يوم ٧ يناير ١٤٩٩م، كان نصف البحارة قد ماتوا، وكانت إحدى سفنه قد فُقدت من قبل، فاضطر إلى إعادة توزيع أطقم البحارة في سفينتين وترك الثالثة.

وتنتهي يوميات البحار خواو دي سا يوم الثلاثاء ٢٥ أبريل ١٤٩٩، وسفن فاسكو دا جاما في الريو جراندي، أو النهر الكبير Rio Grande، وهو ذراع مائي من المحيط الأطلنطي، يقع بين ساحل إفريقيا الغربي بمحاذاة غينيا بيساو، وبين أرخبيل جزر بيجاجو Bijagó، عند دائرة عرض ١١ شمال خط الاستواء.

وفي تاريخ جاسبار كوريا، أن فاسكو دا جاما وصل إلى لشبونة يوم ١٨ سبتمبر ١٤٩٩م، ولكن المستكشف الإنجليزي هنري ستانلي، علق على ذلك، بأن في تاريخ وصول دا جاما إلى البرتغال خلاف كبير، وبعد أن أورد تفاصيل هذا الخلاف، رجح ما في تاريخ خواو دي باروس، وهو أنه وصل يوم ٢٩ أغسطس[١].

وفي تعليقه على يوميات خواو دي سا، أورد المؤرخ والجغرافي إرنست جورج رافنشتين، الخلاف حول تاريخ وصول فاسكو دا جاما، ثم رجح من الجمع بين المصادر المختلفة، أنه وصل إلى تيرشيرا Terceira يوم ٢٩ أغسطس، وإلى شاطئ لشبونة يوم ٩ سبتمبر، لكنه لم يدخلها إلا بعد أن تم تهيئة المدينة للاحتفال بقدومه، يوم ١٨ سبتمبر[٢].

---

1) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P266.
2) A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, P94-95.

حملة بدرو كابرال على الهند واكتشاف البرازيل:

وكانت رحلة فاسكو دا جاما، هي حملة البرتغال الأولى على الهند، ومن بعدها قرر الملك مانويل الأول، إرسال حملات بحرية مسلحة سنوية إلى الهند Armadas Da Índia، للتجارة، ولتأسيس قواعد للبرتغال فيها.

وكانت الحملة الثانية أسطولاً من ثلاث عشرة سفينة حربية جيدة التسليح، ومزودة بالمدافع، بقيادة بدرو ألفاريز كابرال Pedro Álvares Cabral، وهو أستاذ في منظمة فرسان المسيح، أبحرت من لشبونة يوم ٩ مارس سنة ١٥٠٠م، في طريقها إلى الهند، ولكنها تاهت في المحيط الأطلنطي، فاكتشفت البرازيل!

بعد أن عبر كابرال الرأس الأخضر، يوم ٢٣ مارس، فُقدت إحدى سفن أسطوله، وكان يقودها فاسكو دي أتيدا Vasco de Ataíde، وهو من النبلاء، فترك الأسطول سواحل إفريقيا، واتجه غرباً حتى لاح له شاطئ وجبال، فرسا عليها، يوم ٢٢ أبريل ١٥٠٠م، وسماها جبل باسكوال Monte Pascoal، وتقع شمال شرق البرازيل قرب ميناء سيجورو Porto Seguro، وأدرك كابرال أنها أرض جديدة غير معروفة للأوروبيين، فتعرَّف هو ورجاله عليها وعلى من وجدهم من أهلها، ووضع على شاطئها صليباً خشبياً، وسمى الأرض الجديدة: أرض سانتا كروز Terra da Santa Cruz، وهي التي صارت بعد ذلك البرازيل.

وبعد أن تزود بالماء والأخشاب والمؤن، عاود أسطول كابرال الإبحار يوم ٢ مايو ليستكمل رحلته إلى الهند، فسار بمحاذاة سواحل أمريكا الجنوبية، ثم اتجه شرقاً نحو سواحل إفريقيا، وهبت عاصفة عنيفة في الأطلنطي فقد فيها كابرال أربع سفن من أسطوله، ولكنه تمكن من عبور رأس الرجاء الصالح ببقية الأسطول، وسار في الطريق الذي سلكه فاسكو دا جاما، حتى وصل أمام كاليكوت، يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٥٠٠م.

وفي كتابه: فاسكو دا جاما وخلفاؤه Vasco da Gama and His Successors، يقول المؤرخ البريطاني كنجسلي جارلاند جيني Jayne Kingsley Garland، إن كابرال التقى ساموليم/زامورين، ملك كاليكوت، وسلمه الرسالة التي بعثه بها الملك مانويل الأول، وفيها يطلب منه:

"السماح للبرتغاليين بالإقامة في كاليكوت والتجارة، وعقد معاهدة تجارية مع البرتغال، يكون للبرتغاليين فيها الأولوية في التجارة مع كاليكوت بدلاً من المغاربة/المسلمين، فوافق ملك كاليكوت أن يقيموا مستوطنة أو وكالة Fábrica، يقيم فيها البرتغاليون، ويضعون فيها بضائعهم، ويمارسون منها التجارة"[(١)].

وفي يوم ١٦ ديسمبر تعرضت الوكالة البرتغالية التي لم يكتمل إنشاؤها لهجوم من عشرات الأشخاص، فقُتل بعض البرتغاليين، وفر الباقون إلى السفن، وظن كابرال أن الهجوم مصدره التجار العرب، وأرسل إلى الملك زامورين يطلب منه تفسيراً لما حدث ومعاقبة من اعتدوا على الوكالة البرتغالية، فلم يرد عليه، فأسر كابرال سفن التجارة العربية العشرة التي كانت راسية في ميناء كاليكوت، وقتل جميع بحارتها، وكانوا ستمائة، وأحرق السفن، ثم اتهم الملك زامورين أنه تحالف مع العرب ضد البرتغال، وأطلق مدافعه على مدينة كاليكوت، فأحرق جزءًا كبيراً من منازلها[(٢)].

وبعد ذلك اتجه كابرال جنوباً، نحو مدينة كوتشي Kochi، وكان الذي أشار عليه بالذهاب إليها، الجاسوس اليهودي جاسبار دا جاما، لأنها كانت تابعة لكاليكوت، ولكن حاكمها على خلاف مع ملك كاليكوت، ويحرض المدن التي حولها على الانفصال عن كاليكوت، فسمح حاكم كوتشي لكابرال بالنزول إلى الشاطئ وتأسيس وكالة تجارية برتغالية، وبعدها أبحر كابرال عائداً إلى البرتغال، فوصلها يوم ١٦ يناير سنة ١٥٠١م.

ومع فشل حملة كابرال في الوصول إلى اتفاقية تجارية مع مملكة كاليكوت، وهي أكبر مدن الساحل الهندي والمسيطرة على تجارته، بدأت حرب طويلة بين كاليكوت والبرتغال، وتوالت حملات البرتغال العسكرية عليها.

---

1) Jayne Kingsley Garland: Vasco Da Gama and His Successors, 1460-1580, P65, Methuen And Co. Limited, 3 Essex Street, London, 1910.
2) Jayne Kingsley Garland: Vasco Da Gama and His Successors, 1460-1580, P65.

حملة فاسكو دا جاما الثانية:

وكانت حملة البرتغال الرابعة، هي حملة فاسكو دا جاما الثانية إلى الهند، وهي حملة عسكرية ثقيلة التسليح، عقد الملك مانويل الثاني قيادتها لفاسكو دا جاما، من أجل إخضاع مملكة كاليكوت، وليس التجارة معها.

وفي يوم ١٢ فبراير سنة ١٥٠٢م، أبحر فاسكو دا جاما على رأس أسطول، يتكون من خمس عشرة سفينة حربية، وبعد أن وصل إلى المحيط الهندي لحق به أسطول آخر يتكون من خمس سفن، ويقوده استيفاو دا جاما Estêvão da Gama، ابن عم فاسكو دا جاما، وكانت مهمته الرئيسية، المرابطة في خليج عدن، عند مدخل البحر الأحمر، والقرصنة على السفن الخارجة منه والداخلة إليه، لخنق مملكة كاليكوت، وقطع الطريق التجاري بينها وبين بلاد الإسلام.

وبعد رحلة مضطربة ومليئة بالعواصف في الأطلنطي، اضطرت الأسطول إلى الانقسام عند رأس الرجاء الصالح، وأن يبحر كل جزء منه إلى المراكز المتفق عليها وحده، وصل فاسكو دا جاما إلى موزمبيق، يوم ١٠ يونيو، واجتمع أسطوله عندها.

وفي موزمبيق، وبعد أن ظهر الأسطول المسلح بالمدافع:

"حضر شيخ موزمبيق إلى سفينة دا جاما، ومعه هدية من الأغنام والبقر، وكان مضطرباً، لأنه أول من قاتل البرتغاليين إبان رحلة دا جاما الأولى ... وقبل أن يترك القائد الأعلى موزمبيق، قام بعمل ترتيبات مع شيخها، واتفق معه على بقاء جونزالو بيكسو Gonçalo Baixo، وكيلاً عن البرتغال Factor، في موزمبيق مع عشرة آخرين"[1].

وهكذا أقام فاسكو دا جاما وكالة تجارية للبرتغال في موزمبيق، وكان قبل أن يغادرها قد أرسل بدرو ألفونسو Pedro Alfonso، قائد إحدى سفنه، إلى سوفالا Sofala، شمال موزمبيق، وكانت مركزاً لتجارة الذهب في الساحل الإفريقي، فالتقى شيخها، وقدم له بعض الهدايا، وأخبره أنه

1) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P286, 290.

رسول من ملك البرتغال، وأن الملك أرسله برسالة صداقة إليه، من أجل عقد معاهدة تجارية بينهما(١).

وكانت محطة فاسكو دا جاما التالية هي ماليندي، ولكنه أخذ دليلاً من موزمبيق، ليدله على الطريق إلى مدينة كِلوة، ليس لأنها في طريقه إلى ماليندي، بل لأن موزمبيق وسوفالا تابعة لها، ولأن أميرها إبراهيم، كما يقول جاسبار كوريا، من المغاربة Moor.

ووصلها فاسكو دا جاما إلى كِلوة في يوم ١٢ يوليو ١٥٠٢م، فأرسل إلى الأمير إبراهيم، والتقاه في سفينته، وطلب منه أن يحضر هدية من الذهب لملك البرتغال، فرفض، وبعد أن هدده دا جاما بإطلاق مدافعه وإحراق كِلوة، أرسل إليه الأمير إبراهيم ١٥٠٠ مثقال من الذهب، وكان الوسيط والمترجم بين فاسكو دا جاما والأمير إبراهيم، هو مرافقه ومترجمه الجاسوس اليهودي جاسبار دا جاما.

وواصل فاسكو دا جاما رحلته إلى ماليندي، ومنها اتجه شرقاً، فوصل يوم ٢٠ أغسطس أمام شاطئ مدينة أونور Onor، وكان حاكمها مسلماً، وتتبع مملكة باجابور Bijapur المسلمة، فأخبر الجاسوس اليهودي جاسبار دا جاما، أخبر فاسكو دا جاما أن أونور مأوى للقراصنة المغاربة، ونصحه أن يهاجمها، فقصفها بالمدافع، وأحرق جميع السفن والقوارب الراسية في مينائها(٢).

وعندما علم راجا مدينة باتيكالا Batecala بما حل بأونور، أرسل مبعوثين إلى فاسكو دا جاما، يطلبون السلام معه، فوافق، وكانت شروطه التي كتبها اليهودي جاسبار دا جاما، وهددهم بقصف المدينة وحرق سفنها إن لم يوقعوا عليها، هي:

"تقديم ألف حِمل Thousand Loads من الأرز سنوياً لأطقم البحارة البرتغاليين، وخمسمائة حِمل من أجود أنواع الأرز لقادة السفن، ومنع التجار المغاربة والأتراك من ممارسة التجارة في باتيكالا، وإيقاف التجارة بين باتيكالا وكاليكوت"(٣).

---

1) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P286, 288.
2) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P286, 309.
3) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P311.

السفاح داجاما يحرق سفينة من الحجاج أحياءًا:

وبعد أن وقع دا جاما الاتفاقية مع راجا باتيكالا، أبحر في اتجاه كانانور، وقبل أن يصلها، وفي يوم ٢٩ سبتمبر ١٥٠٢م، لمح أحد بحارته سفينة تحمل حجاجاً عائدين من مكة إلى كاليكوت، فإليك وصف ما فعله فاسكو دا جاما بالحجاج، من تاريخ جاسبار كوريا لرحلات فاسكو دا جاما، ومن شروح المستكشف الإنجليزي هنري ستانلي عليه، والتي أورد فيها تفصيلاً المصادر المختلفة لما حدث:

"وعندما كان الأسطول في طريقه إلى كانانور، قرب جبل ديليلي، ظهرت عند الفجر سفينة كبيرة لكاليكوت قادمة من مكة، وفيها مغاربة من مالابار، وكان مالكها موجوداً عليها، وهو كبير التجار في كاليكوت، وعندما أخبروا القائد الأعلى أمر بأسرها ونهبها Pillage It، فحاصرتها السفن، ومضى اليوم كله وهم ينقلون حمولتها إلى السفن بالقوارب، وأمر القائد الأعلى ألا يخرج أحد من المغاربة منها، وأن تُحرق بمن فيها، وطلب مالك السفينة وقائدها لقاء القائد الأعلى، وعندما رأوه قال له قائد السفينة: "سيدي، إنك لن تربح شيئاً من قتلنا، فأصدر أمراً بحبسنا حتى نصل إلى كاليكوت، وسوف نملأ سفنك بالتوابل والبضائع دون مقابل، وإذا لم نفعل ذلك فأحرقنا"، فرفض القائد الأعلى وقال له: "سوف تحرقون أحياءًا You Alive Shall Be Burned، لأنكم حرضتم ملك كاليكوت على قتل البرتغاليين" ... وأمر القائد الأعلى بحبس جميع من في السفينة داخلها، ثم أمر بضربها بالمدافع وإشعال النيران فيها، ومراقبتها حتى تغرق تحت الماء، والذين ظهروا يسبحون في الماء قتلهم البحارة بالحراب"[1].

ويقول جاسبار كوريا إن عدد الحجاج الذين أحرقهم فاسكو دا جاما أحياءًا، سبعمائة، بينما يقول المستكشف هنري ستانلي، نقلاً عن المؤرخ البرتغالي دي باروس، إنهم:

"كانوا مائتين وستين رجلاً، وخمسين امرأة، وعشرين طفلاً"[2].

ووصل فاسكو دا جاما إلى كانانور يوم ١٨ أكتوبر ١٥٠٢م، وكان ملكها الراجا كولاتيري، قد هادن فاسكو دا جاما إبان رحلته الأولى، بناءًا على قراءة الطالع التي أخبره بها العرافون، كما

1) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P313-315.
2) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P317.

علمتَ، فطلب دا جاما منه توقيع اتفاقية تجارية معه، وكانت شروطها شديدة على كولاتيري، فماطل دا جاما، ولكنه اضطر لتوقيعها بعد غضب فاسكو دا جاما وإعلانه الرحيل، مخافة أن يقصف مدينته.

وكانت أهم شروط اتفاقية دا جاما مع ملك كانانور:

"إقامة مستوطنة/وكالة تجارية برتغالية في كانانور Settelment، ومنع أي سفينة تجارية من الرسو في كانانور، أو الإبحار في سواحل مالابار، إلا بتصريح Cartaz من المستوطنة البرتغالية، وعليه توقيع رئيسها، وكذلك ممارسة أي تاجر للتجارة في داخل كانانور لا تكون إلا بهذا التصريح"(١).

وفي يوم ٢٩ أكتوبر، وصل أسطول فاسكو دا جاما أمام شاطئ كاليكوت، فوجد ميناءها خالياً، وقد غادرتها سفن التجار المغاربة إلى جبل ديليلي، وكان فيه ميناءء يتبع مملكة كاليكوت، وأرسل زامورين ملك كاليكوت قارباً يحمل رسولاً من قِبله إلى فاسكو دا جاما، وكان براهمانياً، ولكنه يرتدي ثياب بيضاء يبدو فيها كراهب مسيحي Christian Friar، علامة على طلب السلام، وفي رسالته قال زامورين لفاسكو دا جاما إنه:

"اعتقل اثني عشر من المغاربة، وهم الذين أبلغوه بمعلومات خاطئة، ودفعوه للتعامل مع المستوطنة البرتغالية بصورة غير لائقة، وأنه أخذ منهم عشرين ألف كروزادوس ذهبية وجدها معهم، وسوف يرسلها إليه بمجرد وصول رده على رسالته، وبالنسبة إليه، زامورين، فإنه لا يرغب معه، دا جاما، في سلام ولا حرب Wishes For Neither Peace Nor War "(٢).

ورد فاسكو دا جاما على زامورين برسالة مكتوبة على أوراق النخيل، كتبها الرسول البراهماني، وأرسلها مع أحد الأدلاء، وفيها أنه:

"يفضل القضاء على المغاربة عن المال، وأنه أحرق عدداً كبيراً منهم عند جبل دليلي، رغم أنهم عرضوا عليه فدية كبيرة Ransom، وأن ما يريده هو طرد جميع مغاربة مكة والقاهرة من

---

1)The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P324.
2) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P329.

كاليكوت، قبل بدء أي مفاوضات بينهما حول السلام والتجارة، وأن راهبه/البراهماني سوف يبقى عنده لحين وصول رده"[1].

وبعد أن أرسل فاسكو دا جاما الرسالة، أمر بأسر مراكب الصيادين في كاليكوت، واستولى بحارته على أربع سفن محملة بالأرز قادمة إلى كاليكوت، ومع وصول النبأ إلى زامورين ملك كاليكوت، استشاط غضباً، وأرسل إلى فاسكو دا جاما رسالة، يخبره فيها أن:

"خسائر كاليكوت منذ جاء دا جاما إليها أكبر من خسائر البرتغاليين، وما استولى عليه من سفن كاليكوت يساوي سبعة أضعاف Severalfold ما كان في الوكالة، وأن ما فقدته كاليكوت من أرواح أهلها أكثر مما فقده البرتغاليون في وكالتهم، وأن المغاربة حلفاؤه ولن يُخرجهم من كاليكوت، وأنه لن تكون بينهما مفاوضات ولا رسائل إلا بعد إطلاق سراح الصيادين والبحارة، وانه إذا لم يقبل العرض الذي عرضه عليه، فإنه يجب عليه أن يرحل عن كاليكوت"[2].

ويعلق المستكشف هنري ستانلي، على مطالب فاسكو دا جاما، ورد زامورين عليها، بأنه كان من المستحيل Impossible، أن يطرد زامورين المغاربة/المسلمين من كاليكوت، لأن عددهم مع أسرهم كان يزيد على أربعة آلاف، وهم يقيمون فيها كأهلها، واقتصاد كاليكوت قائم على التجارة معهم.

ورداً على رسالة زامورين الغاضبة، أمر فاسكو دا جاما، بقتل جميع الصيادين والبحارة، وبقطع أنوفهم وآذانهم وأيديهم، وكذلك قطع أنف رسول الملك البراهماني وأذنيه ويديه، وتعليقهم حول رقبته، وأن يوضع الجميع في سفينة صغيرة، ويرسلوا إلى شاطئ كاليكوت، ثم أمر بقصف المدينة بالمدافع، وظل يقصفها يومين، إلى أن اشتعلت فيها الحرائق وتهدمت منازلها، ولم تكن المدينة مجهزة لحروب، فهي مدينة وميناء تجاري وليس فيها حصن ولا قلعة، ولا لها جيش أو أسطول حربي[3].

---

1) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P329.
2) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P331.
3) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P331-332.

وترك فاسكو دا جاما ست سفن من أسطوله، بقيادة خاله فنسنت سودري Vicente Sodré، لتضرب حصاراً حول كاليكوت ومينائها، وتحرك هو إلى كوتشي، فوصلها يوم ٣ نوفمبر ١٥٠٢م، وكان حاكمها الراجا تريمومبارا Trimumpara قد هادنه إبان رحلته الأولى، فعقد معه اتفاقية كالتي عقدها مع ملك كانانور، وحدد فيها انواع التجارات وأسعارها، وصار بمقتضاها الإبحار أمام سواحلها والرسو في شاطئها وممارسة التجارة فيها بتصريح أو كارتاز من المستوطنة البرتغالية فيها.

وبعد أن ملأ فاسكو دا جاما سفنه بالتوابل، وقبل أن يرحل عن كوتشي، أرسل إليه الراجا تريمومبارا يطلب لقاءه، وأخبره أن له جواسيس في كاليكوت، وأنهم أخبروه أن ملكها زاموري:

"قد جهز أسطولاً، من سفن كثيرة، ويقوده خوجا قاسم Kasim Coja، وهو من مالابار، وخوجا عنبر Coja Ambar، وهو من المغاربة، وكان في جزر المالديف، فأرسل إليه زامورين، ليستعين به في مواجهة أسطول فاسكو دا جاما"[١].

وهُرع فاسكو دا جاما إلى كاليكوت، فوجد ما أخبره به الراجا تريمومبارا صحيحاً، إذ تمكن الملك زامورين من جمع سفن قتال شراعية صغيرة Sambuks من سواحل مالابار، وقدم إليه خوجا عنبر في سفنه، وتمكنت السفن من خرق الحصار الذي فرضه دا جاما على كاليكوت بقيادة سودري، ووصلت إلى شاطئها وميناءها.

وفي شهر فبراير سنة ١٥٠٣م، وقعت المواجهة بين الأسطولين أمام شواطئ كاليكوت، ورغم أن أسطول كاليكوت، الذي يقوده خوجا قاسم وخوجا عنبر، كان يتكون من عشرين سفينة، وفيه عدد كبير من المقاتلين من مختلف المدن في مالابار، فقد تمكن أسطول فاسكو دا جاما من هزيمته، وتدمير عدد كبير من سفنه، لفارق التسليح الكبير بينهما[٢].

ورغم ما ارتكبه فاسكو دا جاما من مذابح وفظائع، ورغم قصفه لكاليكوت وإحراقها، ثم هزيمته لأسطولها، رفض زامورين ملك كاليكوت الموافقة على مطالب فاسكو دا جاما، أو التوقيع على

---

1) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P355.
2) The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, P371-373.

اتفاقية معه، وبذلك باءت مهمة دا جاما التي قدم من أجلها من البرتغال بالفشل، لأنه لم يستطع إخضاع كاليكوت، ولا كسر إرادة ملكها.

وترك فاسكو دا جاما أسطولاً صغيراً بقيادة خاله فنسنت سودري لحراسة المستوطنات البرتغالية في كوتشي وكانانور، والقرصنة على سفن كاليكوت، وعاد ببقية الأسطول إلى البرتغال، فوصلها في شهر سبتمبر سنة ١٥٠٣م، وقدم تقريراً إلى الملك مانويل الأول، فغضب الملك لفشله في توقيع اتفاقية مع مملكة كاليكوت، وخرج فاسكو دا جاما من الحملات إلى الهند، وظل منزوياً، إلى أن مات الملك مانويل الأول سنة ١٥٢١م، وخلفه ابنه الملك خواو الثالث João III.

وخواو الثالث، مثل أبيه مانويل الأول، كان الأستاذ الأعظم لمنظمة فرسان المسيح، وانتقل من رئاسة المنظمة إلى عرش البرتغال، ليستكمل مشروع المنظمة، في تطويق بلاد الإسلام، والمرابطة على تخومها في الهند والمحيط الهندي.

وبعد أن اعتلى خواو الثالث العرش، استدعى فاسكو دا جاما، وعينه مستشاراً له، وفي سنة ١٥٢٤م، أرسله في أسطول من أربع عشرة سفينة، إلى الهند، وقد نصَّبه نائباً عنه على الهند، ونصب ابنه استيفاو دا جاما القائد الأعلى لأسطول البرتغال في بحر الهند، فصار فاسكو دا جاما ثالث نواب ملوك البرتغال على الهند، بعد فرانسيسكو دا ألميدا، وألفونسو ألبوكيركه.

ووصل فاسكو دا جاما إلى الهند في شهر سبتمبر، وكانت هذه رحلته الثالثة، ولكنه أصيب بالملاريا، ومات في كوتشي يوم ٢٥ ديسمبر ١٥٢٤م.

وبوصولك إلى هذه المرحلة من الكشوف الجغرافية، وإلى نهاية سيرة فاسكو دا جاما، وما قرأته من تفاصيلها، ينبغي أن تكون قد زالت الغشاوة التي يضعها على عينيك الأميون في بلاليص ستان، ولابد أن تكون قد أدركت أن الكشوف الجغرافية لم تكن مجرد حملات جغرافية أو علمية بريئة هدفها استكشاف العالم أو الخوض في البحار والمحيطات دون هدف ولاغاية، كما أنها لم تكن حملات تجارية هدفها تجارة التوابل والربح فقط، كما تقرأ في كتب التاريخ المزور وكتاب الوزارة المقرر في بلاليص ستان، بل كانت امتداداً للحروب الصليبية، أو طريقة أخرى لمواجهة عالم الإسلام وشن الحملات عليه، اضطرهم للبحث عنها غلق البحر المتوسط أمامهم، بدولة المماليك وبالدولة العثمانية.

ومملكة البرتغال في الكشوف الجغرافية، لم تكن سوى غلاف لمنظمة فرسان المسيح، فهي التي قامت بها، وجميع قادة الحملات الاستكشافية البحرية والحربية على الهند، ونواب الملك عليها، والملوك أنفسهم، كانوا من رجال المنظمة، والأساطيل تبحر في المحيط الأطلنطي وترابط في المحيط الهندي، رافعة أعلام المنظمة وشعاراتها، بالضبط كما كانت أمها، منظمة فرسان الهيكل، قلب الحروب الصليبية.

وهاك صورة لإحدى سفن أسطول البرتغال مرسومة على خريطة للمحيط الهندي، وقد رسمها سباستياو لوبيز Sebastião Lópes، أحد رسامي الأسطول، سنة ١٥٩٥م، ويرفرف على أشرعتها شعار منظمة فرسان المسيح، الصليب متساوي الأطراف، وله إطار أحمر حول جوف أبيض، والذي هو تحوير لصليب منظمة فرسان الهيكل الأحمر.



إحدى سفن أسطول البرتغال مرسومة على خريطة للمحيط الهندي، سنة ١٥٩٥م

ألبوكيركه في مياه الإسلام

مسار مرسوم:

والكشوف الجغرافية والبحث عن طريق بحري إلى الهند، ثم الوصول إلى الهند وإقامة مستوطنات تجارية فيها، والسيطرة على طرق التجارة منها وإليها، عبر تكوين إمبراطورية بحرية حربية في المحيط الهندي، لم تكن سوى مرحلة أو خطوة في طريق مرسوم في أذهان من قاموا بها، نحو غاية راسخة في تكوينهم ونفوسهم، ويسلم كل جيل منهم الراية للذي يليه لكي يخطو الخطوة التالية.

وفي كل مرحلة لا يدرك من يعاصرها ويشهد أحداثها ويخوض صراعاتها سواها، دون أن يدرك المسار الذي تتحرك فيه الخطوات أو يرى الغاية التي تتحرك نحوها، وفي كل حقبة زمنية تتغير الإمبراطوريات التي تغلف الخطوات، بين برتغالية وإسبانية وهولندية وفرنسية وبريطانية، وتتغير الظروف والملابسات، وهويات الأشخاص الظاهرين على مسرح الأحداث، دون أن يتغير اتجاه الخطوات والمسار، وهو ما ينبغي أن تفطن معه أن ثمة عاملاً أو فاعلاً آخر لا يتغير، وهو الذي يحفظ اتجاه الخطوات ويُبقي المسار كما هو.

وتتطور الشعارت والرايات المرفوعة، من الاستكشاف إلى التجارة إلى الاستعمار، ويبدو المشروع السائر عبر الزمان ويتقدم خطوة بعد خطوة تارة مسيحياً وتارة أخرى علمانياً، حتى إذا اكتمل وخرج من الأذهان إلى الحياة وتحقق فعلاً وصار واقعاً وانكشفت ملامحه، سقطت جميع الأغلفة، وبان يهودياً!

ووجود مسار مرسوم نحو غاية معلومة، ووجود أذهان ونفوس من خلف هذا المسار، وتتوارث العمل من أجل هذه الغاية، وبها تنتقل الخطوات وتتصل المراحل، لكي يتكون المسار ويتجه نحو الغاية، هو كما أخبرناك من قبل، الفرق بين الذهن القرآني في فهم التاريخ، ووجود الفرضية البني إسرائيلية فيه، وبين الذهن الأمي الفارغ منها، ويرى الأحداث مفككة لا رابط بينها، وليس فيه أن ثمة مساراً يُصنع منها.

وبعد استكشاف سواحل إفريقيا، واكتشاف الطريق البحري إلى الهند، ثم الوصول إليها وإقامة مستوطنات تجارية فيها، وتوظيف التجارة وأرباحها في بناء قوة بحرية حربية في المحيط الهندي، والمرابطة بالأساطيل فيه، وهو محيط الإسلام، كانت الخطوة التالية هي التسلل عبر فروعه وامتداداته إلى المياه الواصلة إلى قلب عالم الإسلام، والعمل على اختراقه للوصول إلى أورشليم/القدس.

وهي الخطوة التي خطاها ألفونسو دا ألبوكيركه Afonso da Albuquerque، أول من غزا البحر الأحمر والخليج العربي من البرتغاليين، ومن الأوروبيين كافة، ووضع خطة تحويل المحيط الهندي من بحيرة إسلامية مغلقة إلى بحيرة برتغالية.

في سيرته لألفونسو ألبوكيركه: Albuquerque، يقول هنري مورس ستيفنز orse Stephens، أستاذ التاريخ في جامعة كورنيل Cornell الأمريكية، عن نشأة ألبوكيركه:

"ألفونسو ألبوكيركه هو حفيد دوم أفونسو سانشيز Affonso Sanches، وكان ابناً غير شرعي Illegitimate للملك دينيس، وكان الملك دينيس عطوفاً على أبنائه غير الشرعيين، فجعل ابنه أفونسو سانشيز من النبلاء، ثم ورثت أسرته لقبه وأراضيه، ونشأ ألفونسو ألبوكيركه في بلاط الملك ألفونسو الخامس، وكان صديقاً لابنه خواو الثاني"[1].

والملك دينيس كما علمت، هو الذي أنقذ منظمة فرسان الهيكل في البرتغال، وكون منها منظمة فرسان المسيح، ولذا كان ألبوكيركه وكل الأجيال في أسرته، من أعضاء منظمة فرسان المسيح، ومنظمة أخرى شبيهة بها، هي منظمة فرسان سانتياجو Ordem de Santiago، وكان أخوه الأكبر فرناو ألبوكيركه Fernando Albuquerque الأستاذ الأعظم لها.

"وفي سنة ١٤٧١م، وهو في الثامنة عشرة، اشترك في حملة الملك ألفونسو الخامس على المغرب، التي استولى فيها البرتغاليون على طنجة وبلدة أرزيلا/أصيلة Arzila، وبقي في أصيلة عدة سنوات ضابطاً في حاميتها، حيث تلقى تدريبه كضابط، وشرب كراهية المحمديين Hatred For The Muhammadans، وكانت المغرب هي المكان الذي يذهب إليه

1) Henry Morse Stephens: Albuquerque, P41-42, Oxford Clarendon Press, London, 1897.

الضباط والجنود المولعون بالقتال لإثبات جدارتهم في الترقي وخوض الحروب، وفي سنة ١٤٨١م عاد إلى البرتغال، وبعد أن اعتلى صديقه خواو الثاني العرش، صار المشرف على فرسان البلاط، واشترك مع الأسطول الذي أرسله الملك إلى خليج أوترانتو Otranto في إيطاليا، لمعاونة الملك فرناندو الثاني Fernando II، في صد الغزو العثماني لإيطاليا، الذي شنه أسطول السلطان محمد الثاني/الفاتح بقيادة كديك أحمد باشا"[١].

وفي أبريل سنة ١٥٠٣م، أرسل الملك مانويل الأول ألفونسو ألبوكيركه إلى الهند لأول مرة، قائداً لثلاث سفن من أسطول الحملة الخامسة على الهند، والذي يتكون من عشر سفن، لإخضاع زامورين ملك كاليكوت، فوصل الهند في شهر أكتوبر سنة ١٥٠٣م، وكان زامورين قد هاجم كوتشي بأسطول كبير، بعد رحيل فاسكو دا جاما، وأزال حاكمها تريمومبارا، المتواطئ مع البرتغاليين، وكانت كوتشي في الأصل تابعة لمملكة كاليكوت، وانتهت الحملة بإعادة تريمومبارا إلى كوتشي، وأقام البرتغاليون فيها حصن إيمانويل Forte Manuel، ثم اتجهوا إلى مدينة كيلون/كولاو Quilon/ Coulão، جنوب كوتشي، وأقاموا فيها وكالة تجارية.

في خليج عُمان:

والخطوة التي خطاها ألبوكيركه كانت في الحملة البرتغالية الثامنة، التي أرسلها الملك مانويل الأول سنة ١٥٠٦م.

في ٥ أبريل سنة ١٥٠٦م، أرسل الملك مانويل الأول أسطولاً من إحدى عشرة سفينة بقيادة تريستاو دا كُونها Tristão da Cunha، للاستيلاء على جزيرة سُقطرى Socotra، التي تقع أمام القرن الإفريقي، عند مدخل خليج عدن، من أجل غلق الطريق إلى البحر الأحمر أمام سفن التجارة الإسلامية، وكان دييجو فرناو بيريرا Diogo Fernao Pereira قد اكتشفها وهو في طريقه إلى الهند سنة ١٥٠٤م، وكان جل أهلها مسلمون وحاكمها عربي، وفيها كنيسة وتجمع من المسيحيين.

---

1) Morse Stephens: Albuquerque, P 45-46.

وألحق الملك مانويل الأول بأسطول دا كُونها أسطولاً من ست سفن بقيادة ألبوكريكه، وكانت مهمته أن يكون تحت قيادة دا كُونها حتى الاستيلاء على سُقطرى، على أن ينفصل الأسطولان بعد ذلك، فيتجه دا كُونها إلى الهند، لشحن سفنه بالتوابل، بينما يتجه ألبوكيركه إلى شواطيء الجزيرة العربية والبحر الأحمر لاستكمال غلق الطريق البحري والتجاري بين القاهرة والهند.

وأعطى الملك مانويل الأول رسالة مغلقة لألبوكيركه، وأمره ألا يفتحها إلا بعد انتهاء مهمته في الجزيرة العربية، وكان فيها أمر بتنصيب ألبوكيركه نائباً عن الملك على الهند، خلفاً لفرانسيسكو دا ألميدا Francisco da Almeida، وهو أول حاكم برتغالي للهند[١].

وفي كتابه: أعمال العظيم ألفونسو دا ألبوكيركه، ثاني الولاة على الهند The Commentaries Of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy Of India، الذي يقع في أربعة أجزاء، ودون فيه ألفونسو دا ألبوكيركه الصغير سيرة أبيه وأعماله، وجمع خطبه وأقواله، وترجمه من البرتغالية إلى الإنجليزية والتر دي جراي بيرش Walter de Gray Birch، رئيس قسم المخطوطات في المتحف البريطاني أواخر القرن التاسع عشر، فيه أنه:

"حين وصل الأسطول إلى ماليندي، أخبرهم ملكها الموالي لهم أن ملكي مُمباسا وأنجوجا Angoja يعادونه بسبب صداقته للبرتغاليين، وأنه يريد الانتقام منهم، ووعده ألبوكيركه أنه لن تمر بضعة أيام حتى تأتيه أنباء ما وقع بأعدائه، وأخبره أنه ذاهب بأسطوله إلى سواحل جزيرة العرب للاستيلاء على هرمز، وأن ربابنة سفنه وبحارته ليس لهم معرفة بهذه السواحل، ولذا طلب منه أن يمده بثلاثة ربابنة Pilots، ممن لهم خبرة بالإبحار في هذه المناطق لكي يأخذهم معه، ويعاونوه في مهمته"[٢].

1) Morse Stephens: Albuquerque, P48.
2) Afonso Da Albuquerque, The Younger: The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P34-35, Translated From The Portuguese Edition Of 1774 By: Walter de Gray Birch, Printed For The Hakluyt Society, London, M.DCCC.LXXV/1875.

وبعد أن أخذ ألبوكيركه الربابنة الثلاثة، أبحر بأسطوله إلى خليج أنجوجا، شمال ماليندي، وكانت أنجوجا، كما يصفها ألبوكيركه الصغير:

"مدينة كبيرة جداً، تقع على حافة البحر، ويقطنها المغاربة الذين يعملون بالتجارة مع سوفالا، وكان حاكمها من التجار المغاربة الأثرياء، وكانت تمتلئ بالحدائق وأشجار الفاكهة، ولم تكن محصنة وليس فيها حامية Not Fortified"(١).

ونزل البرتغاليون إلى المدينة في كتيبتين من الجنود، وكان ألبوكيركه على رأس إحداهما، فوجدوها خالية، وكان أهلها حين رأوا الأسطول قد فروا بأطفالهم ونسائهم إلى البيوت التي في الأجزاء الخلفية والبعيدة عن الشاطئ:

"وبعد أن نهب الجنود المدينة Sacked The City، وحملوا ما فيها من توابل وتجارة إلى سفن أسطوله، "أمر القائد بإحراق المدينة To Be Set On Fire"(٢).

ومن أنجوجا اتجه الاسطول البرتغالي إلى مدينة براوة الساحلية Braboa، جنوب الصومال، وهي أيضاً مركز تجاري للمغاربة/المسلمين، وحاكمها كما يصفه ألبوكيركه الصغير: "**محمداني Muhammadan**"، فأرسل إليه قائد الأسطول دا كُونها أن يرسل جزية Tribute لملك البرتغال، وماطله حاكم براوة، أملاً في أن يتحطم أسطوله، مع هبوب رياح موسمية عنيفة Vera De Coromandel، كان هذا أوان هبوبها.

وأمر دا كُونها الجنود بالنزول إلى المدينة بالحِراب والأسلحة النارية، وكان يقودهم داكُونها ومعه ألبوكيركه، فهاجمهم المغاربة بالحراب والحجارة، ثم انسحبوا إلى ميدان به مسجد كبير، وتجمعوا فيه، فأمر القائد بمهاجمة المسجد وقتلوا جميع من كانوا فيه، ثم تقدم القائد إلى قصر الملك فأخذوا ما فيه من ذهب وفضة وأشياء نفيسة، وبعد ذلك:

---

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P36.
2) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P36.

"أمر القائد بالنفخ في الأبواق Trumpete، وتجميع أهل المدينة من المغاربة في أربعة من أحيائها، ثم أحرقت بطريقة عنيفة So Fiercely، فكان شيئاً فظيعاً لا يمكن وصفه Was A Terrible Thing To Behold"[1].

وبعد براوة توجه الأسطول البرتغالي إلى جزيرة سُقطرى التي تشرف على مدخل خليج عدن، وتتحكم في الحركة منه وإليه، فوصلها في أواخر شهر أبريل سنة ١٥٠٧م، ورسا في سوكو Soco، وهي ميناء الجزيرة، وكانت سُقطرى تابعة لسلطنة المهرة في اليمن، وعاصمتها مدينة قِشن Qishn الساحلية، جنوب اليمن، وكان يحكمها بنو عفرار Banū Afrār.

ونزل ألبوكيركه بأمر دا كُونها في أربعين من رجاله إلى الجزيرة، وكان بها قلعة صغيرة، وحاميتها تقدر ببضع عشرات من المغاربة/المسلمين، فخرجت الحامية من القلعة واشتبكت مع جنود البرتغال، وأصيب ألبوكيركه إصابة خفيفة، ثم لحق بهم بقية الجنود، فقتلوا قائد الحامية وعدداً من رجالها، وفر الباقون إلى الجبال.

وبعد ذلك:

"اقتحم ألبوكيركه القلعة، وقتل من وجدوهم فيها، ثم أقام فيها حامية برتغالية، وسماها قلعة ساو ميجيل São Miguel، ونصب ألفونسو دا نورونها Alfonso da Noronha، وهو ابن أخته، قائداً للقلعة وحاكماً لسُقطرى، ثم نظم شؤون الجزيرة، وقسَّم بساتين النخيل Palm Groves التي يمتلكها المغاربة بين المسيحيين من أهل الجزيرة، وأعطى البساتين الخاصة بالمسجد للكنيسة"[2].

وبعد سُقطرى انقسم الأسطول البرتغالي، وكان دا كُونها قد أبحر فعلاً إلى الهند بعد الاستيلاء على القلعة، واتجه ألبوكيركه بأسطول من ست سفن نحو الخليج، وكانت خطته الأولى أن يتجه إلى البحر الأحمر، للاستيلاء على موانيه وغلقه أمام السفن المسلمة، ولكنه عدل من خطته واتجه إلى بحر العرب وخليج عمان الواصل بينه وبين الخليج العربي، لكي يصل إلى مملكة هرمز.

---

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P43.
2) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P55.

فهاك خريطة لخليج عمان والمدن التي على سواحله، لكي يمكنك متابعة خط سير ألبوكيركه في حملته التي كانت أول مرة يخترق فيها الغرب مياه الإسلام ويقترب من قلبه، عبر التسلل إليه من الجنوب، من المحيط الهندي، ثم تلتها بعد ذلك مرات، وآخرها هو ما تشهده في زمانك هذا، وهي المرة التي واكبها نجاح مشروع العودة إلى أورشليم/القدس واستعادتها، والذي ظل سائراً في الزمان وينتقل من رأس إمبراطورية إلى أساطيل أخرى، إلى جيوش ثالثة، حتى إذا اكتمل وخرج من شرنقة الإمبراطوريات التي كان يتموه فيها وبانت ملامحه، صار يهودياً.



خريطة لخليج عمان والبلدات التي مر بها ألفونسو ألبوكيركه وأحرقها.

مر ألبوكيركه بجزيرة خوريا موريا Curia Muria، في بحر العرب، وفي يوم ١٠ أغسطس ١٥٠٧م، وصل إلى مدينة قلهات Calayate، في خليج عُمان، قرب رأس الحد، وبينها وبين مسقط حوالي ١٥٠ كيلومتراً، وكانت مركزاً تجارياً مهماً، والمحطة الأولى التي تصل إليها السفن القادمة من الهند، فأرسل ألبوكيركه قوة بقيادة بيرو فاز دورتا Pero Vaz Dorta، فأخبر حاكم المدينة وحاشيته أنه رسول من مانويل الأول ملك البرتغال وسيد الهند، فردوا عليه بأن مدينتهم

تتبع مملكة هرمز، وهي بوابتها، ولكنهم يعلنون ولاءهم لملك البرتغال، ثم قدموا له الجزية التي طلبها، وزودوه بالماء والطعام(١).

ومن قلهات تحرك أسطول ألبوكيركه شمالاً، يوم ٢٢ أغسطس، فوصل إلى بلدة قريات Curiate، وبينها وبين مسقط ٨٥ كيلومتراً، ورسا أمام شاطئها، وعندما رأى أهلها الأسطول:

"أقاموا متاريس من الخشب بطول الشاطئ، وبعرض خمس نخلات، وأقاموا بين المتاريس أربعة مدافع هاون Mortars، واستعدوا بالحراب والسهام، فأمر ألبوكيركه بإطلاق المدافع عليهم، ورد عليه المغاربة بإطلاق الهاونات ... ونزل ألبوكيركه إلى الشاطئ واقتحم المتاريس، ففر أهل المدينة إلى داخلها، وطاردهم ألبوكريكه نحو نصف فرسخ/ثلاث كيلومترات، وقتل بالسيف جميع المغاربة، رجالاً ونساءًا وأطفالاً Putting To The Sword All The Moors, Women And Childen"(٢).

وتقدم ألبوكيركه إلى داخل البلدة، وأرسل رجاله لجمع المؤن، وأمر بعضهم برفع علمه على قبة مسجد البلدة، وبعد نهب البلدة ونقل ما وجدوه إلى السفن:

"أمر بإحراق البلدة، وكانت النار من الشدة، بحيث لم تترك أي منزل ولا بناء قائماً Not A House, Not A Building Left Standing، ولا حتى المسجد، الذي كان من أجمل المساجد التي يمكن رؤيتها، ثم أمر بقطع آذان مَن بقي مِن المغاربة وأنوفهم وإرسالهم إلى هرمز، وكانت قريات مركزاً لزراعة النخيل وتصديره، وتأتيها السفن من أجل ذلك، فأمر ألبوكيركه بإحراق جميع السفن في مينائها، وكان عددها ثمان وثلاثين سفينة"(٣).

وبعد قريات توجه أسطول ألبوكيركه إلى مسقط Muscat، وهي الميناء الرئيسي في سواحل خليج عمان، وحين وصلها وجد في انتظاره اثنين من أشراف المغاربة/المسلمين، أرسلهم حاكم مسقط للتفاوض معه، فصعدوا إلى سفينته وأخبروه أنهم سوف يوالون ملك البرتغال، ويمدونه بما

---

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P63-64.
2) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P68, 70.
3) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P71.

يريده، فلم يعطهم رداً، فعادوا في اليوم التالي، وكرروا عليه أنهم يوالون ملك البرتغال، وأنهم سيدفعون له ما كانوا يدفعونه لملك هرمز، فطلب منهم ألبوكيركه أن يدفعوا جزية سنوية لملك البرتغال، قدرها عشرة آلاف زيرافين Xerafin، مع تزويد سفنه بالمؤن، فوافقوا، وأرسلوا إليه في اليوم التالي المؤن، ومر يومان دون أن تصله الجزية أو رسائل من المدينة.

وكان ألبوكيركه قد أرسل اثنين من قواده، فرانسيسكو دا تافورا Fancisco da Tavora ومانويل تليز Manoel Telez، في قاربين لاستطلاع المدينة، فعادوا وأخبروه أن أهلها حصنوا الشاطئ بمتاريس كبيرة وطويلة من الأشجار، وأن بها مدافع، وبعدها عاد ألفونسو دا كوستا Alfonso da Costa، وكان يتزود بالماء، فأخبره أن المدينة بها جلبة وصيحات، وأن أدلاءه سمعوا أن المدينة وصلها عشرة آلاف رجل، أرسلهم بنو جبور Ben Jabor، لمساعدة أهلها في مواجهة البرتغاليين[1].

وكرر ألبوكريكه في مسقط ما فعله في قريات، فأمر بقصف المدينة، ثم:

"نزل في كتيبتين إلى الشاطئ، وهو على رأس إحداهما، فهاجم تحصينات أهلها، ثم طاردهم إلى أن لحق بهم وقتلهم، ثم وحَّد قواته وتقدم داخل المدينة، وأمرهم بنهب بيوتها، وقتل جميع من يوجدون فيها من المغاربة مع نسائهم وأطفالهم بلا أي رحمة Without Giving Any Quarter"[2].

وفي الصباح:

"نزل أحد المغاربة/المسلمين من الجبال، وهو يحمل علماً أبيض صغيراً White Flag، وقال لألبوكيركه إنهم يوافقون على مطالبه، وأنه سوف يأتيه بالعشرة آلاف زيرافين قبل الغروب، وتوسل إليه ألا يحرق المدينة، فلم يوافق ألبوكيركه، وأمر بإحراق المدينة، والسفن،

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P75.
2) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P79.

وكانت أربعاً وثلاثين سفينة، وبإحراق قوارب الصيد، ثم أمر بقطع دعائم المسجد فانهار، ثم أمر بإحراقه، وكان مسجداً واسعاً جداً وبه محراب جميل"[١].

وبعد مسقط وصل ألبوكيركه إلى صُحار Sohar، وكانت مركزاً تجارياً كبيراً والمحطة الرئيسية للتجارة بين مسقط وهرمز، وكان بها قلعة حصينة لها ستة أبراج وبها حامية كبيرة، وعندما ظهر أسطول ألبوكيركه أمام شاطئها قاموا باستعراض قوتهم بالخيول والسلاح على الشاطئ، وأرسل قائد الحامية رسولاً إلى ألبوكيركه أنهم يتبعون ملك هرمز، وطالبه بالرحيل وإلا قاتلوه، فرد ألبوكيركه على الرسول أنهم إذا لم يعلنوا ولاءهم لملك البرتغال ويدفعوا له الجزية، سيقصف القلعة، وبعد يومين وألبوكيركه يتأهب لقصف البلدة جاءه قائد الحامية وأخبره أنهم طلبوا مدداً من ملك هرمز فلم يأتهم ولم يرد عليهم، وأنهم قرروا قبول الدخول في طاعة ملك البرتغال، وسلموا ألبوكيركه القلعة فعلاً فرفع عليها علم ملك البرتغال، ثم وقعوا معه اتفاقية بالجزية التي طلبها على أن يعيد جزءًا منها للحامية في مقابل ولائها والقيام بالحراسة تحت العلم البرتغالي[٢].

وواصل ألبوكيركه الإبحار حتى وصل أورفكاو/خورفكان Orfacao، وهي آخر بلدة في الطريق إلى مضيق هرمز، فوجد رجالها على الشاطئ بالخيول والحراب والسهام، فبات ليلته، وقبل الفجر نزل مع جنوده في قوارب إلى الشاطئ ومعهم بعض مدافع السفن، ودارت معركة قصيرة انتهت بقتل عشرات المغاربة/المسلمين، وأسر الباقين، فأمر ألبوكيركه بحمل الشباب منهم للخدمة على السفن، وبقطع آذان الكبار وأنوفهم، ونهبوا بيوت القرية، وحملوا الماء والزاد، ثم أمر بحرق بيوت القرية، ووقفوا على الشاطئ يرقبونها حتى انهارت جميعها، ثم عادوا إلى الأسطول[٣].

---

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P81-82.
2) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P87-92.
3) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P95-99.

في مضيق هرمز:

وظهر أسطول ألبوكيركه يوم ٢٦ سبتمبر ١٥٠٧م أمام شواطئ جزيرة هرمز، وهي تشرف على مضيق هرمز، وهو المعبر بين خليج عُمان والخليج العربي، وكانت الجزيرة مركز مملكة هرمز، وهي إذ ذاك مملكة شبه مستقلة يحكمها العرب، وتتبع اسمياً الشاه إسماعيل الصفوي.

وكانت مملكة هرمز تحكم الخليج وسواحله العربية، وتمتد من القطيف شمالاً إلى رأس الحد جنوباً، وتسيطر على جميع مدن الساحل التجارية في خليج عمان والخليج العربي، وتتبعها البحرين والإحساء، ولم يكن لها جيش قوي ولا أسطول حربي، وكان بين المملكة وبين بني جبر/الجُبور نزاع طويل منذ أوائل القرن الخامس عشر، وانتزع منها بنو جبر مناطق من الإحساء والقطيف وجزيرة البحرين والأجزاء الداخلية من عُمان.

ومنذ القرن الحادي عشر الميلادي وجزيرة هرمز أكبر مركز تجاري في الطريق البحري بين الهند وسواحل شرق إفريقيا وفارس وبلاد العرب، وكان عدد سكان الجزيرة نحو أربعين ألف نسمة، أغلبهم من العرب، وكانت تمتلئ بالتجار من جميع الأجناس والمِلل، العرب والفرس والترك والهنود والأفارقة والروم الأوربيين، وكان عدد السفن التجارية الراسية في ميناء الجزيرة يصل إلى ثلاثمائة سفينة، وتتنوع التجارة فيها بين التوابل والحرير واللؤلؤ والعقاقير.

وحين وصل ألبوكيركه إلى هرمز كان ملكها سيف الدين في الرابعة عشرة، وكان المسيطر الحقيقي على المملكة والذي يدير شؤونها وزيره خوجا عطار Coge Atar، وقد وصلتهم أنباء ما فعله الأسطول البرتغالي بمدن الساحل وبلداته التي مر بها، وفي سيرة ألبوكيركه التي دونها ابنه ألفونسو ألبوكيركه الصغير، أن:

"ملك هرمز استعد للأسطول البرتغالي بجمع ستين سفينة قتال كبيرة وصغيرة في الميناء، جمعها من مدن الساحل التابعة له، وأعانه ببعضها ملك كامبايا Cambaya، وأمير ديو Diu ... وكان يوجد على شواطئ هرمز بين خمسة عشر ألفاً وعشرين ألفاً من الرجال متأهبين

بالسلاح، وكان كثير منهم على الخيول، وينفخون في الأبواق، وكان ضجيج الأبواق والصيحات شديداً إلى درجة تجعل المرء يظن أن نهاية العالم قد جاءت"(١).

وأرسل ملك هرمز مغربياً/مسلماً أرمنياً Armenian Moor، اسمه خوجا إبراهيم Coje Ebrame، ليسأل ألبوكيركه ماذا يريد، ولماذا أتى بأسطوله إلى هذا الميناء، فرد عليه ألبوكيركه، بأنه مبعوث من ملك البرتغال دون مانويل، يطلب صداقته، فإن وافق على أن يكون تابعاً Vassal لملك البرتغال، ويدفع له جزية، فإن أسطوله سيكون في خدمته ويعينه على قتال أعدائه، وإن لم يوافق فسوف يدمر المدينة بمدافع أسطوله ويستولي عليها بالقوة.

وحين وصل الرد إلى الملك سيف الدين جمع مجلس حكمه، وعرض عليهم الأمر، فأشار عليه خوجا عطار أن يماطل في الرد، في انتظار مدد من السفن سوف يصل خلال يومين، فأرسل الملك خوجا إبراهيم إلى ألبوكيركه، أنه إذا كان يريد صداقته فلماذا أحرق مدن الساحل التي مر بها وهي تابعة له، وأنه سوف يتباحث مع مجلس حكمه في شأن الجزية ويرد عليه، فرد عليه ألبوكيركه بأن حكام المدن التي مر بها هم الذين تسببوا فيما حدث لرفضهم السلام معه، وأنه يمهله ثلاثة أيام(٢).

وبعد مرور الأيام الثلاثة أمر ألبوكيركه بقصف أسطول هرمز بالمدافع، فأُغرقت أكبر سفينتين فيه، ثم نزل مع جنوده في قوارب ليقاتل جنود هرمز بالأسلحة النارية والسهام والحراب، وانتهت المعركة بهزيمة أسطول هرمز، وإلقاء جنوده وبحارته لأنفسهم في البحر، ومن بقي منهم في السفن أمر ألبوكيركه بقتلهم جميعاً وتعليق جثثهم على صواري السفن، ثم استولى على بعض سفن الأسطول وأمر بتدمير بقية السفن وإحراقها.

وتقدم ألبوكيركه مع جنوده إلى الشاطئ:

"فأحرقوا ما وجدوه من سفن الصيد، وقتلوا كل من صادفهم من المغاربة/المسلمين على الشاطئ، وأحرقوا جثثهم وألقوها والنار تشتعل فيها في البحر، وأحرقوا جميع البيوت المطلة

---

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P105, 106.
2) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P107-110.

على الشاطئ والتي في أطراف المدينة وفي طريقهم إلى مركزها، وبعض هذه البيوت كانت للأثرياء من المغاربة، وكانوا يختبئون فيها، فماتوا واحترقوا داخلها All Being Burned، بينما تموج الأرض بالناس الذين يهرولون هاربين من المدينة في اتجاه الجبال"(١).

وقرر الملك سيف الدين ووزيره خوجه عطار الاستسلام، فرفعوا علماً أبيض على أعلى برج في قلعة هرمز، وأرسل الملك إلى ألبوكيركه أنه يريد السلام معه ويوافق على مطالبه، فطلب منه أن يرسل إليه عشراً من أشراف المغاربة ليكونوا رهائن عنده، حتى يتم توقيع الاتفاقية.

وبعد مفاوضات ومساومات حول مقدار الجزية، تم توقيع الاتفاقية من نسختين، إحداهما بالعربية، والأخرى بالفارسية، وكان الاتفاق فيها على:

"موافقة ملك هرمز أن يكون تابعاً لملك البرتغال، وحماية أسطول البرتغال لمملكة هرمز من أعدائها، ويدفع ملك هرمز لملك البرتغال مانويل ولخلفائه من بعده جزية سنوية Tribute، مقدارها خمسة عشر ألف زيرافين، ويدفع خمسة آلاف زيرافين أخرى سنوياً لنفقات الأسطول وحمايته لهرمز، وإقامة وكالة تجارية برتغالية في هرمز، وإعفاء تجار البرتغال القادمين إلى الوكالة في هرمز من الصرائب، وعدم زيادة الضرائب المفروضة على تجار البرتغال في مدن الساحل التابعة لهرمز عن تلك المفروضة على التجار من أهل البلاد Natives، وإقامة حصن في هرمز يكون تحت تصرف الأسطول البرتغالي"(٢).

وبدأ ألبوكيركه في وضع أسس الحصن وسماه: حصن سيدتنا المنتصرة Da Vitória Nossa Senhora، وقرر انتظار الانتهاء منه، وهنا أعلن قادة سفنه تذمرهم وعدم موافقتهم على ذلك، وكان تذمرهم قد بدأ منذ ترك ألبوكيركه الطريق إلى الهند واتجه إلى بحر العرب وخليج عُمان، ثم تصاعد مع انتقالهم في الخليج من بلدة إلى بلدة، بسبب عدم مشاورة ألبوكيركه لهم واتخاذه القرارات دون علمهم، ودخوله الحرب مع مملكة هرمز على غير رضاهم، ووقع أربعة من قادة السفن الست مذكرة يطالبون فيها ألبوكيركه بترك هرمز والاتجاه إلى الهند، فلم يوافق، وعزل

---

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P120.
2) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. I, P131.

أول الأربعة وأكثرهم تمرداً عليه، وهو خواو دا نوفا Joao da Nova، وقرر اثنان من قادة السفن الانفصال عن ألبوكيركه والإبحار إلى الهند بمفردهم، وتقديم شكوى في ألبوكيركه إلى دا ألميدا نائب الملك.

ولم يبق مع ألبوكيركه سوى سفينتين، فاضطر لترك هرمز في شهر أبريل ١٥٠٨م، إلى سُقطرى، وتزود في طريقه بالماء والزاد من بلدات ساحل خليج عُمان، فلما وصل سُقطرى وجد قائد حاميتها مريضاً، وجنود الحامية على وشك الموت من الجوع والعطش، فزودهم بالماء والطعام، ثم وصلته أنباء وصول أسطول ومدد من الشاه إسماعيل إلى هرمز، فعاد إليها، وفي طريقه قصف قلهات وأجبر حاكمها على أن يدفع له عشرة آلاف زيرافين.

وفي هرمز رفض ملكها وخوجه عطار دفع الجزية التي اتفق عليها ألبوكيركه معهم، وكانوا قد علموا بالخلاف الذي بينه وبين قادة سفنه من أربعة من الأدلاء المسيحيين فروا من الأسطول والتجأوا إلى خوجه عطار، ورفضوا إعادة المسيحيين الأربعة إليه، وقالوا له إنهم صاروا إخواناً لهم، ثم انقطعت اتصالات ألبوكيركه مع الملك وخوجه عطار في الوقت الذي علم فيه بوصول أسطول الشاه إسماعيل إلى ناباند Naband على بعد ثلاثة فراسخ من هرمز، فترك هرمز وأبحر إلى سُقطرى، ومنها إلى الهند.

في مالابار، معركة ديو:

ووصل ألبوكيركه إلى كانانور شمال ساحل مالابار، وهو الساحل الغربي للهند، في بداية شهر ديسمبر ١٥٠٨م، وكان فرانسيسكو دا ألميدا، نائب ملك البرتغال في الهند، موجوداً فيها، وحوله قادة سفن ألبوكيركه، ففتح ألبوكيركه أمامه خطاب ملك البرتغال بتنصيبه نائباً على الهند بعد انتهاء ولاية دا ألميدا، فأخبره دا ألميدا أن ولايته تنتهي في شهر يناير ١٥٠٩م، وأنه يتأهب لقتال الأسطول الذي أرسله المماليك والعثمانيون لمؤازرة أسطول زامورين ملك كاليكوت في مواجهة الأسطول البرتغالي، فأبحر ألبوكيركه إلى كوتشي في الجنوب لحين انتهاء المعركة[١].

---

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. II, P4.

وكان زامورين ملك كاليكوت قد أرسل مبعوثه ميماما ماراكار Mayimama Marakkar إلى السلطان قنصوة الغوري في مصر، يطلب مساعدته في رد الأسطول البرتغالي عن سواحل الهند، فأرسل له السلطان الغوري أسطولاً بقيادة أمير الماء حسين الكردي Mirocem، فالتقى أسطول كوجرات، بقيادة ملك إياز Meliqueaz، حاكم مدينة ديو، وهو تركي مسلم، وواجه الأسطولان الأسطول البرتغالي قرب مدينة شول Chaul الساحلية، في شهر مارس سنة ١٥٠٨م، وكان يقود أسطول البرتغال لورنزو دا ألميدا Lourenço da Almeida، وانتهت المعركة بهزيمة الأسطول البرتغالي ومقتل قائده، وهو ابن نائب الملك فرانسيسكو دا ألميدا.

وقرر فرانسيسكو دا ألميدا الدخول في مواجهة أخرى مع ملك كاليكوت والمماليك انتقاماً لابنه، فأرسل السلطان قنصوة الغوري أسطولاً آخر بقيادة حسين الكردي، فانضم إلى أسطول كوجرات بقيادة ملك إياز، وأسطول كاليكوت بقيادة كونجالي ماراكار Kunjali Marakkar، وهو مسلم أيضاً، وانتهت معركة ديو في خليج كامبايا، أقصى شمال ساحل مالابار، بانتصار الأسطول البرتغالي، في يوم ٣ فبراير ١٥٠٩م(١).

وبعد عودة فرانسيسكو دا ألميدا من المعركة، طلب منه ألبوكيركه أن يسلمه حكومة الهند وقيادة أسطول البرتغال، فقدم قادة سفنه التماساً بشأنه إلى دا ألميدا، أنه لا يصلح للحكم، واتهموه بالغلظة والعنف، والرغبة في الحرب وإحراق المدن دون داع، وأنه يخفي المعلومات ويتخذ القرارات دون مشاورة، والتهمة القاصمة كانت تجاوزه لأوامر ملك البرتغال، واتخاذه قرار الإبحار إلى هرمز والدخول في حرب مع مملكتها دون إبلاغ الملك وبغير تعليمات منه.

وقرأ دا ألميدا الالتماس أمام قادة سفن أسطول البرتغال، وفي حضور دييجو لوبيز دا سكويرا Diago Lopes da Sequeira، وكان مبعوثاً من الملك مانويل في أسطول لاستكشاف ملقا وتوقيع معاهدة تجارية معها، وفي أغسطس ١٥٠٩م أرسل دا ألميدا إلى ألبوكيركه أنه أرسل رسالة مع دا سكويرا إلى الملك مانويل يعرض عليه الأمر، وأمره أن يمكث في قلعة سانتو أنجلو Santo Ângelo في كانانور، وألا يخرج منها حتى تأتي تعليمات من الملك مانويل(٢).

---

1) Morse Stephens: Albuquerque, P61.
2) Morse Stephens: Albuquerque, P62.

وفي ٢٩ أكتوبر ١٥٠٩م وصل إلى كانانور أسطول من البرتغال، من خمس عشرة سفينة، وعليه ثلاثة آلاف من الجنود والبحارة، وعلى رأسه فرناو دا كوتينهو Fernao da Coutinho، مارشال البرتغال Marechal do Reino de Portugal، وهو المنصب الذي يلي القائد العام للجيش والأساطيل Condestável، وكان دا كوتينهو من أقارب ألبوكيركه، فحمله معه على سفينته إلى كوتشي، حيث مقر دا ألميدا، وأخبره أن معه أمراً ملكياً بتولية ألبوكيركه نائباً عن الملك على الهند، فسلم دا ألميدا حكم الهند وقيادة الأسطول لألبوكيركه في ٥ نوفمبر ١٥٠٩م(١).

وبعد تنصيبه، جعل ألبوكيركه هدفه الأعلى احتكار التجارة في الهند والسواحل العربية، وقطع صلة الممالك المسلمة في الهند بدولة المماليك في مصر والشام، والعمل من أجل القضاء على هذه وتلك.

وكان مارشال البرتغال فرناو دا كوتينهو، قد أحضر معه أمراً من الملك مانويل بالقضاء على مملكة كاليكوت التي تسيطر على أغلب المدن التجارية في سواحل مالابار، وكان ملكها زامورين مسيحياً أو هندوسياً، كما علمتَ من قبل، فبدأ ألبوكيركه في تجهيز الأسطول للحرب، وعبر ملك كوتشي المتحالف مع البرتغاليين، أرسل فري لويز Frei Luis، مبعوثاً إلى الراجا فيرا ناراسيمها Vira Narasimha، ملك فيجاياناجارا Vijayanagara، وهي أقوى مملكة في هضبة الدكن، والمسيطرة على داخل جنوب الهند، وعقد معه حلفاً لكي يهاجم مملكة كاليكوت من البر مع هجوم الأسطول البرتغالي عليها من البحر(٢).

وفي يوم ٣ يناير ١٥١٠م وصل أسطول البرتغال الذي يتكون من عشرين سفينة، ويقوده المارشال دا كوتينهو بنفسه، أمام كاليكوت وبدأ في قصفها بالمدافع، وفي فجر اليوم التالي نزلت كتائب الجنود البرتغال بقيادة دا كوتينهو وألبوكيركه إلى الشاطئ، واقتحمت كاليكوت، وكان الملك زامورين غائباً عنها، ويقود جزءًا من جيشه في مواجهة مملكة فيجاياناجارا التي هاجمت مملكته من داخل الهند.

1) **Morse Stephens: Albuquerque, P62-63.**
2) **Morse Stephens: Albuquerque, P65-66.**

وبعد أن أحرق دا كوتينهو وألبوكيركه مسجد المدينة، وبدأوا في إشعال النار في قصر الملك زامورين:

"ظهرت طوابير من الجنود الهنود والمغاربة/المسلمين قادمة من خارج المدينة، واندلعت معركة بين الجانبين واستمرت طوال اليوم، وانتهت بمقتل المارشال دا كوتينهو، واثني عشر ضابطاً آخرين، ومائة من الجنود، وأصيب ألبوكيركه في صدره وكتفه، فحمله جنوده إلى الأسطول، وفي اليوم التالي انسحب الأسطول وعاد إلى كوتشي"[١].

الهدف أورشليم:

ووصلت إلى ألبوكيركه وهو في كوتشي استغاثة من دوارت دا ليموس Duarte Lemos، الذي خلفه في قيادة أسطول البرتغال في بحر العرب، أنه يتعرض لهجمات من أسطول المماليك، ولا يستطيع صدهم عن سُقطرى، فوافقت الاستغاثة هوى ألبوكيركه، وكان يريد العودة إلى هرمز والتوغل في الخليج والبحر الأحمر، فغادر كوتشي في ١٠ فبراير ١٥١٠م، في أسطول من ثلاث وعشرين سفينة، متجهاً إلى بحر العرب.

وفي جزيرة أنجديفا جاء إلى ألبوكيركه القرصان تيموجا Pirate Timoja، وهو مجهول الهوية، ويقول المؤرخ مورس ستيفنز إنه لعب دوراً كبيراً Important Role في تسهيل احتلال البرتغاليين لسواحل الهند، منذ قدم إليها فاسكو دا جاما.

وأخبر القرصان تيموجا ألبوكيركه أن سلطان باجابور Bijapur، يوسف عادل شاه، قد مات، وأنه ينبغي أن ينتهز هذه الفرصة ويستولي على مدينة جوا الساحلية، لأنه لن يتمكن من السيطرة على بحر العرب والتجارة في سواحل الهند، إلا بالاستيلاء عليها، وكانت جوا منذ سنة ١٤٧٢م جزءًا من سلطنة باجابور المسلمة، التي أسسها السلطان عادل شاه، وهو من أسرة تركية سنية، وكانت على علاقة سياسية وتجارية وثيقة مع سلاطين المماليك في مصر.

---

1) Morse Stephens: Albuquerque, P69.

فهاك خريطة تاريخية لساحل مالابار ومدنه، وموقع جوا منها، إبان غزو البرتغال لها.



خريطة تاريخية لساحل مالابار ومدنه، وموقع جوا منها، إبان غزو البرتغال للهند.

ويقول المؤرخ مورس ستفينز في سيرته لألبوكيركه، إن القرصان تيموجا كذب على ألبوكيركه، لأن السلطان يوسف عادل شاه لم يمت، ولكنه كان في داخل باجابور، وكان حاكم جوا ونائب السلطان فيها، مالك يوسف جورجي Malik Yusaf Gurgi، موجوداً في المدينة.

وكانت مدينة جوا أول مدن ساحل مالابار من الشمال، وأول محطة في طريق التجارة القادمة إلى سواحل مالابار من بحر العرب، وتقع على فم نهرين يمران بها، ولها ميناء كبير، فقرر ألبوكيركه الاستيلاء عليها وتحويلها إلى مقر لحكومة البرتغال في الهند، خلافاً لسياسة دا ألميدا، التي كانت تقوم على تأسيس مراكز تجارية في مدن الساحل وحكمها بالأسطول من البحر.

وفي يوم ٣ مارس ١٥١٠م:

"دخل أسطول ألبوكيركه ميناء جوا، بصحبة سفن القرصان تيموجا، وفي اليوم التالي اقتحم المدينة مع جنوده وألفين من رجال تيموجا، واستولى على قلعة المدينة: بانجيم Panjim، ونصب ابن أخته أنتونيو دا نورونها Antonio da Noronha حاكماً لجوا، والقرصان تيموجاً وزيراً لجمع العوائد والضرائب في المدينة Alguacil"(١).

وبعد أن استولى ألبوكيركه على جوا، كما يقول مورس ستيفنز:

"قرر أن يتحالف مع الشاه إسماعيل، أكبر ملوك فارس، لأنه من طائفة الشيعة Shiah Sect، وهم أعداء الأتراك والمماليك، وهم المسلمون السنة Orthodox Muhammadans"(٢).

وكان سفير الشاه إسماعيل الصفوي موجوداً في جوا، فأرسل ألبوكيركه مبعوثاً معه إلى الشاه إسماعيل، هو روي جوميز Ruy Gomes، ومعه رسالتان موجهتان للشاه، إحداهما مكتوبة والأخرى شفوية، فإليك نصهما من سيرة ألفونسو ألبوكيركه وسجل أعماله وأقواله التي دونها ابنه ألبوكيركه الصغير:

"إن سيدي ملك البرتغال وسيد الهند ومحيطها وسيد البحار على جانبي إفريقيا سوف يُسر بإقامة تحالف معكم ... وقد علمت أن السلطان عدوكم وأنه في حرب معكم، وقد تمكنّا من هزيمة أسطوله في ديو، وقد تمكنت من الاستيلاء على مدينة جوا ومملكتها، وأنا باسمي، ونيابة عن جلالته، أعرض عليكم الأسطول والجيش والمدافع التي تحت قيادتي، وكذلك البلدات والقلاع التي يمتلكها ملك البرتغال في الهند، وأضعها جميعاً تحت تصرفكم في مواجهة الأتراك ... وإذا تم هذا التحالف أعتقد أنه يمكنكم بجهود قليلة الاستيلاء على مدينة القاهرة ومملكة السلطان العظيم وبلاده التي تتاخم مملكتكم، بينما يعبر سيدي ملك البرتغال إلى أورشليم Pass Over To Jerusalem، ويحوز البلاد التي في جهتها ... وإذا أردتم الهجوم على مكة والاستيلاء على جزيرة العرب Arabia، فسوف أقوم في الوقت نفسه بالدخول في البحر

---

1) Morse Stephens: Albuquerque, P71.
2) Morse Stephens: Albuquerque, P77.

الأحمر، والإبحار فيه بأسطولي، حتى أصل إلى ميناء جدة، وسوف أفعل كل ما في وسعي لمساعدتكم"[1].

وكما ترى، منذ بدأت تقرأ كشوف البرتغال الجغرافية مع الأمير هنري الملاح ومنظمة فرسان المسيح، ثم سيرة فاسكو دا جاما وألبوكيركه، وأنت لا ترى سوى الحملات البحرية والحروب والمذابح، في الهند وسواحلها وما يفضي إليها وما يحيط بها من بحار ومحيطات، وصراعات محورها التجارة وطرقها ومحطاتها، ولا تسمع عن أورشليم/القدس، وتبدو وكأنها لا علاقة لها بالأحداث والمسار الذي يتكون منها على الإطلاق، فلا ذكر لها، وما يحدث بعيداً عنها، وفجأة خرجت أمامك من الأذهان الراسخة فيها وتتوارثها جيلاً بعد جيل إلى الرسائل والخطط، لتدرك أن كل ما سبقها من أحداث كان خطوات في الطريق إليها، وأن كل هذا الدوران في البحار والمحيطات من أجل الاقتراب منها والوصول إليها، فكأنها جوهرة ثمينة لا تظهر في مشاهد فيلم التاريخ، ولكن كل أحداثه تدور حولها ومن أجلها.

وربما قلت إن أورشليم/القدس مدينة الديانات كلها، وبها مقدسات لجميعها، فربما كانت أورشليم التي دار حولها ومن أجلها مشروع الكشوف الجغرافية والوصول إلى الهند والتجارة وكنز الثروات، والتي يتكلم عنها ألبوكيركه، هي أورشليم المسيحية؟

فتابع مسيرتك معنا، وسوف تتيقن بعد قليل أن أورشليم التي خاضت من أجلها منظمة فرسان المسيح المحيطات والبحار، وشنت الحملات البحرية والحربية للوصول إليها، والتي تراها راسخة في أذهان رجالها، وتنتقل فيهم من جيل إلى جيل، هي أورشليم اليهودية بهيكل بني إسرائيل في قلبها.

والفرق بين الذهن القرآني والذهن الأمي، كما أخبرناك، أن الذهن القرآني يدرك ذلك من أول خطوة في المسار ويعلم إلى أين يريدون الوصول، بينما الذهن الأمي يتوه في تفاصيل الحملات والحروب وأحداثها العاصفة والمثيرة، ولا يدرك ذلك إلا بعد أن يتحقق ويراهم بعينيه داخل أورشليم/القدس، ثم هو بعد ذلك لا يدرك صلة وصولهم إلى أورشليم/القدس بما سبقه من أحداث

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. II, P111-118.

تراكمت عبر العقود والقرون، وأن هذا الوصول خطوة في نهاية مسار تكون من هذه الأحداث وتراكمها.

فالأمي إذا كان موجوداً في زمن من قاموا بالكشوف الجغرافية والحملات البحرية في المحيط الهندي، لن يفهم أو يرد على ذهنه صلتها بالقدس والمشروع اليهودي، وإذا وُجد في زمن من وصلوا إلى القدس واستولوا على المسجد الأقصى ويُعدون العدة لبناء الهيكل، لن يدرك صلة ذلك بما سبقه من أحداث عبر القرون، وأن هذه كانت خطوات نحو تلك.

دولة الشيعة في المشروع اليهودي:

ومن رسالة ألبوكيركه إلى الشاه إسماعيل تعلم مسألة أخرى، سارية وتتجدد هي الأخرى عبر القرون، وهي صلة المشروع الشيعي بمشروع استعادة أورشليم/القدس، فمحاولات استعادة الغرب لأورشليم/القدس، في كل الأزمنة، كما ترى، ترتبط بتقويض الخلافة السنية وتفكيك بلاد العرب، لكي يمكن المرور من خلالها، أو بتوظيف الدويلات العميلة فيها، إلى فلسطين.

والإفساح للدولة الشيعية والتحالف معها أو غض الطرف عن تمددها، في كل محاولة أو مشروع لاستعادة أورشليم/القدس، ليس سوى إحدى وسائل استنزاف العالم السني، من أجل استكمال مشروع اليهود التاريخي المغلف في الغرب وإمبراطورياته.

وهو ما فطن إليه المؤرخ مورس ستيفنز، وإن لم يفطن إلى صلته بالغاية اليهودية، وأن مشروع منظمة فرسان المسيح ومملكة البرتغال التي يحكمها الأساتذة العظام للمنظمة، هو في حقيقته مشروع اليهود، فيقول معقباً على رسالة ألبوكيركه وخطته:

"وبلا شك لم يكن يفرق عند ألبوكيركه أن يكون المحمدانيون الذين يهاجمهم شيعة أو سنة، فقد كان هؤلاء وأولئك عنده كفاراً Infidels، ولكنه كان يعمل على تحقيق هدفه، بوضع كل طائفة منهم في مواجهة الأخرى"[١].

---

1) **Morse Stephens: Albuquerque, P78.**

ولم تكتمل خطة ألبوكيركه، في وضع الدولة الصفوية الشيعية في مواجهة دولة المماليك والدولة العثمانية السنية، إذ قُتل مبعوثه روي جوميز في هرمز، التي لا تبعد عن ساحل فارس سوى ثمانية كيلومترات.

ومرة أخرى إليك ما تعرف منه أن استيلاء ألبوكيركه على جوا، وخطته للتحالف مع الدولة الصفوية، من أجل الوصول إلى أورشليم/القدس، هي خطة منظمة فرسان المسيح وثمرة انتمائه لها، وليس لمملكة البرتغال التي تغلفها.

ما إن استقر ألبوكيركه في جوا، وبدأ في تنظيم شؤونها، حتى:

"أمر بإقامة دار لضرب العملة، وعهد بقيادتها إلى تريستاو دييجو Tristão Diego، وخلال شهر مارس ضُربت عملات كثيرة من الذهب والفضة والنحاس، من فئات مختلفة، وكانت جميع العملات تحمل على أحد وجهيها صليب منظمة فرسان المسيح وشعارها، وعلى الوجه الآخر كرة Sphere، هي شعار الملك مانويل"(١).

في جوا:

وتمكن سلطان باجابور يوسف عادل شاه، بمساعدة السلطان العثماني، من تجهيز أسطول حربي من اثنتين وعشرين سفينة، ومنذ بداية شهر مايو ١٥١٠م، بدأ في شن هجمات لاستعادة جوا، وفي يوم ١٧ مايو تمكنت قوات السلطان يوسف عادل شاه من اقتحام المدينة، فقاتلها ألبوكيركه بقواته في شوارعها، ثم اضطر إلى الانسحاب إلى القلعة التي تقع على نهر المدينة.

ورغم رفض ألبوكيركه أصر قادة أسطوله على ضرورة الخروج من جوا إلى الأسطول، وفي يوم ٢٠ مايو خرج بسفنه عبر النهر إلى الميناء، وأصيب إبان الانسحاب ابن أخته، أنتونيو دا نورونها، الذي نصبه حاكماً على جوا، ومات يوم ٨ يوليو، وبسبب الرياح العنيفة، ارتطمت سفينة ألبوكيركه برصيف الميناء وتحطمت، وظل الأسطول في الميناء ثلاثة أشهر، تحاصره قوات السلطان عادل شاه من داخل جوا، ولا يستطيع الخروج إلى البحر المفتوح بسبب العواصف، وبعد

---

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India, Vol. II, P129.

أن تحسن الطقس وهدأت الرياح خرج أسطول ألبوكيركه يوم ١٥ أغسطس إلى جزيرة أنجديفا جنوب جوا[١].

ومن جوا أبحر ألبوكيركه إلى كانانور، وانضم إليه فيها أسطول البرتغال في بحر العرب، بقيادة دوارت دا ليموس، وأسطول آخر قادم من البرتغال بقيادة دييجو منديز دي فاسكونسيلوز Diago Mendes de Vasconcelos، في طريقه إلى مضيق ملقا، ثم جاءه القرصان تيموجا وأخبره أنه علم من جواسيسه في جوا أن السلطان عادل شاه مريض، وأنه ترك جوا إلى داخل باجابور، وترك في قلعتها حامية من أربعة آلاف جندي من الأتراك والخراسانيين، بقيادة رسول خان، وألح على ألبوكيركه أن يستغل الفرصة ويهاجم جوا ويستعيدها.

وفي ٢٥ نوفمبر ١٥١٠م، هاجم ألبوكيركه جوا بأسطول من ثلاث وعشرين سفينة، بالإضافة إلى سفن تيموجا، وتمكن من اقتحامها والاستيلاء عليها للمرة الثانية، وبعد أن قام بالاستيلاء على القلعة وحصَّنها:

"أطلق جنوده لنهب المدينة، وقتل بالسيف ألفين من البيض Whites والأتراك والخراسانيين، وقتل معهم أعداداً كبيرة من أهل المدينة Natives ... وأمر بملأ أحد الجوامع بالمغاربة وإحراقه وهم في داخله"[٢].

وفي يوم ٥ ديسمبر ١٥١٠م، مات سلطان باجابور يوسف عادل شاه، وخلفه ابنه الشاب إسماعيل عادل شاه، وظهرت بوادر التمرد بين حكام أقاليم السلطنة، فانشغل بضبط شؤون السلطنة الداخلية، فأحكم ألبوكيركه قبضته على جوا، وحولها إلى مقر له، وقاعدة للحكم، وظلت كذلك إلى أن سقطت إمبراطورية البرتغال البحرية، وخلفتها شركة الهند الشرقية البريطانية.

يهود ألبوكيركه:

وها هنا، بعد أن استولى ألبوكيركه على جوا، ظهر له اليهود فجأة، كما ظهر جاسبار دا جاما من قبل لفاسكو دا جاما، فينقل المؤرخ اليهودي وعضو الأكاديمية الملكية في مدريد، مائير

1) Morse Stephens: Albuquerque, P80-82.
2) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. III, P15, 17.

كيسيرلنج، في كتابه: كرستوفر كولومبس، وإسهام اليهود في الاستكشافات الإسبانية والبرتغالية، عن المؤرخ البرتغالي دي باروس، أن أسطول دييجو منديز دي فاسكونسيلوزو التقى وهو قادم من البرتغال بسفينة إسبانية، كان على متنها يهوديان من قشتالة، فطلبا الانضمام إليه وتطوعا للعمل مع البرتغاليين في الهند.

وحين التقى اليهوديان ألبوكيركه:

"أخبراه بمعلومات تفصيلية عن مملكة برستي خواو/الحبشة، وأن أدميرالاً يهودياً يعمل في خدمة ملكها، وعن خليج العرب، والتجارة في هذه المناطق، وأحد هذين اليهوديين سمى نفسه فرانسيسكو دا ألبوكيركه Francisco da Albuquerque، وعمل مترجماً لألبوكيركه، والآخر اسمه كوفو Cufo، أو هوسف Hucefe، وكان يجيد لغات عديدة، فعينه ألبوكيركه سكرتيراً له، فصار مستشاره الملازم له ومن أقرب أصدقائه، وكان لألبوكيركه مترجم آخر من اليهود، هو صمويل القاهري Samuel of Cairo"[1].

في ملقا وأرخبيل الملايو:

وبعد استيلائه على جوا، وقد صارت مدن ساحل مالابار كلها خاضعة له، وأرسل إليه سلاطين الساحل مبعوثين لطلب السلام وتوقيع اتفاقيات تجارية معه، بدأ ألبوكيركه يجهز للخطوة التالية في مسيرة العودة إلى أورشليم/القدس واستعادتها.

والخطوة التالية لم تكن في اتجاه القدس ولا قلب عالم الإسلام، بل بعيداً عنها، لكن كما سترى، من أجل الاقتراب منها، واستكمال الاستيلاء على أطراف عالم الإسلام وقطع صلتها بقلبه وخنقه اقتصادياً.

والخطوة التالية كانت مضيق ملقا، الذي يقع في أرخبيل الملايو، ويمتد بطول ثمانمائة كيلومتر بين ماليزيا وإندونيسيا، ويسيطر على حركة التجارة داخل الأرخبيل، وتمر به سفن التجارة العابرة بين اليابان والصين والهند وبلاد العرب وفارس.

---

1) Christopher Columbus and the Participation of the Jews in the Spanish and Portuguese Discoveries, P119-120.

فإليك خريطة لمضيق ملقا، وموقعه من الهند والصين وفارس وبلاد العرب، ومن طرق التجارة البحرية بينها.



خريطة لمضيق ملقا، وموقعه من الهند والصين وفارس وبلاد العرب، ومن طرق التجارة البحرية بينها.

وكانت مدينة ملقا التي تشرف على المضيق وتتحكم في حركة التجارة داخله، عاصمة سلطنة ملقا المسلمة، التي أسسها في بداية القرن الخامس عشر الملك بارامسوارا Parameswara، وكان أحد أمراء جزيرة جاوة، ثم أسلم وسمى نفسه إسكندر شاه Iskander Shah، وكانت ملقا تمتلئ بالتجار من جميع الأمم، العرب والهنود والترك والفرس والصينيون والملاويون والأوروبيون، ويبلغ تعداد من يسكنونها مائة ألف نسمة.

وقد وصلت إلى فاسكو دا جاما مع وصوله إلى الهند إبان رحلته الأولى أنباء موقع ملقا الفريد وتحكمها في التجارة بين اليابان والصين والهند وجزر مالوكو/جزر التوابل، التي تقع داخل أرخبيل الملايو، فأرسل الملك مانويل الأول أسطولاً من خمس سفن بقيادة دييجو لوبيز دي سكويرا Diogo Lopes de Sequeira، إلى ملقا مباشرة، لكي يوقع مع سلطنتها اتفاقية، ويقيم مركزاً تجارياً للبرتغال فيها، فوصل أمام ملقا في ١١ سبتمبر سنة ١٥٠٩م، وقد سبقته إليها أخبار البرتغاليين في الهند، فرفض السلطان محمود شاه توقيع اتفاقية معه أو السماح للبرتغاليين بممارسة التجارة في ملقا، وأسر رجاله الذين أرسلهم مع بضائعهم للتواصل مباشرة مع التجار داخل المدينة دون إذنه.

وفي سنة ١٥١٠م، أرسل الملك مانويل الأول أسطولاً آخر إلى ملقا بقيادة دييجو منديز دي فاسكونسيلوز، فوصل الهند وألبوكيركه يستعد لمهاجمة جوا، فأصر ألبوكيركه على أن يشترك معه في استعادتها، وأراد فاسكونسيلوز بعدها الإبحار إلى ملقا، فمنعه ألبوكيركه، وتذرع بأن أسطول دي فاسكونسيلوز لا يكفي للاستيلاء على ملقا أو إخضاعها، ووقع بينهما خلاف انتهى بعزل ألبوكيركه، وهو نائب الملك، لفاسكونسيلوز، ثم بدأ في تجهيز حملة يقودها بنفسه إلى ملقا[١].

وفي شهر أبريل ١٥١١م أبحر ألبوكيركه في أسطول من ثماني عشرة سفينة وعلى متنه ألف وأربعمائة جندي، متجهاً إلى ملقا، فوصلها في بداية شهر يوليو، وأرسل إلى السلطان محمود شاه يطلب منه إرسال الأسرى البرتغاليين لديه، والبدء في التفاوض حول اتفاقية تجارية، فرفض السلطان تسليمه الأسرى إلا بعد التفاوض والاتفاق، فأرسل ألبوكيركه جنوده في قوارب إلى الميناء، فأحرقوا بعض السفن الراسية فيه، وأحرقوا بعض البيوت المطلة على الميناء، فأرسل إليه السلطان محمود الأسرى، وبعد مفاوضات بينهما دون وصول إلى اتفاق قرر ألبوكيركه مهاجمة ملقا والاستيلاء عليها.

وأرسل نينا شاتو Nina Chatu، وهو أحد التجار الهندوس الذين استقطبهم دي سكويرا في أول حملة على ملقا، عملاءه إلى ألبوكيركه، فأخبروه أن نهر موار Muar الذي يمر بملقا يقسمها إلى جزين يربط بينهما جسر، وهذا الجسر هو مفتاح المدينة والذي يسيطر على الحركة فيها، فقسم ألبوكيركه جنوده إلى كتيبتين، وقاد هو أولاهما، وقاد الثانية خواو دي ليما João de Lima، وفي فجر يوم ٢٥ يوليو اقتحمت الكتيبتان مدينة ملقا، واستولت على جانبي الجسر، وأقامت تحصينات ومدافع فيهما، ولكن ظل جنود ألبوكيركه يتعرضون للهجمات من الجانبين طوال اليوم والليل، وقتل عدد كبير منهم، وهاجم السلطان محمود شاه التحصينات بالأفيال، ومعه ألفان من المغاربة/المسلمين، فاضطر ألبوكيركه إلى الانسحاب في اليوم التالي إلى الأسطول[٢].

وخشية تذمر قادة سفن أسطوله، كما حدث عند هجومه على مملكة هرمز، عقد ألبوكيركه يوم ٨ أغسطس ١٥١١م مجلساً جمعهم فيه، لكي يشاورهم في أمر معاودة الهجوم على ملقا، وألقى

---

1) **Morse Stephens: Albuquerque, P94-95.**
2) **Morse Stephens: Albuquerque, P101.**

فيهم خطبة يبين لهم أهمية الاستيلاء على ملقا وإقامة قلعة بها والسيطرة على التجارة فيها، فهاك نص الخطبة من سيرة ألبوكيركه التي دونها ابنه ألبوكيركه الصغير:

"أريدكم أن تتذكروا أننا حين قررنا مهاجمة هذه المدينة، كان ذلك من أجل إقامة حصن فيها، وكان الجميع متفقين على أن ذلك ضرورة لابد منها، وبعد أن استولينا على المدينة لم أكن راغباً في الخروج منها، ولكني فعلت ذلك لأنكم جميعاً اتفقتم عليه، والآن أنا مستعد لوضع يدي عليها مرة أخرى، وقد علمتُ أن بعضكم قد غيروا رأيهم، وهو ما لن يحدث، لأن المغاربة قد دمروا أفضل قسم منا، وأنا بصفتي حاكم الهند صاحب قرار الحرب، ولكني أرجو منكم أن تعطوني آراءكم بحرية وأن تكون مكتوبة، لأني سوف أرفع تقريراً بهذا الشأن وبخصوص الخطة التي سوف أتبعها مع ملقا إلى سيدنا الملك مانويل، ولا أريد أن يُلقى اللوم عليَّ وحدي ... وهناك أسباب عديدة تدعونا إلى الاستيلاء على هذه المدينة وإقامة حصن فيها من أجل السيطرة عليها، ولكني سأشير لكم إلى نقطتين فقط، الأولى هي الخدمة العظيمة التي سنقدمها لسيدنا بإخراج المغاربة من هذا البلد، وإخماد نار طائفة محمد Quenching The Fire Of This Sect Of Muhammad، فلا يكون لها بعد ذلك أوار أبداً، فإذا تمكنَّا من إنجاز هذا الهدف، فسوف يُسلِّم المغاربة حكم الهند لنا، لأن الجزء الأكبر منهم، وربما جميعهم، يعيشون على التجارة مع هذا البلد ... وعندما أمرنا ملك البرتغال بالإبحار في مضيق البحر الأحمر، كان ذلك من أجل قطع التجارة التي يحملها مغاربة القاهرة ومكة وجدة مع هذا البلد، وجلالته يرى أن الاستيلاء على ملقا سوف يؤدي إلى إغلاق مضايق البحر الأحمر، ولن يصبحوا قادرين على جلب التوابل إلى هذه الأماكن ... والخدمة الأخرى التي نقدمها لملكنا مانويل بالاستيلاء على هذه المدينة، أنها مركز تجارة التوابل والعقاقير التي يحملها المغاربة كل عام إلى المضايق، فإذا استولينا عليها سوف نحرمهم من سوقهم العريقة هذه، ولن يبقى لهم ميناء واحد ولا مكان واحد في هذه المناطق يمكنهم ممارسة تجارة هذه الأشياء فيه، وبعد أن امتلكنا التوابل في مالابار، ولم يعد يصل منها إلى القاهرة شيء، من المؤكد أننا إذا أخذنا تجارة ملقا من أيديهم فسوف تخرب القاهرة ومكة Cairo And Mecca Will Be Entirely Rruined، ولن تصل التوابل إلى فينيسيا إلا عبر التجار الذين يشترونها من البرتغال"[1].

---

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. III, P115-118.

وخطبة ألبوكيركه في قادة أسطوله، وهو يتأهب للاستيلاء على ملقا المسلمة، في أرخبيل الملايو، تنسف كل ما يتوهمه ويوهمك به الأميون في بلاليص ستان، وما يبثونه في كتاب الوزارة المقرر في بلاليص ستان، عن الكشوف الجغرافية والتجارة في الشرق، وما يضللونك عنه، لكي لا تفطن له ولا تكون على وعي به، وهو، كما أخبرناك من قبل، أن الهدف الحقيقي من الكشوف الجغرافية، والبحث عن طريق بحري إلى الهند عبر المحيط، ليس مجرد المغامرة ولا الاستكشاف بلا غاية ولا هدف، ولا محض التجارة وكنز الثروات، بل الكشوف والتجارة وكنز الثروات هدفها الدوران حول عالم الإسلام، والوصول إلى أطرافه، من أجل انتزاعها والمرابطة فيها، وتوفير التمويل والقوة اللازمة لتفكيكه واختراقه والوصول إلى قلبه.

وبعد يومين من خطبته، أمر ألبوكيركه بقصف ملقا بالمدافع مع شروق الشمس، وأن تدخل بعض السفن في نهر موار، حتى تصل إلى الجسر، ثم نزل بقواته كلها إلى ملقا، وقد قسمها إلى ثلاث مجموعات، فاستولى الجسر، وأقام تحصينات ومتاريس على جانبيه ونصب عليها مدافعه، وأرسل مجموعة من جنوده لغلق جميع الشوارع المؤدية إلى الجسر، في الجانب الغربي، وحاصر بالجانب الأكبر من قواته المسجد الذي يتحصن به السلطان محمود شاه مع قواته في الجانب الشرقي.

وبعد عشرة أيام من الهجوم على المسجد، ظل ألبوكيركه خلالها يقصف ملقا بالمدافع من السفن في النهر، ومن التحصينات التي أقامها على الجسر، تمكن من الاستيلاء على المسجد، وانسحب السلطان محمود بقواته إلى جنوب ملقا، فأقام معسكراً لقواته في غابة عند فم نهر موار.

وفي يوم ٢٤ أغسطس أمر ألبوكيركه جنوده بالنزول في مجموعات إلى شوارع ملقا، ونهب جميع بيوتها ومتاجرها والاستيلاء على ما فيها، ما عدا الحي الهندوسي الذي يقيم فيه نينا شاتو، وأمرهم بقتل جميع من يجدونه من الملايو المغاربة/المسلمين، ثم نصَّب نينا شاتو حاكماً على الهندوس، وجعله شاه بندر التجار Bendahara في ملقا كلها.

أما السلطان محمود فقد ظل متحصناً بالغابة التي لجأ إليها، ويهاجم منها البرتغاليين، إلى أن حاصره جاسبار دي بايفا Gaspar de Paiva، بالمدافع في ألفين من جنوده، فخرج في شهر مايو ١٥١٢م، إلى سلطنة بانهانج المسلمة Pahang، شرق ملقا[١].

وبعد أن سيطر على ملقا، أرسل ألبوكيركه مبعوثيه في سفن حربية، إلى سلاطين الملايو وجنوب شرق آسيا، لكي يوافقوا على إعلان تبعيتهم لملك البرتغال، وعلى توقيع اتفاقيات تجارية معه، وكان مبعوثوه من الذين قدموا في حملة دي سكويرا سنة ١٥٠٩م، وتمكنوا من جمع معلومات عن أرخبيل الملايو وممالكه، فأرسل روي دا كُونها Rui da Cunha إلى ملك بيجو/بورما Pegu، فرحب به ووقع اتفاقية معه، وأرسل دوارت فرنانديز Duarte Fernandes إلى مملكة أيوتهايا Ayutthaya في سيام/تايلاند، فوقع ملكها اتفاقية معه، ثم أرسل بعثة استكشافية إلى جزر مالوكو/جزر التوابل، بقيادة أنتونيو دي أبرو António de Abreu، ومعه أدلاء من الملايو، لكي يقودوه في الممرات المائية المتشعبة، ويدلوه على مكان جزر التوابل المخفية وسط عشرات الجزر التي يتكون منها أرخبيل الملايو، فوصلها في بداية سنة ١٥١٢م، وملأ سفنه بالتوابل، خصوصاً القرفة والقرنفل وجوزة الطيب، ثم عاد إلى ملقا[٢].

وأمر ألبوكيركه ببناء حصن على شاطئ ملقا سماه حصن فاموزا A Famosa، فاكتمل بناؤه في شهر يناير ١٥١٢م، وخصص له خمسمائة من قواته ليكونوا حاميته، ونصب روي دي بريتو باتاليم Ruy de Brito Patalim حاكماً عليه، وترك له عشرة من سفن الأسطول ليكونوا في حراسته وتنفيذ أوامره، وجعل روي دي أروجو Ruy de Araujo، وكيلاً تجارياً للبرتغال في ملقا، ونصبه قاضياً بين التجار من جميع الأمم.

ثم أبحر ألبوكيركه في نهاية شهر يناير ١٥١٢م عائداً إلى الهند، وحين وصل إلى كوتشي جنوب ساحل مالابار، علم أن سلطان باجابور إسماعيل عادل شاه، قد شن حملة على جوا إبان وجوده في ملقا، وتمكن قائد جيشه رسول خان من إخراج قوات ألبوكيركه والقرصان تيموجا منها، واستعاد قلعتها، وبسبب هبوب الرياح الموسمية، وقلة عدد سفنه وقواته بعد أن ترك جزءًا منها في ملقا، اضطر ألبوكيركه إلى البقاء في كوتشي عدة أشهر، إلى أن وصله أسطول من ست سفن

1) Morse Stephens: Albuquerque, P106-107.
2) Morse Stephens: Albuquerque, P109.

بقيادة ابن أخته جارسيا دي نورونها Garcia da Noronha، تبعه أسطول آخر من ثماني سفن بقيادة جورج دي ميلو بيريرا Jorge de Mello Pereira، فشن حملة على جوا، وبعد معركة استمرت عدة أيام مع جيش رسول خان، تمكن من الاستيلاء على جوا وقلعتها للمرة الثالثة في منتصف شهر سبتمبر ١٥١٢م(١).

اليهود والبرتغال ومنظمة فرسان المسيح:

وفي شهر ديسمبر ١٥١٢م، وصل إلى جوا مبعوث ملك الحبشة ماتيوس Mateus، لعقد اتفاقية مع ألبوكيركه، فاستقبله بترحاب على أنه رسول من مملكة برستي خواو/برستر جون، التي كان العثور عليها والتحالف معها لتطويق بلاد الإسلام، أحد أهداف الكشوف الجغرافية منذ بدأها الأمير هنري الملاح، ثم قرر ألبوكيركه إرسال ماتيوس إلى الملك مانويل في البرتغال للتفاوض معه مباشرة.

وقبلها، في شهر أكتوبر، كما يقول المؤرخ البرتغالي دي باروس في تاريخه:

"وصل إلى جوا ثلاثة من اليهود من القاهرة، فأخبروا ألبوكيركه أن سلطان المماليك، أعد أسطولاً ضخماً في البحر الأحمر، وسوف يرسله إلى الهند، لمواجهة البرتغاليين مرة أخرى"(٢).

ومن هؤلاء الجواسيس اليهود الذين جاءوا من القاهرة، لإخبار ألبوكريكه وتنبيهه لأسطول المماليك الذي أعده السلطان قنصوة الغوري، ومن مستشاره اليهودي الملازم له كوفو/هوسف، ومن مترجميه اليهود المصاحبين له، فرانسيسكو دا ألبوكيركه وصمويل القاهري، الذين التقيت بهم قبل قليل، تتيقن مما أخبرناك به من قبل، وهو أن مشروع منظمة فرسان المسيح للوصول إلى أطراف عالم الإسلام والمرابطة على تخومه والعمل على اختراقه والوصول إلى قلبه، يتوافق مع غاية اليهود ومشروعهم التوراتي.

---

1) Morse Stephens: Albuquerque, P113-116.
2) Frederick Charles Danvers: The Portuguese In India, Being A History Of The Rise And Decline Of Their Eastern Empire, Vol. I, P254, W.H. Allen & Company, limited, Publishers Of The India Office, London, 1894 .

وهذا هو تفسير تطوع اليهود للعمل تحت إمرة البرتغاليين في الهند، وإرشادهم لهم في سواحلها، وتحريضهم لهم على ممالكها المسلمة، وتجسسهم لصالحهم على دولة المماليك والدولة العثمانية، رغم أنهم كانوا يعيشون في ظلالها في أمان ويظهرون عقائدهم ويمارسون شعائرهم بحرية تامة، ويشتغلون بالتجارة ويكنزون الأموال دون ملاحقة ولا تضييق، ورغم أن عموم اليهود كان مضيقاً عليهم في البرتغال ولا يحظون بشيء من هذه الحرية والمزايا، خصوصاً بعد أن أصدر الملك مانويل الأول مرسوماً في ٤ ديسمبر ١٤٩٦م يُخير فيه اليهود في مملكته بين التحول إلى المسيحية أو الخروج منها قبل نهاية شهر أكتوبر ١٤٩٧م، ما عدا الصبيان والفتيات تحت سن أربع عشرة سنة، الذين أجبرهم المرسوم على البقاء والتعميد والتحول للكاثوليكية، وقد صار هؤلاء جزءًا من يهود المارانو الأخفياء، أو المزدوجي الهوية، فهم مسيحيون في ظاهرهم ومظاهرهم ويهود في اعتقادهم وحقيقتهم.

وكما رأيت في إسبانيا، في باب: كرستوفر كولومبس، وكما هو في كل البلدان والأزمان، كان عموم اليهود في البرتغال مضيقاً عليهم، بينما الطبقة العليا من اليهود هم محور التجارة في البرتغال، والذين يتحركون بها بينها وبين بقية بلاد أوروبا، ويكمنون في كواليس السلطة، وأموالهم هي مصدر تمويلها.

وفي الباب الذي خصصه لأوضاع اليهود في البرتغال، في عصر الكشوف الجغرافية، من كتابه: فاسكو دا جاما وخلفاؤه، يقول المؤرخ البريطاني كنجسلي جارلاند جيني:

"ويختلف يهود السفارديم في إسبانيا والبرتغال عن اليهود الأشكنازيم في ألمانيا وبولندا، في أن رؤساءهم وقادة مجتمعاتهم لم يكونوا من تجار التجزئة Retail Traders، بل من أصحاب البنوك وأمراء التجارة Bankers Or Merchant Princes، وبعضهم كان مسؤولاً عن تحصيل الجمارك ... ولا شك أن تقريب ملوك البرتغال لهؤلاء اليهود لم يكن بسبب إحسانهم وحبهم لفعل الخير، بل لأموالهم وقدراتهم في إدارة الاقتصاد، ومن غير عقول اليهود ورؤوس أموالهم في التجارة، كان يمكن أن تصاب المملكة بالشلل Would Have Been Paralysed ... وبالإضافة إلى ذلك كانت الضرائب التي يدفعونها عن الأنشطة والأعمال التي يمارسونها تملأ خزائن المملكة بالذهب والفضة، فقد كانوا يدفعون ضرائب على التجارة، وعلى استخدام الطرق والسفن والمواني ... وبعد تأسيس محاكم التفتيش سنة

١٥٣٦م وجد اليهود ملاذاً آمناً تحت علم البرتغال في البرازيل، والمناطق التي تسيطر عليها منظمة فرسان المسيح"[١].

في عدن والبحر الأحمر:

وهاك أولاً خريطة لعدن وخليجها، وموقعها من بحر العرب، ومن مضيق باب المندب، عند مدخل البحر الأحمر.



خريطة لعدن وخليجها، وموقعها من بحر العرب، ومن مضيق باب المندب، عند مدخل البحر الأحمر

كان الإبحار في مياه الإسلام والدخول إلى البحار التي تصل إلى قلب عالمه، الخليج والبحر الأحمر، وخنقه اقتصادياً بغلق طرق التجارة منه وإليه، وقطع طريق الحجاج إلى مكة والمدينة، كما يقول المؤرخ مورس ستيفنز، هو:

---

1) Vasco Da Gama and His Successors, 1460-1580 , P156-160.

"حلم ألبوكيركه وهدفه الأول Primary Aim، وجميع حملاته على الهند وملقا، كانت من أجل أن يتمكن من تحقيق هذا الهدف، الذي اضطر لتأجيله سنة بعد سنة، وأخيراً صار يمكنه أن يشرع فيه"(١).

وبعد أن أخبره الجواسيس اليهود بنبأ أسطول المماليك، أرسل ألبوكيركه رسالة إلى الملك مانويل، يخبره فيها بضرورة الاستيلاء على عدن ومضايق البحر الأحمر، ويستأذنه في شن حملة عليها، ثم في يوم ٧ فبراير ١٥١٣م، أبحر ألبوكيركه من جوا في أسطول من عشرين سفينة، وعلى متنه ألفان وخمسمائة من الجنود، فوصل يوم ٢٥ مارس إلى عدن، التي تقع على ساحل اليمن المطل على خليج عدن، عند مدخل البحر الأحمر.

وكانت عدن مدينة حصينة، وبها قلعة قوية، وتحيط بها أسوار عالية، وتتبعها بلدات ساحل اليمن ومضيق البحر الأحمر، وكان شيخها ميرجاو Merjao يوالي سلاطين المماليك، فأرسل إليه ألبوكيركه أن يعلن تبعيته لملك البرتغال، ويفتح عدن لجنوده، فلم يرد عليه.

ولم يستطع ألبوكيركه الاستيلاء على المدينة من اتجاه الشاطئ، بسبب ضحالة منسوب الماء، مما كان يتعين معه أن يخوض جنوده في الماء بأسلحتهم للوصول إلى الشاطئ، وهو ما يفسد البارود في أسلحتهم النارية ويجعلهم هدفاً سهلاً لرماة الأسهم، فأمر ضباطه وجنوده بتسلق أسوار عدن في ثلاث مجموعات من مواقع مختلفة بسلالم مدرجة Scaling Ladders.

وبعد أن تسلقت المجموعة الأولى من الجنود والضباط بقيادة جارسيا دا نورونها السلالم فعلاً وصارت أعلى السور، وبدأت المجموعتان الأخريان في التسلق، هاجم المغاربة/المسلمون السلالم وحطموها، وقُتل عدد كبير من جنود ألبوكيركه وضباطه، فأمر بالانسحاب إلى الأسطول، وظل يقصف عدن بالمدافع بضعة أيام، ثم نهب السفن التي وجدها في ميناء عدن، ونقل حمولتها إلى أسطوله، وأبحر في اتجاه البحر الأحمر(٢).

---

1) Morse Stephens: Albuquerque, P125.
2) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. IV, P15-18, 23-25.

وفي طريقه إلى البحر الأحمر:

"التقى ألبوكيركه سفينة قادمة من شول، في طريقها إلى جدة، فاستولى عليها، وجعلها تحت قيادة خواو جوميز João Gomez، وأرسل معه عشرين جندياً وأحد مترجميه اليهود والدليل المغربي/المسلم الذي كان على السفينة، وأمرهم بالإبحار أمامه لاستكشاف الطريق وإرشاده، فعبرت السفينة مضيق البحر الأحمر، ومن خلفها أسطول ألبوكيركه، فرسا في الميناء الشرقي Eastern Harbour(•)، الذي يقع داخل بوابة المضيق"(١).

وكان ألبوكيركه أول من يعبر مضيق باب المندب ويدخل البحر الأحمر من الأوروبيين، وكان ذلك في شهر مايو ١٥١٣م.

وفي اليوم التالي:

"واصل ألبوكيركه الإبحار في منتصف المضيق في اتجاه البحر المفتوح، محافظاً على سواحل جزيرة العرب ومملكة برستي خواو في مرمى بصره، حتى وصل إلى جزيرة جبل زقر Jebel Zukur، فرسا أمامها، ولحاجته الشديدة للتزود بالماء والمؤن أرشده الأدلاء إلى جزيرة كمران Camarao، وفي طريقه إليها وجد أربعة سفن قادمة من براوة وزيلع محملة بالبضائع في طريقها إلى مكة وجدة، ولأنها تتبع شيخ عدن قام بالاستيلاء عليها، وقطع أيدي المغاربة/المسلمين الذين كانوا عليها وأنوفهم وآذانهم، وكان ألبوكيركه يريد مواصلة الإبحار إلى جدة والسويس، ولكن بسبب الرياح العكسية والعواصف العنيفة في البحر الأحمر اضطر للبقاء في كمران فترة طويلة، ومرض عدد من رجاله وماتوا بسبب سوء حالة الطقس، وفي منتصف شهر يوليو ترك كمران إلى جزيرة بريم، ثم خرج في شهر أغسطس ١٥١٣م من البحر الأحمر عائداً إلى الهند"(٢).

•) مكانه الآن ميناء الشيخ سعيد.

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India, Vol. IV, P25-26.

2) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India, Vol. IV, P27-28.

خطة برتغالية إسرائيلية:

ويقول ألبوكيركه الصغير في سيرته لأبيه وأعماله، إن ألفونسو ألبوكيركه، وهو يعبر مضيق البحر الأحمر، وينوي الإبحار فيه والتوغل حتى يصل إلى جدة والسويس، فكر في خطتين، أو خطة من شقين، وإبان وجوده في البحر الأحمر أرسل عدة رسائل إلى الملك مانويل، بأخبار حملته على عدن والبحر الأحمر، واجتيازه للمضيق الذي تقع بلاد العرب شرقه ومملكة برستي خواو/الحبشة غربه، وعرض عليه الخطتين لأخذ موافقته عليهما، وأرسلهما إلى البرتغال مع أدلاء عبر طرق إفريقيا البرية، وليس عن طريق البحر.

فهاك نص خطة ألبوكيركه الأولى، كما سجلها ابنه ألبوكيركه الصغير:

"الخطة الأولى كانت تكسير سلسلة الجبال الصغيرة التي تمتد على جانبي نهر النيل في أرض برستي خواو/الحبشة، وإسقاطها في النهر لتحويل مجراه في اتجاه آخر، من أجل قطع المياه عن القاهرة وتدمير أراضيها، وهو ما يمكن إتمامه بسهولة، وأرسل إلى الملك مانويل أن يرسل إليه عمالاً من جزيرة ماديرا، لهم خبرة بقطع الصخور وعمل الخنادق، لأن ملك برستي خواو/الحبشة يرغب في ذلك بشدة، ولكن ليس عنده وسائل تحقيقه، وإذا تمكنتُ من فعل ذلك، وهو ما أعتقد أنني قادر عليه، بمساعدة برستي خواو/الحبشة، فسوف يتم تدمير القاهرة تدميراً تاماً Cairo Would Have Been Entirly Destroyed"[(١)].

وهذا هو نص الخطة الثانية:

"الدخول إلى مضيق مكة Straits of Meca، وإرسال حملة بالسفن من أربعمائة من الفرسان بخيولهم، وإنزالهم في ميناء جدة، لكي يزحفوا على مكة، ويهاجموا الكعبة، ويسلبوها كنوزها، وهي بلا شك كثيرة، ثم يأخذون جثمان نبيها المزيف Its False Prophet، ويحملونه معهم لمبادلته بهيكل أورشليم المقدس The Holy Temple of Jerusalem، وهو ما يمكن فعله بسهولة، لأن الطريق إلى المدينة لا تستغرق سوى يوم ونصف يوم، ولن

---

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. IV, P36.

تستطيع القاهرة إنقاذهم، لأن الطريق من القاهرة إلى مكة والمدينة تستغرق ثلاثين أو أربعين يوماً"[1].

وكما ترى، بعد أن دخل ألبوكيركه في مياه الإسلام، وصار في البحار التي يمكنه أن يصل من خلالها إلى قلبه، أسفرت بلا مواربة غاية منظمة فرسان المسيح الخبيئة في أذهان قادتها ويتوارثونها عبر الأجيال، والتي خاضوا البحار والمحيطات واستكشفوها، وداروا حول عالم الإسلام، وشنوا الحملات على الهند وأرخبيل الملايو المسلمة، واستولوا على مراكز التجارة فيها، من أجل الوصول إليها، ألا وهي أورشليم اليهودية ذات الهيكل، وهي نفسها كما علمتَ من قبل غاية كرستوفر كولومبس ويهود المارانو من خلفه.

فمشروع الكشوف الجغرافية، والبحث عن الطريق إلى الهند بعيداً عن البحر المتوسط المغلق بدول الإسلام، عبر الإبحار في المحيط جنوباً وغرباً، مشروع يهودي، غايته النهائية أورشليم/القدس والهيكل/المسجد الأقصى، والمسيحية ومملكة البرتغال في هذا المشروع ليست سوى الغلاف اللازم لجمع الأموال واستنفار الجنود وحشد الأساطيل، لكي تقاتل في حماس باسم المسيحية، وهي لا تدري أنها تحقق غاية اليهودية!

فهل فهمت الآن لماذا كان اليهود يتطوعون للخدمة في أساطيل البرتغال، ويعملون لهم مترجمين ومستشارين، ويرشدونهم إلى ممالك المسلمين في الهند، ويحرضونهم على غزوها، ويتجسسون لهم على دولة المماليك والدولة العثمانية التي يتنعمون فيها وينقلون لهم أخبارها؟

فإليك ما يزيدك يقيناً أن الغاية من الخطة التي وضعها ألبوكيركه يهودية، وليست مسيحية، بل وأن هذه الخطة نفسها، اليهود هم من رسموها له ودلوه عليها.

في إحدى رسائله إلى الملك مانويل، التي دونها ابنه ألبوكيركه الصغير، رسم ألبوكيركه للملك الطريق التي سوف يسلكها للتوغل في البحر الأحمر وغزو مصر، فهاك هي:

---

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India, Vol. IV, P36-37.

"من جزيرة ميوم Mium، اتي تقع عند مدخل المضيق، يمكن السير بمحاذاة شاطئ برستي خواو/الحبشة، حتى دلاكا Dalaca ... ومن دلاكا حتى مصوع Maçua وسواكن çuaquen تقع أراضي برستي خواو/الحبشة، التي تمتد سلطتها حتى شواطئ مدغشقر وسوفالا، وتمتد من جهة البحر الأحمر من سواكن حتى القاهرة/مصر، وتتاخمها من الداخل النوبة وبلاد المغاربة التي يسمونها أجاجي Ajaje، وهي التي يأتي منها الذهب إلى سواكن، والحبشة Abyssinians يطلقون على برستي خواو اسم: إيلاتي Elati، وهو اسم الإمبراطور، ومن سواكن إلى القُصير Coçaer أراض يسكنها الأعراب Alarves، والطريق من القصير حيث موقعها أعلى البحر الأحمر إلى الداخل تستغرق ثلاثة أيام للوصول إلى النيل حيث توجد قرية قنا Canaa، التي اعتاد يهود البرتغال وقشتالة المرور منها إلى الهند، ويفضلونها عن المرور عبر بلاد اليهودية Juda، لأنهم يرتعبون بشدة من المرور بمكة ... وأعلى هذه المضايق جميعها تقع السويس، ولابد أنها مكان عِصيون جابر Sião Gaber، التي ذكرها الكتاب المقدس"[1].

فتنبه أن الطريق التي كان يخطط ألبوكيركه لأن يسلكها رسمها اليهود، وهم من أخبروه بها وعرفوه بمحطاتها وأطلعوه على أسرارها، ثم تنبه أن فلسطين التي يريد الوصول إليها وأن يبادل بها جثمان النبي عليه الصلاة والسلام، ليست مسلمة ولا مسيحية، بل فلسطين اليهودية التي لا يعرف عنها سوى أنها بلاد اليهود Juda.

وعصيون جابر التي رآها ألبوكيركه في السويس، ميناء على البحر الأحمر ورد ذكره في سفر التثنية، على أنه آخر مدينة مر بها بنو إسرائيل، قبل العبور إلى البرية:

"٨فَعَبَرْنَا عَنْ إِخْوَتِنَا بَنِي عِيسُو السَّاكِنِينَ فِي سِعِيرَ عَلَى طَرِيقِ الْعَرَبَةِ، عَلَى أَيْلَةَ، وَعَلَى عِصْيُونَ جَابِرَ، ثُمَّ تَحَوَّلْنَا وَمَرَرْنَا فِي طَرِيقِ بَرِّيَّةِ مُوآبَ"[2].

وفي سفر الملوك الأول أنه الميناء الذي بنى فيه الملك سليمان سفن أسطوله:

---

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. IV, P37-39.

٢) تثنية: ٢: ٨.

"٢٦وَعَمِلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ سُفُنًا فِي عِصْيُونَ جَابَرَ الَّتِي بِجَانِبِ أَيْلَةَ عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ سُوفٍ فِي أَرْضِ أَدُومَ"[١].

فتفهم من ذلك أن بناء ألبوكيركه الذهني والنفسي ومسيحيته، هي المسيحية التي عمقها اليهود وسيرة بني إسرائيل المقدسة، وليست المسيحية الكاثوليكية التي حلت فيها الكنيسة محل بني إسرائيل، وهو ما يفسر لك لماذا كانت غايته العليا من حملاته وحروبه أورشليم وهيكلها.

ولعلك قد فطنت إلى أن مشروع ألبوكيركه لاستعادة أورشليم/القدس وبناء الهيكل في غلاف المسيحية، هو نفسه مشروع اليهودي كرستوفر كولمبس ويهود المارانو من قبله.

وإذا عدت إلى كتابنا: بلاليص ستان، فلن يفوتك ان مشروع ألبوكيركه للتوغل في مياه الإسلام والوصول إلى بلاد اليهود، وإعادتهم إليها، وبناء الهيكل باسم المسيحية، هو نفسه مشروع الماسوني نابليون في القرن الثامن عشر المغلف بالاستعمار والعلمانية، وهو نفسه مشروع الماسون البريطان في القرن العشرين، وهو المحاولة التي اكتملت والمشروع الذي تم، فلما اكتمل وظهر على سطح الأرض، بان ما كان مخفياً ومموهاً عبر القرون.

وما يحدث أمامك في بلاليص ستان منذ أواخر القرن العشرين، هو طبعة أخرى من مشروع ألبوكيركه، وهو الطبعة الأمريكية الإسرائيلية.

فإليك نبذة موجزة دون تفاصيل عن هذه الطبعة الأمريكية الإسرائيلية، ونعتمد على فطنتك في إدراك هذه التفاصيل وقراءة ما بين سطورها، ومنها توقن أنها هي هي مشروع ألبوكيركه، وتدرك أن الأذهان والنفوس التي تنتجها هي نفسها، وما يريد أن يصل إليه هؤلاء هو ما كان يريد أن يصل إليه أولئك.

خطة ألبوكيركه، كما رأيت، تتكون من جزءين، أحدهما السيطرة على مياه الإسلام، الخليج والبحر الأحمر، والتحكم في مداخلها، بالمرابطة في المحيط الهندي وبحر العرب بالأساطيل، ثم التوغل فيهما إلى قلب بلاد الإسلام لمحاصرتها وشلها، من أجل الوصول إلى بلاد اليهودية/فلسطين وتهويدها بالاستيلاء على أورشليم/القدس وإقامة الهيكل.

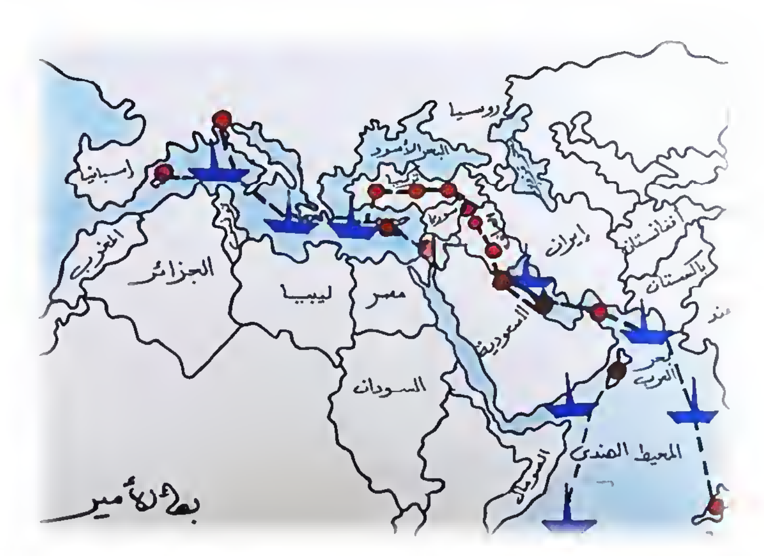
---

١) الملوك الأول: ٩: ٢٦.

وهذا الجزء من خطة ألبوكيركه، هو الذي نفذته الولايات المتحدة الماسونية وتنفذه، منذ أواخر القرن العشرين، عبر تصنيع الأزمات، وتوظيف ما يحدث منها تلقائياً، لكي تكون ذريعة تحريك أساطيلها وحاملات طائراتها، إلى المحيط الهندي وبحر العرب، ثم إدخالها في الخليج والبحر الأحمر، وإقامة قواعد عسكرية فيهما، في غفلة وعجز من ساسة بلاليص ستان ونخبها الأمية البقر التي لا ترى ما يحدث على حقيقته، ولا تدرك المراد منه.

ويواكب مرابطة قطع الأسطول الخامس الأمريكي في المحيط الهندي وبحر العرب وتحكمها في مداخل الخليج والبحر الأحمر، وتوغلها داخلهما، ونقل مقر قيادة المنطقة المركزية الأمريكية، ومقر قيادة الأسطول الخامس، إلى قلب الخليج وعواصمه، محاصرة بلاد الإسلام من الشمال، عبر الأسطول السادس وقواعد الولايات المتحدة العسكرية في البحر المتوسط، بعد أن صار مفتوحاً وحلت دول بلاليص ستان في شواطئه محل دول الإسلام[1].

فهاك خريطة لمواقع تمركز حاملات الطائرات الأمريكية، ولقواعد الولايات المتحدة الماسونية العسكرية، في الخليج والبحر الأحمر، وفي البحر المتوسط، وسوف تدرك منها أن ما تفعله في الحقيقة هو محاصرة بلاليص ستان، وأنه تكرار لما فعله ألبوكيركه، وهدفها هو نفسه هدفه.



خريطة للقواعد الأمريكية فى المحيط الهندي وفى الخليج العربى ودوله، وفى البحر المتوسط، وأماكن تمركز قطع الأسطول الخامس والأسطول السادس.

١) انظر التفاصيل في مقطع فيديو على اليوتيوب، بعنوان: دكتور بهاء الأمير: بلاليص ستان ج٨، الحصار.

والجزء الثاني من خطة ألبوكيركه كان تكسير الجبال التي حول النيل الأزرق في مملكة برستي خواو/الحبشة، بالتعاون معها، وإسقاطها في النيل لتحويل مجراه عن مصر وتعطيشها، لكي لا تتمكن من عرقلة الجزء الأول من الخطة وإنقاذ الشام.

وهذا الجزء هو الذي تتولى إسرائيل بنفسها تنفيذه، بأسلوب عصري، عبر توثيق علاقاتها بإثيوبيا وإقامة السدود على النيل الأزرق، وآخرها وأكبرها سد النهضة، الذي تم الانتهاء من تصميمه في شهر نوفمبر ٢٠١٠م، ووُضع حجر أساسه في يوم ٢ أبريل ٢٠١١م، وتجري وقائع بنائه في زمانك وأمام عينيك، والذي سيؤدي إلى تحكم إثيوبيا ومَن خلفها في المياه الواردة لمصر، وخفض عشرين مليار متر مكعب من حصتها السنوية من مياه النيل، وهي خمسة وخمسون مليار متر مكعب.

فإليك ما تعرف منه، أن مشروع السدود في إثيوبيا، والتحكم من خلالها في موارد مصر المائية، هو في حقيقته مشروع يهودي إسرائيلي، وإثيوبيا/الحبشة ليست فيه سوى غلاف لإسرائيل وتتعاون معها، كما كانت مملكة برستي خواو/الحبشة غلافاً لمشروع ألبوكيركه وتتعاون معه.

لا تملك إثيوبيا/الحبشة الأموال الكافية لبناء السدود، ولا الإمكانات الفنية والتكنولوجية التي تمكنها من إنشائها، وإسرائيل هي في الحقيقة التي تمول بناء هذه السدود، مباشرة أو عبر البنك الدولي.

وتمنح إسرائيل لإثيوبيا وضع الدولة الأَوْلى بالدعم المالي ونقل التكنولوجيا والخبرات في مجالات الري والزراعة، وفي مقابل ذلك تتحكم في مصادر المياه والأنهار في إثيوبيا، وهي التي ترسم سياساتها في كل ما يخص شؤون الري والزراعة.

وفي دراسته: التغلغل الإسرائيلى فى دول حوض النيل الشرقى، إثيوبيا نموذجاً، والتي نشرها سنة ٢٠١٢م، في مجلة: دراسات إفريقية، التي يصدرها معهد البحوث والدراسات الافريقية، بجامعة القاهرة، يقول دكتور أسامة عبد الرحمن الأمين، وهو أستاذ بجامعة الزعيم الأزهري في السودان، عن تطور العلاقات بين إسرائيل وإثيوبيا، ووقوف إسرائيل خلف سياسات إثيوبيا بخصوص نهر النيل وإنشاء السدود، إن:

"الصادرات الإثيوبية إلى إسرائيل وصلت بين عام ١٩٩٣م وعام ١٩٩٨م إلى أكثر من ٢٣٠ %، ومن تلك الصادرات البن والجلود والحقائب المدرسية والأحذية والخضار والفواكه واللحوم والحيوانات الحية والقطن والأخشاب والذهب والكوبالت والسكر والحبوب، ومن هذه القائمة الكبيرة يبدو واضحاً أن البلدين كأنما هما في حالة اتحاد كامل، أما الصادرات الإسرائيلية إلى أثيوبيا فقد زادت خلال العام ٢٠٠٨م ٥٠%، في المجال العسكري والأمني والأسلحة التي تأتي لإثيوبيا من إسرائيل، وأهم الشركات الإسرائيلية العاملة في إثيوبيا هي: الشركة الإسرائيلية المائية، والتي تقوم بمشروعات وأعمال ري في أثيوبيا لحساب البنك الدولي، إضافة إلى أعمال إنشائية في أوجادين، ويقع على عائق هذه الشركة تنفيذ المشاريع المائية في أثيوبيا، وشركة إلدا التجارية، وهى متخصصة في بيع الآلات الزراعية ومعدات الري والبذور وتربية الدواجن والمبيدات ومستحضرات الطب البيطري، وشركة آسيا للمواد الكيمائية والصيدلانية، وتقوم بصنيع الأدوية والمواد الزراعية ولها مصنع للمواد الطبية في أثيوبيا، وشركة سوليل بونيه للبناء والأشغال العامة، وشركة ميكرون، وتقوم بتطوير مصادر المياه وساهمت في بناء خزانات على بحيرة تانا ... وفيما يتصل بمياه النيل تقف إسرائيل وراء إشعال الموقف بين دول حوض النيل، وذلك لإدراكها لأهمية المياه، وبوجودها بالقرب من حوض النيل تريد أن يكون لها نصيب من هذه المياه، وهى المتعهد الأساسي بإنشاء السدود والخزانات في أثيوبيا عبر شركاتها وخبرائها، وتريد أخذ المياه لزراعة صحراء النقب، من خلال تأثيرها على إثيوبيا التي ينبع منها النيل الأزرق المصدر الأساسي لمياه النيل، وعلى دول المنبع الأخرى"[١].

وفي دراسته عن: التدخل الإسرائيلي في إفريقيا وتأثيره على الأمن القومي المصري، دراسة حالة إثيوبيا، التي نشرها سنة ٢٠١٦م المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ومقره برلين، يقول الباحث عبدالرحيم شعبان أحمد نوبي محمد، بخصوص علاقة إسرائيل بسد النهضة تحديداً، إن:

"التدخل السياسي الإسرائيلي في إثيوبيا من أجل التأثير على الأمن المائي المصر هو عملية منظمة، والتنسيق بين إسرائيل وإثيوبيا كان حاسماً في مساعدة إثيوبيا على بناء مجموعة سدود، على رأسها سد النهضة، من أجل إلحاق الأذى والضرر بمصر أولاً، وبالسودان ثانياً ...

١) دكتور أسامة عبد الرحمن الأمين: التغلغل الإسرائيلى فى دول حوض النيل الشرقى، إثيوبيا نموذجاً، مجلة دراسات إفريقية، ص١٩٢-١٩٥، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، مايو ٢٠١٢م.

وتقدم إسرائيل الدعم السياسي لإثيوبيا في بناء سد النهضة، وتلعب دوراً كبيراً في عملية تمويل وبناء السد ... وفي منتصف عام ٢٠١٣م تناقلت وكالات الأنباء رسالة شكر من الحكومة الإثيوبية، للعديد من الدول التي كانت تقف خلف تمويل سد النهضة، وكانت إسرائيل من أبرز تلك الدول ... ويوجد في إثيوبيا أربعمائة خبير إسرائيلي يعملون كمستشارين في شؤون المياه والري وإنشاء السدود، واتحاد المقاولين الإسرائيليين هو الذي يقوم بتنفيذ مشاريع البنية التحتية في إثيوبيا، وشركة أنكودا الإسرائيلية اشترت من إثيوبيا خمسين ألف هكتار من الأراضي الزراعية المتاخمة للنيل الأزرق، علاوة على ذلك يوجد اختراق من منظمات أمريكية يهودية لشراء ملايين الأفدنة فى إثيوبيا بنظام التأجير لفترات طويلة من السنوات، قد تصل الى مائة عام، وبالتالى تستطيع إسرائيل وبالتعاون مع تلك المنظمات السيطرة على مساحات واسعة من الاراضى والتحكم فى إثيوبيا"(١).

ونزيدك على ما قرأته عن علاقة إسرائيل بالسدود التي تقيمها إثيوبيا، وتحكمها في سياساتها المائية والزراعية، أن الهدف الرئيسي من بناء سد النهضة، كما أعلنته الحكومة الإثيوبية رسمياً، هو إقامة محطات لتوليد الكهرباء والطاقة، فإليك هذا الخبر الذي نشرته صحيفة الانتباهة السودانية يوم ١٧ سبتمبر ٢٠١٢م:

"قالت صحيفة كابيتال الإثيوبية أمس، إن مجلس إدارة شركة الكهرباء في إثيوبيا المملوكة للدولة الإثيوبية، اختار شركة كهرباء إسرائيل، وهي أيضاً مملوكة للدولة الإسرائيلية، ومقرها في تل أبيب، لتولي إدارة قطاع الكهرباء في إثيوبيا، بما في ذلك تقديم الاستشارات وإدارة مشروعات إنشاء محطات الطاقة الجديدة، التي ستقام على النيل الأزرق"(٢).

وهو الخبر الذي أعلنه رسمياً هيلاوي يوسف، سفير إثيوبيا في إسرائيل، في شهر مارس سنة ٢٠١٥م.

١) الباحث عبدالرحيم شعبان أحمد نوبي محمد: التدخل الإسرائيلي في إفريقيا وتأثيره على الأمن القومي المصري، دراسة حالة إثيوبيا، ص٤٠-٤٨، المركز الديمقراطى العربى للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ٢٠١٦م.
٢) صحيفة الانتباهة السودانية، ١٧ سبتمبر ٢٠١٢م.

الحبشة/إثيوبيا واليهود:

بقي قبل أن نعود بك إلى سيرة ألبوكيركه أن تعلم لماذا كانت الحبشة/إثيوبيا، وما زالت، جزءًا من المشروع اليهودي للوصول إلى أورشليم/القدس وبناء الهيكل، في كل صوره وأغلفته، المسيحية والعلمانية، وأن تدرك التفسير الحقيقي لثبات موقفها منه عبر القرون والعصور، رغم تغير الملابسات والظروف، واختلاف الأوضاع وشكل المنطقة، وسقوط دولة الإسلام، وخروجه من تكوين دول بلاليص ستان وسياساتها، ورغم ما حدث في إثيوبيا نفسها من تغييرات.

والتفسير هو أن العلاقة بين الحبشة/إثيوبيا واليهود واليهودية، لها عمق عقائدي، وفي هذا العمق الحبشة/إثيوبيا هي مملكة سليمان والأمين على تابوت العهد، لحين عودته إلى مكانه في هيكل أورشليم!

في كل بلد حل فيه اليهود واستوطنوه، تصاحبهم مع استقرارهم فيه وتشيع مع الزمان أسطورة أن تابوت العهد قد تم نقله وتخبئته في هذا البلد في انتظار استعادة مملكة داوود، لكي يعود إلى مكانه في أورشليم، وأكثر البلدان شيوعاً لهذه الأسطورة فيها الهند وإثيوبيا!

وفي مدينة أكسوم Axum، في إقليم تيجراي Tigray، شمال شرق إثيوبيا، وهي مقر الكنيسة الحبشية، توجد كنيسة اسمها كنيسة سيدتنا القديسة مريم الصهيونية Church of Our Lady St. Mary of Zion، وتشتهر شعبياً بأنها كنيسة تابوت العهد، لأنها تحوي في حجرة تحت الأرض تابوتاً عتيقاً، ولا يسمح بدخولها إلا لرأس هذه الكنيسة فقط كما كان لا يسمح بدخول قدس الأقداس في الهيكل إلا للحبر الأعظم فقط.

وفي خمسينيات القرن العشرين بنى الإمبراطور هيلا سيلاسي Haile Selassie كنيسة ملاصقة لكنيسة القديسة مريم، وسماها كنيسة الألواح The Chapel of The Tablet، ونقل إليها التابوت، ووضعه في حجرة مشابهة لتلك التي كان فيها.

وتعتقد الكنيسة الإثيوبية أن هذا التابوت هو تابوت العهد الأصلي، الذي يحوي عصا موسى والألواح التي كتبت عليها الوصايا العشر، وأن الذي نقله إلى إثيوبيا منليك الأول Menelik I، ابن الملك سليمان من ماكيدا Makeda، ملكة سبأ.

وتوجد في كل كنيسة إثيوبية نسخة مقلدة من هذا التابوت، وفي يوم عيد تيمكت Timkat، أو عيد التعميد والظهور الإلهي، وهو اليوم العاشر من شهر تير Terr في التقويم الإثيوبي، ويوافق يوم ١٩ يناير من التقويم الجريجوري، يكون الاحتفال بالعيد بإخراج هذه التوابيت والسير بها في مسيرات شعبية في المدن الكبرى، ما عدا التابوت الذي يعتقدون أنه الأصلي.

وطبقاً لهذه العقيدة العريقة الشائعة في إثيوبيا، يعتبر الشعب الإثيوبي نفسه من نسل سليمان، وأن إثيوبيا هي مملكة سليمان، وأباطرتها من الأسرة الأمهرية من بني إسرائيل، من نسل سليمان وداوود، وسبط يهوذا.

وطقوس تنصيب الإمبراطور الجديد طوال تاريخ إثيوبيا وحتى ثورة منجستو هيلا مريام Mengistu Haile Mariam الشيوعية التي أطاحت بهيلا سيلاسي، سنة ١٩٧٤م، لم تكن تكتمل ولا يحصل الإمبراطور على لقب أتسي Atse، أي المختار من الرب، إلا بعد تتويجه في كنيسة تابوت العهد.

وفي أول دستور لإثيوبيا، والذي وضعه الإمبراطور هيلا سيلاسي سنة ١٩٣١م، نص على أن:

"المادة الثالثة: يبقى الحكم الإمبراطوري في نسل جلالته هيلا سيلاسي الأول، ابن الملك صاهلي سيلاسي Sahle Selassie، الذي يتصل نسبه بلا انقطاع بسلالة الملك منليك الأول، ابن سليمان ملك أورشليم King Solomon of Jerusalem، وملكة إثيوبيا، التي تسمى أحياناً ملكة سبأ Queen of Sheba"[(١)].

وترسيخاً لحكمه واكتساباً للشرعية بانحداره من سليمان وسبط الملوك في بني إسرائيل، اتخذ هيلا سيلاسي لقب أسد يهوذا Lion of Jehuda، وجعله رمزاً لإثيوبيا، ووضعه في علمها.

وبعد ثورة منجستو الشيوعية، وفي جمهورية إثيوبيا الشعبية الديمقراطية التي تلتها، أُطيح بأسد يهوذا من العلم الإثيوبي وتُرك مكانه فارغاً، ثم في العلم الحالي، الذي تم تصميمه سنة ١٩٩٦م،

---

1) William Steen, Translator: The Ethiopian Constitution, P8 Published By: The Ethiopian Researh Councel, Washington DC, !936.

وُضعت نجمة خماسية في مكان أسد يهوذا في علم هيلا سيلاسي، على أنها خاتم سليمان وشعاره، من أجل مصالحة الكنيسة الإثيوبية، التي في عقيدتها أن إثيوبيا مملكة سليمان، وأنها قوامة على تابوت العهد، وأيضا للحفاظ على اعتقاد الشعب الإثيوبي أنه ينحدر من نسل منليك بن سليمان، لأن هذه العقيدة متجذرة في عقليته وتاريخه وصارت مكونا رئيسيا في هويته وشخصيته القومية.

وهاك صورة لعلم هيلا سيلاسي وفي وسطه أسد يهوذا، ولعلم جمهورية إثيوبيا الديمقراطية، وهو العلم الحالي، وفي وسطه خاتم سليمان.



علم مملكة إثيوبيا، هيلا سيلاسي



علم جمهورية إثيوبيا الديمقراطية

إخضاع كاليكوت:

ونعود بك إلى سيرة ألبوكيركه، فبعد أن عجز عن مواصلة الإبحار في البحر الأحمر في اتجاه جدة والسويس، عاد إلى الهند، وهو عازم على إخضاع زامورين ملك كاليكوت، وإخراج التجار المغاربة/المسلمين، وكلاء القاهرة منها، وقد صارت العقبة الرئيسية التي تقطع سيطرة البرتغاليين على ساحل مالابار ومدنه التجارية.

ووصل ألبوكيركه إلى ديو، ومنها اتجه إلى جوا، وفي طريقه إليها استولى على أسطول من سفن المغاربة/المسلمين التجارية كان في طريقه من كاليكوت إلى البحر الأحمر، ثم أبحر إلى كونتشي جنوب كاليكوت، وأرسل ابن أخته جارسيا دا نورونها في أسطول إلى الملك زامورين، ليجبره على السماح للبرتغاليين بإقامة حصن في كاليكوت.

وكان زامورين قد أدرك قوة البرتغاليين، بعد خضوع مدن ساحل مالابار كلها لهم، وخصوصاً بعد استيلائهم على جوا، التي تتحكم في طريق التجارة من مدن مالابار وإليها، فبدأ يميل إلى مهادنتهم، ووافق في البداية على طلب دا نورونها بإقامة حصن برتغالي في كاليكوت، ولكنه عاد فرفض بعد أن اختار دا نورونها مكان الحصن في موقع يشرف على الميناء ويسيطر عليه ولم يقبل أي مكان آخر مما عرضه عليه زامورين.

ويقول ألبوكيركه الصغير في سيرته لأبيه وأعماله، إن:

"دا نورونها استطاع استمالة الأمير زامورين، الأخ الأصغر للملك زامورين، ثم أرسل رسالة إلى ألبوكيركه يطلعه فيها على ما حدث، فأرسل ألبوكيركه رسالة إلى الأمير زامورين، أنه إذا كان يريد حقاً أن يكون صديقاً لملك البرتغال، فقد جاءته الفرصة وحان أوان ذلك، وعليه أن يقوم بتسميم الملك ساموريم/ زامورين To Be Poisoned ... وبعد موت الملك زامورين وقع الأمير زامورين اتفاقية مع دا نورونها، بإقامة حصن له برجان في المكان الذي يختاره، وإقامة مستوطنة/وكالة تجارية برتغالية في كاليكوت، وإخراج التجار المغاربة/المسلمين التابعين للقاهرة من غير أهل كاليكوت منها"[1].

وكانت المعاهدة بين ألبوكيركه وملك كاليكوت، زامورين الأصغر، يوم ٢٤ ديسمبر ١٥١٣م.

وفي بداية سنة ١٥١٤م، أرسل ألبوكيركه اثنين من قادة سفنه من النبلاء، وهما دييجو فرناو Diogo Fernão، وجايمي تكشيرا Jayme Teixeira، إلى مظفر شاه الثاني، ملك كامبايا، لإقامة حصن في ديو، فوافق مظفر شاه على أن يسمح بإقامة حصن برتغالي في أي مدينة في مملكته ما عدا ديو، فرجعا إلى ألبوكيركه دون اتفاق.

في هرمز مرة أخرى:

ووصلت إلى ألبوكيركه أخبار من هرمز، أن ملكها سيف الدين مات، وكذلك وزيره خوجا عطار الذي كان يقاوم ألبوكيركه ويعرقل خطته في الخليج، وأن الملك الجديد أعلن تبعيته الكاملة

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. IV, P72.

للشاه إسماعيل الصفوي، ودخوله في مذهبه الشيعي، وجعل الخطبة في مساجد هرمز باسم الشاه إسماعيل.

وإبان ذلك:

"وصل إلى بلاط سلطان باجابور، إسماعيل عادل شاه، سفير من الشاه إسماعيل، فأرسل إليه ألبوكيركه واستقبله في كانانور، وأرسله في جولة في سواحل مالابار، ليرى الحصون التي أنشأها البرتغاليون وقوة أسطولهم، ثم أرسل معه ميجيل فريرا Miguel Ferreira، مبعوثاً إلى الشاه إسماعيل، ومعه أربعة خيول هدية للشاه، فاستقبله في توريز Tauriz بحفاوة كبيرة، أوقدت الغيرة في صدور سفراء ممالك الهند ... وأطلع فريرا الشاه إسماعيل الصفوي على رغبة ملك البرتغال الملحة، في تدمير السلطان العظيم وبيت مكة/الكعبة House Of Mecca، وأنه على استعداد أن يضحي بحياته من أجل تحقيق ذلك"[١].

وفي شهر مارس ١٥١٤م أرسل ألبوكيركه ابن أخيه بدرو دا ألبوكيركه Pedro da Alboquerque في اسطول من أربع سفن، لتجديد الاتفاقية مع ملك هرمز توران شاه Turen Shah، الذي خلف أخاه سيف الدين، ولاستكمال استكشاف الخليج، فوصل هرمز في نهاية شهر مايو ١٥١٤م، ووجد ملكها الجديد واقعاً تحت سيطرة وزيره الريس حامد Reys Hamed، ووجد الحصن الذي كان ألفونسو ألبوكيركه قد اتفق مع الملك سيف الدين ووزيره خوجا عطار على إنشائه لم يكتمل، فطلب من توران شاه إتمام بناء الحصن وتسليمه للبرتغاليين، ودفع الجزية السنوية التي تم الاتفاق عليها، فأعطاه توران شاه عشرة آلاف زيرافين ذهبية، ولكنه ماطله في إنشاء الحصن.

وإزاء قلة عدد سفنه وضعف مدفعيته قبِل بدرو ألبوكيركه الجزية، وأبحر في الخليج ليستكشفه حتى وصل إلى البحرين، ثم عاد إلى الهند، فقرر ألفونسو ألبوكيركه الإبحار بنفسه مرة أخرى إلى هرمز والخليج والبحر الأحمر، لكي يستكمل هدفه الأول، بالتوغل في مياه الإسلام حتى يصل

1) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. IV, P81, 88.

إلى قلب بلاده، ويحقق حلمه وحلم الملك مانويل، بإسقاط مكة والقاهرة، والوصول إلى بلاد اليهودية وإقامة الهيكل[1].

وينقل المؤرخ فردريك تشارلز دانفرز في كتابه: البرتغاليون في الهند، عن المؤرخ البرتغالي دي باروس أن ألبوكيركه أرسل في ٢٧ نوفمبر ١٥١٤م رسالة طويلة للملك مانويل عن الأوضاع في الهند، ويطلب منه الإذن في غزو هرمز، ويشرح له الأسباب التي تدعو إلى تقديم الاستيلاء عليها على التوغل في البحر الأحمر، ثم لخص هذه الأسباب في أن:

"جزءًا كبيراً من تجارة التوابل في هرمز يأتي من البحر الأحمر، فإذا امتلكنا هرمز أولاً واحتكرنا تجارة التوابل فيها، يمكننا بعدد قليل من السفن السيطرة على البحر الأحمر To Command The Red Sea"[2].

وفي ٢٠ فبراير ١٥١٥م، أبحر ألبوكيركه من جوا، في أسطول من ست وعشرين سفينة حربية، فوصل إلى هرمز ورسا أمامها في أواخر شهر مارس، فوجد الريس حامد، وهو من فارس وشيعي، قد قام بتمرد مع إخوته وأبناء عمومته ضد الملك توران شاه، فعزله وسجنه في أحد القصور، وأعلن تبعية هرمز للشاه إسماعيل الصفوي.

وأرسل ألبوكيركه عدة رسائل للريس حامد فلم يرد عليه، وبعد يومين نزل بقواته في هرمز، ودخل الحصن الذي لم يكتمل بناؤه، وأرسل إلى الملك توران شاه يطلب لقاءه، وكان الريس حامد قد حرره مع علمه بوصول الأسطول البرتغالي، وبعد رسائل متبادلة واتفاق على ترتيب اللقاء:

"حضر الملك توران شاه مع الريس حامد إلى الحصن، ودخل الريس حامد إلى الحصن أولاً، وكان ألبوكيركه قد رتب لاغتياله، فلما دخل إلى الحصن وصار أمام ألبوكيركه أحاط به جنوده وطعنوه بالخناجر من كل اتجاه، ثم دخل الملك ورآه مضرجاً في دمائه على الأرض"[3].

ووقع الملك توران شاه اتفاقية مع ألبوكيركه، أذعن فيها لمطالبه، وهي:

---

1) Morse Stephens: Albuquerque, P135-136.
2) The Portuguese In India, Vol.I, P308
3) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. IV, P158-159.

"إخراج أقارب الريس حامد من هرمز، وتسليم جميع القاطنين في هرمز لأسلحتهم، ما عدا حرس الملك، وإتمام بناء الحصن البرتغالي، وتسليم الملك ما يملكه من مدافع وأسلحة إلى الحصن لمواجهة الأسطول الذي تقول الأخبار إنه قادم من القاهرة"(١).

وظل ألبوكيركه في هرمز بضعة أشهر، أتم خلالها بناء الحصن في شهر أغسطس، واستقبل مبعوث الشاه إسماعيل الصفوي، وطلب منه باسم الشاه السماح لسفن فارس وتجارها بالمرور في هرمز، ومنحهم حق ممارسة التجارة في أحد مواني الهند، ومساعدة الشاه في حربه ضد الدولة العثمانية، التي أوقعت به هزيمة ساحقة في معركة جالديران، سنة ١٥١٤م، وانتزعت منه القطيف والإحساء، فوافق ألبوكيركه على مطالب الشاه، ومنح تجار فارس حق الإقامة وممارسة التجارة في جوا، واستمرار مرور تجارة فارس من هرمز، في مقابل عدم تعرض الشاه لملكها توران شاه، وإسقاط الجزية السنوية التي كانت هرمز تدفعها للشاه.

وبخصوص التعاون مع الشاه إسماعيل ضد الدولة العثمانية، أرسل ألبوكيركه مع مبعوث الشاه مبعوثاً من طرفه، هو فرناو جوميز دي ليموس، ومعه رسالة، كالتي أرسلها إليه من قبل ولم تصله، كتبها يوم ١٠ أغسطس ١٥١٥م، فهاك نصها:

"وقد أرسلت لجلالتكم سفيري فرناو جوميز دي ليموس Fernão Gomez de Lemos، وسوف يطلعكم على تسليحنا وطرقنا في الحرب، وعلى القوة التي يمتلكها ملكنا في البر والبحر ... وقد تمكنت بالقوة التي منحني إياها ملكنا من هزيمة أسطول السلطان العظيم في ديو وجوا، وقد أخبرني سفيركم أن السلطان عدو لكم، وأن الحرب قائمة بينكما، وأنا أعرض على جلالتكم خدماتي وخدمات أسطول ملك البرتغال، لمساعدتكم في مواجهة السلطان، فإذا قمتم بمهاجمة قوات السلطان من البر، فسوف نقدم لكم مساعدة قيمة بالهجوم عليها بالأسطول من البحر، ويمكن لجلالتكم حيئذ الوصول بقواتكم للقاهرة، وفي مقابل ذلك يقوم جلالة ملك البرتغال بتجميع قواته، لكي يأخذ أورشليم والمناطق المجاورة لها Jerusalem And Its Neighbourhood"(٢).

1) Morse Stephens: Albuquerque, P137.
2) The Commentaries of The Great Afonso da Alboquerque, Second Viceroy of India,Vol. IV, P176.

وإبان وجوده في هرمز مرض ألبوكيركه، ثم ثقل عليه المرض، فنصَّب ابن أخيه بدرو ألبوكيركه حاكماً على حصن هرمز، وطلب أن يرحلوا به إلى جوا، وقرب قلهات في خليج عمان قابلته سفينة آتية من الهند، ومعها رسالة موجهة له، وتحمل أنباء إنهاء الملك مانويل لولايته على الهند، وتنصيب لوبو سواريز دي ألبرجاريا Soares de Albergaria خلفاً له، وهو أحد خصومه عند الملك، فاشتد المرض عليه أكثر.

وفي يوم ١٦ ديسمبر ١٥١٥م، وأسطوله على مشارف جوا:

"مات ألفونسو ألبوكيركه، ودفن في كنيسة جوا التي أنشأها سنة ١٥١٣م، ثم نقلت رفاته سنة ١٥٥٦م إلى كنيسة سيدتنا ذات النِعم Nossa Senhora da Graça في لشبونة[1].

خلفاء ألبوكيركه:

بعد موت ألبوكيركه، وسيطرة البرتغال على سواحل مالابار وملقا، أصبح الهدف الرئيسي لخلفائه، تكرار المحاولات من أجل تحقيق غاية الملك مانويل بالتوغل في الخليج والبحر الأحمر والسيطرة الكاملة عليهما.

وبناءًا على أوامر الملك مانويل، أبحر لوبو سواريز، خليفة ألبوكيركه ونائب الملك الجديد في الهند، في شهر فبراير ١٥١٦م، بأسطول يتكون من ثلاثين سفينة، وثلاثة آلاف جندي، لملاقاة الأسطول الكبير الذي أعدته القاهرة في السويس، ويستعد للإبحار إلى الهند.

ودخل سواريز بأسطوله في البحر الأحمر، وتوغل حتى وصل إلى جدة، وكان أسطول القاهرة بقيادة الريس سليمان قد وصلها من الجهة الأخرى، وكان بها قلعة حصينة ومدافع كبيرة، فلما وصل إليها سواريز رسا على بعد فرسخ منها، وكان الطقس سيئاً، فمات بعض بحارته، واختطف المسلمون سبعة عشر آخرون وأسروهم إلى جدة.

ولم يستطع سواريز مهاجمة جدة، ولا الوصول إلى أسطول القاهرة، فقرر العودة إلى كمران عند مدخل البحر الأحمر، وأبحر إلى مدينة زيلع على ساحل الصومال في خليج عدن، فاقتحمها

---

1) The Portuguese In India, Vol.I, P327.

وأحرقها على طريقة ألبوكيركه، ثم اتجه جنوباً إلى ميناء بربرة Berbera، وفي طريقه إليها هبت على أسطوله عاصفة عنيفة، تحطم فيها عدد كبير من سفنه، ومات ثمانمائة من جنوده وبحارته، فعاد إلى جوا في شهر سبتمبر ١٥١٦م(١).

وفي ١٣ فبراير ١٥٢٠م، أبحر سواريز بأسطول من أربع وعشرين سفينة، وألفين وسبعمائة جندي، إلى هرمز، لتحصيل الجزية من ملكها توران شاه، فأخبره أنه لم يستطع تجهيزها، لأن ملك الإحساء مقرن بن زامل Mocrin Ben Zamel، خلع طاعته، ورفض أن يدفع لمملكة هرمز الجزية السنوية المتفق عليها عن جزيرة البحرين والقطيف.

وأرسل سواريز أسطولاً من سبعة سفن محملة بمدافع كبيرة، بقيادة أنتونيو كوريا Antonio Correa، مع أسطول توران شاه الذي يتكون من مائتي سفينة وثلاثة آلاف رجل، بقيادة الريس شرف الدين Zarafo، إلى البحرين، وكان ملكها مقرن بن زامل، وهو من بني جبر، قد جهز عشرة آلاف رجل، ومعهم ثلاثمائة فرس، وسلحهم بالسهام والحراب والبنادق، وقام بحفر خنادق على شاطئ البحرين.

وهبط كوريا بجنوده ومدافعه على شاطئ البحرين، واندلعت معركة بين الجانبين انتهت بمقتل الملك مقرن برصاصة، وكان الريس شرف الدين يراقب المعركة من سفينته، فلما علم بمقتل الملك مقرن نزل منها وقطع رأسه وحمله معه إلى توران شاه في هرمز، وحاز أنتونيو كوريا لقب بطل البحرين، وانضمت البحرين إلى مملكة هرمز في الخضوع للسيادة البرتغالية(٢).

وفي سنة ١٥٢٢م، وبأوامر من الملك مانويل، عيَّن دييجو لوبيز دي سكويرا، وكان نائب الملك وحاكم الهند، منذ سنة ١٥١٨م، عين دي سكويرا مسؤولين برتغاليين لتحصيل الجمارك في هرمز، فتعسفوا في جمعها، وفقد ملك هرمز توران شاه السيطرة على مواردها، فاتفق مع حكام مسقط وقريات والبحرين وصحار، التابعين له، على مهاجمة البرتغاليين في ليلة واحدة، وحاصر توران شاه الحامية البرتغالية في الحصن بقيادة جارسيا دا كُوتينهو، ولكن وصلت تعزيزات من

1) The Portuguese In India, Vol.I, P334-335.
2 The Portuguese In India, Vol.I, P350-351.

السفن البرتغالية من مسقط، وأدرك توران شاه أنه لن يستطيع هزيمتها، فرحل مع أتباعه إلى جزيرة قِشم في مضيق هرمز، بعد أن أشعل النيران في هرمز، واغتاله بعض أتباعه.

وإبان ثورة هرمز ومدن خليج عمان، مات ملك البرتغال مانويل الأول، وخلفه الملك خواو الثالث João III، فنصَّب دوارت دي مينزيس Duarte de Menezes، نائباً له وحاكماً على الهند، فجعل دي مينزيس محمد شاه، ابن توران شاه وكانت سنه ثلاث عشرة سنة، ملكاً على هرمز (١).

وفي يوم ٢٣ يوليو ١٥٢٣م، وقع دي مينزيس مع الملك محمد شاه معاهدة في قلعة مينا Mina، في نهر ميناب Minab، قرب هرمز، وبدأت معاهدة ميناب بالنص على احترام الاتفاقية السابقة الموقعة بين ألفونسو ألبوكيركه والملك سيف الدين، سنة ١٥٠٨م، وزادت عليها أنه:

"يتعهد ملك هرمز بتسليمها للبرتغال متى طلب ملك البرتغال ذلك Whenever The King Of Portugal Shauld Require، واختيار مكان جيد في هرمز لإنشاء وكالة تجارية برتغالية، وتُعفى السفن البرتغالية من الضرائب، على أن يدفع التجار البرتغاليون الجمارك المعتادة على البضائع التي يصدرونها من هرمز، ويتعهد ملك البرتغال بحماية مملكة هرمز في مواجهة أعدائها، وبحماية السفن التابعة لمملكة هرمز في البحر، وهي حرة في الإبحار إلى أي مكان، ما عدا مضيق مكة وسوفالا والموانى الأخرى التي على الساحل، وتزيد قيمة الجزية السنوية التي تدفعها مملكة هرمز لملك البرتغال من خمسة عشر ألف زيرافين إلى ستين ألف زيرافين، على أن يسدد منها خمسة آلاف زيرافين كل شهر، ويتم تسليم جميع المسيحيين في هرمز إلى قائد الحامية البرتغالية، ويُمنع جميع المغاربة/المسلمين في هرمز من حمل السلاح، ما عدا حرس الملك في قصره، ويقوم ملك هرمز بتسليم جميع أسلحة قواته لقائد الحامية البرتغالية لتكون آمنة في الحصن"(٢).

وبمعاهدة ميناب صارت هرمز فعلياً مستعمرة برتغالية، هي وما يتبعها من مدن سواحل الخليج.

---

1) The Portuguese In India, Vol.I, P354.
2) The Portuguese In India, Vol.I, P354-355.

وفي سنة ١٥٢٦م، ثار أهل مسقط وقلهات، ورفضوا، بتحريض من الريس شرف الدين، وزير ملك هرمز محمد شاه، دفع الضرائب التي زادها عليهم قائد الحامية البرتغالية في هرمز دييجو دي ميلو Diago de Mello، فأبحر نائب ملك البرتغال والحاكم الجديد للهند لوبو فاز دي سامبايو Lopo Vaz de Sampayo، من جوا في أسطول من خمس سفن إلى خليج عُمان، فقمع ثورة مسقط وقلهات وأجبرهم على دفع الضرائب(١).

وقبلها في سنة ١٥٢٤م، شن إيتور دي سلفيرا Heytor de Selviera حملة من جوا في أسطول من تسع سفن، أخضع بها عدن، وأجبر حاكمها على توقيع معاهدة تنص على أن:

"عدن تابعة لملك البرتغال، وترسل إليه سنوياً جزية ذهبية قدرها ألفا زيرافين، ويكون ميناؤها مفتوحاً أمام جميع السفن"(٢).

وفي أواخر سنة ١٥٢٧م، وصلت إلى لوبو فاز أنباء رسو أسطول كبير للأتراك العثمانيين في جزيرة كَمران في مدخل البحر الأحمر، وإغلاقهم لمضيقه/ باب المندب، فأرسل أسطولاً حربياً من عشرين سفينة، بقيادة أنتونيو دي ميراندا Antonio de Miranda إلى البحر الأحمر، ولم يستطع العبور من المضيق، فعاد إلى هرمز، وفي طريقه عودته أحرق مدينة زيلع على ساحل الصومال(٣).

وفي مايو ١٥٢٩م أبحر نونو دا كُونها Nuno da Cunha، بأمر من ملك البرتغال، في أسطول إلى هرمز، لمعاقبة المتسببين في الثورات المستمرة ضد البرتغاليين في مدن ساحل خليج عمان والخليج العربي، فقام بعزل وزير ملك هرمز، الريس شرف الدين، ثم أرسله إلى البرتغال، وإبان وجوده في هرمز أرسل أمير البصرة، وكانت مدينة تجارية كبيرة تكاد تضارع القاهرة، إلى البرتغاليين في هرمز يطلب معاونتهم في نزاعه مع شيخ جزيرة عبدان، التي تقع على شط العرب عند التقاء نهري دجلة والفرات، فسار إليه بلشيور تفاريز دي سوزا Belchior Tavarez de Sousa، وساعده في هزيمة شيخ عبدان وإعادتها لتبعيته، ولكن أمير البصرة رفض بعد ذلك

---

1) The Portuguese In India, Vol.I, P381.
2) The Portuguese In India, Vol.I, P370.
3) The Portuguese In India, Vol.I, P385.

تسليم دي سوزا سبع سفن تركية محملة بالبضائع، كما رفض أن يطرد الأتراك من البصرة أو أن يمنعهم من التجارة فيها، فأحرق دا كُونها بلدتين مجاورتين للبصرة، ثم عاد إلى هرمز[١].

وكان نونو دا كُونها أول من يصل من البرتغاليين والأوروبيين عموماً إلى رأس الخليج ودجلة والفرات، وبذلك سيطر البرتغاليون على الخليج كله، وهو مع البحر الأحمر، كما علمتَ، أحشاء عالم الإسلام المائية، فاقترب البرتغاليون ورجال منظمة فرسان المسيح خطوة أخرى من قلب عالم الإسلام والغاية التي تتوارث أجيالهم العمل من أجل بلوغها.

وفي سنة ١٥٣٠م، شن إيتور دي سيلفيرا حملة أخرى على عدن، وأجبر حاكمها على توقيع معاهدة ثانية، يؤكذ فيها أنه تابع لملك البرتغال خواو الثالث، وزاد فيها الجزية السنوية، إلى عشرة آلاف زيرافين، في مقابل السماح لسفن عدن بالإبحار إلى أي مكان بحرية، ما عدا مكة[٢].

وبينما يخترق البرتغاليون أحشاء عالم الإسلام ويتوغلون فيها، وبعد أن انتقلوا من تخوم عالم الإسلام إلى قلبه، وأوشكت خطة ألبوكيركه على الاكتمال، واقتربوا من تحقيق غايتهم، امتن الله على عالم الإسلام بظهور آل عثمان، ولولا ظهورهم وتوحيدهم لعالم الإسلام وطردهم للبرتغاليين من أحشائه، وغلقهم لمياهه في وجه منظمة فرسان المسيح، والبريطان الماسون من بعدهم، لكنت تشاهد الآن سلسلة أفلام هوليوود عن العرب الحُمْر!

---

1) The Portuguese In India, Vol.I, P397.
2) The Portuguese In India, Vol.I, P397

آل عثمان حماة مياه الإسلام

مسار عالم الإسلام

يقول ابن خلدون في مقدمته:

"الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به ... وكذلك مروان بن الحكم وابنه، وإن كانوا ملوكاً فلم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة والبغي، وإنما كانوا متحرين لمقاصد الحق جهدهم إلا فى ضرورة تحملهم على بعضها مثل خشية افتراق الكلمة، يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء، فقد احتج مالك في الموطأ بعمل عبد الملك، وأما مروان فكان في الطبقة الأولى من التابعين، وعدالهم معروفة، ثم تدرج الأمر في ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه ... ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في أغراضهم الدنيوية ومقاصدهم، ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري القصد فيها واعتماد الحق في مذاهبها، فكان ذلك مما دعا الناس إلى أن نعوا عليهم أفعالهم وأدالوا بالدعوة العباسية منهم، ووَلي رجالها الأمر فكانوا من العدالة بمكان، وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا، حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والطالح، ثم أفضى الأمر إلى بنيهم فأعطوا الملك والترف حقه، وانغمسوا في الدنيا وباطلها، ونبذوا الدين وراءهم ظهرياً، فتأذن الله بحربهم وانتزاع الأمر من أيدي العرب جملة، وأمكن سواهم منه، والله لا يظلم مثقال ذرة"(١).

ومما قاله مؤرخ عالم الإسلام، تعلم أنه كما أن لليهود والحركات السرية مساراً تَسير فيه وتُسيّر الغرب الذي تتغلف به، وتتوارث العمل من أجل إتمامه، من أول منظمة فرسان الهيكل، مروراً بمنظمة فرسان المسيح والماسونية وغيرها من الحركات السرية التي انحدرت منها، وصولاً إلى الأشكال الجديدة التي تحورت إليها في القرن العشرين، كالمنظمات الدولية والمؤسسات النقدية،

---

(١) المؤرخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص٥٧٧، ٦٠٤ ، مهد لها، ونشر الفصول والفقرات الناقصة من طبعاتها، وحققها، وضبط كلماتها، وشرحها، وعلق عليها، وعمل فهارسها: دكتور علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

فعالم الإسلام أيضاً له مسار بدأ بالوحي والدولة النبوية، والمهمة الأولى لدول الإسلام جميعها من بعد الدولة النبوية، هي حفظه والقوامة عليه، فإذا خرجت دولة عن المسار، أو ضعفت ولم تعد لديها القدرة على حفظه والحفاظ على بلاد الإسلام فقدت أساس شرعيتها وأول مبررات وجودها، ليحل محلها من هو أولى منها بالقوامة على المسار وأقدر على حفظ بلاد الإسلام.

ودولة المماليك دولة عظيمة، حافظت على مسار عالم الإسلام، وورثت الدولة الأيوبية في مواجهة الصليبيين حتى أجلتهم عن بلاد الإسلام، ووحدتها، وسحقت المغول وردتهم عنها، لكنها ضعفت في أواخر عهدها، سنة الله في خلقه، وفقدت السيطرة على أطرافها، ولم تعد قادرة على حفظ وحدتها ومسارها، والبرتغاليون ورجال منظمة فرسان المسيح، كما رأيت، كانوا قد اخترقوا الخليج وسيطروا على سواحله ووصلوا إلى دجلة والفرات، وتوغلوا في البحر الأحمر ووصلوا إلى جدة، وصاروا فعلاً في بطن بلاد الإسلام، وسيطروا على طرق التجارة منه وإليه.

وكانت دولة آل عثمان، هي التي اختارها الله عز وجل، لتحفظ مسار عالم الإسلام، بتوحيد بلاده، وإخراج البرتغاليين من بطنه وأحشائه المائية، ولولا ذلك لكان ما يحدث في بلاليص ستان في زمانك وتشاهده الآن قد حدث منذ خمسة قرون، ولكان هيكل بني إسرائيل أمامك قائماً.

الدولة الصفوية وانشطار عالم الإسلام

الدولة الصفوية والدولة الفاطمية:

إبان القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، كانت فارس كلها سنية، عدا بعض المدن والبلدات المتفرقة، أكبرها كاشان وقُم.

ونقلاً عن المصادر الفارسية والتركية، يقول دكتور بديع جمعة ودكتور أحمد الخولي، وهما أستاذان للتاريخ الفارسي في جامعة القاهرة، في كتابهما: تاريخ الصفويين وحضارتهم، إن:

"السلطة والنفوذ في فارس كانت مقسمة بين أسرة آق قويونلو، أو الخراف البيضاء، لأنهم كانوا يتخذون الخروف الأبيض شعاراً لهم، وهي أسرة تركية سنية، وبين أسرة قرا قويونلو، أو الخراف السوداء، وهي أيضاً أسرة تركية سنية، فكانت أسرة آق قويونلو تسيطر على الأجزاء الشرقية والوسطى من فارس، وأسرة قرا قويونلو تسيطر على الأجزاء الغربية وما يتاخمها من آذربيجان وأرمينيا"(١).

وتمكن أوزون حسن بيك، سلطان دولة آق قويونلو من هزيمة قرا يوسف، سلطان قرا قويونلو، ثم هزم ابنه جهان شاه، سنة ١٤٦٧م، ودخل أرمينيا وأذربيجان، فأسقط دولة القرا قويونلو، ووحد فارس تحت سلطته، واتخذ تبريز عاصمة لدولة الآق قويونلو(٢).

وكان صفي الدين أبو إسحق الأردبيلي، وهو الجد الخامس للشاه إسماعيل، مؤسس الدولة الصفوية، قد أسس طريقة صوفية في أردبيل شمال غرب فارس، سنة ٦٥٠هـ/١٤٣٤م، وورث رئاستها أبناؤه وأحفاده من بعده.

ويقول المؤرخ التركي يلماز أوزتونا، في كتابه: تاريخ الدولة العثمانية، إن جنيداً، حفيد صفي الدين الأردبيلي ورئيس الطريقة الأردبيلية:

---

١) بديع جمعة وأحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص ١٢، ١٧، دار الرائد العربي، القاهرة، ١٩٧٦م.

٢) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص١٨.

"تحول إلى المذهب الشيعي، وكان المذهب الذي اختاره هو مذهب الشيعة الاثني عشرية، وهو ما ترتب عليه أن يرفض سلطة الخليفة"[١].

ولكن دكتور بديع جمعة ودكتور أحمد الخولي، أفردا في كتابهما باباً عن: منذ متى اعتنق شيوخ الأسرة الصفوية المذهب الشيعي؟ وبعد تحقيقهما للمسألة في مختلف مصادرها الفارسية والتركية، سنية وشيعية، وصلا إلى أنه:

"يبدو أن الشيخ صفي الدين كان سني المظهر على مذهب الإمام الشافعي، شيعي المخبر على مذهب الإمام جعفر، يقول ابن البزاز، أول من أرخ للصفويين، في كتابه: صفوة الصفا: "إن الشيخ صفي كان يكتم المذهب الجعفري"[٢].

فهذه واحدة، وإليك الأخرى، فإذا كنت قد قرأت كتبنا السابقة، واطلعت على ما أوردناه فيها من سير اليهود الأخفياء، وما في سلوكهم من غرائب، كتمويههم لأصولهم، وحيرة من يؤرخون لهم من تعددها وعجزهم عن تتبعها وتحديدها، واختلاقهم للأنساب، وانتقالهم بين الديانات، وإخفائهم لما يعتنقونه، واختلافه عما يظهرونه، فربما تقربك هذه وتلك من حقيقة الأسرة الصفوية.

بدأ بديع جمعة وأحمد الخولي كتابهما بباب عن: نسب الأسرة الصفوية، ويقولان فيه إن الكتب التي أرخت للشاه إسماعيل الصفوي، تصل نسبه ونسب جده صفي الدين إلى آل البيت، وتجعله من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب، ومن أمثلة هذه الكتب: سلسلة النسب صفوية، لحسين بير زاده زاهدي، وتاريخ زاندكاني شاه إسماعيل صفوي، ليوسف بور صفوي، وعالم آراي عباسي.

ويعقب بديع جمعة وأحمد الخولي على ذلك، بأن:

"الكتب التي قالت بهذا النسب اعتمدت على كتاب: صفوة الصفا لابن البزاز، من أهل أردبيل، وقد ألف ابن البزاز كتابه هذا في زمان الشيخ صدر الدين موسى بن الشيخ صفي الدين، الذي كلفه بأن يصله إلى آل البيت، وقد كانت هذه البضاعة رائجة في هذا الوقت، وقد

---

١) المؤرخ يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٢٠١، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: دكتور محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ١٩٨٨م.

٢) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٣٩-٤٠.

أعاد مير أبو الفتح الحسيني، بتكليف من طهماسب ثاني ملوك الصفويين تنقيح هذا الكتاب مؤكداً هذا النسب، في محاولة لإقرار المذهب الشيعي ... والكتابات التي بقيت منذ زمان الشيخ صفي الدين حتى زمان الشاه إسماعيل تدل على أن الأسرة الصفوية كانت منتشرة في أذربيجان، وعلى هذا الأساس فإن شيخ الأسرة الصفوية كان من أصل آري قديم يسكن في منطقة أذربيجان، وهذا ينفي انتسابه للحسين بن علي (تشكيل شاهنشاهي صفوية، ص٤٣ وما بعدها)، وفي رأينا أن الذين يقولون بانتساب الصفويين إلى آل البيت أرادوا أن يكسبوا الأسرة أحقيتها في الحكم، وقد حدث ذلك بتوجيه من أفراد الأسرة نفسها، وهنا لابد من ذكر رأي ثالث، وهو أن أجداد الشيخ صفي كانوا من كردستان ثم استقروا في أذربيجان، فقد ذكر ابن البزاز في صفوة الصفا، باب أول، ص١٢، أن فيروز شاه زُرين، جد الشيخ صفي، وكان شيخاً ثرياً يسكن ضاحية رانكين من توابع كيلان، قد خرج من سنجان يقصد تسخير أذربيجان"[١].

وهو ما يؤكده المؤرخ الإيراني دكتور عباس إقبال الآشتياني، في كتابه الضخم الذي نشره بالفارسية، سنة ١٩٣٣م، وترجمه دكتور محمد علاء الدين منصور، الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة، بعنوان: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، فيقول:

"وقد نسب مؤرخو العصر الصفوي السلاطين الصفويين إلى الإمام موسى الكاظم من ناحية آبائهم، وأنشأوا لهم شجرة هذا النسب، إلا أن هذه النسبة كاذبة، ولم ترد في المؤلفات التي أُلفت قبل عهد الشاه طهماسب الأول"[٢].

ولكي تقترب من حقيقة الصفويين ودولتهم خطوة أخرى، عليك أن تقارن سلوك الأسرة الصفوية بالمماليك وآل عثمان، فالمماليك جاءوا إلى مصر والشام أطفالاً وصبياناً من أصول وبلاد مختلفة، في آسيا وأوروبا، فأسلموا وتربوا في حجر العلماء والمشايخ، وفي كنف سلاطين الدولة الأيوبية، وكثير منهم ضاعت أصولهم، ثم شادوا دولة مهيبة ذات بأس، وكان سلاطينها من

---

١) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٢٨-٢٩.

٢) دكتور عباس إقبال الآشتياني: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، ص٦٤٠، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه: دكتور محمد علاء الدين منصور، راجعه: الأستاذ الدكتور السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩م.

فحول الساسة والقادة المغاوير، ويقودون الجيوش بأنفسهم، وكسحوا الصليبيين والمغول، ورغم ذلك لم يرد على أحد منهم أن يُزوِّر له أصلاً أو يختلق نسباً، يزعم به أنه من آل البيت، ولا أن ينازع الخلافة، والخليفة في الحقيقة لا حول له ولا قوة، وهم من يقيمونه ويحرسونه، تعظيماً لنسبه القرشي.

وكذلك آل عثمان، فقد أقاموا دولة عظيمة هائلة الاتساع، تمتد في ثلاث قارات، وتحكم البر والبحار، وحين دخل السلطان سليم الأول مصر، تنازل له آخر خلفاء بني العباس، محمد المتوكل على الله الثالث، عن الخلافة وبايعه، فصار سلاطين آل عثمان هم خلفاء النبي على أمة الإسلام، ومع ذلك لم يفكروا في تزوير أنساب لهم، ولا في توظيف مؤرخين أو نسابة مدلسين ليصنعوا لهم أصولاً تصلهم بآل البيت، وقد كانوا قادرين على ذلك.

وخلاصة الصفويين ودولتهم في فارس، أنهم نظير الفاطميين والدولة الفاطمية في مصر.

في سنة ٢٦٠هـ أنشأ اليهودي عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح حركة سرية، في أصفهان وما حولها من جنوب فارس، ومن حركة القداح خرجت الإسماعيلية والنصيرية والقرامطة وحركة الحشاشين، وكلها كانت نشأتها بأن خرج من انشأوها من فارس ونزل كل واحد منهم في بلد من بلاد الإسلام واتخذ اسماً عربياً قُحاً وزَوَّر له نسباً إلى أحد أئمة الشيعة وادعى أنه من آل البيت، والإمام الذي سيصلح به الزمان، وأقاموا بذلك دولاً وهدموا أخرى.

والدولة الفاطمية هي دولة الإسماعيلية، وأحد آثار القداح وحركته في العالم الإسلامي، وهي نفسها لم تكن سوى حركة سرية، يقول المقريزي المؤرخ في كتابه: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، نقلاً عن كتاب الفهرست لابن النديم[1][•]، عن نسب الفاطميين وعبيد الله المهدي، مؤسس الدولة الفاطمية:

١) ا المؤرخ أبو الفرج محمد بن إسحاق النَّديم: الفهرست، ص٢٣٨-٢٣٩، تحقيق: رضا- تجدد بن علي زين العابدين الحائري المازنداني، مطبوع على نفقة المحقق، طهران، مهرسته ١٩٧١/١٣٥٠م.

•) عبارات الفهرست لابن النديم مختصرة وبها إبهام، وعبارات المقريزي أوضح وعنده زيادات، ولذا أوردنا نص: اتعاظ الحنفا، وليس: الفهرست.

"وهؤلاء القوم من ولد ديصان الثنوي، الذي يُنسب إليه الثنوية، وهو مذهب يعتقدون فيه خالقين، أحدهما يخلق النور، والآخر يخلق الظلمة، فولد ديصان هذا ابناً يقال له ميمون القداح، وكان له مذهب في الغلو، فوُلد لميمون هذا ابن يقال له عبد الله، كان أخبث من أبيه، وأعلم بالحيل، فعمل أبواباً عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام، وكان عارفاً عالماً بجميع الشرائع والسنن، وجميع علوم المذاهب كلها، فرتب ما جعله من المكر في سبع دعوات، يتدرج الإنسان من واحدة إلى أخرى، حتى ينتهي إلى الأخيرة، فيبقى معراً عن جميع الأديان، لا يعتقد غير التعطيل والإباحة، ولا يرجو ثواباً، ولا يخشى عقاباً ... ففر إلى البصرة ومعه رجل من أصحابه يعرف بالحسين الأهوازي، فادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب، وأنه يدعو إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ... ومات عبد الله بن ميمون، فقام من بعده ابنه أحمد هذا في ترتيب الدعوة ... ثم هلك أحمد، فخلفه ابنه الحسين في الدعوة، فلما هلك الحسين بن أحمد خلفه أخوه محمد بن أحمد المعروف بأبي الشلعلع، وكان للحسين ابن اسمه سعيد، فبقيت الدعوة له حتى كبر ... واشتهر سعيد بسلمية وكثر ماله فطلبه السلطان، ففر من سلمية إلى مصر يريد المغرب، وسار حتى نزل سجلماسة وهو في زي التجار ... وكان خبره قد اتصل بأبي عبد الله الداعي الذي تقدم ذكر خروجه هو وأخوه إلى البربر، فسار أبو عبد الله الداعي حينئذ بالبربر إلى سجلماسة، وقتل واليها، وأخذ سعيداً، وصار سعيد صاحب الأمر، وتسمى بعبيد الله، وتكنى بأبي محمد، وتلقب بالمهدي، وصار إماماً علوياً من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ولم يلبث إلا يسيراً حتى قتل أبا عبد الله الداعي، وتملَّك البربر، وقلع بني الأغلب ولاة المغرب، فعبيد الله الملقب بالمهدي، هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان الثنوي الأهوازي، وأصلهم من المجوس"(١).

ونعود بك إلى الطريقة الصفوية الأردبيلية، فبعد أن آلت رئاسة الطريقة إلى جنيد حفيد الشيخ صفي الدين، حولها إلى حركة سياسية، وأنشأ من مريديه منظمة عسكرية تابعة للطريقة، وتمكن جنيد من الاستيلاء على أردبيل بمنظمته، فتوجه لقتاله جهان شاه سلطان القرا قويونلو، وأجبره

---

١) المؤرخ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، ج١، ص٢٣-٢٨، تحقيق: دكتور جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

على مغادرة أردبيل هو وطريقته إلى ديار بكر، فاستقبله أوزون حسن سلطان الآق قويونلو، وزوَّجه أخته خديجة بيكم، رغم أن أوزون حسن كان سنياً.

وبعد عدة سنوات، ازدهرت فيها المنظمة وزادت قوتها العسكرية، ووصل عدد أعضائها إلى عشرة آلاف، تحرك جنيد بمنظمته العسكرية لمهاجمة البلدات في إقليم داغستان وبلاد الشركس، فصده خليل التركماني الملقب بشيروان شاه، حاكم مدينة شيروان، وهزم جنيد وقتله، سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م.

وبعد مقتل جنيد تولى قيادة الطريقة والمنظمة ابنه حيدر، وزوجَّه أوزون حسن من ابنته حليمة بيكم، الملقبة بعلم شاه خاتون، ويقول المؤرخ الإيراني عباس إقبال الآشتياني، في كتابه، إن:

"زوجة حيدر كانت من أسرة من أمراء يونان[•]، واسمها مارتا، أو علم شاه خاتون، فوُلد إسماعيل من هذه المرأة اليونانية، وعلى هذا فنسب السلاطين الصفويين يتصل من جهة الأم بالأمراء اليونان في طرابزون"[١].

وبعد موت أوزون حسن، سنة ١٤٧٦م، خلفه ابنه السلطان يعقوب، فاصطدم بحيدر بن جنيد، بسبب أطماعه السياسية ومنظمته العسكرية ومذهبيته الشيعية، فأمره بمغادرة ديار بكر إلى أذربيجان، فخرج منها بمريديه ومنظمته العسكرية، واتخذ لأعضائها زياً خاصاً، وصارت من عهده تعرف باسم منظمة القِزل باش أو الرؤوس الحمراء، لأن أعضاءها كانوا يعتمُّون بعمامة بيضاء ملفوفة حول طربوش أحمر مخروطي اثنتي عشرة لفة، إشارة إلى الأئمة الاثني عشر.

وتوجه حيدر بجيشه إلى شيروان بدلاً من أذربيجان، فاستغاث حاكمها بالسلطان يعقوب، فوجه جيشاً بقيادة سلمان بيك، فتمكن من هزيمة القزل باش وتفريقهم وقتل حيدر بن جنيد، سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٨م[٢].

•) زوجة حيدر وأم الشاه إسماعيل هي ابنة أوزون حسن، وهو تركي، وعلى ذلك تكون يونانية من جهة أمها.

١) تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الظاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، ص٦٤٠.

٢) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٣٥.

وأمر السلطان يعقوب باعتقال أبناء حيدر الثلاثة، علي ميرزا وإبراهيم ميرزا وإسماعيل ميرزا، في قلعة اسطخر، ولكن السلطان يعقوب مات سنة ٨٩٥هـ/١٤٩٠م، وخلفه السلطان رستم، فأطلق سراح أبناء حيدر، ونصَّب علي ميرزا شيخاً على الطريقة الصفوية ورئيساً لمنظمة القِزل باش، لكي يستعين بهم في صراعه مع منافسيه على العرش.

وبعد انتصار رستم واستقراره في العرش، سمح لعلي ميرزا وإخوته وطريقته بالرجوع إلى أردبيل، فتقاطر عليه المريدون، وزادت الطريقة الصفوية زيادة كبيرة، وتضخمت منظمة القِزل باش، فخاف السلطان رستم من منازعتها له، فأمر علي ميرزا بالعودة إلى تبريز، فرفض، واندلع بينهما قتال انتهى بمقتل علي ميرزا سنة ٨٩٦هـ/١٤٩٤م، فبدأ بذلك الصراع بين دولة آق قويونلو السنية والطريقة الصفوية الشيعية[١].

وبعد المعركة انتقل إبراهيم ميرزا وإسماعيل ميرزا خفية من أردبيل إلى مدينة لاهيجان القريبة منها، حيث بسط حاكمها كاركيا ميرزا، وكان شيعياً، حمايته عليهما، وكان إسماعيل في الثانية عشرة من عمره، فنشأ في كنفه وظل تحت رعايته خمس سنوات، التف حوله خلالها أتباع الطريقة وكثر مريدوها.

وبعد موت السلطان رستم، اندلع نزاع عنيف بين خلفائه، وتوزعت دولته بينهم، فصار كل واحد منهم يحكم مدينة أو بضعة مدن في فارس وأذربيجان، فخرج إسماعيل ميرزا من لاهيجان، مع سبعة من كبار مريديه، وتوجهوا نحو معقلهم في أردبيل، والأتباع والمريدون وأعضاء القِزل باش ينضمون إليهم من كل مكان، ولم يستطيعوا دخول أردبيل، إذ منعهم حاكمها علي بيك، فرحلوا إلى أرزنجان، ثم إلى أرجوان في أذربيجان، وهناك كونوا جيشاً سموه جيش القزل باش، وكان ذلك سنة ٩٠٥م/١٥٠٠م[٢].

وتمكن إسماعيل في السنة نفسها، بجيش من سبعة آلاف مقاتل من القزل باش، من الاستيلاء على شيروان، وقتل حاكمها فرخ يسار وأحرقه، ونهب قبور حكامها، ونهب خزانتها، وأقام هرماً من جماجم أهلها.

---

١) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٣٧.

٢) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٥٠-٥١.

وبعد شيروان استولى إسماعيل بجيشه على باكو، وخضعت له ما حولها من المدن، ثم دخل في مواجهات متعددة مع آلوند ميرزا، سلطان آق قويونلو، انتهت بهزيمته في معركة شرور، سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م، ثم دخل تبريز، فسقطت بذلك دولة آق قويونلو، وبدأ عصر الدولة الصفوية، وكان عمادها وصلب جيشها قبائل القِزِل باش، وهي تسع قبائل: روملو، وشاملو، واستاجلو، وتكة لو، وذو القدر، وأفشار، وقاجار، ورساق، وصوفية قراباغ.

وبعد دخول إسماعيل تبريز:

"توَّجه أعوانه ومريدوه ملكاً على إيران(•)، ولقبوه بأبي المظفر شاه إسماعيل الهادي، سنة ٩٠٧هـ/١٥٠٢م، وأصدروا السكة/العملة باسمه، ويقول أنجيوليلا Angiolella، الذي كان في تبريز عند فتح إسماعيل لها إنه: "قطع أوصال الكثير من الرجال والعلماء والنساء والأطفال، وقبلت كل المدينة علامة القِزِل باش، ووضعوا تاجهم على الرؤوس، وقُتل في هذه المذبحة أكثر من عشرين ألف شخص"، وما إن توج إسماعيل ملكاً حتى أعلن فرض المذهب الشيعي مذهباً رسمياً في مختلف أنحاء إيران/فارس دون مقدمات، وكانت إيران سنية المذهب، وكانت العناصر الشيعية تتركز في مدن مثل كاشان وقم والري ... وبذلك تمكن الشاه إسماعيل من فرض المذهب الشيعي بحد السيف"[١].

واتخذ الشاه إسماعيل من تبريز عاصمة لمملكته، ثم استكمل بسط سلطته على فارس وأذربيجان وأرمينيا، وبعد ذلك ضم إليها خراسان وديار بكر، ثم سواحل الخليج ومناطق من الإحساء وشرق جزيرة العرب، ثم بلاد الأكراد والعراق، ودخل بغداد سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م، فصارت دولته تمتد من الخليج العربي إلى بحر قزوين، فشطر الشاه إسماعيل ودولته الصفوية بذلك عالم الإسلام إلى قسمين، في الوقت الذي كان قد أصاب دولة المماليك الوهن ولم تعد قادرة على صده، وهو الوقت نفسه الذي صار فيه البرتغاليون ورجال منظمة فرسان المسيح يحاصرون عالم الإسلام بالأساطيل، وتوغلوا في الخليج والبحر والأحمر، وجعلوا جزءًا من مشروعهم، كما

•) اسم إيران عبر العصور والممالك التي حكمتها هو فارس، والتحول من فارس إلى إيران حدث في ٢١ مارس ١٩٣٥م، في عهد الشاه رضا بهلوي، الذي أطاح سنة ١٩٢١م بالأسرة القاجارية، التي كانت تحكم فارس منذ سنة ١٧٩٥م.

١) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٥٤-٥٥.

رأيت، التحالف مع الشاه إسماعيل وتوظيف دولته الصفوية الشيعية في إسقاط دول الإسلام السنية، لكي يصلوا هم إلى بلاد اليهودية ويستولوا على أورشليم/القدس ويعيدوا هيكل بني إسرائيل.

وها هنا ظهر آل عثمان.

معركة جالديران:

في شهر ربيع الأول سنة ٩١٨هـ/مايو ١٥١٢م، تنازل السلطان العثماني بيازيد الثاني لابنه سليم عن الحكم، فصار السلطان سليم الأول، الملقب بياوز أو القاطع، وجاءه سفراء مصر والبندقية والمجر وروسيا لتهنئته بالسلطنة، ولم يأته رسول من الشاه إسماعيل، فعد ذلك امتهاناً له[١].

ونشب نزاع بين السلطان سليم الأول وأخيه أحمد الذي كان يرى نفسه أولَى بالسلطنة، فناصر الشاه إسماعيل في النزاع الأمير أحمد، وأعلن أنه سوف يرسل له جيشاً يناصره في نزاعه مع أخيه السلطان سليم ياوز، وآوى مراد بن الأمير أحمد وبقية الأمراء الثائرين على السلطان سليم.

وكان الشاه إسماعيل، منذ عهد السلطان بيازيد الثاني، يعمل على نشر التشيع في أقاليم الدولة العثمانية القريبة من فارس، وعلى بث الفوضى فيها، خصوصاً في الأناضول.

وفي آخر سنة من عهد السلطان بيازيد الثاني، ٩١٧هـ/١٥١١م، قاد شاه قولي، رئيس قبيلة تكة لو، وهي إحدى قبائل القِزِل باش، تمرداً في ولاية تكة إيلي، وهي إحدى الولايات الشرقية للدولة العثمانية، بتحريض من الشاه إسماعيل، فثار في عشرين ألفاً من قبيلته ومن انضم إليهم من الشيعة، وهاجموا منطقة قرامان، وقتلوا حاكمها العثماني قراقوز باشا، ثم هاجموا ولاية سيواس، وفي كل بلد يستولي عليها يجعل الخطبة باسم الشاه إسماعيل، فسيَّر إليه السلطان بيازيد جيشاً بقيادة الصدر الأعظم علي خادم باشا، وانتهت المعركة بانتصار الجيش العثماني، وفرار جيش القزل باش إلى فارس، وقُتل في المعركة شاه قولي، واستشهد كذلك الصدر الأعظم علي باشا[٢].

---

١) **تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٧٨.**

٢) **تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٧٥-٧٦.**

وفي الوقت نفسه حرَّض الشاه إسماعيل حاكم مدينة أرزنجان، نور علي، على نشر المذهب الشيعي في الأناضول، فجمع أربعة آلاف من الشيعة في أقاليم الأناضول، واستولى على بلدة طوقات، ثم أماسيا، وأعلن فيهما الخطبة باسم الشاه إسماعيل، ثم هزم جيشاً عثمانياً أرسله السلطان بيازيد لرده عن الأناضول، وتزايد أتباعه، وظل شوكة في جانب الدولة العثمانية، إلى أن ولي السلطان سليم ياوز.

وفي التاسع عشر من شهر المحرم سنة ٩٢٠هـ/١٦ مارس ١٥١٤م:

"جمع السلطان سليم ياوز رجال الحرب والأدباء والوزراء ورجال الدين، في مدينة أدرنة، وذكر أن الشاه إسماعيل وحكومته الشيعية في إيران/فارس بمثابة خطر كبير على العالم الإسلامي، وأن الجهاد ضد الزنادقة القِزل باش واجب ديني على جميع المسلمين"[١].

وفي يوم ٢٢ محرم ٩٢٠هـ/١٩ مارس ١٥١٤م، تحرك السلطان سليم بجيشه من أدرنة إلى إسلام بول/اسطنبول، ومنها إلى أُسكُدار، ثم اتجه إلى فارس، وفي طريقه إليها، وهو في منطقة أزكميد، كتب رسالة، في ٢٧ صفر ٩٢٠هـ/أبريل ١٥١٤م، إلى الشاه إسماعيل، يقول له فيها:

"لقد تعديت على إمارات البلاد الشرقية، وفتحت أبواب الظلم والجور على طريق المسلمين، وأشعت الفتنة والفساد، وأطلقت مقابح أعمالك ومساوئ أحوالك من نواميس الدين، كإباحة الفروج المحرمة، وإراقة الدماء المكرمة، وتخريب المساجد والمنابر، وإحراق المراقد والمقابر، وإهانة العلماء والسادات، وسببت الشيخين الكريمين/أبي بكر وعمر، لهذا أفتى أئمة الدين والعلماء المهتدين رضوان الله عليهم أجمعين بكفرك وارتدادك، أنت وأتباعك، وأعلنوا أن جزاء هذا كله القتل"[٢].

---

١) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٧٨.

٢) دكتور نايف عيد السهيل: العلاقات السياسية بين العثمانيين والصفويين منذ قيام الدولة الصفوية حتى معركة جالديران، ص٢٨، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب جامعة القاهرة، ذو القعدة ١٤٣٠هـ/ نوفمبر ٢٠٠٢م.

ولم يرد الشاه إسماعيل على السلطان سليم، فواصل الزحف بجيشه حتى اخترق حدود فارس، ووصل إلى أرزنجان، في جمادى الأولى ٩٢٠هـ/يونيو ١٥١٤م، فعسكر في صحراء ياسي جمن بالقرب منها، وأرسل رسالة تهديد أخرى إلى الشاه إسماعيل، ومعها:

"عصا وخرقة وكشكولاً ومسبحة، وكأنه يذكره بأجداده، ويقول لـه أن يركن إلـى هذه الأشياء إن كان خائفاً من الحرب"(١).

ورد الشاه إسماعيل على السلطان سليم برسالة بدأها بتعظيمه والتودد إليه، وعدم رغبته في الحرب، لكي لا تمتلئ الأرض بالفتنة، ولكنه ختم رسالته بالتهكم من السلطان سليم قائلاً:

"وهذه الأقوال عن الإلحاد لا تصدر إلا عن مدمن للأفيون، وإنَّا نعتقد أن كل هذه المهاترات لم يكن لها ضرورة، وقد أرسلنا حُقاً ذهبياً مملوءاً بالمكيف ومختوماً بخاتمنا الهمايوني، وإنا وقت كتابة هذه الرسالة على حدود أصفهان للعيد، وإذا انتهى الأمر بالحرب فلن يكون للتأخير أو التهاون مكان، ولكن فكر فيما تصير إليه الأحداث"(٢).

واستشاط السلطان سليم الأول غضباً، وأدرك أن الشاه إسماعيل أخبره بوجوده في أصفهان جنوب غرب فارس، لأنه يماطله، ويريد تأخير المواجهة حتى يدخل الشتاء فيهلك الجيش العثماني من البرد والجوع، فقرر مواصلة التحرك داخل فارس، ومن جرموك أرسل رسالة ثالثة إلى الشاه إسماعيل، ومعها مجموعة من ملابس النساء وأدوات الزينة، يقول له فيها:

"فإذا انزويت بعد ذلك في زاوية الرعب والهلع، فحرام أن يطلق عليك اسم الرجال، وعليك أن تختار الحجاب بدلاً من السيف، وعباءة النساء بدلاً من الدرع"(٣).

وفي النهاية التقى الجيشان في صحراء جالديران، شمال غرب أذربيجان، في الثاني من رجب سنة ٩٢٠هـ/٢٣ أغسطس ١٥١٤م، وينقل المؤرخ التركي يلماز أوزتونا عن المصادر العثمانية أنه:

---

١) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٨٢.

٢) العلاقات السياسية بين العثمانيين والصفويين منذ قيام الدولة الصفوية حتى معركة جالديران، ص٢٩.

٣) العلاقات السياسية بين العثمانيين والصفويين منذ قيام الدولة الصفوية حتى معركة جالديران، ص٣٠.

"كان الطرفان متعادلين عدداً، مائة ألف محارب لكل منهما"[1].

بينما ينقل دكتور بديع جمعة ودكتور أحمد الخولي عن المصادر الفارسية أن:

"عدد أفراد الجيش العثماني كان يزيد على المائة ألف، في الوقت الذي لا يزيد فيه عدد أفراد الجيش الصفوي عن عشرين ألفاً"[2].

والفارق الرئيسي بين الجيشين كان في التسليح ونوعية المقاتلين، وليس العدد، يقول يلماز أوزتونا:

"كان تركمان الشاه شيعة متعصبين وفرساناً شجعاناً ومهرة، لا هدف لهم سوى التضحية بأرواحهم في سبيل شاههم، ولم يكن للشاه مدفعية، ولا مشاة من حملة البنادق، أما لدى العثمانية، كانت فرقة مشاة الإنكشارية الثقيلة موجودة مع فرقة المدفعية، وكان الإنكشارية يبلغ عددهم عشرة آلاف، عدا بعض سراياهم، وكذلك وحدات كثيرة من المشاة الخفيفة مجهزين بالبنادق، وكانت فرقة صاعقة الروملي في مقدمة المركز"[3].

وانتهت معركة جالديران بهزيمة جيش الشاه إسماعيل هزيمة نكراء، وسقط الشاه نفسه عن جواده وجُرح، فهرب من ميدان المعركة إلى عاصمته تبريز، ومنها إلى همدان، ثم إلى أذربيجان.

وفي يوم ٦ رجب ٩٢٠هـ/٦ سبتمبر ١٥١٤م، دخل السلطان سليم الأول تبريز عاصمة الدولة الصفوية، فخرج علماء السنة والأعيان لاستقباله، وأعاد الشعائر السنية، وصارت خطبة الجمعة باسمه.

ورغم أن معركة جالديران لم تقض على الدولة الصفوية، بل ظلت قائمة وظل الصراع بينها وبين الدولة العثمانية سائراً عبر القرون، إلا أنها غيرت موازين القوى في الشرق، والتي كانت

---

١) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٢١٦.

٢) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٨٣.

٣) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٢١٧.

مائلة في اتجاه الشاه إسماعيل ودولته، وقلصت حدود الدولة الصفوية، وعدلت خطوط المواجهة بينها وبين الدولة العثمانية، ولم يعد في مقدورها التوسع غرباً.

فعقب معركة جالديران ثار رؤساء الأكراد، وهم سنة، على الحاكم الفارسي، وطلبوا الانضمام إلى الدولة العثمانية، وأعلنت خمس وعشرون مدينة ولاءها للدولة العثمانية، رغم وجود استحكامات عسكرية صفوية فيها، وكان أهم هذه المدن ديار بكر وماردين والرقة وأرزنجان، وصارت بلاد الأكراد كلها جزءًا من الدولة العثمانية، بعد أن كانت تابعة للدولة الصفوية.

وكذلك أعلن حاكم العراق ولاءه للسلطان سليم الأول، وأصدر السلطان مرسوماً بذلك، وضم العثمانيون الأجزاء الشرقية والجنوبية من الأناضول، بعد أن كانت في حوزة الشاه، فصارت الأناضول كلها في يدهم، ما عدا الجزء التابع للمماليك.

وسيطرت الدولة العثمانية على طرق التجارة في الشرق، خصوصاً طريق الحرير.

ومن أكبر نتائج معركة جالديران وأهمها، سقوط هيبة الشاه إسماعيل وقداسته عند أتباعه من القِزل باش، إذ لم يخسر معركة قبلها، وكان القزل باش يعتقدون قداسته وأنه لا يُهزم لأن الإله يتجلى فيه، ولم يعد الشاه بعد المعركة كما كان قبلها، فقد صار حزيناً مكتئباً منزوياً، وأقبل على شرب الخمر، إلى أن مات سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٤م.



توحيد عالم الإسلام

قبل أن يبدأ السلطان سليم الأول حملته على الشاه إسماعيل، أرسل سفارة إلى السلطان قنصوة الغوري يطلب منه التحالف معه للقضاء على دولة الصفويين، فاعتذر السلطان الغوري، وآثر الحياد.

وإبان زحف السلطان سليم الأول على فارس، عسكر في قونية، وأرسل إلى علاء الدولة ذي القدر، حاكم إمارة ذي القدر، التي تمتد في وادي طوروس، بين مدن البستان ومرعش وخربوت، وتتاخم فارس والدولة الصفوية، يطلب منه التعاون معه في قتال الصفويين وإمداد جيشه بالمؤن، وكان علاء الدولة موالياً للمماليك، فرفض طلب السلطان سليم الأول بتحريض من السلطان الغوري، وزاد علاء الدولة على ذلك أن قام بمهاجمة قوافل المؤن والذخيرة في ساقة الجيش العثماني.

وبعد انتهاء معركة جالديران أرسل السلطان سليم جيشاً بقيادة الصدر الأعظم سنان باشا، إلى علاء الدولة، فهزمه وقُتل علاء الدولة في المعركة، هو وأبناؤه، ونصَّب السلطان سليم مكانه علي بن شهسوار، وصارت إمارة ذي القدر جزءًا من الدولة العثمانية وحدودها الشرقية، فضُربت فيه السكة باسم السلطان العثماني، وأصبحت خطبة الجمعة باسمه[1].

فتح مصر والشام:

وفي يوم ٧ ربيع الأول ٩٢٢هـ١٠ أبريل ١٥١٦م أعلن السلطان سليم الأول أنه ذاهب إلى الديار الشرقية/فارس، لمحاربة القِزل باش والقضاء عليهم، ولكنه كان عازماً على التوجه لقتال السلطان الغوري، وفي يوم ٢٥ ربيع الآخر أرسل جيشاً بقيادة الصدر الأعظم سنان باشا، فسار حتى وصل إلى قيصرية في وسط الأناضول، فعسكر فيها حسب أوامر السلطان، وهي مفترق الطرق بين التوجه لفارس أو إلى الشام.

---

١) دكتور أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني لمصر والشام ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، ص٧٥، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٥م.

وفي يوم ٤ جمادى الأولى ٩٢٢هـ/٥ يونيو ١٥١٦م، تحرك السلطان سليم نفسه بجيشه من اسطنبول، وأبحر الأسطول العثماني متجهاً إلى شواطئ الشام.

وكان السلطان الغوري قد أدرك بعد مقتل علاء الدولة وضم السلطان سليم لإمارته إلى الدولة العثمانية، ومن الرسائل المتبادلة بينه وبين السلطان سليم، أن الحرب واقعة بينهما، فخرج بجيشه من مصر في ١٥ ربيع الآخر ٩٢٢هـ/١٨ مايو ١٥١٦م، متوجهاً إلى الشام، وقد أعلن أنها حملة لتفقد أحواله وحصونه، فمر بدمشق، ووصل إلى حلب يوم ١٠ جمادى الثانية/١١ يوليو، وعامل جنوده أهلها بقسوة.

وها هنا أرسل أبو البقاء شمس الدين، نائباً عن قضاة المذاهب الأربعة في حلب وسبعة عشر من أعيانها، رسالة إلى السلطان سليم الأول، توقن منها بما أخبرناك به سابقاً، وهو أن لعالم الإسلام مساراً، وأن المهمة الأولى لدول الإسلام جميعها هي حفظ هذا المسار والقوامة عليه، فإذا خرجت دولة عن المسار، أو ضعفت ولم تعد لديها القدرة على حفظه والحفاظ على بلاد الإسلام، فقدت أساس شرعيتها ومبرر وجودها، ليحل محلها من هو أولى منها بالقوامة على المسار وأقدر على حفظ بلاد الإسلام.

فهاك رسالة علماء حلب وأعيانها للسلطان سليم الأول، وقد سجل أبو البقاء شمس الدين في بدايتها أسماءهم، وأورد نصها دكتور أحمد فؤاد متولي، أستاذ التاريخ والآداب التركية بجامعة عين شمس، في كتابه: الفتح العثماني لمصر والشام ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له:

"لا تشغلوا بالكم بحلب، إن تتفضلوا أسلم لكم الجراكسة يا صاحب دولتي، أو أتعهد أن يقف جميع عبيدكم أهل حلب ضد حضرة السلطان الغوري عندما يهاجم عينتاب قبل مجيء التركمان/العثمانيين، إن تخليصنا من الجراكسة بمثابة تخليص لنا من يد الكفار، ليكن معلوماً لدى سلطاني ما يلي: عدم تخطي الشريعة أصلاً، فكل شئ يسري على الخواص أيضاً، ولا يؤخذ

ظلماً من شخص ما يملكه من مال أو أهل أو عيال على الإطلاق، نهب أنفسنا للسلطان صاحب الدولة فور مجيئه، وليأت الوزير ليمنح أهلنا وعيالنا الأمان"[١].

وفي يوم ٢٥ رجب ٩٢٢هـ/٢٤ أغسطس ١٥١٦م التقى الجيشان في مرج دابق قرب حلب، وانتهت المعركة بانتصار الجيش العثماني، وقُتل السلطان الغوري، ودخل السلطان سليم الأول مدن الشام، حلب وحمص وحماة ودمشق، فاستقبل أعيانها وعلماءها وأكرمهم، ورغم حدة طبعه، وشراسته الشديدة في القتال، وبطشه العنيف بأعدائه وخصومه، كان من سيرة السلطان سليم الأول ألا يتعرض للبلاد التي يفتحها بتخريب، ولا لأهلها بأذى، وكان يحب صلاح الدين الأيوبي ويبجله ويتأسى به، فأمر بعمارة المساجد وضبط الأسواق وعدم تعرض الجند للأهالي، وحين دخل حلب:

"أقام السلطان سليم الجمعة في جامع الملك الظاهر بيبرس، ووصفه الخطيب في خطبته بأنه: مالك الحرمين الشريفين، فنهض من مكانه واقفاً، وقال: من أنا حتى أكون مالكاً للحرمين، إنني أفتخر بأني خادم الحرمين لا مالكهما"[٢].

وبعد وصول نبأ موت السلطان الغوري إلى القاهرة، اختار المماليك طومان باي خلفاً له، وكان نائبه، فأرسل إليه السلطان سليم الأول، يعرض عليه الصلح في مقابل الإقرار بالسيادة العثمانية على مصر، فرفض طومان باي، وقتل رسل السلطان سليم، فقرر السلطان مواصلة السير بجيشه وعبور سيناء إلى مصر.

وفي يوم ٢٩ من ذي الحجة ٩٢٢هـ/٢٢ يناير ١٥١٧م، التقى جيش سليم الأول بجيش المماليك بقيادة طومان باي في الريدانية، وانتهت المعركة بهزيمة المماليك، وفي يوم ٢٣ محرم ٩٢٣هـ/١٥ فبراير ١٥١٧م، دخل السلطان سليم القاهرة، وفي يوم ٢٨ محرم/٢٠ فبراير صلى الجمعة في جامع المؤيد، وإبان الخطبة:

"لقبه الخطيب بخادم الحرمين الشريفين، فنزع السلطان عمامته وقلب سجادته، وسجد على الأرض شكراً لله تعالى على هذه النعمة الجليلة، وبكى إلى أن نزل الخطيب من المنبر"[١].

---

١) الفتح العثماني لمصر والشام من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، ص١٣٥-١٣٦.

٢) الفتح العثماني لمصر والشام من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، ص١٧١-١٧٢.

وأثناء وجود السلطان سليم في القاهرة، أرسل إليه شريف مكة أبو البركات محمد رفعت ابنه الشريف أبا الحسني، ومعه مشايخ طوائف العرب والأعراب، يعلنون دخولهم في طاعته، ثم أرسل إليه الشريف ابنه الأكبر محمد أبا نمي، يطلب إبقاءه في حكم مكة، وفي يوم ١٦ جمادى الثانية ٩٢٣هـ/٦ يوليو ١٥١٧م، استقبل السلطان سليم محمد أبا نمي استقبالاً حافلاً، وسلمه الشريف مفاتيح مكة والمدينة، والأمانات النبوية التي كان يحفظها الأشراف فيهما، وأهمها بيرق سعادت/راية النبي، وخرقة سعادت/البردة النبوي، ونعلا النبي، وسيفه، فأرسلها السلطان سليم، وحُفظت في جناح خرقة شريف، الذي شُيد خصيصاً من أجلها في سراي طوب قابو، في اسطنبول، وما زالت هذه الأمانات محفوظة فيه إلى الآن، وقد صار اسمه جناح الأمانات المقدسة(٢).

وهكذا تم ضم الشام ومصر وشمال السودان والحجاز واليمن وشمال إفريقيا حتى تونس إلى الدولة العثمانية، وصار السلطان سليم الأول أول الخلفاء على أمة الإسلام من آل عثمان، وهو تاسع سلاطين آل عثمان، وخليفة النبي الرابع والسبعون على دولة الإسلام، وفي الحفاظ على مسارها.

وبتوحيد بلاد الإسلام تحقق مشروع السلطان سليم الأول، والذي كان هدفه الحقيقي من حروبه، ومن اتجاهه نحو دولة المماليك، كما يقول المؤرخ التركي يلماز أوزتونا:

"كانت الفكرة في حملة ياوز على مصر، أنها تمثل أهم مرحلة من مراحل أفكاره الأساسية في تكوين الاتحاد الإسلامي: اتحاد إسلام، ذلك أنه كان يرى أن مماليك مصر لم يقدروا، ولن يقدروا على تحقيق هذا الهدف، وكان السلطان سليم مقتنعاً بأن العثمانية سوف توفق إلى تحقيق هذا الهدف"(٣).

وما يؤكد صحة ما قاله يلماز أوزتونا، وأن غاية السلطان سليم الأول الحقيقية التي كانت تُلح عليه، ليست مجرد غزو البلدان أو إسقاط الدول، بل توحيد بلاد الإسلام في مواجهة الدولة

---

١) الفتح العثماني لمصر والشام من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، ص٢٠٣.

٢) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٢٣٣-٢٣٤.

٣) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٢٢٣.

الصفوية في فارس وسعيها للتمدد خارجها، وفي مواجهة الدول الأوروبية التي تحاول التسلل إلى البحر المتوسط من الشمال، والبرتغال التي سيطرت فعلاً على المحيط الهندي وأغلقت طرق الحج والتجارة الإسلامية وصارت تحاصر بلاد الإسلام من الجنوب، ما يؤكد صحة ذلك أن السلطان سليم الأول أبقى من سالموه من الأمراء والحكام على دولهم، ولم يشترط عليهم شيئاً سوى أن تكون الخطبة وسك العملة باسمه.

وبعد معركة الريدانية، اختبأ طومان باي عند بعض مشايخ العربان، وبعد اعتقاله استقبله السلطان سليم ودار بينهما حوار طويل، واجه فيه طومان باي السلطان سليم بشجاعة وكبرياء، وقارعه الحجة بالحجة، فأعجب به السلطان سليم الأول وقال له:

"والله ما كان قصدي أذيتك، ونويت الرجوع من حلب، ولو أطعتني من الأول وجعلت السكة والخطبة باسمي ما جئت لك، ولا دست أرضك"[١].

البحر المتوسط بحيرة إسلامية:

وعند فتح السلطان سليم الأول لمصر ووراثة الدولة العثمانية لدولة المماليك، التي كنت تمتد غرباً حتى نهاية إقليم برقة في ليبيا، كانت تونس يحكمها بنو حفص، وكانت صقلية القريبة منها وتواجهها في البحر المتوسط تتبع مملكة قشتالة في إسبانيا، ولذا كان بنو حفص يوالون الإسبان، وتحت تهديد أسطولهم في البحر المتوسط.

وغرب الجزائر كان يحكمها بنو زيان، وعاصمتهم تلمسان، وكان سلاطينها ضعفاء، ويصل كل منهم إلى العرش بتدبير المكائد والدسائس لسابقه، والمنطقة من غرب الجزائر حتى المحيط الأطلنطي، كان تسودها مملكة فاس التي يحكمها بنو مرين، وهم في نزاع دائم مع الدولة السعدية، وجميعها دول ضعيفة ولم تكن لها القدرة على مواجهة إسبانيا التي تتسلط أساطيلها على سواحل المتوسط الإفريقية، وهي دائمة الإغارة عليها.

وفي سنة ١٥٠٥م، تمكن أسطول إسباني، بقيادة دي رايموند De Rymond، من الاستيلاء على مدينة المرسى الكبير، غرب الجزائر، ثم في سنة ١٥٠٩م، قاد الكاردينال فرانسيسكو خمنيز

١) الفتح العثماني لمصر والشام من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، ص٢٢٤.

دي سِسنيروس Francisco Jiménez de Cisneros أسطولاً كبيراً من إسبانيا، ومعه خمسة عشر ألف جندي، فرسا في ميناء المرسى الكبير قرب وهران، ثم تمكن قائد قواته بدرو نافارو Pedro Navarro من احتلال وهران، وهي أكبر مواني غرب البحر المتوسط، فنهبها وقتل أربعة آلاف من أهلها، وأسر ثمانية آلاف آخرين وساقهم عبيداً لإسبانيا.

وبعد احتلال الإسبان لوهران صالح أبو حمو الثالث، سلطان بني زيان في تلمسان، الكاردينال خمنيز على أن يُقر بتبعيته لإسبانيا، ويدفع جزية سنوية، قدرها ١٢ ألف دوقا ذهبية، و١٢ ألف فرس من أجود الخيول.

وفي شهر يناير ١٥١٠م، قاد بدرو نفارو أسطولاً من عشرين سفينة وعشرة آلاف جندي، ومعه مدافع كبيرة، من جزر البليار، وتمكن من احتلال مدينة بجاية وميناءها على البحر المتوسط، شرق الجزائر، بعد مقاومة مجيدة من أهلها، بأسلحتهم الخفيفة، وفي السنة نفسها احتلوا ميناء عنابة، شرق بجاية[١].

وبعد احتلال بجاية القريبة من تونس، أعلن أبو عبد الله محمد المتوكل، سلطان الدولة الحفصية في تونس وشرق الجزائر، ولاءه لإسبانيا، ووقع معهم اتفاقية كالتي وقعها سلطان بني زيان في تلمسان.

وبعد استيلاء الإسبان على المرسى الكبير ووهران في غربها، وبجاية وعنابة في شرقها، ساد الهلع في مدينة الجزائر، وكانت تابعة لبجاية، ويحكمها الشيخ سالم التومي، فقاد الشيخ سالم، بعد أيام من سقوط بجاية، وفداً من أشراف الجزائر إلى بجاية، والتقى بدرو نافارو، وصالحه على إعلان تبعيته لإسبانيا، وأن يدفع لها ما كان يدفعه لسلطان بجاية.

وفي سنة ١٥١١م، ذهب الشيخ سالم التومي في وفد إلى إسبانيا، وبعد مفاوضات وضغوط، وافق على أن يسلم الإسبان أكبر جزيرة أمام شاطئ مدينة الجزائر، وعلى بعد ثلاثمائة متر فقط

---

١) المؤرخ أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا ١٤٩٢م-١٧٩٢م، ص١٢٠-١٢١، ١٤١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تم سحب الكتاب على مطابع دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ١٩٦٥م.

منها، فأقام فيها الإسبان قلعة سموها صخرة الجزائر Penon d'Argel، ونصبوا فيها مدافعهم، فصارت مدينة الجزائر تحت تهديد الإسبان الدائم[١].

وفي سنة ١٥١١م احتل الإسبان موانى مستغانم وشرشال، فتحولت سواحل الجزائر كلها من عنابة وبجاية إلى وهران والمرسى الكبير إلى مستعمرة إسبانية، مقرها وقاعدة حكمها في وهران، وسيطر الإسبان على شواطئ البحر المتوسط الإفريقية، وعلى حركة السفن والتجارة في البحر المتوسط، من تونس شرقاً إلى تخوم مملكة فاس غرباً.

ومملكة فاس نفسها، كانت تحت تهديد البرتغاليين، وقد تمكنوا في عهد الأمير هنري الملاح، كما علمتَ من قبل، من انتزاع سبتة التي تشرف على مضيق جبل طارق من المغرب، ثم انتزعوا مدينة مازاجان سنة ١٥٠٢م، ومدينة أزمور سنة ١٥٠٨م، وكلتاهما تطل على المحيط الأطلنطي، وأقاموا قلعة بكل منهما.

وكانت استراتيجية الإسبان تقوم على مرحلتين، الأولى هى احتلال المدن الساحلية وموانى البحر المتوسط، من أجل تحويلها إلى قواعد للأساطيل وتمركز القوات، والسيطرة منها على شواطئ البحر المتوسط وحركة التجارة فيه، وفي الوقت نفسه إبعاد المسلمين عن سواحل المتوسط وحصرهم في الداخل، وهي المرحلة التي تمكنوا من إنجازها فعلاً.

وكانت الخطوة التالية هي الزحف من قواعدهم في مناطق الشواطئ ومدن المتوسط الساحلية، إلى الداخل لإخضاع الممالك المسلمة، والتي تمتد جنوب الصحراء حتى أواسط إفريقيا، وهي المرحلة التي أجهضها، وأجهض مشروع الإسبان كله، فتح الدولة العثمانية لمصر، ثم حملاتها البحرية في مواجهة الأساطيل الإسبانية.

وإبان فتح السلطان سليم الأول لمصر، وفي السنوات التي تلتها، أذن السلطان الحفصي أبو عبد الله المتوكل للأخوين عروج وخير الدين بربروسا بالرسو بأسطولهم في ميناء حلق الوادي في تونس، فحرروا ميناء جيجل في الجزائر، واتخذوها مقراً لأسطولهم وقواتهم، ثم حرروا بجاية، فالجزائر وشرشال، وضموا تلمسان، ثم حرروا وهران.

---

١) حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ١٤٩٢م-١٧٩٢م، ص١٢٦-١٢٧.

وفي سنة ٩٢٥هـ/١٥١٩م، صارت الجزائر إيالة/ولاية عثمانية، وصار خير الدين بربروسا أول الولاة عليها، فاستكمل طرد الإسبان من شمال إفريقيا، وأوقع هزائم ساحقة بالأساطيل الإسبانية، فأخرجها من البحر المتوسط وحرره منها، فصار البحر المتوسط بحيرة إسلامية مغلقة.

وقصة عروج وخير الدين بربروسا، وفتحهما لشمال إفريقيا، وطرد الإسبان من البحر المتوسط، قصة شائقة وحافلة بالأحداث المثيرة، غير أن موضعها ليس في الكتاب الذي بين يديك، لأن ميدانها في الغرب، وهو عن المواجهات في بحار الشرق.

فتح العراق والوصول إلى الخليج:

في سنة ١٥٢٩م، وإبان حملة السلطان سليمان القانوني على المجر والنمسا، وحصار فيينا، انتهز الشاه طهماسب الصفوي انشغال السلطان والجيوش العثمانية في أوروبا، وشن حملة على بغداد، فقتل واليها ذا الفقار خان، وكان قد أعلن ولاءه للدولة العثمانية، وأرسل مفاتيح بغداد للسلطان سليمان القانوني، وجعل الخطبة والسكة باسمه، ثم استولى الشاه طهماسب على مدن العراق جميعها، وأعلن سيف الدين أوغلو تكة لو حاكماً على بغداد.

وفي سنة ١٥٣٢م، تمكن الشاه طهماسب من استمالة شرف خان، والي إقطاعية بتليس شرق الأناضول، وهي تابعة للدولة العثمانية، وعندما وصلت أخباره إلى السلطان سليمان القانوني أمر بتحويل بتليس إلى إمارة، وتنصيب عُلَما خان أميراً عليها، فلجأ شرف خان إلى الشاه طهماسب، فقدم في جيش مسلحاً بالمدافع، واستولى على بتليس، وعلى مدن أخلاط وموش، ونصَّب شرف خان أميراً عليها[1].

وكانت بحيرة وان شرق الأناضول، وهي منطقة استراتيجية، ما زالت في حوزة الشاه، فأرسل السلطان سليمان القانوني جيشاً بقيادة الصدر الأعظم مقبول إبراهيم باشا، فوصل حلب في شهر ديسمبر ١٥٣٣م، وقضى الشتاء فيها، وإبان ذلك أعلنت مدن أخلاط وعادل جواز وأرجش ووان اعترافها بالسيادة العثمانية وولاءها لها، فخرج الصفويون بذلك من منطقة بحيرة وان.

---

١) دكتور فريدون أمجان: سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، ص١٤٩، ١٥١-١٥٢، ترجمة: دكتور جمال فاروق، أحمد كمال، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م.

وفي شهر مايو ١٥٣٤م، وبعد أن حشد الصدر الأعظم مقبول إبراهيم باشا الجيوش في مدينة آمد، في ديار بكر، اتجه إلى فارس، ولما علم الشاه طهماسب، قرر عدم الدخول في مواجهة مع الجيش العثماني، فترك تبريز، وكان العثمانيون قد أخلوها بعد فتحها في عهد السلطان سليم الأول، ونقل الشاه عاصمته إلى مدينة قزوين، ودخل الصدر الأعظم تبريز، فكان هذا هو الفتح العثماني الثاني لها، ثم دخل إلى أذربيجان واستولى على مدنها وقلاعها، ونصَّب عليها ولاة عثمانيين.

وفي شهر ذي القعدة ٩٤٠هـ/يونيو ١٥٣٤م، تحرك السلطان سليمان القانوني نفسه من اسطنبول، ودخل تبريز يوم ١٩ ربيع الأول ٩٤١هـ/ ٢٨ سبتمبر ١٥٣٤م، وبعد أن اتحد بجيش الصدر الأعظم فتح مدينة سلطانية وعدة مدن أخرى في فارس، دون أن يجد مواجهة من الشاه طهماسب الذي اختفى بجيشه وأتباعه، بعد أن قام بتخريب الطرق التي تمر بها الجيوش العثمانية.

ومن فارس:

"**اتجه الصدر الأعظم مقبول إبراهيم باشا بجيشه إلى العراق، فوصل بغداد يوم ٢١ جمادى الأولى ٩٤١هـ/ ٢٨ أكتوبر ١٥٣٤م، فوجد حاكمها الصفوي محمد خان تكة لو قد أخلاها وغادرها، وفتح أهلها أبوابها لاستقباله، ورُفع العلم العثماني على جميع أبواب المدينة، وبعد يومين دخل السلطان سليمان المدينة، فتوجه مباشرة إلى مكان يسمى عزيمية، الذي يوجد به قبر الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان، وهنا سلم مسؤول حمل الراية مفاتيح بغداد إلى السلطان سليمان**"(١).

ومكث السلطان سليمان القانوني في بغداد أربعة أشهر، نظم خلالها شؤونها، واستكمل فتح مدن وسط العراق وجنوبه، وضم البصرة والمشعشع والقطيف والبحرين، وكلف بإحصاء سكان هذه المناطق وتحرير وثائق رسمية لها، تحت إشراف جلال زاده مصطفى شلبي، ثم:

---

١) **سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، ص١٧٥.**

"تأسست إيالة البصرة، وارتبطت بها مناطق جنوب العراق، والكويت، والإحساء، والقطيف، ونجد، وقطر، والبحرين، وعمان، وجبل شمر، وهكذا تحقق انتشار عثماني واسع على خليج البصرة"[١].

وهكذا وصلت الدولة العثمانية إلى الخليج من رأسه، وصارت لها مراكز في أعلاه.

---

١) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٤٣.

دولة آل عثمان في مواجهة البرتغال

في البحر الأحمر:

بعد توحيد عالم الإسلام، كان أمام الدولة العثمانية عدة جبهات ومواجهات، وإحداها ومن أهمها مواجهة البرتغاليين وإجلاؤهم عن المحيط الهندي، وتحرير الخليج والبحر الأحمر من سطوة أساطيلهم، وفتح طرق الحج والتجارة، وهي مهمة بدأتها الدولة العثمانية واشتركت فيها مع دولة المماليك، منذ عهد السلطان بيازيد الثاني، قبل فتح مصر وتوحيد عالم الإسلام، وكانت في ذهن السلطان سليم الأول وهو يفتح مصر، وبدأها قبل أن يغادر القاهرة، ثم استكملها ابنه السلطان سليمان القانوني وخلفاؤه من بعده.

يقول المؤرخ التركي يلماز أوزتونا، في كتابه: تاريخ الدولة العثمانية، إنه عندما كان السلطان قنصوة الغوري يجهز أسطوله، لكي يرسله إلى الهند، من أجل مواجهة البرتغاليين، قبل معركة ديو البحرية، سنة ١٥٠٩م:

"أرسل بيازيد الثاني إلى مصر كمال رئيس مع ٣٠٠ مدفع، و١٥٠ عموداً لربط الأشرعة، والأخشاب والزفت والفؤوس، وأهدى ٨ سفن حربية إلى المماليك، وأمر كمال رئيس الفنيين الذين تركهم في مصر بصنع ٣٠ سفن حربية في السويس، ولأن هذه القوة سوف تقوم بحماية التجارة الإسلامية في البحر الأحمر وخارجه في مواجهة البرتغاليين، فإن خدماتها سوف لا تقتصر على المماليك فحسب، بل ستتعداها إلى خدمة العثمانية والعالم الإسلامي بأسره، وأرسل بيازيد كذلك أحمد أوغلو، ثم حامد رئيس، مع كمية كبيرة من المهمات لخدمة المملوكية وإصلاح الأسطول المصري، وعندما أراد المماليك دفع ثمن المهمات، رفض قائلاً: إن هذه قضية الإسلام المشتركة ضد الكفر"[١].

وبعد فتح السلطان سليم الأول لمصر، عيَّن سلمان رئيس قبودان/قبطان السويس، وصار مسؤولاً عن البحر الأحمر وجميع البحار المتصلة به، وكان تابعاً لوالي مصر من الجهة المالية، وتابعاً للديوان الذي يرأسه السلطان في اسطنبول من جهة الشؤون العسكرية والحربية.

---

١) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٢٤.

ولأن القوة الرئيسية للأساطيل العثمانية كانت في البحر المتوسط، ولا توجد ممرات مائية لنقلها إلى البحر الأحمر، أمر السلطان سليم الأول بتوسيع ترسانة بناء السفن المصرية في السويس، وبناء سفن حربية جديدة، وتجهيزها للاشتراك في الحملات البحرية، وصار الأسطول المصري يعرف بأسطول السويس وأسطول البحر الأحمر، وبعد امتداد نشاطه إلى بحر العرب والمحيط الهندي، صار اسمه الرسمي أسطول الهند[١].

وفي سنة ١٥٢٣م، في عهد السلطان سليمان القانوني، الذي ولي الخلافة والسلطنة بعد وفاة أبيه السلطان سليم الأول، سنة ١٥٢٠م، أبحر سلمان رئيس، قبطان السويس، بأسطوله في اتجاه مضيق البحر الأحمر/باب المندب:

"وكان البرتغاليون قد احتلوا جزر كمران المواجهة لليمن، فأخرج سلمان رئيس البرتغاليين من هذه الجزر ومن البحر الأحمر، واشترك في هذه الحملة ٤٠٠٠ جندي مشاة عثماني بقيادة خير الدين حمزة بك، وأسس سلمان قاعدة بحرية في جزر كمران، وعين لحمايتها خوجة صفر رئيس، وفي سنة ١٥٢٧م أسس سلمان رئيس الحكم العثماني في الجزء الأكبر من اليمن ... وعُين سيدي علي رئيس والياً على اليمن، وأصبح أحمد بك بن سلمان رئيس معاوناً له، أي أنه عُين لهذا المقام شخصين بحريَيْن، ويظهر بوضوح أن الديوان الهمايوني/السلطاني لم يكن يشغله فتح اليمن، وإنما كان يشغله تسلط الأساطيل البرتغالية على البحر الأحمر"[٢].

وفي سنة ١٥٢٥م، تحرك سلمان رئيس من السويس على رأس أسطول إلى اليمن، ثم قام برحلة اسكشافية بحرية، ثم:

"كتب تقريراً يتناول أحوال المواني المطلة على البحر الأحمر، والقلاع التي أنشأها البرتغاليون في الهند، والأوضاع التجارية لعدد من المدن، مثل سومطرة الإندونيسية، وملقا الماليزية"[٣].

١) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٢٥.

٢) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٢٥.

٣) سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، ص٢٢٦.

وفي أواخر سنة ١٥٢٧م، أرسل لوبو فاز Lopo Vaz، نائب ملك البرتغال في الهند، أسطولاً حربياً من عشرين سفينة، بقيادة أنتونيو دي ميراندا Antonio de Miranda، لفتح مضيق البحر الأحمر، فلم يستطع العبور منه، ورده الأسطول العثماني في كمران.

وبذلك سيطرت الدولة العثمانية على المضيق ومدخل البحر الأحمر، وأغلقته في وجه أساطيل البرتغال ومنظمة فرسان المسيح، وبقيت فيه ثغرة واحدة، هي ميناء مصوع وميناء سواكن، التي تسيطر عليها مملكة الحبشة المتحالفة مع البرتغال.

وفي شهر ديسمبر ١٥٣٠م، جاء مصطفى بك ومعه خوجة صفر رئيس في قوة بحرية إلى ميناء الشحر، في بحر العرب، فأعطى الأمير بدر مائة من جنود البحر ومدافع، وحذره من قبول البرتغاليين بأمر خليفة الأرض/سليمان القانوني، وغادر مصطفى بك الشحر وترك فيها خوجة صفر رئيس، وجاء البرتغاليون إلى الشحر، ولكن صفر رئيس ردهم[١].

وفي بداية شهر يناير سنة ١٥٤١م، أبحر استيفاو دا جاما Estevão da Gama، نائب ملك البرتغال وحاكم الهند، من جوا، في أسطول من ثمانين سفينة، وكان هدفه اختراق البحر الأحمر والوصول إلى السويس وتدمير الأسطول العثماني والترسانة المصرية فيها، فوصل جزيرة سُقطرى بعد ثلاثة عشر يوماً، ولحق به فيها أسطول آخر بقيادة أنريك منديس دي فاسكونسيلوز Anrique Mendes de Vasconcelos، وتمكن الأسطول البرتغالي من عبور المضيق والوصول إلى مصوع، ومنها إلى سواكن، على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر، في مملكة الحبشة، ثم رسا أمام القُصير في يوم ١٤ أبريل ١٥٤١م، فأمر ستيفاو دا جاما بنهب المدينة ونقل ما يمكن نقله إلى السفن البرتغالية، ثم أمر بإحراقها[٢].

وواصل الأسطول البرتغالي الإبحار في اتجاه السويس، فواجهته قوة عثمانية كبيرة أطلقت عليه نيراناً كثيفة، فاضطر استيفاو دا جاما إلى الانسحاب، والعودة إلى القصير، ومنها إلى سواكن، ثم مصوع، وفي طريق عودته إلى الهند:

---

١) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٢٦.

2) The Portuguese In India, Vol.I, P448-449.

"حاول دخول عدن، في ٢٥ يوليو ١٥٤١م، فأطلقت عليه حاميتها العثمانية مدافعها، ومُني بخسائر جسيمة، وتمكن من عبورها بصعوبية بالغة Very Severe Passage، وفقد استيفاو دا جاما في حملته الفاشلة على السويس عشرات السفن، ومئات الضباط والجنود والبحارة"[١].

وفي شهر فبراير ١٥٤٢م، أرسل استيفاو دا جاما أسطولاً صغيراً من خمس سفن، بقيادة أنريك منديس دي فاسكونسيلوز، للبحث عن كريستفاو دا جاما Christevão da Gama، وهو أخوه الأصغر، وكان قائداً لجزء من سفن الأسطول، وأنزله استيفاو دا جاما مع قوة برتغالية في مصوع، لمعاونة مملكة الحبشة، ثم فُقد وانقطعت أخباره.

ومرة أخرى:

"دخل فاسكونسيلوز إلى البحر الأحمر، ووصل إلى مصوع وسواكن، ثم إلى جدة، فعلم أن أسطولاً كبيراً من مائة وعشرين سفينة، وعليها مدافع هائلة، يقوم على حراسة ميناء جدة، فعاد أدراجه إلى الهند"[٢].

ورغم أن الأساطيل البرتغالية لم تستطع التسلل إلى البحر الأحمر بعد هذه المرة، إلا أنها ظلت تظهر في خليج عدن وخارج مضيق البحر الأحمر، وتهدد سفن الحج والتجارة الإسلامية، إلى أن عزلت الدولة العثمانية مملكة الحبشة عن البحر الأحمر، وفتحت مصوع وسواكن، فصار البحر الأحمر بحيرة إسلامية مغلقة.

في الحبشة ومنابع النيل:

في الفصل الذي خصصه للحملات العثمانية في منطقة القرن الإفريقي، من كتابه: عصر الكشوف العثمانية The Ottoman Age of Exploration، يقول المؤرخ جيانكارلو كاسالي Giancarlo Casale، أستاذ التاريخ الحديث في جامعة مينسوتا الأمريكية، إن:

"أحمد جران المجاهد، أمير زيلع، تمكن في ثلاثينيات القرن السادس عشر، بمساعدة سليمان باشا الخادم والي مصر، والمدافع والأسلحة التي أمده بها، من تجميع القوى المسلمة،

---

1) The Portuguese In India, Vol.I, P449-450
2) The Portuguese In India, Vol.I, P452.)

وإنـزال عـدة هزائم بمملكـة الحبشـة، وانتـزع مـن ملكهـا لِبنـا دِنجـل Lebna Dengel بعض المنـاطق فـي أطرافهـا، فأرسـل لبنـا دنجل رسـالة مـع مستشـاره البرتغـالي خـواو برمـودز João Bermudez، إلى ملك البرتغال خواو الثالث، يعرض عليه اعترافه بسلطة البابا الكاثوليكي في روما، في مقابل أن تساعده البرتغال على صد القوات المسلمة عن بلاده، فوافق ملك البرتغال، وإحدى أهداف حملة استيفاو دا جاما سنة ١٥٤١م، كانت إنزال مدافع وطوابير مشاة برتغاليـة مسلحة بالبنادق في مصوع، لمساعدة لبنا دنجل فـي حربـه فـي المنـاطق الداخليـة مـن مملكتـه، وكـان لبنـا دنجـل قـد مـات سـنة ١٥٤٠م، فتسـلم السـلاح والقـوات خلفـه وابنـه جلاوديـوز Glawdewos"[١].

وتمكن جلاوديوز، بمساعدة المدافع والقوة البرتغالية، التي كان يقودها كريستفاو دا جاما، من هزيمة أحمد جران، واستولى على بعض الأقاليم التابعة له.

ولما وصل النبأ إلى سليمان باشا الخادم في مصر، أرسل بعدها بعدة أسابيع، اثنتي عشرة سفينة من السويس، وعلى متنها مدافع كبيرة وتسعمائة من حملة البنادق، فوصلوا إلى ميناء بيلول Beylul في شهر أغسطس ١٥٤١م، وتمكن أحمد جران من تنظيم قواته وأنزل خلال سنة واحدة عدة هزائم بجلاوديوز، وفي ٢٨ أغسطس ١٥٤٢م:

"واجه أحمد جران جيش جلاوديوز، وكان في كامل قوته، ومعه ٤٠٠ من الجنود البرتغاليين المسلحين بالبنـادق، بقيـادة كريسـتفاو دا جامـا، فـي معركـة وُوفـلا Wofla، وانتهـت المعركـة بكسر جيش الحبشة، وقُتل فيها ٢٠٠ من القوات البرتغالية، وأُسر قائدها كريستفاو دا جاما مع اثني عشر آخرين من رجاله، وقتله أحمد جران وأرسل رأسه إلى مصطفى باشا في اليمن"[٢].

وبعد خسائر البرتغال الجسيمة في الحملة على البحر الأحمر، وفي معركة وُوفلا، وبسبب سيطرة الأساطيل العثمانية على مضيق البحر الأحمر، قرر البرتغاليون الابتعاد عن منطقة القرن الإفريقي، وقل نفوذهم في مملكة الحبشة، وصارت علاقاتهم السياسية والتجارية بها محدودة، وصار للدولة العثمانية وكلاء للتجارة في سواكن ومصوع.

---

1) Giancarlo Casale: The Ottoman Age Of Exploration, P72, Published by: Oxford University Press, Inc., New York, 2010.
2) The Ottoman Age Of Exploration, P73.

وفي سنة ١٥٤٣م، استشهد احمد جران وهو يقاتل جلاوديوز ملك الحبشة، في معركة واينا داجا Wayna Daga، وخلفه ابن أخيه عباس، فتوقفت المواجهات مع الحبشة، إلى أن وصل إليها أُزدمير باشا.

وأُزدمير Ozdemir كان فارساً من المماليك، ثم انضم كغيره من المماليك للعثمانيين بعد فتح السلطان سليم لمصر، واشترك في حملة سليمان باشا الخادم والي مصر على الهند سنة ١٥٣٨م، وبعد العودة منها، كلفه سليمان باشا الخادم باستكشاف المناطق الواقعة بين النيل والبحر الأحمر، في جنوب مصر، فأبحر أُزدمير في شتاء سنة ١٥٣٩م، على رأس قوة عسكرية، من السويس إلى القُصير، ثم سار بالقوة التي معه في اتجاه النيل، واستكشف المناطق والطرق التي بين النيل والبحر الأحمر، وكان أول من يصل إليها باسم الدولة العثمانية، وتمكن من إدخال عدة مدن فيها تحت سلطة والي مصر سليمان باشا الخادم(١).

وفي سنة ١٥٤٧م، عمت الفوضى اليمن، بعد تمرد إمام الزيدية شرف الدين على الحكم العثماني، واندلاع المواجهة بينه وبين والي اليمن العثماني أويس باشا، وهو ابن السلطان سليم الأول من جارية ملك يمين، ثم اغتيل أويس باشا، واستولى شرف الدين على تعز وصنعاء، وتمكن حسن بهلوان Hasan Pehlivan، أحد أتباع شرف الدين، من الاستيلاء على زبيد، قاعدة الحكم العثماني في اليمن.

وإبان الفوضى الناشبة في اليمن، زحف علي الطَولقي Ali Al Tawlaki، أحد رؤساء القبائل، من داخل اليمن على عدن، واستولى عليها، ثم أرسل مبعوثاً إلى هرمز، يعرض على البرتغاليين أن يعيد ميناء عدن إلى سيطرتهم في مقابل أن يساعدوه على الاحتفاظ بها في مواجهة العثمانيين، فقدِم إليه بيو دا نُورونها Paio da Noronha، في أسطول صغير، فاستولى البرتغاليون على عدن مرة أخرى.

وكان السلطان سليمان القانوني يولي اهتماماً كبيراً لليمن، لإشرافها على بحر العرب وخليج عدن ومضيق البحر الأحر ومدخله، ومن ثَم تحكمها في طرق التجارة والحج، فأمر الديوان الهمايوني والي مصر داوود باشا، أن يضبط الأمور في اليمن، فكلف أُزدمير باشا بذلك.

---

1) The Ottoman Age Of Exploration, P90.

وتمكن أُزدمير من إخماد ثورة الزيدية، واستعاد زبيد، واستولى على تعز وصنعاء من الإمام شرف الدين، ونقل عاصمة الحكم العثماني من زبيد إلى صنعاء، وفي سنة ١٥٤٨م صار والياً على اليمن، فتمكن خلال ولايته التي استمرت خمس سنوات من إخضاع كامل اليمن للحكم العثماني، وأنشأ ترسانة لصناعة السفن في ميناء المخا، وفي سنة ١٥٥٢م، وقَّع الإمام المطهر، الذي خلف شرف الدين على الزيدية، اتفاقية مع أُزدمير باشا، أقر فيها بتبعيته للسلطان العثماني(١).

وبعد انتهاء ولاية أُزدمير باشا على اليمن، انطلق إلى اسطنبول، والتقاه السلطان سليمان القانوني، فعرض عليه خطته لاستكمال السيطرة على البحر الأحمر وتأمينه، بإخضاع الموانئ التي على سواحله الإفريقية، فوافق السلطان وكلف الديوان الهمايوني والي مصر بتقديم كافة التسهيلات لأُزدمير باشا، وإمداده بالقوات التي يريدها لشن حملته.

وفي سنة ١٥٥٥م أبحر أُزدمير باشا بقواته في النيل، حتى وصل إلى النوبة، ولم يتمكن من إكمال طريقه براً إلى الحبشة بسبب وعورة الطرق، فرجع إلى القاهرة، ثم أبحر مرة أخرى بحراً من السويس، حتى وصل أمام ميناء سواكن على شاطئ البحر الأحمر في السودان، وتمكن من أخذها بقواته، ثم أبحر منها إلى ميناء مصوع في الحبشة، فوصلها وأخذها في أواخر سنة ١٥٥٦م، ومنها اتجه إلى ميناء حرقيقو Arkiko، في الحبشة أيضاً، فاستولى عليها وعلى جزيرة دهلك القريبة منها، ومع نهاية سنة ١٥٥٧م كانت مملكة الحبشة قد فقدت السواحل الغربية للبحر الأحمر، السواحل الإفريقية، وصارت جميعها تحت السيادة العثمانية، وأُنشأت ترسانة جديدة لصناعة السفن في سواكن.

ثم انتقل أُزدمير باشا من سواحل البحر الأحمر إلى داخل مملكة الحبشة، وبعد عدة مواجهات مع ملكها جلاوديوز، استولى أُزدمير باشا، سنة ١٥٥٨م، على إقليم تيجراي Tigray شمال شرق الحبشة، وأسقط قلاع الحبشة في إبريم ودر وساي، ثم استولى على أمنع قلاعها في مدينة دبراوا Debarva، وحولها إلى قاعدة للقوات العثمانية، ومركز لحكمها، ووصل بفتوحاته إلى الشلالات في أعالي النيل، فصار النيل بضفتيه تحت السيادة العثمانية، ثم ضم مناطق تقطنها قبائل بوجا الوثنية في السودان، وأقام حاميات عثمانية في المناطق التي فتحها.

---

1) The Ottoman Age Of Exploration, P92.

وصارت المناطق التي فتحها أُزدمير باشا تابعة لإيالة/ولاية مصر، ولكن بسبب بعدها عن القاهرة، ووعورة الطرق البرية إليها، حولها الديوان الهمايوني إلى إيالة مستقلة، باسم إيالة الحبشة، وأصبح فاتحها أُزدمير باشا أول الولاة عليها.

وفي سنة ١٨٦٠م توفي أُزدمير باشا فاتح إيالة الحبشة وواليها، وخلفه مصطفى باشا.

وفي سنة ١٥٨٠م، هاجمت مملكة الحبشة إقليم تيجراي، وتمكنت من الاستيلاء على قلعة دبراوا الحصينة، وبدأت في مهاجمة سواكن ومصوع وحرقيقو، فأرسل سنان باشا والي مصر، خضر رئيس وبيرم بك، في حملة من سبعة آلاف جندي، فاستعادت في السنة التالية بعد سلسلة من الانتصارات على جيش الحبشة قلعة دبراوا، ثم أرسل سنان باشا الإمدادات اللازمة لتشييد سبعة حصون على الساحل الإفريقي، من سواكن إلى مصوع[1].

وقد ترتب على فتوحات أُزدمير باشا نتيجتان، الأولى هي إضعاف مملكة الحبشة، ونزع أنيابها ومخالبها، وفصل ما تبقى منها عن البحر الأحمر، وعزلها عن البحار مطلقاً، ومن ثَم قطع خطوط الاتصال بينها وبين الأساطيل والسفن البرتغالية.

والنتيجة الثانية، أنه بعد اكتمال سيطرة الدولة العثمانية على موانى البحر الأحمر الإفريقية، خصوصاً سواكن ومصوع، ومرابطة أسطول عثماني بصورة دائمة في خليج عدن، كما يقول دكتور عبد العزيز الشناوي، أستاذ التاريخ الحديث في جامعة القاهرة، في كتابه: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها:

"أصبح البحر الأحمر بحيرة عثمانية تقريباً، فمصر والحجاز واليمن تطل على أجزاء طويلة من ساحليه الشرقي والغربي، وقد تدعم الطابع الإسلامي العثماني للبحر الأحمر حين فتح السلطان سليمان المُشرع/القانوني كلاً من مصوع وسواكن، عام ١٥٥٧م ... وأضفت الدولة العثمانية الأمن والأمان على البحر الأحمر، وجعلته بحراً إسلامياً مغلقاً في وجه السفن البرتغالية، ثم عممت هذا المبدأ على جميع السفن المسيحية، فحرمت عليها الإبحار في مياه البحر الأحمر شمال ثغر المخا في اليمن، فكان على هذه السفن أن تفرغ شحناتها في هذا

---

1) The Ottoman Age Of Exploration, P157.

الميناء، ثم يُعاد شحنها على سفن إسلامية، يعمل عليها قباطنة وبحارة مسلمون، وتمخر عباب البحر الأحمر وتتردد على ثغوره حتى السويس شمالاً، وكانت حجة الدولة أو ذريعتها في هذا المنع أن أهم الأماكن الإسلامية المقدسة في العالم على الإطلاق تقع في الحجاز، وتطل سواحل هذا الإقليم على مياه البحر الأحمر، فيجب أن تكون الملاحة فيه مقصورة على السفن الإسلامية"(١).

في الهند وأرخبيل الملايو:

في سنة ١٥٣١م، شن نونو دا كونها Nuno da Cunha، حاكم الهند ونائب ملك البرتغال فيها، حملة ضخمة للاستيلاء على ميناء ديو في خليج كامبايا، شمال ساحل مالابار، في الهند، وكان أسطوله يتكون من ٤٠٠ سفينة، على متنها ٣,٦٠٠ من الجنود، و ١٤٦٠ من البحارة، جميعهم برتغاليون، و ٢٠٠٠ من الجنود الذين أخذهم من مدن ساحل مالابار الخاضعة له، و ٥٠٠٠ من بحارتها، و ٨٠٠٠ من العبيد.

وفي طريقه إلى ديو، رسا الأسطول البرتغالي أمام جزيرة بيت Bete، على بعد ثمانية فراسخ/٤٠ كيلومتراً من ديو، وأرسل إلى حاكمها المغربي/المسلم، يطلب منه الموافقة على إنشاء حصن برتغالي بها، فرفض وتأهب بقواته للدفاع عن الجزيرة، فأطلق دا كونها مدافعه عليها، وفي يوم ٨ فبراير ١٥٣١م نزل إلى ميناء الجزيرة واقتحمها، واستولى عليها بعد معركة استشهد فيها حاكم الجزيرة وثمانمائة من جنوده، وقُتل بضع عشرات من البرتغاليين، منهم إيتور دا سيلفيرا، أحد قادة الأسطول(٢).

واتجه الأسطول البرتغالي إلى مدينة ديو، التي تقع على جزيرة صخرية، فوصلها يوم ١٦ فبراير، وضرب حصاراً حولها، وبدأ في قصف بالمدافع ليلاً ونهاراً، حتى كادت المدافع أن تنفجر Began To Burst، دون أن يتمكن من النزول إلى مينائها أو اقتحامها، واضطر دا كونها إلى رفع الحصار عن ديو، ورحل بجُل الأسطول إلى جوا، تاركاً أنتونيو دي سالدانها Antonio de Saldanha، في ستين سفينة للمرابطة خارج خليج كامبايا.

---

١) دكتور عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ج١، ص٣٠-٣١، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٠م.

2) The Portuguese In India, Vol.I, P400-401.

ويفسر المؤرخ الإنجليزي فريدريك تشارلز دانفرز، هزيمة البرتغاليين وفشلهم في الاستيلاء على ديو، في عبارة مقتضبة، بأن:

"**المغربي مصطفى Moor Mustapha تمكن من دخول ديو أثناء المعركة في جزيرة بيت**"[1].

فإليك من يكون المغربي مصطفى، الذي رد البرتغاليين عن ديو، والتفاصيل التي أسقطها دانفرز.

يقول المؤرخ التركي يلماز أوزتونا إن:

"**سلطان كوجرات، بهادور شاه، اجتمع بالأميرالين مصطفى بك وصفر رئيس، في جامبانير، وكان على رأس أسطول كوجرات الذي يقوده العثمانيون في ديو مالك دوغان، ابن ملك إياز الذي جاء من تركيا ... ودافع عن ديو ملك دوغان ومصطفى بك وصفر رئيس، وبعد أن ضعضعت المدافع البرية التركية الأسطول البرتغالي، أبحر الأسطول التركي وابتعد عن الساحل، وأغرق ٤٠ سفينة للعدو، واستولى على ٢٠ سفينة، وقُتل ١٥٠٠ برتغالي، وآلاف الهندوس ممن يخدمونهم، وأصبح مصطفى بك والياً على سورات وأميرالاً على خليج كامبايا**"[2].

وكانت هذه أول هزيمة حقيقية وثقيلة تنزلها دولة مسلمة بالأساطيل البرتغالية في الشرق.

وفي سنة ١٥٣٤م، وبعد أن غزا سلطان المغول ناصر الدين محمد هُمايون سلطنة كوجرات، واستولى على بعض الأقاليم في أطرافها، أرسل سلطان كوجرات بهادُور شاه رسالة إلى ألفونسو دي سوزا Affonso de Sousa، أدميرال الأسطول البرتغالي في بحر الهند، يطلب مساعدة البرتغاليين في مواجهة سلطنة المغول، فوافق حاكم الهند ونائب الملك نونو دا كُونها، بشرط أن يتنازل بهادور شاه عن مدينة باسين Bassein، في ساحل مالابار، لتكون تابعة لملك البرتغال

---

1) The Portuguese In India, Vol.I, P402.

٢) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٢٦.

إلى الأبد، وأن يوافق على أن يقيموا حصناً في مدينة ديو الحصينة في خليج كامبايا، التي فشلت جميع محاولاتهم السابقة للاستيلاء عليها، وأن تكون جمارك ديو للبرتغاليين، فوافق بهادور شاه[1].

وبعد أن انتهت المواجهة بين بهادور شاه وسلطان المغول هُمايون، واصطلحا على إعادة هُمايون الأقاليم التي استولى عليها، بدأ بهادور شاه في التراجع عن السماح للبرتغاليين بالبقاء في ديو، وإتمام الحصن الذي بدأوا في إنشائه، وطلب من نونو دا كُونها إجراء مفاوضات حول انسحابهم من ديو.

ولما أحس بهادور شاه أنه فقد ديو، وأن البرتغاليين لن يعيدوها إليه مرة أخرى، أرسل مبعوثاً إلى السلطان سليمان القانوني، يطلب مساعدته في رد البرتغاليين عن ديو، فوافق السلطان سليمان القانوني على شن حملة على الهند، وجعل على قيادتها سليمان باشا الخادم، والي مصر، وكان لسليمان باشا مهمتان:

"الأولى إنهاء مظالم البرتغاليين التي استهدفت مسلمي الهند ... والمهمة الثانية لسليمان باشا هي إعادة فتح طرق تجارة الهند أمام البحارة المسلمين وطرق المرور للعثمانية، ولمصر كقطر عثماني"[٢].

وفي يوم ٣ رمضان ٩٤٣هـ/ فبراير ١٥٣٧م، ذهب بهادور شاه في سفينة من جامبانير إلى ديو بدعوة من نونو دا كُونها لاستكمال التفاوض، ولكن دا كُونها أرسل إلى بهادور شاه أنه مريض ولا يستطيع النزول إلى الشاطئ حيث المكان المتفق عليه للتفاوض، وطلب أن يكون اللقاء في حصن ديو، فهبط بهادور شاه في قارب إلى الشاطيء مع حارسه رومي خان، وذهب في صحبة الضباط والجنود البرتغاليين إلى الحصن، فوجد دا كُونها صحيحاً ولا تبدو عليه علامات المرض، فارتاب بهادور شاه في الأمر، وطلب العودة إلى قاربه وتأجيل التفاوض، وبعد أن وصل إلى قاربه:

"قصفت السفن البرتغالية القارب، فألقى السلطان بهادور ورومي خان Rumi Khan بأنفسها في الماء، والتقط البحارة البرتغاليون رومي خان، بينما غرق السلطان في الأمواج"[1].

---

1) The Portuguese In India, Vol.I, P406.

٢) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٢٨.

وفي ٢٢ يونيو ١٥٣٨م، تحرك سليمان باشا الخادم، والي مصر، في أسطول من ست وسبعين سفينة، وعلى متنه تسعة آلاف من الرجال، منهم ألفان من الجنود، ومدافع كبيرة، فوصل أمام عدن في يوم ٢٧ يوليو، فاقتحمها، وكان حاكمها عامر بن داوود قد تركها وفر منها، فاعتقله سليمان باشا وأعدمه بتهمة عدم إطاعة الخليفة وتقديم التسهيلات للبرتغاليين، وعين بهرام بك حاكماً لعدن، وترك معه حامية من خمسمائة جندي وعشرين مدفعاً كبيراً[٢].

وعامر بن داوود هو حاكم عدن الذي وقع المعاهدة مع إيتور دي سيلفيرا سنة ١٥٣٠م، وأقر فيها بتبعيته لملك البرتغال.

وأبحر سليمان باشا الخادم بأسطوله إلى الهند، فأخذ قلعة جوكالا وقلعة كات من البرتغاليين بعد أن قتل منهم ألف جندي، ثم اتجه إلى ديو، فوصلها يوم ٤ سبتمبر ١٥٣٨م، وضرب حصاراً حولها، وبدأ في قصف الحصن البرتغالي بالمدافع، وكان قائده أنتونيو دي سيلفيرا، وتهدمت أجزاء من الحصن، ولكن سليمان باشا الخادم رفع الحصار عن ديو بعد عشرين يوماً، لأن محمود شاه سلطان كوجرات، الذي خلف بهادور شاه، تحالف مع البرتغاليين سراً، وامتنع عن إرسال الطعام والمستلزمات التي طلبها منه العثمانيون.

بل وأيضاً:

"قام محمود شاه بخدعة ضد العثمانيين، إذ أقدم على تمرير رسالة مزيفة عبر بعض الجواسيس إلى سليمان باشا، يتحدث فيها عن قدوم أسطول برتغالي يتكون من ثلاثمائة سفينة إلى ديو"[٣].

وفي طريق عودته من الهند:

"مكث سليمان باشا الخادم في مواني الشحر وعدن ومخا، بعد أن تجول في سواحل عُمان وحضرموت وأخضعها للعثمانية، وأرسل المدافع والبنادق إلى مسلمي أريتريا والصومال ضد

1) The Portuguese In India, Vol.I, P420.

٢) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٢٧.

٣) سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، ص٢٣٠-٢٣١.

البرتغاليين وحليفتهم مملكة الحبشة، وعَين مصطفى بك والياً على إيالة/ولاية اليمن، على أن يكون المركز في زبيد، وترك له مائة مدفع كبير، وكانت إدارة اليمن حتى ذلك الحين سنجق/لواء، وأعلن الإمام الزيدي الموجود في الأقسام الداخلية خضوعه"[١].

ورغم أن حملة سليمان باشا الخادم على الهند التي استغرقت سنة كاملة، لم تتمكن من فتح ديو، فقد أقر الديوان الهمايوني بأغلبية الأصوات، عند مناقشته للتقرير التفصيلي الذي قدمه سليمان باشا، بأن الحملة كانت ناجحة، وحققت نتائج مهمة، لأنها:

"سيطرت على قواعد مهمة في اليمن، مثل عدن وزبيد، ومكنتهم من بسط سيطرتهم على الطرق التجارية المارة في جنوب غرب آسيا، وانتزاع هذه السيطرة من أيدي البرتغاليين ... وتم توسيع شبكة الاستخبارات العثمانية في الهند بعد حملة سليمان باشا"[٢].

وفي سنة ١٥٤٥م، وصلت تقارير إلى خواو دي كاسترو João de Castro، حاكم الهند ونائب ملك البرتغال، أن السفن التجارية العثمانية بدأت تظهر في المراكز التجارية البعيدة، في البنجال شمال شرق الهند، وفي مملكة بيجو Pegu في بورما[٣].

وفي أبريل سنة ١٥٤٦م، حاصر أسطول عثماني بقيادة صفر رئيس، وكان سليمان باشا الخادم قد تركه ليعاون ملك كامبايا، بالاشتراك مع أسطول أحمد شاه سلطان كوجرات، وأسطول زامورين ملك كاليكوت، حاصروا ديو، واستمر الحصار وقصف الحصن البرتغالي سبعة أشهر، دون ان يتمكنوا من إسقاطه، ثم وصل أسطول برتغالي كبير، من تسعين سفينة، بقيادة خواو دي كاسترو إلى ديو، واستشهد صفر رئيس، فرُفع الحصار[٤].

وإبان وجوده في الهند، أرسل سليمان باشا الخادم أسطولاً من أربع سفن، بقيادة حمد خان Hamad Khan، إلى علاء الدين شاه، سلطان أتشيه في جزيرة سومطرة، وكان أبوه السلطان علي شاه قد تمكن من توحيد مدن سومطرة، وأخرج البرتغاليين منها، وصارت السلطنة في

---

١) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٢٩ .

٢) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٣٠.

3) The Ottoman Age Of Exploration, P74.

4)The Portuguese In India, Vol.I, P472.

مواجهات دائمة معهم، وفي يونيو سنة ١٥٣٩م تم توقيع اتفاقية، بين السلطان علاء الدين وحمد خان، نائباً عن سليمان باشا الخادم، مضمونها:

"تقديم المساعدة والقوات اللازمة للسلطان علاء الدين، لكي يتمكن من حرية العبور في مضيق ملقا والسيطرة عليه، وتأسيس خط تجاري بين سلطنة أتشيه Aceh وموانئ البحر الأحمر العثمانية، فصارت تصل إلى جدة كل سنة ثماني سفن محملة بالتوابل عبر هذا الطريق، وفي الوقت نفسه تم الاتفاق بين سلطان أتشيه ومبعوث سليمان الخادم وبين بات ماراكار Pate Marakkar، قائد المسلمين في مابيلا Mappila، جنوب الهند، وكان في حوزته أسطول من خمسين سفينة صغيرة وآلاف الرجال، ليقوم بمهاجمة السفن البرتغالية في بحر سيلان"[١].

وفي سنة ١٥٦٤م أرسل سلطان أتشيه علي بن علاء الدين سفارة ورسالة إلى خليفة الإسلام السلطان سليمان القانوني، يطلب فيها إمداده بسفن ومدافع، لمواجهة البرتغاليين في ملقا، فأرسل إليه الصدر الأعظم صُقُللو محمد عشرة مدافع كبيرة مع أطقمها وخبراء لتدريب جنود أتشيه على استخدامها، وأرسل السلطان سليمان القانوني معهم:

"مبعوثاً خاصاً لا يُعرف عنه سوى أنه مبعوث جلالته لطفي His Majesty's Servant Lutfi، وكانت مهمته استخبارية، وهي أن يقيم في أتشيه، ويقوم بجمع معلومات عن القوات البرتغالية، وعن تجمعات المسلمين في شواطئ المحيط الهندي، ويقوم بتحريضهم على الثورة ضد الحكم البرتغالي"[٢].

وفي الوقت نفسه أرسل السلطان سليمان القانوني رسالة غاضبة إلى ملك البرتغال سباستياو الأول Sebastião I، وكانت المفاوضات دائرة بين الدولة العثمانية والبرتغال، طوال السنوات السابقة، بطلب من البرتغال، من أجل توقيع اتفاقية سلام في المحيط الهندي، وفي رسالته يقول السلطان سليمان القانوني لملك البرتغال:

---

1) The Ottoman Age Of Exploration, P58.
2) The Ottoman Age Of Exploration, P123.

"إذا كنت ترغب حقاً في جلب الأمن والسلام إلى هذه البلاد، فيجب عليك بمجرد أن يصلك هذا الفرمان السلطاني Imperial Ferman أن توقف جميع الهجمات على الحجاج والتجار المسلمين في الهند، وأن ترسل رسالة مع مبعوث موثوق فيه للاتفاق على الترتيبات في هذه المنطقة، وإذا لم يحدث هذا، فبعون الله الرحيم سوف نفعل كل ما هو ضروري لاستعادة الأمن والنظام في هذه الأقاليم، وحينئذ لا مجال للكلام عن اتفاقية سلام"(١).

وواكب وصول المبعوث السلطاني لطفي إلى الهند، وإرسال السلطان رسالته إلى ملك البرتغال:

"تسارع الأحداث في الهند، فانفجرت التجمعات المسلمة في حرب مفتوحة ضد قوات البرتغال وحلفائها، فاتحد سلطان باجابور عادل شاه مع نظام الملك، سلطان أحمد ناجار، في هضبة الدكن وسط الهند، وتمكنا من اكتساح مملكة فيجاياناجارا Vijayanagara الهندوسية الموالية للبرتغال، وفي جنوب الهند حاصر الراجا علي، قائد مسلمي مابيلا، الحصن البرتغالي في كانانور، وفي الوقت نفسه قام ابن عمه كوتي موسى Kutti Musa، بتكوين أسطول صغير، وبدأ في مهاجمة السفن البرتغالية في سواحل مالابار"(٢).

وبعد عامين في الهند وأتشيه عاد المبعوث السلطاني لطفي إلى اسطنبول وقدم تقريراً إلى الصدر الأعظم صُقُللو محمد Sokollu Mohamed، وكان السلطان سليمان القانوني على رأس حملة يحاصر فيها مدينة تسيجتفار/سيكتوار Szigetvár، في المجر، وفي تقرير لطفي أن:

"سلطان أتشيه علي علاء الدين أرسل معي سفيراً ورسالة يقول فيها إنه يرغب بشدة في أن تكون سلطنته تابعة للدولة العثمانية، وأن يحكمها باسم جلالة السلطان، ملاذ العالم Refuge of The World، وظل الله في الأرض، مثل حكام مصر واليمن، وبكوات جدة وعدن، وهذه أيضاً هي رغبة سلطان كوجرات، والمسلمون في كل مكان من المحيط الهندي يتطلعون إلى السلطان على أنه سلطانهم وحاميهم، ورغم أن المسلمين في سيلان وكاليكوت يعيشون تحت حكم سلاطين غير مسلمين، فإنهم صاروا يبنون المساجد مطمئنين، ويفتتحون الخطبة باسم

---

1) The Ottoman Age Of Exploration, P125.
2) The Ottoman Age Of Exploration, P125.

السلطان المعظم، ويدعون له بطول عمره ودوام ملكه، ولما علم سلطان كاليكوت وسلطان سيلان بوجودي أرسلا مبعوثيهما برسائل الترحيب بالسلطان والرغبة في خدمة جلالته"[1].

وفي سنة ١٥٦٧م، في عهد السلطان سليم الثاني، الذي خلف أباه السلطان سليمان القانوني الذي توفي سنة ١٥٦٦م غازياً، وهو يحاصر مدين سيكتوار، وتلبية لسفارة سلطان أتشيه ورسالته:

"أمر الصدر الأعظم صُقُللو محمد بتجهيز أسطول في السويس، خصيصاً من أجل سلطنة أتشيه في سومطرة، فتم تجهيز أسطول من خمس عشرة سفينة حربية، وسفينتي نقل، وتم تزويده بمدافع كبيرة مع أطقمها، وقوات من الجنود حملة البنادق، وفرق من المهندسين والحدادين والنحاسين، وتم تكليف كورد أوغلو خضر Kurdoğlu Hizir، أدميرال أسطول الهند، بقيادة الحملة إلى أتشيه، وأن يكون معه مرشداً مبعوث السطان لطفي"[2].

وبعد أن تم تجهيز الأسطول، عمت الفوضى اليمن مرة أخرى في أواخر سنة ١٥٦٧م، بعد أن اندلعت ثورة زيدية، بقيادة الإمام المطهر، وتمكن من الاستيلاء على صنعاء وتعز وعدن، وأرسل إلى البرتغاليين يعرض التعاون معهم، فتم تكليف والي مصر سنان باشا، بتسيير حملة إلى اليمن، فتغيرت خطة الحملة على أتشيه، وأبحر أسطول خضر رئيس إلى اليمن، واشترك في إخماد ثورة الزيدية واستعادة اليمن.

وفي منتصف سنة ١٥٦٨م، أبحر أسطول خضر رئيس من اليمن إلى أتشيه، على أن يعود مرة أخرى إلى اليمن ومصر محملاً بالتوابل، وترك تحت إمرة سلطان أتشيه علي علاء الدين سفينتين حربيتين، ومدافع كبيرة، وخمسمائة من الجنود العثمانيين.

وما أن وصلت السفينتان الحربيتان والمدافع والجنود إلى أتشيه في سومطرة حتى:

"استخدم سلطان أتشيه السفن والمدافع في حصار الحصن البرتغالي في ملقا، وبدأت موجة جديدة من الهجمات على البرتغاليين في كل مكان من المحيط الهندي، وفي المالديف قام كوتي موسى من كاليكوت بإخراج ملكها المسيحي الذي نصَّبه البرتغاليون، وتمكن من السيطرة على

---

1) The Ottoman Age Of Exploration, P128.
2) The Ottoman Age Of Exploration, P130.

الأرخبيل سنة ١٥٦٩م، وفي السنة التالية اتحد سطان باجابور عادل شاه مع نظام الملك سلطان أحمد ناجار مرة أخرى، وقاموا بمهاجمة الحصن البرتغالي في شول، ثم في جوا، واشتركت معهم في الحصار قوة عثمانية بمدافعها وبنادقها، وبمساعدة علي راجا، صهر كوتي موسى، تمكن زامورين ملك كاليكوت من حصار الحصن البرتغالي في شالي يام Chaliyam، وسواه بالأرض، سنة ١٥٧١م"(١).

وفي سنة ١٥٧٣، أعلنت الدولة العثمانية رسمياً أن سلطنة أتشيه ولاية عثمانية، وأن أي هجوم عليها، يُعد هجوماً على الدولة العثمانية، فانسحب الأسطول البرتغالي من البحار والممرات المائية حول جزيرة سومطرة.

وصارت السفن التجارية من أتشيه:

"تذهب إلى اسطنبول والقاهرة محملة بالتوابل، في مقابل المدافع والبنادق والذخيرة، وأقامت الدولة العثمانية وكلاء عنها للتجارة في مواني كاليكوت ودابول وكامبايا، وغيرها من مواني مالابار، مثل ما في أتشيه، دون حتى أخذ موافقة البرتغاليين Even Without Portuguese Approval"(٢).

وبخصوص تقرير مبعوث السلطان لطفي عن المسلمين في كاليكوت وسيلان:

"خصصت الدولة العثمانية مائة قطعة ذهبية، ترسل سنوياً إلى مسلمي كاليكوت وسيلان، من أجل بناء المساجد وعمارتها وإقامة الجُمع فيها باسم خليفة الأرض، وتمكن المسلمون في كاليكوت من إنشاء سبعة وعشرين مسجداً في مدنها الاثنتين والعشرين، بينما أقام المسلمون في سيلان أربعة عشر مسجداً"(٣).

---

1) The Ottoman Age Of Exploration, P133.
2) The Ottoman Age Of Exploration, P147.
3) The Ottoman Age Of Exploration, P148.

في الخليج:

في سنة ١٥٤٧م، أصبح محي الدين بيري رئيس أميرال أسطول الهند/ السويس، وقد اشتهر رئيس بيري بكتابه: كتاب البحرية، الذي أهداه للسلطان سليمان القانوني سنة٩٣٢هـ/١٥٢٦م، واشتهر أكثر بخريطته التي رسمها للعالم بيده، وألحقها بالكتاب، والتي يظهر فيها لأول مرة في تاريخ الخرائط المحيط الأطلنطي مع الشواطئ الشرقية الشمالية والوسطى للقارة الأمريكية المطلة عليه[١].

وكانت أولى حملات بيري رئيس لاستعادة عدن، التي تواطأ علي الطَولقي، إبان ثورة الزيدية والإمام المطهر، سنة ١٥٤٧م، مع البرتغاليين في هرمز، وسلمها لبيو دا نُورونها، فبعد اندلاع الثورة والفوضى في اليمن، كلف داوود باشا والي مصر أُزدمير باشا، بإخماد الثورة وضبط الأمور في داخل اليمن، وفي الوقت نفسه:

"أرسل أسطول السويس لاستعادة عدن من البرتغاليين، وتمكن بيري رئيس من طرد البرتغاليين منها واستعادة قلعتها في ٢٦ فبراير ١٥٤٨م"[٢].

وفي سنة ١٥٥٠م، أرسل نائب ملك البرتغال وحاكم الهند ألفونسو دا نُورونها أخاه أنطونيو دا نُورونها، في أسطول من تسع عشرة سفينة، وألف ومائتي جندي، لاستعادة القطيف والبصرة، فحاصر القطيف وقصف قلعتها بالمدافع ثمانية أيام، وأجبر حاميتها العثمانية على الاستسلام، وكانوا أربعمائة جندي، ثم تركها دون أن يحتل القلعة، واتجه إلى البصرة، ولكن وصلته أنباء تجهيز حاكم البصرة العثماني جيشاً كبيراً لمواجهته، فانسحب إلى القطيف ثم عاد إلى هرمز[٣].

وكان قوباد باشا حاكم البصرة قد أعد جيشاً من ألف وخمسمائة جندي، وأسطولاً صغيراً من السفن الحربية في رأس الخليج، مع وصول أنباء وصول الأسطول البرتغالي إلى القطيف.

---

١) سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، ص٣٣٥.

٢) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٣٣ .

3) The Portuguese In India, Vol.I, P497.

وبعد انسحاب الأسطول البرتغالي، صدرت الأوامر من الديوان الهمايوني في اسطنبول، إلى داوود باشا والي مصر، بتجهيز أسطول لشن حملة على المواقع البرتغالية في الخليج ومضيق هرمز.

وفي سنة ٩٥٩هـ/مايو ١٥٥٢م، أبحر أسطول الهند من السويس، بقيادة بيري رئيس، وكان يتكون من أربع وعشرين سفينة، وعلى متنه ثمانمائة وخمسون جندياً، فمر بجدة ومضيق البحر الأحمر/باب المندب وعدن، إلى أن وصل إلى مسقط في خليج عُمان، وكانت في حوزة البرتغاليين منذ سنة ١٥٠٧م:

"فضرب الحصار حولها من البحر، ثم نزل مع جنوده إلى الشاطئ وأقاموا معسكرات ونصَّبوا المدافع، وظلوا يقصفون الحصن البرتغالي ثمانية عشر يوماً، إلى أن تهدم الحصن واستسلم قائده خواو دي لشبوا João de Lisboa، فأسره بيري رئيس مع ستين من جنود الحامية، وكانوا تسعمائة"(١).

وبعد أن حرر بيري رئيس مسقط من البرتغاليين، أبحر إلى جزيرة قِشم، إحدى أكبر مراكز التجارة في الخليج، فأخذها، ومنها اتجه إلى هرمز، معقل البرتغاليين في الخليج، فوصلها يوم ١٩ سبتمبر ١٥٥٢م، وضرب الحصار حولها ستة عشر يوماً، قصف خلالها الحصن البرتغالي بالمدافع، دون أن يتمكن من النزول إلى شواطئها أو الاستيلاء عليها، فرفع عنها الحصار واتجه إلى البصرة، وكان الوصول إليها هو المهمة الرئيسية التي كُلف بها(٢).

وبينما رئيس بيري يتجه بأسطوله في الخليج شمالاً نحو البصرة، كان الأسطول البرتغالي القادم من الهند في طريقه إلى هرمز، يقوده ألفونسو دا نُورونها، نائب الملك وحاكم الهند بنفسه، بعد أن وصلته أنباء ظهور الأسطول العثماني في الخليج(٣).

ووصلت إلى بيري رئيس أنباء الأسطول البرتغالي، وحذره بعض الأدلاء من استحالة عبوره مضيق هرمز والخروج من الخليج إذا وصل إليه هذا الأسطول وأغلقه، وكانت أغلب سفن أسطول

---

1) The Portuguese In India, Vol.I, P498.

٢) سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، ص٣٣٧.

3) The Portuguese In India, Vol.I, P499.

بيري رئيس في حاجة إلى صيانه وإصلاح، بعد رحلته الطويلة من السويس إلى البصرة، والمعارك التي خاضها، فترك الأسطول والأسرى والغنائم التي جمعها في البصرة، بعد أن سلمها إلى واليها قوباد باشا، وأبحر في ثلاث سفن صغيرة جنوباً ليخرج من الخليج، وتحطمت إحدى السفن عند البحرين، ووصل بالسفينتين الأخريين إلى السويس(١).

وهاك خريطة بخط سير حملة بيري رئيس من السويس إلى البصرة



خريطة بخط سير حملة بيري رئيس من السويس إلى البصرة، سنة ١٥٥٢م.

وفي يوليو سنة ١٥٥٢م، تم إسناد قيادة أسطول الهند/السويس إلى مراد رئيس، وكان حاكم القطيف، فأبحر من البصرة في خمس عشرة سفينة من الأسطول الذي تركه بيري رئيس، يريد الوصول إلى السويس، وقرب مضيق هرمز التقاه الأسطول البرتغالي بقيادة دييجو دا نُورونها، واندلعت معركة عنيفة بين الأسطولين، استمرت طوال اليوم والليل، وكانت خسائر الطرفين فيها جسيمة، واستشهد من قادة الأسطول العثماني سلمان رئيس ورجب رئيس، وغرقت سفينة القيادة في الأسطول البرتغالي، فانسحب الأسطول العثماني ورجع إلى البصرة، وانسحب الأسطول

١) سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، ص٣٣٨.

البرتغالي وعاد إلى هرمز، وكانت هذه المواجهة بين الأسطولين في هرمز إحدى أعنف المواجهات وأكثرها دموية في تاريخ المواجهات البحرية العثمانية البرتغالية[١].

وفي شهر المحرم سنة ٩٦١هـ/ديسمبر ١٥٥٣م، كلف السلطان سليمان القانوني سيدي علي شلبي رئيس، بقيادة أسطول الهند، وإعادة الأسطول من البصرة إلى السويس، وكان سيدي علي شلبي إذ ذاك قائد الترسانة البحرية في اسطنبول ومستشار السلطان في الشؤون البحرية، وقبلها كان أحد قادة الأسطول العثماني في البحر المتوسط.

ووصل سيدي علي شلبي إلى البصرة براً، عن طريق الموصل وبغداد، فقام بإصلاح سفن الأسطول، وأرسل سفناً صغيرة لاستطلاع الخليج ومضيق هرمز، ثم أبحر في شهر شعبان٩٦١هـ/يوليو ١٥٥٤م من البصرة، وعند مضيق هرمز قابله أسطول برتغالي من خمس وعشرين سفينة، بقيادة فرناو دا نُورونها Fernão da Noronha، ابن حاكم الهند ونائب الملك ألفونسو دي نُورونها، يوم ٩ أغسطس ١٥٥٤م، فأطلق سيدي علي شلبي مدافعه عليه، فغرقت إحدى سفن الأسطول البرتغالي واختفى من أمام أسطول سيدي علي شلبي[٢].

وظن سيدي علي شلبي أن الأسطول البرتغالي قد انسحب نهائياً، فخرج من مضيق هرمز، وواصل الإبحار حتى وصل أمام مسقط، وكان فرناو دا نُورونها بعد غرق إحدى سفنه قد اتجه إلى هرمز، فتزود بالماء والمؤن، ثم أبحر هو الآخر ليلحق بأسطول سيدي علي شلبي في البحر المفتوح.

وفي رمضان ٩٦١هـ/٢٥ أغسطس ١٥٥٤م:

"التقى الأسطولان في خليج عُمان، واندلعت معركة عنيفة أخرى بينهما، خسر فيها فرناو دا نُورونها ست سفن من أسطوله، وخسر سيدي علي شلبي سبع سفن، فانسحب دا نُورونها إلى

---

1) The Portuguese In India, Vol.I, P500.

٢) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٣٥.

هرمز، وواصل سيدي علي شلبي إبحاره بإحدى عشرة سفينة متجهاً إلى بحر العرب والسويس"[1].

وفي بحر العرب قرب حضرموت واجهت سيدي علي شلبي عاصفة عنيفة، يسميها ربابنة المحيط الهندي طوفان الفيل، فأظلمت السماء ليلاً ونهاراً، وأمطرت مطراً شديداً، وهاج المحيط حتى صارت أمواجه مثل قمم الجبال، وامتلأ بالدوامات.

وقد وصف سيدي علي شلبي في مذكراته مياه المحيط الهندي والبحار الشرقية، وما واجهه فيها، وهو يقارنها بالبحر المتوسط والبحار الغربية، فيقول:

"مقارنة بالطقس المروع في البحار الشرقية، تبدو الأحوال المناخية في البحار الغربية مثل لعبة أطفال Child's Play، وتصبح الأمواج الشاهقة في البحر المتوسط مثل قطرة من الماء في أمواج المحيط الهندي"[2].

ومع هبوب العواصف وطوفان الفيل، غرقت ثلاث سفن، وألقى سيدي علي شلبي بالحمولة الثقيلة لبقية السفن في المحيط، ووجه سفنه وأشرعتها نحو الشرق مع اتجاه الرياح، فوصل إلى دامان Daman في كوجرات، شمال ساحل مالابار، يوم ٣٠ أغسطس ١٥٥٤م، وكان واليها ملك أسد عثمانياً، فأهدى إليه سيدي علي شلبي سفينتين بمدافعها، ثم اتجه إلى ميناء سورات، فترك لواليها العثماني أيضاً خداواند خان بقية سفنه بأطقمها ومدافعها، والتقاه سلطان كوجرات أحمد شاه الثاني، فشكره على هداياه، وأرسل معه رسالة إلى السلطان سليمان القانوني، يعلن فيها ولاءه للسلطان والدولة العثمانية، وأنه يحكم سلطنة كوجرات باسمها[3].

ومن سورات رحل سيدي علي شلبي براً مع خمسين من جنوده، إلى دلهي، فاستقبله شاه المغول تيمور أوغلو هُمايون بترحاب شديد واستضافه في بلاطه، وواصل رحلته من دلهي، فمر بالسند ومُلتان وخيبر وكابول، ثم بسمرقند وبخارى، ثم اتجه جنوباً ودخل فارس، وعبرها حتى دخل العراق ووصل إلى بغداد.

---

1) The Portuguese In India, Vol.I, P502.
2) The Ottoman Age Of Exploration, P101.

٣) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٣٥.

وفي شهر مايو ١٥٥٧م، وصل سيدي علي شلبي إلى اسطنبول، وكان السلطان سليمان القانوني في أدرنة، فاستدعاه إليها، وسلمه سيدي علي شلبي ثماني عشرة رسالة من سلاطين الدول وأمراء البلاد المسلمة التي مر بها، كلها تعلن ولاءها للسلطان.

وظل السلطان سليمان القانوني يستمع إلى رحلة سيدي علي شلبي وما رآه وواجهه فيها عدة أيام، ثم أمر بأن تُصرف له ولجنوده جميع الرواتب المتأخرة في السنوات السابقة، وأمره أن يدون رحلته وما شاهده فيها، فسجلها سيدي علي شلبي في الكتاب الذي ألفه وسماه: مرآة البلدان[١].

وقد تعطلت بعد ذلك الحملات العثمانية على الخليج، بسبب تجدد نزاعها وحملاتها على الدولة الصفوية في فارس المتاخمة للأناضول، وهي الحملات التي انتهت بانسحاب الشاه الصفوي طهماسب إلى جنوب غرب فارس، ونقل عاصمته إلى أصفهان، مدينة اليهود.

في سواحل إفريقيا:

في أواخر سنة ١٥٨٥م، أرسل حسن باشا والي اليمن مير علي بك قائد ميناء المُخا، في سفينتين حربيتين، إلى سواحل إفريقيا جنوب القرن الإفريقي، وكانت مهمته التواصل مع التجمعات المسلمة في كينيا وموزمبيق، واستكشاف أماكن تصلح لإقامة قاعدة عثمانية في شرق إفريقيا، من أجل كسر سيطرة البرتغال على سواحل إفريقيا، واحتكارهم للتجارة فيها.

وكان مير علي بك قائد الحملة العثمانية التي تمكنت من استعادة مسقط، سنة ١٥٨١م، وكان البرتغاليون قد استولوا عليها مرة أخرى، بعد سنة من فتحها الأول على يد بيري رئيس، سنة ١٥٥٢م.

وأبحر مير علي بك من ميناء المُخا في اليمن، وفي بداية رحلته ارتطمت إحدى سفينتيه بالصخور، فتركها وأكمل إبحاره في سفينة واحدة، ووصل في شهر يناير ١٥٨٦م إلى مُقديشيو:

"فاستقبله أهل مُقديشيو استقبال الأبطال A Hero's Welcome، وعندما علم أشرافها بمهمته، أقسموا على الولاء للسلطان/مراد الثالث، وجمعوا له طواعية أموالاً لتمويل حملته،

---

١) تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٣٦ .

وأرسلوا معه أدلاء ليرشدوه في رحلته إلى الجنوب، وما حدث في مُقديشيو تكرر بحذافيره في مواني براوة Brava، وجوجو Jugo، وباتي Pate، وقد أبدى المؤرخون الإسبان المعاصرون لمير علي إعجابهم به، وعجبهم من النجاح الذي حققه بسفينة واحدة"(١).

وكون مير علي أسطولاً من خمس عشرة سفينة صغيرة من المسلمين في مدن الساحل الإفريقي، وواصل الإبحار جنوباً، وكانت حصون البرتغال في مواني الساحل الإفريقي ضعيفة وحامياتها قليلة العدد، فقرر روي لوبيز سالداجو Ruy Lopes Salgado، قائد القوات البرتغالية في سواحل إفريقيا، عدم مواجهة مير علي، وتحصن في ماليندي الموالية للبرتغال منذ مر بها فاسكو دا جاما في رحلته الأولى، وترك السفن العابرة أمام السواحل بلا حماية، فكان أول ضحايا مير علي سفينة تجارية تتبع حاكم حصن ديو البرتغالي.

ثم حصل مير علي على جائزة أكبر:

"فاستولى بمساعدة أهل جزيرة لامو Lamu على سفينة حربية برتغالية، وأسر جنودها وقائدها الكابتن روك دي بريتو Roque de Brito، ثم استولى على سفينة أخرى تتبع حاكم شول البرتغالي، وفي نهاية شهر مارس كان مير علي قد كوَّن من لا شئ أسطولاً من أربع وعشرين سفينة"(٢).

وخلال شهر أبريل ١٥٨٦م أبحر مير علي بأسطوله بطول الساحل الإفريقي، وعقد تحالفات مع جميع المدن والمواني الواقعة عليه، ما عدا ماليندي، ووضع أسس حصن عثماني في مُمباسا، وبعد أن صار الساحل الإفريقي، من مقديشيو وجزيرة لامو شمالاً إلى مُمباسا وموزمبيق في الجنوب، تابعاً للحكم العثماني، عاد مير علي إلى المُخا في اليمن، ومعه مائة أسير برتغالي، وسفراء من مدن الساحل الإفريقي التي مر بها وعقد تحالفات معها، والأسطول الذي كونه محمل بالذهب والعاج وأنواع مختلفة من البضائع، تقدر قيمتها بخمسة عشر ألف كروزادوس ذهبية(٣).

---

1) The Ottoman Age Of Exploration, P165.
2) The Ottoman Age Of Exploration, P165-166.
3) The Ottoman Age Of Exploration, P166.

وبعد أن ترك مير علي سواحل إفريقيا، أرسل ملك ماليندي رسالة إلى دوارت دي منزيس Duarte de Meneses، حاكم الهند البرتغالي، يخبره بما حدث، وأنه يتوقع وصول أسطول عثماني كبير، فأرسل أفونسو دي ميلو Afonso de Melo، في شهر يناير ١٥٨٧م، في أسطول من ثماني عشرة سفينة وستمائة وخمسين جندياً، فهاجم جزيرة باتي وهدم بيوتها وقتل ملكها والعشرات من أهلها، ثم انتقل إلى مُمباسا، وأمر جنوده بنهبها، ثم أتته أنباء عن حركة الأسطول العثماني في البصرة، وأنه يتجه إلى قاعدة البرتغاليين في هرمز، فترك سواحل إفريقيا وعاد إلى هرمز[١].

وفي أواخر سنة ١٥٨٨م، وبتكليف من حسن باشا والي اليمن، عاد مير علي بك إلى الساحل الإفريقي، في أسطول من خمس سفن، إحداها التي استولى عليها من روك دي بريتو، فرسا أولاً في مُقديشيو، ثم اتجه إلى ماليندي، وكان قائد الحصن البرتغالي وحاكم الساحل الإفريقي ماتيوس منديس دي فاسكونسيلوز Mateus Mendes de Vasconcelos، قد علم من جواسيسه بوصول مير علي إلى الساحل، فما أن وصل أسطول مير علي حتى أطلق عليه مدافعه، فغادر علي بك ماليندي إلى مُمباسا.

وكان جواسيس البرتغال في سواحل اليمن، قد أرسلوا إلى حاكم الهند مانويل دي سوزا كوتينهو Manuel de Sousa Coutinho، في جوا، يخبرونه بخروج أسطول مير علي إلى سواحل إفريقيا، فأرسل كوتينهو أسطولاً من عشرين سفينة وتسعمائة جندي، بقيادة أخيه تومي دي سوزا كوتينهو Tomé de Sousa Coutinho، وفي ماليندي انضم إليه دي فاسكونسيلوز بثلاث سفن، ثم انطلقوا إلى مُمباسا، فوصلوا إليها في يوم ٥ مارس ١٥٨٩م.

وحاصر الأسطول البرتغالي ميناء مُمباسا، وبدأ في قصف المدينة وقصف الحصن الذي أقامه مير علي ويتحصن فيه بالمدافع، حتى تهدمت أجزاء منه، وفي يوم ٧ مارس نزل كوتينهو بجنوده إلى شاطئ مُمباسا، فقتلوا من وجدوهم من أهلها[٢].

---

1) The Ottoman Age Of Exploration, P172.
2) The Portuguese In India, Vol.II, P83.

وبينما كوتينهو يتأهب لاقتحام الحصن، ظهرت قبيلة زيمبا Zimba في الجانب الآخر من مُمباسا، ويقول المؤرخ جيانكارلو كاسالي، في كتابه: عصر الكشوف العثمانية، إن المصدر الأساسي لما حدث هو كتاب: إثيوبيا الشرقية Etiopia Oriental، للمؤرخ البرتغالي خواو دوس سانتوس João Dos Santos، وفيه أن:

"زيمبا قبائل وثنية من أكلة لحوم البشر Cannibalistic Ttribe، يبلغ عددها حوالي عشرين ألفاً، تحركت من داخل إفريقيا، ووصلت إلى مشارف مُمباسا قبل وصول الأسطول البرتغالي ببضعة أيام، ومع اهتمام مير علي بالشاطئ المواجه للحصن أهمل تحصين القناة الضحلة التي في داخل مُمباسا، ومع ظهور قبائل زيمبا لم يكن أمام مير علي سوى نقل سفينتين والجزء الأكبر من رجاله إلى الجهة الأخرى لمنعهم من عبور القناة والوصول إلى الحصن، وعندما وصل الأسطول البرتغالي إلى مُمباسا أطلق عليه مير علي مدافعه، ولكنه لم يصبه، بينما تمكن كوتينهو من إصابة الحصن، واستولى كوتينهو على سفن مير علي الموجودة في الميناء، ثم أرسل سفناً فدارت حول جزيرة مُمباسا حتى وصلت إلى مدخل القناة التي تفصل الجزيرة عن أراضي ممباسا الداخلية، فوجدوا العثمانيين مشغولين بزيمبا ويحاولون منعها من عبور القناة إلى الجزيرة، فحاصر البرتغاليون العثمانيين بينهم وبين زيمبا، فقتل رجال زيمبا مائة من العثمانيين، وأسر البرتغاليون سبعين آخرين، واختبأ مير علي مع بعض رجاله داخل الجزيرة بين أهل مُمباسا، وأرسل رئيس زيمبا رسولاً إلى كوتينهو يطلب منه أن يسمح له بعبور القناة لمواجهة العثمانيين وأهل مُمباسا، فوجدها كوتينهو فرصة سانحة للقضاء على العثمانيين دون تعريض رجاله للخطر، فسحب سفنه من القناة إلى الشاطئ، وهُرع أهالي مُمباسا إلى الشاطئ لكي يركبوا قواربهم الصغيرة ويبتعدوا بها، ثم ظهر مير علي على ظهر حصانه، ورجال زيمبا يلاحقونه، والسهام حوله كالمطر، فاتجه بأقصى سرعة إلى السفن البرتغالية"[1].

وهذه الرواية، التي تظهر فيها قبيلة زيمبا أكلة لحوم البشر، لم يذكرها المؤرخ الإنجليزي فريدريك تشارلز دانفرز في كتابه: البرتغاليون في الهند على الإطلاق، وأشار إليها المؤرخ التركي يلماز أوزتونا إشارة عابرة ودون تفاصيل، وأوردها المؤرخ الإيطالي الأمريكي جيانكارلو كاسالي

---

1) The Ottoman Age Of Exploration, P176

بتفاصيلها، ولكنه يشكك في صحتها، والشيء الوحيد المتفق عليه، أن الأسطول البرتغالي تمكن من أسر مير علي مع بعض رجاله، ثم أرسلهم إلى لشبونة.

ورغم هذه الهزيمة واختفاء مير علي بك، لم يتمكن البرتغاليون من السيطرة على مدن الساحل الإفريقي المسلمة، ما عدا ماليندي في كينيا، بسبب دعم ولاية الحبشة العثمانية التي تسيطر على إفريقيا في الداخل لهذه المدن، والتعليمات الآتية من الديوان السلطاني بتحريك قاعدة تمركز القوات العثمانية من دبراوا في الداخل إلى سواكن، لتكون قريبة من مدن الساحل، وأيضاً بسبب انشغال البرتغاليين في الهند بمواجهة شركة الهند الشرقية الهولندية ونظيرتها البريطانية، التي بدأت تظهر في الهند ومياه الشرق.

نتائج الحملات العثمانية:

ترتب على مواجهة الدولة العثمانية وأساطيلها للوجود البرتغالي في كل مكان من المحيط الهندي والبحار المتفرعة منه، زعزعة نفوذ البرتغال وهيمنة أساطيلها على بحار الشرق والسواحل المطلة عليه، وكسر احتكارها للتجارة في بلدانه، وفتح طرق الحج والتجارة أمام المسلمين، وازدهار طريق التجارة القديم عبر البحر الأحمر، وضربة قاصمة لطريق التجارة البرتغالي عبر رأس الرجاء الصالح، وحلول الدولة العثمانية محل البرتغال في السيطرة على تجارة الشرق والطرق العابرة بها.

وأول انجازات الدولة العثمانية وأهمها، غلق البحر الأحمر أمام أساطيل البرتغال، وأمام جميع السفن غير المسلمة، وتحويله إلى بحيرة مسلمة، وتأمين طريق الحج واحتكار التجارة العابرة فيه.

وفي رحلته التي عبر فيها البحر الأحمر سنة ١٥٧٠م، كان هذا هو وصف فليبو بيجافيتا Filippo Pigafetta، وهو رحالة من فينيسيا، لأوضاع التجارة في سواحل البحر الأحمر:

"والترسانة في السويس لا تقوم ببناء سفن حربية فقط، بل تقوم أيضاً ببناء سفن تجارية للسلطان الذي يحتكر التجارة في البحر الأحمر، ويُمنع منعاً باتاً Strictly Forbidden أن

يمتلك أحد سفناً أو يجعلها تبحر إلا بإذن من السلطان، وبعد دفع الرسوم المقررة لذلك، والتجارة عبر البحر الأحمر مقصورة على المسلمين فقط Restricted To Muslims"[١].

ورغم أن السفن التجارية التابعة لولاية مصر، وللدولة العثمانية كلها، وكذلك سفن الحجاج، التي تعبر البحر الأحمر وتستخدم موانيه، كانت معفية من الرسوم والجمارك، فقد:

"بلغت الجمارك التي تحصلها ولاية اليمن من السفن التجارية العابرة للبحر الأحمر، سنة ١٥٦١م، ٤,٥ مليون قطعة نقود ذهبية"[٢].

ومع احتكار التجارة وتأمينها في البحر الأحمر، أحيت الدولة العثمانية طريق التجارة البري، من مواني البحر المتوسط ، حلب وطرابلس لبنان والإسكندرية، إلى بغداد والبصرة في الخليج، وسمحت للتجارة الأوروبية وللتجار من مختلف الأمم والملل بالعبور من هذا الطريق، ما لم تكن في حرب مع الدولة العثمانية، فازدهرت المواني والمدن الواقعة على هذا الطريق، وصارت مراكز تجارة دولية، تعبر منها قوافل تجارة التوابل والحرير والخزف الآتية من الهند والصين وأرخبيل الملايو في طريقها إلى مواني أوروبا، وتم إنشاء محطات للبريد بين مواني البحر المتوسط والخليج، وحتى أعضاء الحكومة البرتغالية في الهند Portuguese Officials صاروا يستخدمون هذا الطريق في التواصل مع لشبونة وإرسال رسائلهم إليها[٣].

وبإحياء طريق التجارة من الهند إلى مواني البحر المتوسط، عبر البحر الأحمر والخليج، وانخفاض تكلفة النقل عبر هذا الطريق، قلت التجارة عبر طريق رأس الرجاء الصالح، الذي تسيطر عليه الأساطيل البرتغالية، ومع تحول حركة تجارة التوابل والحرير والخزف في غرب أوروبا إلى مواني البحر المتوسط العثمانية، ركدت أسواق التوابل في البرتغال.

وفي تقرير لبيريس، سفير البرتغال في الفاتيكان، كتبه سنة ١٥٦٠م، أن:

---

1) The Ottoman Age Of Exploration, P142

٢) سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، ص٣٩٨.

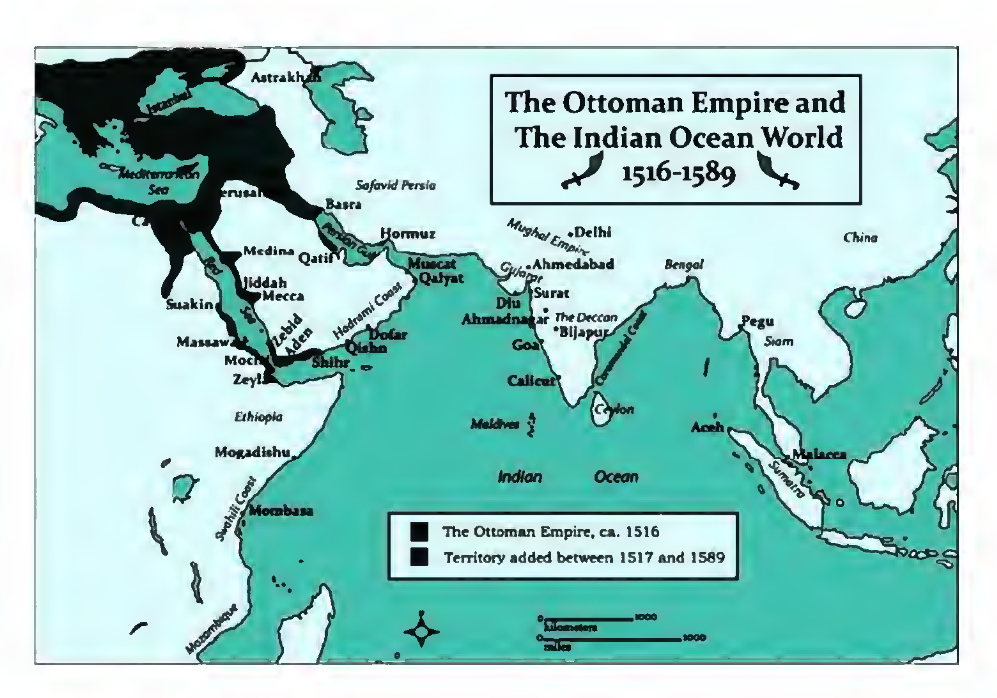
3) The Ottoman Age Of Exploration, P143.

"ميناء الإسكندرية يستقبل أربعين ألف قنطار من البهارات سنوياً، بينما لا يصل إلى لشبونة إلا كميات ضئيلة"(١).

ومع تقدم العثمانيين وخبراتهم في صناعة السلاح، صاروا المورد الرئيسي للمدافع والبنادق والذخائر إلى الممالك المسلمة في كل مكان من المحيط الهندي، وسيطروا في مقابل ذلك على تجارة المعادن في أسواقها المحلية Home Market، في شواطئ المحيط الهندي(٢).

وبعد فتوحات أُزدمير باشا في داخل إفريقيا، وإنشاء ولاية الحبشة، وسيادتها على ضفتي النيل، سيطرت الدولة العثمانية على تجارة الذهب والمعادن والمنتجات الزراعية في داخل إفريقيا، فصارت المَوْرد الرئيسي لولاية الحبشة، وجزءًا من موارد خزانة الدولة العثمانية.

وهاك خريطة بفتوحات الدولة العثمانية في الشرق، ومواقعها في شواطئ المحيط الهندي



خريطة بفتوحات الدولة العثمانية في الشرق، ومواقعها في شواطئ المحيط الهندي.

١) سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، ص٣٩٩.

2) The Ottoman Age Of Exploration, P146.

الأفعى الماسونية

شركة الهند الشرقية البريطانية في مياه الإسلام

شمال الخليج والشواطئ الفارسية

التسلل إلى الخليج:

علمتَ في الجزء الأول من الكتاب الذي بين يديك أن شركة الهند الشرقية البريطانية تكونت بأموال يهود المارانو المهاجرين من إسبانيا والبرتغال إلى انجلترا، وأن مؤسسيها ورؤساءها الأوائل كانوا منهم، أو من العاملين عندهم والمتحالفين معهم.

وعرفت أن ثمة تحالفاً بين الماسونية واليهود والتجارة في انجلترا، وهي مثل الأواني المستطرقة، يفضي كل منها للأخرى، وتجار لندن هم الذين أسسوا أول محفل ماسوني في لندن وجنوب انجلترا، وانتخبوا أستاذاً أعظم له اليهودي البروتستانتي توماس جريشام، وهو نفسه أحد كبار التجار في لندن، والمستشار الاقتصادي للملكة إليزابيث الأولى، ومؤسس أول بورصة في انجلترا، وهي سوق الأموال الملكية.

ثم علمتَ تفصيلاً أن شركة الهند الشرقية البريطانية، التي كونها تجار لندن، هي التي غزت الهند المسلمة واحتلتها، وليس مملكة بريطانيا، والشركة هي التي أدخلت الماسونية في الهند، ونشرت محافلها في كل مكان سيطرت عليه فيها، ورؤساء الشركة في الهند وقادة جيوشها كانوا جميعاً من الماسون.

والشركة تم حلها وسلمت الهند والتجارة في الشرق للتاج والحكومة البريطانية في منتصف القرن التاسع عشر، بعد أن صارت مملكة بريطانيا بروتستانتية، تسعى من تلقاء نفسها نحو غايات اليهود، لأن مجيء المسيح رهن بعودتهم إلى أرضهم المقدسة وإعادة الهيكل، وحكومتها واجهة للمؤسسات التجارية والبنوك وأصحابها من اليهود والماسون.

والأسرة الملكية البريطانية، وهي أسرة ساكس كوبرج جوتا، التي بدأ حكمها لبريطانيا مع الملكة فيكتوريا، سنة ١٨٣٧م، هي نفسها من اليهود الأخفياء، وورثت عن الأسر الملكية السابقة لها التحالف مع محفل انجلترا الأعظم.

وجاء أوان أن تعلم كيف ورث اليهود والماسون في غلاف شركة الهند الشرقية البريطانية، منظمة فرسان المسيح المغلقة بمملكة البرتغال، في التسلل من الهند إلى مياه الإسلام، والسيطرة على التجارة وطرقها في الشرق، من أجل تحقيق الهدف نفسه، ألا وهو استنزاف عالم الإسلام واختراقه، والاقتراب من أورشليم/القدس، ثم تسلمت الراية منها مملكة بريطانيا الماسونية، لتستكمل المشروع اليهودي، السائر عبر التاريخ، والساري في مشاريع التجارة في الشرق، وينتقل من أذهان إمبراطورية إلى أساطيل التي تليها، إلى جيوش التي بعدها، حتى وصل إلى ذروته واتجه نحو الاكتمال وبلوغ غايته مع إسقاط الدولة العثمانية وتفكيك بلاد الإسلام وتكوين بلاليص ستان لتكون محضناً لليهود ومشروعهم، ثم يأكلونها ويحلون محل بلاليصها.

وتسلل البريطان وشركة الهند الشرقية البريطانية إلى مياه الإسلام، واختراقهم لعالم الإسلام، كان من باب فارس والدولة الصفوية، والدولة الشيعية، والتحالف معها في مواجهة عموم عالم الإسلام، لاستنزافه بها، والتسلل من خلالها إلى قلبه، كما علمتَ من قبل، هو أحد أركان مشروع الغرب لاستعادة أورشليم اليهودية وهيكل بني إسرائيل في كل العصور، منذ البرتغال ومنظمة فرسان المسيح وألفونسو ألبوكيركه، وحتى الولايات المتحدة الماسونية.

في سنة ١٠٠٧هـ/١٥٩٨م، وإبان حملة الشاه الصفوي عباس الأول أو عباس الكبير على الأوزبك السنة، في خراسان، قدِمت إلى فارس بعثة بريطانية، من ستة وعشرين شخصاً، وبعضهم من الضباط والخبراء العسكريين، وكان يرأس البعثة السير أنتوني شيرلي وأخوه السير روبرت شيرلي، وهما أيضاً من العسكريين، وقد جاءت بتكليف من الجنرال روبرت ديفيرو Robert Devereux، إيرل اسكس Essex.

ويقول المؤرخ البريطاني، وعضو حكومة الانتداب البريطانية على العراق، أرنولد ويلسون Arnold Wilson، في كتابه: تاريخ الخليج الفارسي The Persian Gulf, Historical Sketch From The Earliest Times To The Begging of The Twentieth Century، إن الهدف الرئيسي من بعثة الأخوين شيرلي كان:

"إقناع الشاه بالتحالف مع القوى المسيحية في أوروبا في مواجهة الأتراك Against The Turkes، وفتح الطريق لإقامة علاقات تجارية مع انجلترا"[١].

وهنا نذكرك بأمرين، الأول أن تركيا إذ ذاك هي الدولة العثمانية الجامعة لجميع بلدان العالم السني وشعوبه، والقدس تقع في قلبها، والثاني هو ما ننبهك إليه طوال هذا الكتاب، وهو أن الهدف من التجارة ليس مجرد حيازة المال وكنز الثروات، بل هي، كما ترى، لا تنفصل عن السياسة والغايات العقائدية، وهي من وسائلها، ومن أدوات دفع التاريخ في اتجاه المشروع اليهودي.

وعاد الشاه عباس الكبير من خراسان، فوجد بعثة الأخوين شيرلي في انتظاره في قزوين، فاستقبلهم بحفاوة، ثم صحبهم إلى أصفهان عاصمة الدولة الصفوية، فمكثوا في ضيافته ستة أشهر، ويقول دكتور بديع جمعة ودكتور أحمد الخولي، في كتابهما: تاريخ الصفويين وحضارتهم، نقلاً عن المصادر الفارسية، إن:

"معظم أفراد البعثة كانوا من الجنود والخبراء العسكريين، وقد أمر الشاه عباس بالإفادة من خبرتهم في تدريب الجيش الإيراني[•]، وإعادة تنظيمه حسب التنظيمات الأوروبية الحديثة، كما أشرف بعضهم على إقامة مصانع للأسلحة النارية في أصفهان، وهذه المصانع هي التي أمدت الجيش الإيراني بالمدافع والبنادق التي مكنته من منازلة الجيش العثماني في أذربيجان بعد ذلك"[٢].

وإبان وجود بعثة شيرلي في فارس، أصدر الشاه عباس فرماناً نص فيه على أن:

"بلادنا والمناطق التابعة لنا ستصبح من اليوم مفتوحة أمام جميع الشعوب المسيحية، ولن يتعرض لهم أحد من رعايانا بالإساءة تحت أي ظرف، وللتجار المسيحيين الحق في التنقل

---

1) Arnold Wilson: The Persian Gulf, Historical Sketch From The Earliest Times To The Begging of The Twentieth Century, P129, Oxford, Clarendon Press, 1928.

•) اسم إيران عبر العصور والممالك التي حكمتها هو فارس، والتحول من فارس إلى إيران حدث في ٢١ مارس ١٩٣٥م، في عهد الشاه رضا بهلوي، الذي أطاح سنة ١٩٢١م بالأسرة القاجارية، التي كانت تحكم فارس منذ سنة ١٧٩٥م.

٢) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٤٠٥.

وممارسة التجارة في بلادنا والمناطق التابعة لنا، دون أن يعيقهم أحد من الأمراء أو الولاة أو حكام الأقاليم، وما يجلبونه من تجارة سوف يمنح امتيازات كبيرة Shall Be So Priviledged، وليس من سلطة أحد مهما كان منصبه أن يطلع عليها أو يفتشها أو يصادر شيئاً منها، ولن يتعرض لهم رجال الدين المسلمون بإزعاج من أي نوع، ولن يتكلموا معهم في الأمور الخاصة بالعقائد Matters of Faith، ولن يكون لقضائنا سلطة عليهم ولا على بضائعهم في أي قضية أو معاملة"[١].

وأرسل الشاه عباس الصفوي، في السنة نفسها، ١٠٠٧هـ/١٥٩٨م، أنتوني شيرلي وحسين علي بيك، في سفارة إلى انجلترا ودول أوروبا، لإبلاغها بمرسومه، وما يمنحه للتجار الأوروبيين من امتيازات كبيرة، بينما بقي روبرت شيرلي في فارس، وكلفه الشاه عباس بتدريب جيشه، ثم صار القائد الأعلى Master General لجيش الشاه، وقاده في حروبه ضد الدولة العثمانية[٢].

وأرسل الشاه عباس الصفوي مع أنتوني شيرلي تفويضاً بعقد اتفاقيات تجارية مع ملوك أوروبا، فسافر شيرلي عبر الأراضي الروسية، وكان بين الدولة الصفوية وروسيا حلف آخر في مواجهة الدولة العثمانية.

ولم ينجح أنتوني شيرلي في مهمته، وانقطعت أخباره عن الشاه عباس الصفوي، فأرسل الشاه عباس، سنة ١٠١٦هـ/١٦٠٧م، أخاه روبرت شيرلي في بعثة إلى ملك بريطانيا جيمس الأول، ومعه عرض بعقد اتفاقية بينهما يمنح فيها البريطان مزايا كبيرة، زيادة على تلك التي في المرسوم الذي أصدره لجميع التجار الأوروبيين، وكانت أهم بنود المعاهدة التي اقترحها الشاه:

"تقديم تسهيلات تجارية للرعايا البريطانيين، والسماح بإنشاء مركزين تجاريين بريطانيين في ميناءين من موانئ إيران/فارس المطلة على الخليج، والموافقة على إقامة مبعوثين سياسيين بريطانيين في هذين الميناءين، وقصر بيع الحرير الإيراني على التجار الإنجليز، كما يقصر

---

1) The Persian Gulf, Historical Sketch From The Earliest Times To The Begging of The Twentieth Century, P130-131.

2) The Persian Gulf, Historical Sketch From The Earliest Times To The Begging of The Twentieth Century, P131.

نقله على السفن الإنجليزية، لتنقله إلى أوروبا عن طريق رأس الرجاء الصالح، دون نقله عبر الأراضي العثمانية، وعقد معاهدة عسكرية مع ملك انجلترا"[١].

وأمر الملك جيمس الأول بتكوين لجنة لتقييم عرض الشاه عباس، من مديري شركة الهند الشرقية البريطانية، التي تكونت سنة ١٦٠٠م، وكان يملكها كبار التجار في لندن، فرفض تقرير شركة الهند الشرقية البريطانية عرض الشاه، رغم ما فيه من تسهيلات ومزايا تجارية كبيرة، وكانت ذريعتهم أن الطريق إلى فارس عبر رأس الرجاء الصالح طويل، وأن هذه المعاهدة ستؤثر على علاقاتهم بالدولة العثمانية التي تسمح لهم باستخدام موانيها على البحر المتوسط والعبور بتجارتهم في أراضيها[٢].

وفي سنة ١٠٣٢هـ/١٦٢٣م، وصل روبرت شيرلي إلى انجلترا مبعوثاً من الشاه عباس الصفوي مرة أخرى، وتمكن فعلاً من الاتفاق مع الملك جيمس الأول على معاهدة عسكرية من بندين، هما أن تقوم سفن بريطانيا في الخليج بمساعدة فارس ضد البرتغاليين المتواجدين في مواني الخليج، على أن تتحمل خزانة فارس تكاليف هذه السفن، وأن تتعهد فارس بتقديم خمسة وعشرين ألف جندي للعمل في هذه السفن، على أن يكونوا تحت إمرة الحكومة البريطانية.

وتوفي الملك جيمس الأول قبل توقيع المعاهدة، وخلفه الملك تشارلز الأول، فماطل في توقيعها بتحريض من شركة الهند الشرقية البريطانية، وقدِم سفير الشاه نقْد علي بيك إلى انجلترا، وبدلاً من تسهيل مهمة روبرت شيرلي وعقد المعاهدة، عرقل إتمامها، واتهم روبرت شيرلي بأنه لا يمثل الشاه، وينقل دكتور بديع محمد جمعة، عن المصادر الفارسية، أنه:

"وكان ذلك بتحريض من رجال شركة الهند الشرقية الإنجليزية ... وكان رؤساؤها ومندوبوها لا يستريحون لروبرت شيرلي، ولا يحبون التعامل معه، بل وحاولوا في كل مرة سافر فيها إلى انجلترا إفساد مهمته لدى البلاط البريطاني"[٣].

---

١) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٤٠٨.

2) The Persian Gulf, Historical Sketch From The Earliest Times To The Begging of The Twentieth Century, P132.

٣) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٤٠٩، ٤١١.

فإذا تساءلت: وما علاقة الشركة الإنجليزية بالمبعوث القادم من فارس، وما هي سلطتها عليه لكي تحرضه، فالإجابة قادمة إليك، إذ كانت الشركة إذ ذاك قد وصلت فعلاً إلى فارس، وصار لها فيها نفوذ هائل، بعد أن وقعت معها معاهدة تجارية، ودخلت معها حليفاً في حربها ضد البرتغال في هرمز، دون علم مملكة بريطانيا ولا استئذانها.

ونذكرك أولاً أنه في هذه المرحلة من تاريخ بريطانيا، كانت المملكة قد بدأت أولى خطواتها في التحول نحو الماسونية، والملك جيمس الأول هو أول ملك ماسوني يحكم بريطانيا، وقبل أن يحكم انجلترا واسكتلندا معاً، كان ملكاً على اسكتلندا باسم جيمس السادس، وإبان حكمه لاسكتلندا أشرف على إعادة تنظيم الماسونية الاسكتلندية ووضعها تحت رعايته.

وفي هذه المرحلة كان للتجار وأصحاب رؤوس الأموال من اليهود والماسون نفوذ هائل في بريطانيا، لكن لم تكن مملكة بريطانيا قد توحدت بعدُ بالماسونية وصارت مملكة ماسونية خالصة.

وما ذكرناك به، كان لكي لا تتساءل كيف كانت شركة الهند الشرقية البريطانية التي يمتلكها يهود المارانو والماسون تفسد العلاقة بين مملكة بريطانيا وفارس الصفوية، وتقطع الطريق على التحالف التجاري بينهما، بينما تسعى هي في الوقت نفسه لاختراق فارس، والسيطرة على التجارة فيها، والوصول من بابها إلى الخليج ومياه الإسلام، والاقتراب من قلبه.

في سنة ١٦١٤م، قدِم إلى المستوطنة التجارية التي أقامتها شركة الهند الشرقية البريطانية في سورات في الهند، تاجر بريطاني اسمه ريتشارد ستيل Richard Steele، وقد جاء عبر البحر إلى حلب، ومنها إلى فارس، ثم الهند.

ووجد ستيل الأقمشة الإنجليزية خصوصاً الصوف، راكدة في وكالة الشركة، بسبب قلة استخدامه في الهند، وزيادة المعروض عن الطلب، فنصح رئيس وكالة الشركة، توماس أُلدوُورث Thomas Aldworth، بتصريف الأقمشة في فارس، لأن جوها بارد، وأهلها رجالاً ونساءًا وأطفالاً يستخدمون هذه الأقمشة خمسة أشهر في السنة على الأقل، كما أن الشركة يمكن أن تشتري الحرير من فارس بنصف الثمن الذي تشتريه به من حلب.

وأرسل أُلدوورث وكيلاً للشركة، اسمه جون كروثر John Crowther، مع ستيل، إلى الشاه عباس الصفوي في أصفهان، للحصول على مرسوم يسمح للشركة بممارسة التجارة في فارس، ويضمن حسن التعامل مع تجارها وسفنها وبضائعها في موانئ فارس، وأرسل معهم خطابات توصية بهم إلى روبرت شيرلي[1].

وفي سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م، أصدر الشاه عباس الأول الصفوي فرماناً نص على:

"الترحيب بالتجار الإنجليز، والسماح للسفن الإنجليزية بالقدوم إلى الموانئ الإيرانية/الفارسية الجنوبية، لشراء الحرير الإيراني وبيع الصوف الإنجليزي، وأعطى المندوبين الإنجليز الحق في تفقد موانئ إيران المطلة على الخليج، واختيار واحد منها لترسو فيه السفن الإنجليزية، فوقع اختيارهما على ميناء جاسك الذي يبعد تسعين كيلومتراً عن جزيرة هرمز، لتكون سفنهم بعيدة عن تطاول القوات البرتغالية"[2].

وهكذا باءت محاولات الشاه عباس الصفوي لإقامة روابط تجارية مع ممالك أوروبا بالفشل، لتصير هذه الروابط وما يتبعها من امتيازات للأوروبيين في فارس حصراً على شركة الهند الشرقية البريطانية وتجارها.

وفي يناير سنة ١٦١٧م وصلت أول سفينة لشركة الهند الشرقية البريطانية محملة ببضائعها، وهي السفينة جيمس James، من مستوطنة الشركة في ميناء سورات في الهند إلى ميناء جاسك على الشاطئ الفارسي لخليج عُمان، وعلى متنها بعثة من وكلاء الشركة برئاسة إدوارد كنوك Edward Connock، فاستقبلها الشاه بترحاب ومنحها امتيازات أخرى، أهمها:

"الموافقة على إقامة وكالات أو مراكز تجارية للشركة في شيراز وأصفهان، والسماح لتجارها بالتنقل وممارسة التجارة في جميع مدن فارس، وليس في الموانئ الجنوبية فقط، والسماح لهم بحمل أسلحتهم للدفاع عن أنفسهم"[3].

---

1) The Persian Gulf, Historical Sketch From The Earliest Times To The Begging of The Twentieth Century, P136.

٢) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٤١٢-٤١٣.

٣) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٤١٤.

وفي سنة ١٦١٨م، طلب وكيل الشركة في فارس توماس باركر، الذي خلف كنوك بعد وفاته، من الشاه عباس الصفوي احتكار إنتاج الحرير في فارس كلها، فثار التجار الأرمن في أصفهان، فاضطر الشاه لعرض إنتاج فارس من الحرير في مزاد علني، وعرض التجار الأرمن سعراً كبيراً، إلا أن الشاه باع الحرير لشركة الهند الشرقية البريطانية بأقل من سعر الأرمن، لأنه كان يريد الاستعانة بها على طرد البرتغاليين من هرمز[١].

وكان الشاه عباس الصفوي قد كلف أمير ولاية فارس، الله وردي خان، بالهجوم على البحرين وإخراج البرتغاليين منها، بعد أن أرسل إليه حاكم البحرين الجديد من قِبل مملكة هرمز، ركن الدين مسعود، يطلب منه التحالف معه للتخلص من البرتغاليين الذين يتسلطون على البحرين.

وفي سنة ١٠١٠هـ/١٦٠١م، وجَّه الله وردي خان جيشاً، بقيادة معين الدين فالي، إلى البحرين، فتمكن من هزيمة البرتغاليين وإخراجهم منها.

وفي سنة ١٠٢٣هـ/١٦١٤م، تمكن والي فارس، إمام قولي خان، الذي خلف أباه الله وردي خان، من انتزاع ميناء جُمبرون من البرتغاليين، ويقع على الشاطئ الفارسي من الخليج، على بعد فرسخين/١٢ كيلومتراً من هرمز، وهو ميناء هرمز والقاعدة البحرية الرئيسية للبرتغاليين في الخليج، التي ترسو فيها سفن أسطولهم وتتحرك منه، ويسيطرون من خلالها على الحركة في الخليج.

وهدم إمام قولي خان قلعة البرتغاليين في جمبرون، وأنشا قلعة صفوية، وقام بتطوير الميناء وتوسعته، وغير اسمه إلى بندر عباس، وسمح الشاه عباس لشركة الهند الشرقية البريطانية بشراء بيتين في بندر عباس وتأسيس وكالة تجارية فيهما[٢].

وبينما الشاه عباس الصفوي ينازل البرتغاليين في الخليج، كان أسطول شركة الهند الشرقية البريطانية ينازلهم في سورات وسواحل الهند، وتمكن من إيقاع عدة هزائم بالأسطول البرتغالي، بين سنة ١٦١٢م وسنة ١٦١٥م.

---

١) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٤١٥.
٢) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٣٨٥، ٣٨٨.

وبعد التقارب بين الدولة الصفوية والشركة البريطانية، والامتيازات التي منحها الشاه عباس لوكلائها في فارس، وقع التحالف بينهما لإخراج البرتغاليين من معقلهم في الخليج، جزيرة هرمز، وفي يوم ٢٤ صفر ١٠٣١هـ/٨ يناير ١٦٢٢م، وقع والي فارس إمام قولي خان، ممثلاً للشاه، اتفاقية ميناب مع ممثلي شركة الهند الشرقية البريطانية، وكان توقيعها في ميناء جاسك، ونصت على:

"اشتراك فارس وشركة الهند الشرقية البريطانية في إخراج البرتغاليين من هرمز بالشروط التالية: ١- أن تكون نفقات الحرب مناصفة بين فارس والشركة، ٢- تدفع فارس نصف نفقات أسطول الشركة، من مؤن وأسلحة وذخائر، ٣- تقسيم الغنائم مناصفة بين فارس والشركة، ٤- تقسيم الجمارك والرسوم على السفن والبضائع بين فارس والشركة مناصفة، مع إعفاء الشركة من الجمارك والرسوم في ميناء جمبرون/بندر عباس إلى الأبد For Ever، ٥- أن تكون قلعة هرمز بأسلحتها وعتادها ومؤنها من نصيب الإنجليز، ولفارس أن تقيم قلعة أخرى في الجزيرة على نفقتها إذا رغبت في ذلك، ٦- الأسرى المسيحيون يتسلمهم ويقرر مصيرهم الإنجليز، بينما الأسرى الوثنيون[•] Pagans (المسلمون) تتسلمهم فارس"[١].

ووجه الشاه عباس الصفوي جيشاً من خمسة عشر ألف جندي، بقيادة إمام قولي خان إلى شواطئ الخليج، فقام بتحريض اليعاربة في جلفار/رأس الخيمة ضد البرتغاليين، فثاروا عليهم، وأخرجوهم منها، فقُطع بذلك طريق الإمدادت إلى قلعة البرتغاليين في هرمز، وكذلك حرض عرب الشارقة لكي يمتنعوا عن تزويد القوات البرتغالية بالمؤن الغذائية[٢].

•) هكذا النص في كتاب: تاريخ فارس، لأرنولد ويلسون، وهو يقول إنه ينقل نص المعاهدة عن كتاب: رحلات بدأت في سنة ١٦٢٦م في إفريقيا وآسيا الكبرى ومملكة فارس والهند الشرقية A Relation of Some Yeares Travaile, Begunne Anno 1626 Into Afrique and The Greater Asia,The Persian Monarchie, And The Orientall Indies ، للمؤرخ والرحالة الإنجليزي السير توماس هربرت Thomas Herbert، وفي كتاب تاريخ الصفويين وحضارتهم، لبديع جمعة وأحمد الخولي، ص٣٩٤، نقلاً عن المصادر الفارسية، أن الأسرى مسلمون، وهو الصحيح، لأنه ليس معقولاً أن توقع فارس أو الدولة الصفوية على اتفاقية تنص على أن المسلمين وثنيون.

1) The Persian Gulf, Historical Sketch From The Earliest Times To The Begging of The Twentieth Century, P145.

٢) تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٣٩٥.

وفي الوقت نفسه أرسلت شركة الهند الشرقية البريطانية سفنها لترابط في بندر جاسك في خليج عُمان، وفي يوم ١٩ يناير أبحرت سفن الشركة في اتجاه هرمز، فوجدت سفن الأسطول البرتغالي راسية بالقرب منها، فاتجهت إلى جزيرة قِشم القريبة منها والمتاخمة للشاطئ الفارسي، وهي مصدر إمداد القلعة والأسطول البرتغالي في هرمز بالمياه العذبة، فهاجمت سفن الشركة الحصن البرتغالي في الجزيرة من البحر، وهاجمتها القوات الفارسية في الوقت نفسه من البر، فاستسلمت الحامية البرتغالية، وأسرت قوات الشركة قائدها روي فرير Ruy Freire، ثم أرسلته مع كبار ضباطه إلى مستوطنة الشركة في سورات(١).

ومن قشم اتجه أسطول شركة الهند الشرقية البريطانية، وكان يتكون من خمس سفن وأربع قوارب كبيرة بقيادة الكابتن بليث Blithe، إلى بندر جمبرون/عباس، ومنه إلى هرمز، وفي صحبته مائتا مركب فارسي، فوصلها في ٩ فبراير ١٦٢٢م، وضرب حصاراً حولها من البحر، وكان البرتغاليون قد انسحبوا إلى القلعة وتحصنوا فيها، فنزل إمام قولي إلى هرمز في ثلاثة آلاف من جنوده، وحاصر القلعة وبدأ في قصف أسوارها وشن الهجمات عليها، بينما سفن الشركة تقصفها من البحر.

وفي يوم ٢٤ فبراير تمكنت سفن الشركة البريطانية من إغراق عدة سفن في الأسطول البرتغالي، منها سفينة القيادة سان بدرو San Bedro، وفي يوم ٢١ أبريل، وبعد أن تفشت الأمراض في الجنود البرتغاليين، وأوشكت المؤن على النفاد، قام قائد القلعة البرتغالية سيماو دي ميلو Simão de Mello بإنزال لويز دي بريتو Luiz de Brito، أحد ضباطه، بالحبال من القلعة، للتفاوض مع الكابتن بليث على الاستسلام، بشرط أن يكون الاستسلام للإنجليز، وليس للفارسيين.

وفي يوم ٢٢ مايو ١٦٢٢م استسلمت حامية القلعة البرتغالية، وسلمتها لضباط شركة الهند الشرقية البريطانية، وسلم جميع البرتغاليين في هرمز أنفسهم للشركة، وكانوا حوالي ثلاثة آلاف رجالاً ونساءً، فنقلتهم الشركة بسفنها إلى مسقط وصحار(٢).

---

1) The Persian Gulf, Historical Sketch From The Earliest Times To The Begging of The Twentieth Century, P146.
2) The Portuguese In India, Vol.II, P211-212.

وبعد الاستيلاء على هرمز أمر الشاه عباس بتخريبها وهدم مبانيها ونقل أحجارها إلى بندر جمبرون/عباس، لتشييد مبانيها بها، فانتهى بذلك عصر مملكة هرمز التجارية، وحلت محلها بندر عباس، وأصبحت خلال القرنين التاليين مركز حركة التجارة في الخليج، وتواكب ذلك مع نقل شركة الهند الشرقية البريطانية لتمركزها من بندر جاسك إلى بندر عباس، فصارت معقل الشركة في الخليج إلى أن تم حلها في منتصف القرن التاسع عشر.

وبتحالف شركة الهند الشرقية البريطانية مع الشاه عباس الصفوي في مواجهة البرتغاليين، ودخول سفنها الحربية إلى الخليج، أضافت إلى قوتها ونفوذها التجاري والاقتصادي، أن تحولت إلى قوة عسكرية في الخليج، وأصبحت القناة التي يتسلل من خلالها البريطان إلى قلب عالم الإسلام.

بقي أن نعرفك بما أشرنا إليه سابقاً، وهو أن شركة الهند الشرقية البريطانية تحالفت مع الشاه عباس الصفوي، وانخرطت في مواجهات عسكرية ضد البرتغاليين، دون علم مملكة بريطانيا، بل وهي تعلم أن ذلك يناقض سياسات بريطانيا وموقفها من البرتغال وإسبانيا.

وكان ملك البرتغال سباستياو الأول Sebastião I قد قتل سنة ١٥٨٠م، في معركة القصر الكبير، في مواجهة مملكة فاس السعدية، ولم يكن له عقب، فصار ملك إسبانيا فيليب الثاني Philip II، وهو حفيد ملك البرتغال مانويل الأول، ووريث العرش البرتغالي، فضم البرتغال إلى إسبانيا، وكان فيليب الثاني قد تزوج سنة ١٥٥٤م من ماري الأولى Mary I، وهي ملكة انجلترا، فصار ملكاً لانجلترا إلى أن ماتت ماري سنة ١٥٥٨م.

ومنذ زواج فيليب الثاني بماري الأولى، والعلاقات بين ملوك انجلترا وفيليب الثاني، ثم بينهم وبين خلفائه من ملوك إسبانيا والبرتغال ودية ولا تشوبها شائبة سوى صدامات شركة الهند الشرقية البريطانية مع البرتغاليين في الشرق، التي تحدث بغير إذن من مملكة بريطانيا وعلى خلاف سياسات حكومتها.

وبعد اشتراك شركة الهند الشرقية البريطانية مع الدولة الصفوية في إخراج البرتغالين من هرمز، قدم الملك فيليب الثالث Philip III مذكرة احتجاج إلى الملك جيمس الأول، وعقدت الحكومة البريطانية محاكمة للشركة بتهمة تجاوز الأنشطة التجارية إلى ممارسة القرصنة، وبرر وكيلها

مونوكس Monox، ما فعلته الشركة برغبتها في تنمية التجارة البريطانية في مواجهة منافستها البرتغالية، وبالاضطرار لذلك حتى لا تُوقف فارس التعامل التجاري مع الشركة.

وفي النهاية تم تسوية المسألة والعفو عن جميع الذين اشتركوا في مهاجمة البرتغاليين، بعد أن قدمت الشركة عشرة آلاف جنيه استرليني هدية للملك جيمس، ومثلها لقائد الأسطول البريطاني دوق باكنجهام(١).

وإبان تحالف الشاه عباس الصفوي مع شركة الهند الشرقية البريطانية لإخراج البرتغاليين من هرمز، سنة ١٦٢٢م، ثار اليعاربة في عُمان، وهم إباضية، ويقول دكتور جمال زكريا قاسم، في كتابه: الخليج العربى، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، إن ناصر بن مرشد بويع بالإمامة إبان الثورة، فأسس حكم أسرة اليعاربة في عُمان، وتمكن من إخراج البرتغاليين من جلفار/رأس الخيمة، ثم:

"واصل كفاحه ضد البرتغاليين، حتتى أرغمهم على التخلي عن المواقع التي كانوا يسيطرون عليها في الساحل العُماني، بحيث لم يعد للبرتغالين عند وفاته في عام ١٦٤٩م غير التحصينات المشرفة على مدينتي مسقط ومطرح"(٢).

وفي سنة ١٦٤٥م، أرسل إمام اليعاربة ناصر بن مرشد إلى مقر شركة الهند الشرقية البريطانية في سورات، يطلب إقامة علاقات تجارية معها، بديلاً عن البرتغاليين، فأرسلت الشركة وكيلها فيليب ويلاد Philipe wylad إلى صحار، ووقع اتفاقية مع ناصر بن مرشد، تنص على تمتع تجار الشركة بحرية ممارسة التجارة وحمل السلاح وممارسة الشعائر الدينية في مسقط، وعلى تنظيم قواعد التقاضي عند تنازع الإنجليز مع رعايا الإمام ناصر.

وفي عهد إمام اليعاربة سلطان بن سيف، بدات سفن الشركة ترسو في مسقط، ثم وقع سلطان بن سيف في سنة ١٦٥٩م اتفاقية مع ممثل الشركة الكولونيل رينزفورد Rainsford، منحها فيها إحدى قلاع مسقط، وسمح لها بوضع حامية فيها، على ألا يزيد عدد جنودها عن مائة، ونصت

1) The Persian Gulf, Historical Sketch From The Earliest Times To The Begging of The Twentieth Century, P150.

٢) دكتور جمال زكريا قاسم: الخليج العربى، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، ص١٠٤-١٠٥، دار الكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥م.

على تقاسم جمارك مسقط بينه وبين الشركة، وعينت الشركة وكلاء عنها من أهل مسقط لتمارس التجارة من خلالهم[١].

ومع انهيار الوجود البرتغالي في الخليج، تنامت قوة اليعاربة، وصاروا قوة بحرية وتجارية كبرى في خليج عُمان وبحر العرب، فأرسل وكيل الشركة في بندر عباس، برانجوين Brangwin، تقريراً إلى مقر الشركة، سنة ١٦٩٤م، يقول فيه إن:

"العمانيين سيصبحون كارثة على الهند، مثلما كان الجزائريون/الأخوان بربروسا كارثة على أوروبا"[٢].

وبعد سقوط معقل البرتغاليين في هرمز، تحالفت شركة الهند الشرقية البريطانية مع نظيرتها الهولندية، في مواجهة البرتغاليين في الهند ومياه الشرق، فدخلت الشركة الهولندية بسفنها التجارية والحربية إلى الخليج، واستولت على جزيرة خرج في مواجهة ميناء بوشهر الفارسي، وحولتها إلى قاعدة لتمركز سفنها في الخليج.

وفي سنة ١٦٢٣م أقامت الشركة الهولندية وكالة تجارية تابعة لها في بندر عباس، واستغلت شن الدولة العثمانية الحرب على الدولة الصفوية، وحصلت من الشاه عباس سنة ١٦٢٧م، على امتياز بالحصول على حصة من تجارة الحرير بشروط أفضل من التي منحها للشركة البريطانية، ثم بعد وفاة الشاه عباس، سنة ١٧٢٩م، حصلت على امتيازات أكبر من خلفه الشاه صفي، وخلال عشر سنوات صارت الشركة الهولندية تحتكر تجارة التوابل وتصدير الحرير والواردات الأوروبية في فارس.

ومع ازدياد نفوذ الشركة الهولندية في فارس، وسيطرتها على التجارة في بندر عباس:

"أرسلت الشركة البريطانية سفينة إلى البصرة في رحلة تجريبية Voyage of Experiment، للبحث عن منفذ لممارسة التجارة، في ميناء لا يتبع فارس، من أجل مواجهة أنشطة الهولنديين، وتمكن ممثلو الشركة من الحصول على رخصة من الباشا التركي بإنزال

---

١) الخليج العربى: دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، ص١١٠.
٢) الخليج العربى: دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، ص١١٣.

بضائع الشركة في البصرة ... وفي سنة ١٦٤٣م أقامت الشركة وكالة تجارية دائمة في البصرة"[١].

وبعد أن قطعت هذه الرحلة معنا ووصلت إلى هذا الموضع، فثقتنا في فطنتك تجعلنا نوقن أنك لا تحتاج إلى أن ننبهك إلى أن تسلل شركة الهند الشرقية البريطانية إلى الخليج، وما تراها تفعله من خلال التجارة، هو نفسه ما كان يفعله ألفونسو ألبوكيركه ورجال منظمة فرسان المسيح بالأساطيل والمدافع، وأنك ستدرك أن غايتها الخبيثة، والتي لا تظهر أمامك الآن، والتي تتحرك نحوها خطوة خطوة، هي نفسها غاية ألبوكيركه التي نص عليها وصرَّح بها في خطته ورسائله إلى ملك البرتغال، ألا وهي أورشليم وهيكل بني إسرائيل.

وعند منتصف القرن الثامن عشر، كانت شركة الهند الشرقية البريطانية، كما علمتَ تفصيلاً من قبل، قد تحولت في الهند إلى قوة سياسية وعسكرية، وتمكنت من إيقاع عدة هزائم بسلطنة المغول، وصارت هي التي تُعين حكام الأقاليم، وهم ألعوبة في يدها، وأجبرت سلاطين المغول على منح الشركة حق احتكار التجارة وتحصيل الضرائب.

وواكب ذلك انهيار قوة هولندا وانحسار نفوذها في الشرق، وكذلك ضعف حكام فارس الصفوية، واضطراب أمورها، فانتقلت شركة الهند الشرقية البريطانية من الوجود في الخليج إلى التمركز فيه والسيطرة على موانيه والتجارة فيه، وظهرت بوادر التحول من التجارة إلى المرحلة التالية، ألا وهي النفوذ السياسي والعسكري.

وإذا لم تكن أمياً، وإذا كانت الفرضية البني إسرائيلية في وعيك، وإذا كنت قد قرأت الكتاب الذي بين يديك من أوله، وصرت تفهم ما يسعى إليه الغرب عبر القرون، وتستطيع النفاذ من الأغلفة التي يتغلف بها ويغلف خطواته، إلى حقيقته، فستعرف وحدك من الآن، وقبل أن تكمل مسيرتك مع الشركة وما فعلته في الخليج، أن هذه المرحلة نفسها، لم تكن سوى مقدمة إلى التي تليها، وهي الاقتراب من قلب عالم الإسلام واختراقه والسيطرة عليه، وتسييره في المسار الذي ينتهي بتحقيق غاية اليهود التي تستوطن عقل الغرب وتسري في كل مشاريعه في الشرق، وأن السيناريو كان

1) The Persian Gulf, Historical Sketch From The Earliest Times To The Begging of The Twentieth Century, P163.

راسخاً في أذهان رؤساء الشركة وقادتها، منذ وطئت أقدامهم أرض الهند، وما بعد ذلك ليس سوى إخراجه وتحقيقه في الواقع، والخطط والزمان اللازم لذلك.

في سنة ١٧٦٣م، أرسلت حكومة شركة الهند الشرقية البريطانية في بومباي ممثلها أندرو برايس Andrew Price، إلى ميناء بوشهر الفارسي، فوقع مع حاكمها الشيخ سعدون اتفاقية منحها فيها امتيازات كبيرة، ثم أصدر الشاه كريم خان فرماناً بالتصديق على الاتفاقية، وقد:

"منحت الاتفاقية والفرمان الإنجليز وضعاً خاصاً ومميزاً Peculiar And Priviledged، بسبب نمو نفوذهم في الهند ... فصارت لهم حرية مطلقة في ممارسة التجارة، مع إعفائهم من دفع رسوم على البضائع التي يصدرونها ويستوردونها، واحتكار تجارة المنسوجات الصوفية، وحق الإنجليز في مصادرة ما يجلبه أي شخص غيرهم من هذه البضائع بطريقة غير مشروعة، وعدم السماح لأي أمة أوروبية أخرى بممارسة التجارة في بوشهر، طالما ظلت الوكالة التجارية الإنجليزية موجودة فيها، ومنح شيخ بوشهر الإنجليز أرضاً بلا مقابل لإقامة المستوطنة/الوكالة التجارية Factory، ومنحهم كذلك حديقة وأرضاً لإقامة مقبرة، والحق في وضع واحد وعشرين مدفعاً في الوكالة، وعدم خضوع العاملين في الوكالة للسلطات المحلية، ومع نهاية القرن الثامن عشر كانت انجلترا قد حازت وضعاً ونفوذاً في الخليج لم تصل إليه أي قوة أخرى"(١).

وفي سنة ١٧٨٨م، أصدر جعفر خان، ابن أخي كريم خان وخلفه، فرماناً آخر، وفيه كما تقول المؤرخة الروسية والمستشرقة ناتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، في كتابها: الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، وهو أطروحتها التي حصلت بها على درجة الدكتوراة:

"منح تجار شركة الهند الشرقية البريطانية حق إقامة وكالات تجارية وممارسة التجارة في أي مكان من فارس، مع إعفائهم من الضرائب، وتم تعيين النقيب أندرسون مقيماً سياسياً إنجليزياً في بوشهر، وباتت التجارة الإنجليزية الفارسية في الخليج وسيلة لإخضاع فارس

---

1) The Persian Gulf, Historical Sketch From The Earliest Times To The Begging of The Twentieth Century, P178-179.

اقتصادياً لبريطانيا العظمى بصورة تدريجية ... وأخذ الإنجليز يبحثون عن ذريعة لإدخال سفنهم الحربية إلى الخليج وتحويل الخليج إلى رأس جسر حربي"[1].

وجاءت الذريعة، مع الثورة في فرنسا، وما أعقبها من اندلاع المواجهات بينها وبين بريطانيا في أوروبا، وامتدادها إلى الشرق وبحاره.

وفي سنة ١٧٩٨م، صار ريتشارد مورننجتون لورد ولسلي، الشقيق الأكبر لدوق ولنجتون، الحاكم العام للهند ورئيس شركة الهند الشرقية البريطانية، فعين الميرزا مهدي علي خان، وهو أحد وكلاء الشركة في فارس، ممثلاً عن الشركة ومقيماً سياسياً عن حكومة الهند في بوشهر، وأرسله إلى سلطان مسقط ومدن سواحل خليج عُمان، السيد سلطان بن أحمد، فوقع معه قولنامة أو اتفاقية، في ١٢ أكتوبر ١٧٩٨م، في مقابل إمداده بجراح من جراحي الشركة في الهند، وكانت أهم بنود الاتفاقية:

"أن يتعهد السيد سلطان بأن يكون في جانب الحكومة البريطانية في القضايا الدولية، وعدم منح الفرنسيين والهولنديين امتيازات تجارية أو غيرها من الامتيازات في المناطق الخاضعة لسيطرته، طالما ظلت الحرب قائمة، وطرد الفرنسيين الذين يعملون في خدمته، وإبعاد السفن الفرنسية التي تتخذ من مسقط قاعدة لممارسة القرصنة، والسماح للبريطانيين بإقامة وكالة تجارية مسلحة وحامية Fortified Factory And Garrison، في بندر عباس، التي يستأجرها سلطان من فارس"[2].

ونتوقف بك هنيهة لنذكرك بأن الذين تسللوا إلى الخليج في غلاف التجارة، ثم تحولوا فيه إلى قوة سياسية وعسكرية، ليسوا سوى الماسون، ورؤساء شركة الهند الشرقية البريطانية، وقادة جيوشها، كانوا، كما علمتَ تفصيلاً من قبل، من الماسون، ونشروا المحافل في كل مكان وصلوا إليه في الهند.

---

١) ناتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش: الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ترجمة: سمير نجم الدين سطاس، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

2) The Persian Gulf, Historical Sketch From The Earliest Times To The Begging of The Twentieth Century, P232.

واتفاقية الشركة مع سعدون شيخ بوشهر، سنة ١٧٦٣م، التي سمحت لها بإقامة حامية فيها، وامتلاك المدافع، والتفتيش على التجار غير البريطان في فارس، تواكب احتلال جيش الشركة للبنجال، بقيادة روبرت كلايف، الذي صار سنة ١٨٦٠م حاكم البنجال ورئيس الشركة والقائد الأعلى لقواتها في الهند.

وروبرت كلايف، كما علمتَ، كان عضواً في محفل الشركة في حصن سان جورج في مدراس، محفل الصخرة رقم: ٢٦٠ Lodge of Rock No.260، ثم صار عضواً في محفل حصن وليام في كلكتا.

وريتشارد ولسلي، حاكم الهند ورئيس شركة الهند الشرقية البريطانية، الذي حصل من سلطان مسقط على اتفاقية، تعطيه حق إقامة وكالة تجارية وحامية تتكون من ثمانمائة جندي من جنود الشركة في الهند تحت قيادة خمسين ضابط إنجليزي، ومسلحة بالمدافع، في بندر عباس، خلف أباه في رئاسة محفل أيرلندا الأعظم، ومنصب أستاذه الأعظم.

والخطوة التالية في التهام الأفعى الماسونية للخليج كانت مع جون مالكولم John Malcolm، وهو أحد قادة جيش شركة الهند الشرقية البريطانية في مدراس، وقام بإبادة قرى مسلمة بأكملها، إبان حرب الشركة مع سلطنة ميسور جنوب الهند، وصار بعد ذلك حاكم بومباي ونائب رئيس الشركة والحاكم العام للهند.

وجون مالكولم اسكتلندي، وهو الآخر ماسوني، وكان عضواً في محفل حصن سان جورج في مدراس، ويقول جورج أوليفر George Oliver، الأستاذ الأعظم لمحفل لنكولن شاير Licolnshire، ومؤرخ الماسونية في النصف الأول من القرن التاسع عشر في كتابه: تاريخ الماسونية من سنة ١٩٢٩م إلى الوقت الحاضر، إن:

"السير جون مالكولم كان عضواً في محفل لانجهولم في اسكتلندا Langholm، وبعد وفاته أقيم له نصب تذكاري Monument، تخليداً لذكراه في لانجهولم، وافتتحه في سبتمبر سنة

١٨٣٥م السير جيمس جراهام James Graham، الأستاذ الأعظم لمحفل كمبرلاند Cumberland"[١].

وفي كتابها الذي يدلك عنوانه على محتواه: بُناة الإمبراطورية، الماسون والاستعمار البريطاني من سنة ١٧١٧م إلى سنة ١٩٢٧م Builders of Empire, Freemasons and British Imperialism, 1717–1927، تقول الدكتورة جيسيكا هارلاند جاكوبس Jessica Harland-Jacobs، أستاذة التاريخ في جامعة فلوريدا الأمريكية:

"وفي المحيط الهندي كان ثمة تعاون مشترك ومنظم بين الماسون من الأمم الأوروبية المختلفة، وكان الماسون الهولنديون والإنجليز يتزاورون في محافلهم في البنجال وفي الكاب منذ سبعينيات القرن الثامن عشر، وكان الجنرال كريج Craig، حاكم مستعمرة الكيب Cape Colony، وجون مالكولم مساعد الجنرال كلارك Clarcke، يُستقبلون بترحاب في المحفل الهولندي الأشهر Preeminent Lodge، ومحفل الرجاء الصالح Lodge De Goed Hoop، بعد الاحتلال البريطاني[•]، وكان محفل رجاء الثالوث الفرنسي Triple Hope، في موريشيوس، على تواصل مع محفل الوئام التام البريطاني Perfect Unanimity، في مدراس، وأرسل الماسون الفرنسيون إلى إخوانهم الماسون البريطان قوائم بأعضاء المحافل الفرنسية ودرجاتهم لكي يتم استقبالهم في محافل الهند عند قدومهم إليها، وعند انعقاد مؤتمرات المحفل الإقليمي الأعظم في البنجال كان الماسون البريطان يدعون لهذه المؤتمرات إخوانهم الماسون في المستعمرات الفرنسية والهولندية والدنماركية، وكان كثير من هؤلاء من أعضاء المحافل البريطانية، والسبب الرئيسي لهذا التواصل والتنسيق بين المحافل الماسونية المختلفة في الهند، وقبولها للعضوية المشتركة للماسون من دول أوروبية مختلفة ومتصارعة، هو

---

1) George Oliver: History Of Freemasonry, From 1829 To The Present Time, P34, Richard Spincer, London, 1841.

•) في سنة ١٦٢٥م احتلت شركة الهند الشرقية الهولندية رأس الرجاء الصالح، وأسست مستعمرة الكيب أو الرأس Kaapkolonie، وفي سنة ١٧٩٥م استولت بريطانيا على المستعمرة بعد أن هزمت هولندا في معركة مويزنبرج Muizenberg، واستعادت هولندا المستعمرة من بريطانيا سنة ١٨٠٣م، ثم استولت عليها بريطانيا مرة أخرى سنة ١٨٠٦م، وكلام جيسيكا هارلاند جاكوبس يعني أن العلاقات بين المحافل الماسونية الهولندية والبريطانية في الكيب والهند ظلت قائمة ووثيقة، والماسون من الطرفين يلتقون هنا وهناك، رغم الحرب المستعرة بين الدول التي ينتمون إليها.

رغبتهم في الإحساس بالانتماء إلى أخوية عالمية، والتعاون من أجل إنقاذ الأسرى من الماسون في الحروب التي تقع بين هذه الدول"(١).

وفي أواخر سنة ١٧٩٩م، أرسل حاكم الهند ورئيس شركة الهند الشرقية البريطانية، الجنرال الماسوني ريتشارد ولسلي بعثة برئاسة الكابتن الماسوني جون مالكولم، إلى فتح علي شاه، ثاني سلاطين الدولة القاجارية، التي خلفت الدولة الصفوية في حكم فارس.

ووصلت البعثة إلى بوشهر في أواخر شهر يناير سنة ١٨٠٠م، وكانت تتكون من نحو ألف شخص، فمكثت في بوشهر أربعة أشهر كاملة، ومهمتها الظاهرة كانت الوصول لاتفاقيتين، تجارية وسياسية، مع الشاه القاجاري في طهران.

والاتفاقية التجارية، التي وقعها مالكولم مع الشاه فتح علي، منحت شركة الهند الشرقية البريطانية امتياز إقامة مستوطنات/وكالات تجارية، في فارس وجميع مناطق الخليج التابعة لها، والتجارة دون دفع ضرائب، وتوريد منتجات صناعية لفارس دون فرض رسوم عليها.

والاتفاقية السياسية، نصت على إقامة تحالف بين الشركة والشاه، وطرد الشاه للفرنسين، وتعهده بمعاونة البريطان في الحرب ضد أفغانستان، والسماح لأسطول الشركة باستخدام مواني فارس في الخليج إذا ظهر فيه الأسطول الفرنسي، في مقابل معاونة البريطان للشاه إذ دخل حرباً ضد روسيا، وإمداده بمدافع وبنادق ومدربين لجيشه.

أما مهمة بعثة مالكولم الحقيقية وما كان يفعله، في ستار المفاوضات والاتفاقيات مع الشاه، فهاك وصف المؤرخة والمستشرقة الروسية ناتاليا تومانوفيتش له:

"راح أعضاء البعثة يتجولون في كل مكان، ويجمعون المعلومات العسكرية، ويراقبون جزر الخليج وسواحله، ويتشاورون مع الوكلاء البريطانيين المقيمين في مناطق الخليج، ويبنون علاقات مع الحكام المحليين، ويحثونهم على الانفصال عن الحكومة المركزية، ويقدمون الرشاوى والهدايا والعطايا بمبالغ يصعب تخيلها في الممارسات الدولية، ويقول جاردان إن

---

1) Jessica Harland-Jacobs: Builders of Empire Freemasons and British Imperialism, 1717-1927, P85-86, University of North Carolina Press, 2007.

مالكولم أنفق ما يقرب من مليوني روبية ... وكان مخطط مالكولم يهدف إلى تهديد فارس والدولة العثمانية وجزيرة العرب من قواعد في الخليج، وبدأ البريطانيون في التحضير لاحتلال الخليج تحت ستار أنهم حلفاء لفارس"[١].

ولم تفلح ضغوط جون مالكولم على الشاه في أن تجعله يتنازل للشركة عن بعض الجزر في الخليج، خصوصاً جزيرة خرج، التي تتصل من جهة البر بفارس، وتسيطر من جهة البحر على الحركة في الخليج، والتي بنى مالكولم خطته في احتلال الخليج على الاستيلاء عليها والتمركز فيها.

خطة الماسوني جون مالكولم لاحتلال الخليج وتفكيك بلاد الإسلام:

وخطة الماسوني جون مالكولم، للسيطرة على الخليج وموانيه وجزره، وتحويلها إلى قواعد لتمركز قوات الشركة وأساطيلها، والتي كانت سراً في حينه، هي أهم أعماله وإنجازه غير المرئي، وقد اختمرت في ذهنه منذ بدايات القرن التاسع عشر، ودونها سنة ١٨٠٨م، وهو في البنجال، واعتمد في رسمها على المعلومات المفصلة عن الخليج وسواحله، والتي كان يجمعها وكلاء شركة الهند الشرقية البريطانية وجواسيسها في الخليج، على مدى قرنين من الزمان، وعرضها على رئيس الشركة وحاكم الهند، اللورد منتو، فأقره عليها، ثم اعتمدها مجلس حكومة الهند التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية، في يوم ٣٠ أغسطس سنة ١٨٠٨م، وصدقت عليها الحكومة البريطانية.

ونذكرك بأن رئيس الشركة وحكومة الهند البريطانية، الذي وافق هو ومجلسه على خطة مالكولم، اللورد منتو Minto، هو أيضاً، كما علمتَ، ماسوني.

وخلال القرن التاسع عشر صارت خطة الماسوني مالكولم محور سياسات شركة الهند الشرقية البريطانية في الخليج، والحكومة البريطانية من بعدها، وكل ما شهده الخليج من أحداث طوال سنوات هذا القرن، والقرن الذي يليه، كان لتنفيذها وترجمة لها.

وخطة الماسوني جون مالكولم لم تكن من أجل التجارة فقط، بل كانت خطة سياسية عسكرية، وخطوة في الطريق لاختراق عالم الإسلام وتمزيقه، والوصول من خلال مِزقه إلى أورشليم/القدس.

---

١) الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ص١٤١-١٤٤.

فهناك خطة مالكولم التي تحولت إلى استراتيجية دائمة لشركة الهند الشرقية ودستور الحكومة البريطانية في التعامل مع الخليج خلال القرن التاسع عشر، كما دونها السير جون وليام كاي John William Kaye، مؤرخ جون مالكولم وكاتب سيرته، في كتابه: حياة الجنرال سير جون مالكولم ومراسلاته The Life And Correspondence of Major-General Sir John Malcolm:

"أولاً: من المستحيل الاعتماد على شاه فارس وباشا بغداد، إلا إذا امتلكنا القوة التي نعاقبهم بها فوراً على تمردهم أو خداعهم، ثانياً: دول فارس وتركيا الشرقية وجزيرة العرب، من جهة أوضاعها الحقيقية، لا ترقى إلى أن تكون حكومات حقيقية، فهي بلاد تمتلئ بالمواد الملتهبة/الفوضى Combustible Materials، ويمكن لأي أمة أن تلقي بها في اللهب إذا وافق ذلك مصالحها ... رابعاً: بالرغم من أن شاه فارس وباشا بغداد لن يوافقا برغبتهما على السماح لأي جيش أوروبي بالمرور في أراضي بلادهما، فإن خوفهما من خطر أكبر سيجعلهما ليس فقط على الحياد، بل سيجبرهما على تقديم المساعدة لخطة ليس عندهم قدرة على مقاومتها، وبالإضافة إلى خوفهما سوف يوافقان على الخضوع للقوة التي ستمنحهم نصيباً في نهب الدول الأضعف منهما، خامساً: من الأهمية القصوى أن تمتلك الحكومة الإنجليزية الوسائل اللازمة لإلقاء الدول التي تعارضها أو تنحاز لأعدائها في فوضى ودمار شامل Complete Confusion And Destruction، عن طريق العمل على تقليل مواردها وإثارة القلاقل داخلها، وعند ذلك ستزول العوائق من أمام تقدم الجيش الأوروبي، ويمكن للحكومة أن تثبت أقدامها على حدود فارس وتركيا دون مخاطر كبيرة ولا نفقات باهظة، سابعاً: بتثبيت أقدامنا في الخليج الفارسي، سيصبح فوراً مركزاً وسوقاً لتجارتنا، ومقراً لمفاوضاتنا السياسية، وقاعدة لجيوشنا، ومستودعاً لأسلحتنا وذخائرنا، وسوف نكون قادرين على ان نُنشئ فيه قوة لديها القدرة، ليس فقط على إقصاء القوى الأوروبية الأخرى، بل وعلى إجراء مفاوضاتنا، وتنفيذ عملياتنا العسكرية Military Operations لأبعد مدى نرغب فيه"[1].

1) John William Kaye: The Life And Correspondence Of Major-General Sir John Malcolm, Vol. I, P433-434, Smith, Elder and Co., London, 1856..

ويقول المؤرخ البريطاني جون كيلي John Kelly في كتابه: بريطانيا والخليج الفارسي من سنة ١٧٧٥م إلى سنة ١٨٨٠م Britain And The Persian Gulf, 1795–1880، إن الماسوني جون مالكولم، قد أضاف بعد ذلك مادة أخرى إلى خطته لاحتلال الخليج، تنص على:

"إقامة دولة حاجزة من ولايتي البصرة وبغداد تكون تحت رعاية بريطانيا، والإسراع في الوقت نفسه في حل الإمبراطورية العثمانية وتفكيكها"[١].

ومن خطة الماسوني مالكولم، تزداد يقيناً مما نخبرك به طوال هذا الكتاب، وهو أن التجارة لا تنفصل عن الأهداف السياسة والخطط العسكرية، وأنها ليست غاية الغرب العليا، منذ مجيء أساطيل البرتغال ومنظمة فرسان المسيح إلى الشرق، وحتى الولايات المتحدة الماسونية، بل هي وسيلة للاقتراب من بلاد الإسلام والمرابطة على تخومها، ولجمع الأموال اللازمة لتكوين الأساطيل والجيوش من أجل التسلل إلى مياهه وإخضاعها وتفكيكها.

وكما ترى في خطة مالكولم، تحويل الخليج وبلدانه إلى مركز وسوق للتجارة البريطانية، وإلى قاعدة عسكرية لتمركز الأساطيل والجيوش، والتسلل منه إلى فارس وتركيا وجزيرة العرب، والمرابطة على تخومها، والعمل على تخليق الاضطرابات والفوضى فيها من أجل تفكيكها، حزمة واحدة لا يتميز فيها شئ عن شئ.

وما لا يظهر أمامك في خطة الماسوني مالكولم، لأنه كان ما زال كامناً في الأذهان ولم يحن زمانه بعدُ، أن ذلك كله لم يكن سوى خطوات في الطريق إلى الغاية العليا والحقيقية، ألا وهي المشروع اليهودي، والوصول إلى أورشليم/القدس.

واستعادة أورشليم/القدس، وإعادة اليهود إليها، وبناء الهيكل، هو الغاية العليا للماسونية ولجميع الماسون، وهو عقيدتها ومحور طقوسها ومنبع رموزها، وكل شئ فيها يدور حوله..

يقول مؤرخ الماسونية الرسمي، والماسوني ألبرت ماك كي Albert McKey، في الموسوعة الماسونية The Encyclopedia of Freemasonry:

---

١) الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ص١٤٨.

"هيكل أورشليم هو روح الماسونية، وهو مصدر رموزها وطقوسها، وهو واسطة العقد الذي تلتقى عنده الماسونية المهنية العملية Operative والماسونية الرمزية التأملية Speculative، وهو الذي يمنح الماسونية صبغتها العقائدية والدينية Religious Character، فلو أُخذ من الماسونية وأزيل منها ما يرتبط به من أفكار ورموز وطقوس لذبلت من فورها وماتت، وكل محفل هو في حقيقته، وكما يجب أن يكون، رمز لهيكل اليهود، وكل أستاذ على كرسيه هو ممثل لملك اليهود، وكل ماسوني هو تجسيد للعامل اليهودي"[١].

وخطة احتلال الخليج، مثل احتلال الهند قبله، وضعتها شركة الهند الشرقية البريطانية، وهي شركة تجارية، ثم بصمت عليها الحكومة البريطانية، وأسطول الشركة هو الذي نفذها واحتل الخليج، ثم سلمه للأسطول الملكي البريطاني، بعد أن صارت بريطانيا مملكة ماسونية، وحكومتها ليست سوى واجهة للتجار واليهود والماسون، لتستكمل الخطة والخطوات في اتجاه دولة بني إسرائيل والهيكل.

يقول المؤرخ البريطاني، وعضو حكومة الانتداب البريطانية على العراق، أرنولد ويلسون، في كتابه: تاريخ الخليج الفارسي:

"ومعظم تاريخ الخليج يرتبط ارتباطاً وثيقاً بشركة الهند الشرقية البريطانية ... ولابد من إشارة موجزة إلى دور أسطول الهند في تاريخ الخليج، فهذه القوة المقاتلة من صُنع شركة الهند الشرقية البريطانية، وقد بدأ كأسطول صغير في سورات، وفي سنة ١٦٦٨م، عندما امتلكت الشركة بومباي رسمياً بمرسوم من التاج البريطاني، أصبح الأسطول الذي نما وزادت قوته كثيراً يُعرف بأسطول بومباي Bombay Marine، ثم صار اسمه أسطول الهند Indian Navy، وعاش قرنين ونصف قرن من المجد، قبل أن ينتهي وجوده سنة ١٨٦٣م، ويحل الأسطول الملكي البريطاني محله"[٢].

وما نريد أن ننبهك إليه، هو أن هذه الخطة لاختراق الخليج واحتلال بلدانه، وتحويله وتحويلها إلى قاعدة للتمركز العسكري البريطاني، واختراق قلب عالم الإسلام منها وتفكيكه، لكي يمكن النفاذ

---

1) Encyclopedia of Freemasonry, P804.
2) The Persian Gulf, Historical Sketch From The Earliest Times To The Begging of The Twentieth Century, P260-261.

من بين قِطعها إلى أورشليم/القدس، هذه الخطة ظهرت للوثائق والتاريخ على يد الماسوني جون مالكولم، ولكنها كانت راسخة في أذهان رؤساء شركة الهند الشرقية البريطانية وقادتها، وسيناريو يدبرون له، قبلها بأكثر من قرنين من الزمان، منذ القرن السادس عشر، مع قدوم الشركة إلى الهند، ومن قبل أن تصل إلى الخليج، وهي الغاية من قدومها وغزوها للهند، بالضبط، كما كانت غاية يرتب لها رجال منظمة فرسان المسيح، وهم ما زالوا في بحثهم عن الطريق البحري إلى الهند، ثم ظهرت خطتهم للتاريخ على يد ألفونسو ألبوكيركه، بعد أن صاروا في الخليج واقتربوا من غايتهم.

وهو ما تخبرك به صريحاً المؤرخة الروسية ناتاليا تومانوفيتش:

"في الربع الأول من القرن التاسع كان النشاط الدبلوماسي والسياسي والعسكري البريطاني موجهاً نحو استعمار منطقة الخليج العربي، والمخططات العامة للتوغل في الخليج قد تم وضعها من قِبل الإنجليز في نهاية القرن السادس عشر، وبحسب هذه المخططات عمل المقيمون والوكلاء السياسيون البريطانيون"(١).

التهام الخليج:

فإليك كيف التهمت شركة الهند الشرقية البريطانية الخليج قطعة قطعة، بعد أن فشلت في إجبار فارس على التنازل لها عن جزره وتحويلها إلى قواعد لأسطولها.

في كتابه: تاريخ فارس A History of Persia، يقول الجنرال بيرسي سايكس Percy Sykes، وكان ضابطاً في الجيش الملكي في الهند، وعضو الجمعية الملكية الجغرافية في بريطانيا، إنه في سنة ١٨٠٤م، خاضت فارس القاجارية حرباً ضد روسيا القيصرية، استمرت بضع سنوات، ومُنيت فيها بعدة هزائم، فطلب الشاه علي فتح المعاونة من شركة الهند الشرقية البريطانية وحكومة بريطانيا، بناءًا على الاتفاقية التي وقعها مع الماسوني مالكولم، فماطله البريطان، واشترطوا في مقابل ذلك أن يتنازل لهم عن جزيرة خرج، وأن يسمح لهم ببناء قلعة في بوشهر، وأن يؤجر لهم جميع مواني فارس في بحر قزوين.

---

١) الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ص١٣٢.

وإزاء خذلان البريطان له:

"أرسل الشاه فتح علي الميرزا رضا مبعوثاً إلى إمبراطور فرنسا، نابليون بونابرت، فأرسل نابليون عدة بعثات إلى الشاه، انتهت بتوقيع معاهدة فنكنشتاين Finkenstein بينهما، في مايو سنة ١٨٠٧م، واتفقا فيها على أن يقطع الشاه علاقته ببريطانيا، على أن تعاونه فرنسا في حربه ضد روسيا، بإمداده بالسلاح وتدريب جيشه، ومساعدته لاستعادة جورجيا، التي استولت عليها روسيا من فارس، وعقب توقيع المعاهدة، أرسل نابليون بعثة عسكرية من سبعين ضابطاً، برئاسة الجنرال جاردان Gardanne، لمعاونة الشاه فتح علي في تحديث جيشه وإعادة تنظيمه وتدريبه على الأساليب الأوروبية، وبناء القلاع والحصون، وكان هدف البعثة توظيف جيش الشاه لكي يساعد الجيش الفرنسي على غزو الهند"(١).

ومع ازدياد نفوذ فرنسا في فارس، أرسلت الحكومة البريطانية، في سنة ١٨٠٨م، بعثة برئاسة السير هارفورد جونز Harford Jones، وكان سابقاً المقيم البريطاني في البصرة، للتفاوض مع الشاه، على أن يذهب السير جونز أولاً إلى بومباي، ويكون تحت قيادة حاكم الهند ورئيس شركة الهند الشرقية البريطانية، اللورد الماسوني منتو.

وبينما السير هارفورد جونز في طريقه إلى الهند، أرسل اللورد منتو أسطولاً من ثلاثين سفينة حربية بقيادة الجنرال الماسوني جون مالكولم إلى الخليج، فوصله في شهر مايو ١٨٠٨م، وضرب حصاراً حول بوشهر وموانى فارس الجنوبية، لإجبار الشاه على توقيع معاهدة يوافق فيها على مطالبه، خصوصاً التنازل عن جزيرة خرج، فأرسل الشاه جيشاً من أربعة آلاف جندي إلى بوشهر، وكانت بعثة الجنرال جاردان الفرنسية ما زالت في فارس، فانسحب مالكولم بسفينته وعاد إلى بومباي للتباحث مع اللورد منتو، تاركاً أسطول الشركة الحربي مرابطاً في الخليج.

وبعد موافقة مجلس حكومة الهند على خطة جون مالكولم لاحتلال الخليج وتفكيك بلاد الشرق كلها، أرسل اللورد منتو، في أكتوبر سنة ١٨٠٨م، السير هارفورد جونز إلى فارس، لإجبار الشاه فتح علي أن يوقع على اتفاقية مع الشركة والحكومة البريطانية، تحت ضغط الأسطول المرابط في

1) Percy Sykes: A History of Persia, Vol. II, P402-403, Macmillan And Co., Limited, St. Martin'Street, London, 1915.

الخليج، وكان الشاه قد أدرك الهدف الحقيقي لبعثة جاردان، وأن فرنسا لن تساعده عسكرياً، خصوصاً بعد سوء أوضاعها في أوروبا، وإخراج بريطانيا لقواتها من جزيرة موريشيوس، وهي قاعدة فرنسا الرئيسية في الشرق، فطلب الشاه من جاردان وبعثته مغادرة فارس.

وفي مارس سنة ١٨٠٩م، وقع الشاه فتح علي والسير هارفورد جونز اتفاقية مبدئية، وفي ٢٥ نوفمبر سنة ١٨١٤م، وتحت ضغط الأسطول البريطاني، والهزائم التي مُنيت بها فارس أمام روسيا، تم توقيع المعاهدة النهائية بين فارس وبريطانيا، ونصت على:

"عدم قيام فارس بعقد معاهدة مع أي دولة أخرى إلا بموافقة بريطانيا، وألا تسمح بمرور جيش أي دولة أوروبية أخرى في أراضيها، وتعهد الشاه بمهاجمة أفغانستان إذا هاجمت القوات البريطانية في الهند، وأن يستخدم أسطول الهند البريطاني جزيرة خرج وموانى فارس، على أن تقوم بريطانيا بمعاونة الشاه في حربه ضد روسيا، وتمده بالمدافع والقذائف وتدرب أطقماً من جيشه على استخدامها، وأن تقدم بريطانيا معونة سنوية Annual Subsidy لفارس، قدرها ٢٠٠,٠٠٠ تومان/ ١٥٠,٠٠٠ جنيه إسترليني، وقصر التجارة في موانى فارس في الخليج على التجار البريطان، وعدم السماح للتجار من أي بلد أخرى بممارسة التجارة فيها، ومنعهم من جلب البضائع إليها أو تصديرها منها"[1].

وبهذه المعاهدة، أصبحت رئاسة شركة الهند الشرقية البريطانية وحكومة الهند في بومباي هي المسؤولة عن إدارة العلاقات مع فارس، وليس الحكومة البريطانية في لندن، واحتكرت الشركة التجارة في فارس، ولم يعد يصل لموانى فارس سوى السفن البريطانية أو التي ترفع الأعلام البريطانية، وسيطرت الشركة على صادرات فارس ووارداتها، وأغرقت أسواق فارس بالمنتجات البريطانية، حتى ركدت الأسواق المحلية وصارت صادرات فارس ثلث قيمة وارداتها، وهو ما مكن الشركة من إخراج الذهب والفضة والعملات النفيسة من فارس إلى خزائنها، وفي الوقت نفسه صار الخليج كله تحت سيطرة أسطول الشركة المرابط عند جزيرة خرج، وصار المقيم البريطاني في بوشهر، وهو أحد ضباط الشركة، الحاكم الحقيقي لجزره وقبائلها وشيوخها.

---

1) A History of Persia, Vol. II, P405.

ومع الوقت تغلغلت الشركة في مختلف نواحي الحياة في فارس، وغزتها بالمستشارين والوكلاء والمراقبين، وامتد نفوذها إلى شؤونها السياسية والعسكرية والاجتماعية، وأحاط الضباط البريطان بولي العهد وقائد جيش فارس، عباس ميرزا، وصاروا مدربي الجيش وقادة قواته النظامية وقادة حرس عباس ميرزا.

وحين اندلعت الحرب بين فارس وروسيا سنة ١٨٢٦م، طلب الشاه فتح علي من السير جون ماكدونالد John MacDonald، أحد قادة جيش شركة الهند الشرقية البريطانية، وكان قد تم تعيينه سفيراً فوق العادة في فارس، أن تفي بريطانيا بتعهداتها في المادتين الثالثة والرابعة من الاتفاقية، وتقوم بمعاونته في حربه ضد روسيا، وإمداده بالأسلحة والقذائف، فرفض السير ماكدونالد وتعلل بأن فارس هي التي بدأت بمناوشة الروس والهجوم على مدينة جوكشا Gokcha، وبعد مفاوضات تم إلغاء المادتين الثالثة والرابعة من اتفاقية سنة ١٨١٤م، سنة ١٨٢٨م، في مقابل مائتي ألف تومان، وبذلك لم تعد الشركة ولا بريطانيا ملتزمة بأي شيء في مقابل الامتيازات التي حصلت عليها في فارس[١].

وفي نوفمبر سنة ١٨٣٧م، وضمن سلسلة من الحروب بين فارس وأفغانستان، بدأ الشاه محمد حملة على أفغانستان، وفرض حصاراً على مدينة هراة غرب أفغانستان، وإبان ذلك اعتقل جنود الشاه جاسوساً فارسياً اسمه محمد بك، وهو يحمل رسائل إلى المقيم البريطاني، وفي شهر أبريل ١٨٣٨م:

"وصل إلى معسكر الشاه في هراة دكتور جون ماكنيل John McNeill، وهو أحد جراحي شركة الهند الشرقية البريطانية، مبعوثاً خاصاً من حكومة الشركة في بومباي، للتفاوض مع الشاه، وقدم له يوم ١٧ مايو عدة مطالب، أهمها رفع الحصار عن هراة، وإطلاق سراح العميل البريطاني محمد بك الذي يعمل موظفاً رسمياً في شركة الهند الشرقية البريطانية، وتوقيع اتفاقية تجارية مع حكومة الهند البريطانية، فرفض الشاه محمد مطالب ماكنيل وعدها إهانة له واعتداءًا على سيادة أفغانستان"[٢].

---

1) A History of Persia, Vol. II, P421.
2) A History of Persia, Vol. II, P433.

وفي ٤ يونيو سنة ١٨٣٨م، وبناءًا على تعليمات من الحكومة البريطانية في لندن، سلم جون ماكنيل إنذاراً للشاه محمد بأن حكومة صاحبة الجلالة تعتبر حصاره لهراة عملاً عدائياً موجهاً ضد بريطانيا، ثم غادر فارس.

وفي بداية شهر أغسطس أرسل ماكنيل إلى الشاه محمد في هراة الكولونيل ستودارت Stoddart يخبره رسمياً أن قوات الشركة وحكومة الهند البريطانية قد استولت على جزيرة خرج في الخليج، إذ بينما كان ماكنيل يتفاوض مع الشاه ويقدم له مطالب الحكومة البريطانية في لندن، كانت حكومة الشركة في الهند برئاسة اللورد أوكلاند Auckland قد اتخذت قرارها بإرسال حملة عسكرية لاحتلال خرج، وتحركت الحملة فعلاً من بومباي[١]!

وكانت حملة الشركة وحكومة الهند البريطانية في بومباي، بقيادة الكولونيل شريف Sherif قد وصلت أمام جزيرة خرج قبل فجر يوم ١٩ يونيو ١٨٣٨م، تتقدمها الفرقاطة سميراميس Semiramis، وقامت الحملة بإنزال الجنود والأسلحة والمدافع، وعند غروب شمس يوم ١٩ يونيو:

"كانت الحملة قد أتمت احتلال جزيرة خرج، وتواطأ معها شيخ بوشهر، الشيخ نصر، فأمدها بزوارق صغيرة، واستولى على حصيلة الضرائب في خزانة بوشهر، وقام المقيم البريطاني الكابتن هِنيل Hennell بإخفائه ثم تهريبه مع القوات البريطانية إلى خرج ليكون في حمايتها"[٢].

وبعد أن وصل إلى الشاه محمد رسول من والي إقليم فارستان، وتأكد من احتلال القوات البريطانية لخرج، أبلغ الكولونيل ستودارت بموافقته على مطالب جون ماكنيل، وسحب جيشه من حول هراة وفك الحصار عنها يوم ٢٨ أغسطس.

ورغم انصياع الشاه محمد لمطالب ماكنيل ورفع الحصار عن هراة، لم تنسحب القوات البريطانية من خرج، بل قامت بتحصينها، ونصبت فيها مدافع كبيرة، وأقامت ثكنات عسكرية، ووضعت فيها قوات ثابتة من جنود المشاة والمدفعية، عددها أربعة آلاف جندي.

---

1) A History of Persia, Vol. II, P434

٢) الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ص٢٦٤.

وفي أواخر سنة ١٨٣٨م قررت رئاسة شركة الهند الشرقية البريطانية وحكومتها في الهند برئاسة اللورد أوكلاند شن حملة عسكرية على أفغانستان لإزاحة أميرها دوست محمد خان Dost Mohammad Khan، مؤسس دولة البَرَكزاي Barakzai في أفغانستان، وإعادة شاه شوجا Shah Shujah، آخر أمراء أسرة الدوراني Durrani التي أزالها دوست محمد، وكانت سياسات دوست محمد وإغلاقه أفغانستان أمام تجارة الشركة وعملائها، قد تسبب لها في خسائر جسيمة، بالإضافة إلى ما شاع عن أن دوست محمد يخطط لغزو المناطق المتاخمة لأفغانستان من الهند.

ورغم أن الحملة البريطانية التي بدأت في شهر ديسمبر ١٨٣٨م واستمرت ثلاث سنوات، نجحت في بدايتها، وتمكنت من احتلال أفغانستان ودخول قندهار وكابول، فقد:

"منيت بعدة هزائم فادحة، وانتهت سنة ١٨٤٢م بإبادة أغلب جيش الجنرال إلفينستون Elphinstone البالغ عشرين ألف جندي، إبان انسحابه"[١].

ومع اتخاذ حكومة الهند البريطانية قرار غزو أفغانستان، أعلنت قطع علاقاتها السياسية والدبلوماسية مع فارس، بذريعة استيلائها على منزل في طهران كان مملوكاً لضابط بريطاني كان في طهران وغادرها، ومع تقدم قوات الحملة البريطانية داخل أفغانستان، أرسلت حكومة الهند البريطانية البارجة ولسلي Wellesley مع ثلاث سفن حربية أخرى إلى الخليج، بقيادة الأدميرال فريدريك ميتلاند Frederick Maitland، قائد أسطول الهند/أسطول شركة الهند الشرقية البريطانية، لاحتلال ميناء بوشهر، في شهر مارس ١٨٣٩م، ومعه قوة من خمسمائة جندي بريطاني، وأربعمائة من جنود السيبوي الهنود.

وفي كتابه: دليل الخليج الفارسي وعُمان ووسط جزيرة العرب Gazetteer of The Persian Gulf, Oman And Central Arabia، الذي يستعرض فيه تاريخ الخليج وتفاصيل علاقة شركة الهند الشرقية به وتطور نفوذها فيه، والذي وضعه بتكليف من حكومة الهند البريطانية، جون جوردون لوريمر John Gordon Lorimer، وكان الحاكم البريطاني لولاية البنجاب في الهند، ثم المقيم السياسي البريطاني في بوشهر والخليج إلى وفاته سنة ١٩١٤م، ومكتوب في أول صفحة من كل مجلد من مجلدات الكتاب الثلاثة، أنه في عهدة حكومة الهند البريطانية، وأن

---

1) A History of Persia, Vol. II, P435-436.

رئيسها مسؤول عن الحفاظ عليه وألا يطلع عليه سوى ضباط حكومة الهند، في كتابه يصف لوريمر ما حدث، بأن:

"الأدميرال ميتلاند نزل إلى الشاطئ، وطلب من والي بوشهر الميرزا عباس السماح بإنزال جنوده، وتذرع بنقل الممتلكات البريطانية في الوكالة ودار المقيم البريطاني، فرفض والي بوشهر، وأمر جنوده بالتمركز أعلى برج وخلف متاريس تطل على الميناء، لمنع الجنود البريطان من النزول من السفن إلى بوشهر، واحتشد أهل بوشهر وحاصروا ميتلاند والكابتن هِنيل المقيم البريطاني ومجموعة من الضباط البريطان ورشقوهم بالحجارة، وتمكن بضع عشرات من الجنود والبحارة البريطان من النزول إلى بوشهر، وانتهت المعركة بقتل أغلبهم، وأدرك الأدميرال ميتلاند أن قواته لا تكفي لاقتحام بوشهر والاستيلاء عليها بالقوة، فانسحب منها إلى السفن، وانسحب معه المقيم البريطاني في فارس الكابتن هِنيل، ونقل مقر المقيمية البريطانية إلى جزيرة خرج، وكان ذلك في يوم ٢٩ مارس ١٨٣٩م"(١).

وفي شهر أكتوبر ١٨٤١م، اضطر الشاه محمد إلى توقيع المعاهدة التجارية التي تريدها حكومة الهند البريطانية، والتي فتحت أسواق فارس أمام البضائع البريطانية، ومنحت حصانة للتجار البريطان، واشترط الشاه أن تنسحب القوات البريطانية من جزيرة خرج، وتعيدها لفارس، في مقابل توقيع الاتفاقية، فانسحبت القوات البريطانية من خرج خلال شهري يناير وفبراير ١٨٤٢م، وعاد المقيم البريطاني إلى بوشهر(٢).

وفي شهر يونيو ١٨٤٨م، وبعد إنذار رسمي من السفير البريطاني في طهران، الكولونيل فَرانت Farrant، أصدر الشاه محمد فرماناً بمنع تجارة العبيد ونقلهم على السفن في الخليج، وفي أغسطس سنة ١٨٥١م، تم التوقيع على معاهدة تمنح المقيم البريطاني ووكلاءه والسفن البريطانية حق اعتراض سفن فارس وتفتيشها للتأكد من خلوها من العبيد(٣).

---

1) John Gordon Lorimer: Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part II, P1988-1990, Superintendent Government Printing, Culcutta, India, 1915.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part II, P1993.

٣) الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ص٢٩٥.

وقد أجبرت حكومة الهند البريطانية والمقيم البريطاني تحت تهديد السفن الحربية ومدافعها، كما ستعلم لاحقاً، سلطان مسقط الموالي لها، وكذلك شيوخ ساحل الشمال جنوب الخليج، وقطر والبحرين، على توقيع اتفاقيات مماثلة.

وكان الهدف الحقيقي من اتفاقيات تحريم تجارة العبيد كلها، هو السيطرة على الملاحة في الخليج، ووضعه تحت رقابة السفن الحربية البريطانية المتمركزة فيه، ومنحها حق اعتراض أي سفينة وتفتيشها ومصادرتها، وايضاً إفقار فارس ومشيخات الخليج وإجبارها على الخضوع لشركة الهند الشرقية البريطانية، لأن العبيد كانوا قوة العمل الرئيسية في الخليج، مع الافتقار إلى الآلات والمحركات البخارية التي طورتها الشركة وأحلتها محل قوة العمل البشرية.

وفي أواخر سنة ١٨٥٥م، نشب خلاف بين حاكم هراة، محمد يوسف، وبين أمير أفغانستان، دوست محمد خان، فاستعان محمد يوسف بشاه فارس ناصر الدين قاجار، فأرسل إليه جيشاً في أبريل سنة ١٨٥٦م، وعسكر الجيش على أطراف هراة، فقررت حكومة الهند البريطانية انتهاز الفرصة للاستيلاء على جزيرة خرج مرة أخرى، ووجهت إنذاراً لفارس بسحب جيشها من حول هراة، وتضمن الإنذار مطالبة الشاه بنقل إدارة بندر عباس لسلطان مسقط الموالي للبريطان، وتوقيع اتفاقية تجارية جديدة تسمح لشركة الهند الشرقية البريطانية بتأسيس وكالات تجارية في جميع مدن فارس.

وأعلنت رئاسة الشركة وحكومة الهند البريطانية، برئاسة الحاكم العام لبومباي ومدراس اللورد جون إلفينستون John Elphinstone، الحرب على فارس، وقررت بدلاً من توجيه جيش من الهند لأفغانستان عن طريق البر، أن تقوم بحشد قواتها في الخليج، ثم تقوم بإنزال بري لقواتها عبر خرج وبندر عباس وبوشهر[(١)].

وفي بداية شهر ديسمبر ١٨٥٦م، اكتملت الحملة البريطانية في الخليج، وظلت تحت قيادة الجنرال ستولكر Stalker، إلى أن وصل من بومباي القائد العام لها، السير جيمس أوترام James Outram، في يوم ٢٧ يناير ١٨٥٧م، وكانت الحملة تتكون من خمس وأربعين سفينة حربية، منها ثماني بوارج وفرقاطات، وخمسة آلاف وستمائة وسبعين جندياً، وألف ومائة وخمسين

---

1)A History of Persia, Vol. II, P452-453.

فارساً، وفي شهر يناير دعمت حكومة الهند الحملة بكتائب إضافية من المشاه والفرسان والمدفعية[1].

وفي يوم ٤ ديسمبر ١٨٥٦م، استولت الحملة البريطانية على جزيرة خرج، وأعلنت ضمها إلى التاج البريطاني، وفي يوم ٩ ديسمبر استولت على حصن ريشير Reshire، وبعد حصار بوشهر وقصفها بالمدافع وهدم أسوارها وأبراجها، استولت القوات البريطانية على بوشهر، يوم ١٠ ديسمبر، وأجبرت شيخها على الاستسلام دون قيد ولا شرط، ثم قامت بإنزال بري عبر بوشهر، وعبر خور خليل، على بعد اثني عشر ميلاً من بوشهر.

وبعد وصول الجنرال أوترام، واكتمال إنزال القوات البريطانية، تحرك أوترام بقواته من بوشهر وتوغل في داخل فارس، وتوجه نحو بورزجان Borazjun، على بعد ستة وأربعين ميلاً من بوشهر، حيث احتشد جيش فارس، وبسبب تفوق المدفعية وقوة الفرسان البريطانية:

"انتهت معركة خوشاب Khushab، يوم ٨ فبراير ١٨٥٧م، بانسحاب جيش فارس انسحاباً منظماً دون خسائر جسيمة في اتجاه شيراز، وأصيب السير أوترام، ولجهل القوات البريطانية بجغرافية فارس، وخشيته من إعداد الجيش الفارسي لكمائن في طريق جيشه، ومن الابتعاد عن سفن أسطوله ومدافعها، قرر أوترام الانسحاب بجيشه إلى بوشهر"[2].

وفي بداية شهر مارس، وجه السير أوترام حملته إلى الشمال نحو رأس الخليج، فأبحرت السفن الحربية البريطانية في نهر قارون، ووصلت إلى ميناء المحمرة على الضفة الشرقية لشط العرب، فحاصرته وقصفته البوارج بالمدافع، واحتلت مدينة المحمرة يوم ٢٦ مارس، ثم واصلت الحملة إبحارها في نهر قارون حتى وصلت إلى الأهواز واحتلته في بداية شهر أبريل[3].

وبينما قوات شركة الهند الشرقية وحكومتها في الهند تقاتل جيش الشاه ناصر الدين في فارس، وتتوغل في أراضيها وتواصل احتلال موانيها في الخليج، كانت المفاوضات قد بدأت، في أعقاب استيلاء قوات الشركة على بوشهر، بين ممثل الشاه وسفيره في باريس فاروق خان، وبين ممثل

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part II, P2018-2019.
2) A History of Persia, Vol. II, P453-454.
3) A History of Persia, Vol. II, P454.

الحكومة البريطانية وسفيرها في باريس اللورد كولي Cowley، وانتهت المفاوضات بتوقيع اتفاقية للسلام بين فارس والحكومة البريطانية، في يوم ٤ مارس ١٨٥٧م، دون أن تصل إلى الطرفين أنباء معركة خوشاب، ولا توغل سفن شركة الهند الشرقية البريطانية في الخليج واحتلالها للمحمرة والأهواز.

وتنازل ممثلو الحكومة البريطانية في المعاهدة عن مطلبهم بموافقة فارس على افتتاح وكالات سياسية وتجارية في مدن فارس جميعها، وكان الذي دفع الحكومة البريطانية إلى الإسراع بتوقيع المعاهدة قبل انتهاء المعارك، ظهور بوادر التمرد بين جنود السيبوي في الهند، ثم اندلاع الثورة ضد الشركة وحكومتها، ونصت المعاهدة بين بريطانيا وفارس على:

"حلول السلام الدائم Perpetual Peace والصداقة بين فارس وبريطانيا من يوم التصديق على المعاهدة، وإطلاق أسرى الحرب من الجانبين، وعفو فارس عن جميع رعايا فارس المعتقلين بسبب تعاونهم مع القوات البريطانية إبان الحرب، وانسحاب قوات فارس جميعها من هراة وجميع مناطق أفغانستان خلال ثلاثة أشهر من التصديق على المعاهدة، واعتراف فارس باستقلال هراة ومناطق الأفغان وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، وقبول فارس بوساطة بريطانيا في الخلافات بينها وبين هراة وأفغانستان، وإعادة البعثة البريطانية إلى طهران وتقديم اعتذار رسمي لها، وتمتع الحكومة البريطانية وممثليها ورعاياها بالحماية والامتيازات التي في الاتفاقيات السابقة، وتجديد اتفاقية سنة ١٨٥١م، الخاصة بتحريم تجارة العبيد، وإذا التزمت حكومة فارس بهذه الإجراءات تنسحب القوات البريطانية من جميع المناطق والجزر التابعة لفارس دون إبطاء"(١).

وبهذه الاتفاقية، أعادت حكومة الهند البريطانية خرج وبوشهر إلى فارس، بينما ظلت بندر عباس تحت سلطة سلطان مسقط التابع لبريطانيا، وكانت قد أجبرت فارس على تمديد اتفاقية تأجير بندر عباس لسلطان مسقط مع حشد قواتها في الخليج وقبل اندلاع الحرب، وازداد نفوذ البعثة البريطانية في طهران، وانتشر الوكلاء والعملاء والجواسيس البريطان في كل مكان من فارس، وصارت الملاحة وحركة السفن في سواحل فارس الجنوبية وشمال الخليج تحت رقابة

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part II, P2031-2032.

السفن الحربية البريطانية، ومن حقها اعتراضها وتفتيشها ومصادرتها، وكانت قد أجبرت مشيخات ساحل عمان وجنوب الخليج على اتفاقيات مماثلة، كما ستعلم، فصار خليج عُمان والخليج العربي بحيرة خالصة للأفعى الماسونية.

وقد نسينا أن نخبرك أن الجنرال جيمس أوترام الذي قاد حملة شركة الهند الشرقية البريطانية على فارس، واحتل موانيها وجزر شمال الخليج، وشط العرب، ليس سوى ماسوني آخر من ماسون الشركة، وكذلك اللورد جون إلفينستون، رئيس الشركة والحاكم العام في بومباي، الذي اتخذت حكومته قرار الحرب وشن الحملة على فارس واحتلال الخليج.

فأما أوترام، فيقول الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين ومؤرخ الماسونية الرسمي فريك جولد Freke Gould، في كتابه: المحافل العسكرية Military lodges:

"والجنرال سير جيمس أوترام أحد الماسون البريطان British Freemasons، الذين قادوا الجيوش في ميادين القتال"[١].

وأما إلفينستون، فتقول الدكتورة جيسيكا هارلاند جاكوبس، في كتابها: بُناة الإمبراطورية، الماسون والاستعمار البريطاني:

"وكان الماسون في مدراس يقومون بمهامهم الماسونية، فيعقدون الاجتماعات بانتظام، ويحتفلون بعيد القديس يوحنا، ويتبرعون للأعمال الخيرية، ولكن الماسونية في مدراس لم تحظ برعاية شخصية ماسونية بارزة، إلى أن وصل اللورد إلفينستون حاكماً لمدراس سنة ١٨٣٧م، فازدهرت المحافل في مدراس، خصوصاً أقدم محافلها وأفخمها، محفل الوئام التام Perfect Unanimity، وفي سنة ١٨٤٠م أصبح اللورد إلفينستون الأستاذ الأعظم الإقليمي، وزاد عدد المحافل زيادة كبيرة، وقرر اللورد إلفينستون إنشاء هيكل ماسوني مركزي، فشن حملة كبيرة لجمع التبرعات من الماسون، فجمع أربعة عشر ألف روبية، وتبرع هو نفسه بخمسمائة روبية، ووضع إلفينستون حجر الأساس للهيكل في احتفال كبير، وتابعت دورية الماسون في لندن Freemasons' Quarterly Review وضع حجر الأساس وارتفاع مبنى الهيكل، ونشرت

1) Military lodges. The Apron and The Sword or Freemasonry Under Arms, Addenda.

تحقيقاً ختمته بتوجيه التحية للورد إلفينستون قائلة: "إلى الماسوني المتحمس اللورد إلفينستون نحن ندين بالشيء الكثير"[1].

وبعد توقيع الاتفاقية التجارية مع فارس، ومع سحب رئاسة شركة الهند الشرقية وحكومتها في الهند لقواتها ومدافعها من جزيرة خرج، بدأت في البحث عن بديل لها ليكون قاعدة عسكرية في الخليج تسيطر بها على سواحله وموانيه وقبائله، وعلى الملاحة فيه، ويمكن منها التسلل إلى بلاد الإسلام والتوغل فيها، اتباعاً للمبدأ الذي وضعه الماسوني هنري جون تمبل بالمرستون، وزير خارجية بريطانيا ثم رئيس حكومتها، وهو أن:

"الاستيلاء على قاعدة دائمة في الخليج لا يعزز المواقع البريطانية فحسب، بل يتيح للحكومة البريطانية إمكانية التأثير بشكل فعال في سياسة الجزيرة العربية، وربما فارس أيضاً"[2].

أما استراتيجية شركة الهند الشرقية البريطانية وذرائعها، في إحاطة ما تريد الاستيلاء عليه بالبوارج والسفن الحربية، وإجبار شيوخها وحكامها على الدخول في طاعتها، وتوقيع اتفاقيات تجعلهم أتباعاً لها، وتضع مشيخاتهم وجزرهم في خدمتها، فهاك هي كما تنقلها المستشرقة الروسية ناتاليا تومانوفيتش، عن كتاب: الحرب الأنجلو فارسية، لكارل ماركس:

"بمجرد أن تلقي شركة الهند الشرقية البريطانية نظرة طامعة على ممتلكات أي ملك أو سلطان مستقل، أو على أي منطقة تمتاز بأهمية سياسية أو تجارية، أو تشتهر بذهبها وأحجارها الكريمة ونفائسها، تغدو ضحية متهمة بخرق هذه المعاهدة أو تلك، وسواءً كانت معاهدة حقيقية أو وهمية، أو بعدم تنفيذ تعهد خيالي، أو شرط محدد يستحيل تنفيذه، أو بإلحاق إهانة ببريطانيا لأي فكرة لا يتم إدراك معناها، ومن ثَم يتم إعلان الحرب على هذه الضحية"[3].

والهدف التالي للأفعى الماسونية بعد جزيرة خرج، كانت البحرين.

---

1) Builders of Empire Freemasons and British Imperialism, 1717-1927, P175.

٢) الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ص٢٨٧.

٣) الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ص٣٠٣.

البحرين

البحرين هي أكبر جزر أرخبيل البحرين الذي يتكون من ثلاث وثلاثين جزيرة، وهو أكبر مجموعة جزر في الخليج، ويقع الأرخبيل في وسط الخليج تقريباً، وقرب سواحله الغربية، ومن موقعها هذا تشرف البحرين على حركة الملاحة في الخليج.

ومنذ سنة ١٦٢٢م، وبعد تحالف الشاه عباس الصفوي مع شركة الهند الشرقية البريطانية لإخراج البرتغاليين من هرمز، صارت البحرين والزبارة تابعة لفارس، والزبارة منطقة مرتفعة تقع شمال غرب شبه جزيرة قطر وتواجه جزيرة البحرين، ومنذ سنة ١٧٥٥م كان يحكم البحرين باسم فارس، شيخ بوشهر، نصر آل مدكور، وهو من قبيلة المطاريش، عرب بوشهر.

وفي سنة ١٧٦٦م، هاجر آل خليفة من الكويت واستقروا مع شيخهم أحمد بن خليفة في الزبارة، وآل خليفة أحد أكبر فروع قبائل العتوب، وهي مجموعة قبائل نزحت أوائل القرن الثامن عشر من نجد إلى السواحل الشرقية للخليج والكويت، وأبرزها آل صباح وآل خليفة والجلاهمة، وكانت ترتبط معاً بروابط النسب والمصاهرة.

وكانت هجرة آل خليفة إلى ميناء الزبارة الذي يقع في مواجهة جزر البحرين إثر خلاف بينهم وبين آل صباح، فقوّى شيخهم أحمد بن خليفة روابطه بقبائلها، وصاهر آل بن علي، وأعلن طاعته لشيوخ قطر والزبارة من آل مسلم، وهم فرع من بني خالد، وكان يدفع لهم خراجاً سنوياً مقابل ممارسة التجارة وصيد اللؤلؤ، وبنى في الزبارة بيتاً حصيناً على تلة مرتفعة فصار يشبه القلعة[1].

ومع الوقت أصبحت الزبارة مركزاً للتجارة القادمة من الهند وعبر جزيرة العرب، ولتجارة اللؤلؤ، وازداد نفوذ آل خليفة وثرواتهم، وهاجر إليهم الجلاهمة، وفي سنة ١٧٧٩م اضطربت الأحوال في فارس بعد اغتيال الشاه كريم خان، فهاجم آل خليفة البحرين واستولوا على بعض السفن، ومنها

---

١) **الخليج العربى، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، ص٤١٧-٤١٩.**

سفينة الشيخ نصر حاكم بوشهر والبحرين، وفي سنة ١٧٨٢م شن الشيخ نصر حملة على آل خليفة في الزبارة، ولكنه لم يستطع اقتحام قلعتهم، وفي سنة ١٧٨٣م:

"هاجم آل خليفة والجلاهمة ومعهم قبائل شبه جزيرة قطر، هاجموا البحرين، وحاصروا حصن المنامة حتى استسلمت حاميته الفارسية، وضم الشيخ أحمد بن خليفة البحرين إلى الزبارة، وبعد وفاته نقل أبناؤه وخلفاؤه مقر حكمهم إلى البحرين"[١].

أما عن علاقة شركة الهند الشرقية البريطانية بالبحرين، فقد علمتَ من قبل أن الشركة تسللت إلى الخليج عبر فارس منذ بدايات القرن السابع عشر، ويقول مؤرخ الخليج وعلاقة الشركة به، جون لوريمر، في كتابه: دليل الخليج، إن:

"البحرين كانت من أوائل الأماكن في الخليج الفارسي التي جذبت انتباه ممثلي شركة الهند الشرقية الإنجليزية، وفي سنة ١٦١٣م قدَّم توماس ألدوورث Thomas Aldworth، رئيس الوكالة التجارية في سورات، تقريراً لرئاسة الشركة عن البحرين، قال فيه إن بها ميناءاً يتسع لرسو سفن حمولتها بين مائتين وثلاثمائة طن، وأنها مركز لتجارة الحرير الفارسي والأقمشة القادمة من فينيسيا، وفي سنة ١٧٠٠م ساءت العلاقات بين الشركة وفارس فاقترح المستر أوين Owen وكيل الشركة في فارس أنه إذا اضطرت الشركة أن تستخدم القوة للحفاظ على تجارتها وامتيازاتها في فارس، فإنه يجب الاستيلاء على جزيرة البحرين، ليس فقط لأنها قريبة من فارس، ولكن لأنها ستمكن سفن الشركة من التحكم في حركة التجارة في الخليج"[٢].

وبين سنة ١٧٩٩م، وسنة ١٨٠٣م، شن سلطان مسقط سلطان بن أحمد، ثلاث حملات عسكرية على آل خليفة لضم البحرين إلى سلطنته، وفشلت كلها بسبب استعانة آل خليفة في إحداها بفارس مقابل اعترافهم بسيادتها على البحرين ودفع جزية لها، وفي مرة أخرى استعانوا بقوات الحركة الوهابية في الإحساء، فصار آل خليفة أتباعاً لها وتحت نفوذها، ومع ضغط الحركة الوهابية عللى البحرين وسعيها لضمها، استنجد آل خليفة بفارس مرة أخرى، وتحالفوا في الوقت

---

١) الخليج العربى، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، ص٤٢٠.

2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P838.

نفسه مع القواسم في مشيخات جنوب الخليج، وصارت البحرين مركزاً لبيع ما يغنمه القواسم من الاستيلاء على السفن البريطانية.

وبعد أن خلف سعيد بن سلطان أباه في سلطنة مسقط بمعونة شركة الهند الشرقية البريطانية، كما ستعلم، شن هو أيضاً عدة حملات على البحرين، وحاول ضمها، ولكن الشركة هي التي منعته، رغم أنه حليفها وتابع لها، لكي لا يمتد نفوذه إلى شمال الخليج، واستراتيجيتها تقوم على تمزيقه، ولأن آل خليفة حين وجدوا أنفسهم غير قادرين على حماية البحرين من أطماع فارس ومسقط والحركة الوهابية، رأوا أن أفضل طريقة لحماية البحرين هي أن يضعوها ويضعوا أنفسهم تحت وصاية شركة الهند الشرقية البريطانية!

وهي المعادلة التي تحكم بلاد الخليج، وبلاليص ستان كلها من محيطها إلى خليجها، منذ وصلت إليها الأفعى الماسونية وإلى يومك هذا، فتراهم ينفخون صدورهم وهم يتكلمون عن استقلال المِزق التي أقطعهم إياها الغرب وإمبراطورياته الماسونية، ويتباهون بقداسة أرضها وترابها، ويتربص كل منهم بالآخر، ويتقاتلون كل حين من أجل الحدود بين هذه المِزق التي وضعها الغرب، أو من أجل الثروات التي فيها، ثم تراهم جميعاً وفي الوقت نفسه عبيداً لهذه الإمبراطوريات الماسونية، ولا يملك أحد منه أن يتحرك خطوة واحدة في أي اتجاه دون إذنها أو بتحريض منها.

وكلما أرادت هذه الإمبراطوريات الماسونية تحريك بلاليص ستان من أجل التقدم خطوة في المشروع اليهودي الذي هو بوصلتها وغايتها، فلا تحتاج سوى أن تهيج بعض بقر بلاليص ستان على بعضهم الآخر، لتدور عجلة المنطقة وتتحرك في اتجاه اليهود ودولتهم وهيكلهم، وهو ما ستدركه وحدك إذا وضعت في ذهنك الفرضية البني الإسرائيلية وراجعت تاريخ بلاليص ستان وما نشب فيها من أزمات منذ استقلالها الوهمي وحتى اللحظة التي تقرأ فيها هذا الكلام، وانتبهت إلى ارتباط القفزات في المشروع اليهودي بهذه الأزمات.

في شهر يوليو سنة ١٨١٦م، وصلت إلى الشيخ عبد الله بن أحمد بن خليفة أنباء خروج حملة من مسقط متجهة إلى القواسم والبحرين المتحالفة معهم، فأرسل رسالة ودية إلى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر والخليج، الليوتنانت وليام بروس William Bruce، فزار بروس البحرين

يوم ١٩ يوليو على متن سفينة حربية تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية، واتفق مع الشيخ عبد الله بن أحمد بن خليفة اتفاق صداقة شفوياً، أن:

"تسمح البحرين لسفن الشركة بالرسو في ميناء البحرين واستخدامه، في مقابل حماية سفن الشركة الحربية للبحرين، ومنع أي هجوم ضدها، والسماح لسفن البحرين بالتجارة في موانى الهند البريطانية[١].

وفي سنة ١٨١٧م كتب المقيم البريطاني في بوشهر الليوتنانت بروس تقريراً قال فيه إن البحرين تتواطأ مع القواسم في جنوب الخليج، وأنها صارت السوق الرئيسية لتصريف ما يستولي عليه القواسم من القرصنة على السفن البريطانية، وأنها في الوقت نفسه المصدر الرئيسي لإمداد القواسم بالأغذية، خصوصاً الأرز والتمور.

وفي شهر فبراير ١٨١٩م وصلت أنباء إلى الليوتنانت بروس بأنه قد تم بيع سبع عشرة امرأة هندية في بازار البحرين، وأنهن أرسلن إلى البحرين من رأس الخيمة، بعد أن أسرهن القواسم في هجوم على سفينة ترفع الأعلام البريطانية، فأرسل بروس الكابتن لوتش Loch في خمس سفن حربية إلى البحرين، فاستعاد النساء الهنديات، ثم أجبر شيخ البحرين عبد الله بن أحمد بن خليفة على توقيع اتفاقية يتعهد فيها بعدم بيع ما يستولي عليه القواسم من السفن البريطانية في البحرين.

وإبان وجود لوتش في البحرين أخبره أحد وكلاء شركة الهند الشرقية البريطانية من أهل البحرين أن أسطولاً من سفن القواسم قد رسا في المرسى الجنوبي:

"فأمر لوتش سفن الشركة بتدمير السفن الراسية في الميناء دون إخبار شيخ البحرين، ودون أن يتأكد من أن السفن تابعة للقواسم، وقد كانت في الحقيقة لشيخ دبي من بني ياس"[٢].

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P844.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P846.

وحين شنت شركة الهند الشرقية وحكومتها في بومباي حملتها على القواسم في رأس الخيمة ومشيخات ساحل الشمال جنوب الخليج، التي بدأتها أواخر سنة ١٨١٩م، بقيادة الجنرال كير keir، والتي ستلتقي بها في محطة تالية من مسيرة الأفعى الماسونية في مياه الإسلام، هُرع شيخ البحرين، عبد الله بن أحمد بن خليفة، فعقد معاهدة صداقة مع سعيد بن سلطان، سلطان مسقط، التابع للشركة وحليفها في الحملة، في بداية سنة ١٨٢٠م، وتعهد بأن يدفع له جزية سنوية قدرها ثلاثون ألف دولار/تالر ماريا تيريزا، لكي لا يصبح هدفاً للحملة.

ومع بدء الهجوم البريطاني على تحالف القواسم، لجأت عشرة من سفن القواسم في رأس الخيمة إلى البحرين، فأبحر الكابتن لوتش من رأس الخيمة إلى البحرين في الطرادين عدن Eden وكيرلو Curlew، وأجبر شيخها على تسليمه السفن، وعلى توقيع اتفاقية، في يوم ١٧ يناير ١٨٢٠م، يتعهد فيها:

"بعدم السماح لأي سفينة أو قارب بالدخول إلى ميناء البحرين إلا بعد إخبار المقيم البريطاني في بوشهر والحصول على موافقته"[1].

وفي أعقاب الحملة وتوقيع اتفاقية الهدنة البحرية العامة بين شركة الهند الشرقية البريطانية وحكومتها في بومباي ومشيخات جنوب الخليج، انضم إليها شيخا البحرين عبد الله بن أحمد آل خليفة وأخوه سليمان، ووقعها نيابة عنهما في الشارقة يوم ٥ فبراير ١٨٢٠م وكيلهما السيد عبد الجليل، ثم وقع عليها شيخا البحرين بأنفسهما في البحرين يوم ٢٣ فبراير[2].

وبهذه المعاهدة صارت الملاحة في الخليج تحت سيطرة قاعدة باسيدو Basidu التي أقامها البريطان في جزيرة قشم بعد أن احتلوها، وتحت مراقبة سفن شركة الهند الشرقية البريطانية المرابطة فيه وتقوم بدوريات للتفتيش على السفن والمواني، وصارت البحرين مع مشيخات الخليج تحت وصاية المقيم البريطاني في بوشهر، ولم يعد بإمكان سفنها الإبحار أو ممارسة التجارة إلا بتصريح ورخصة منه، ولكن إدخال الشركة وحكومتها للبحرين في هذه المعاهدة العامة مع

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P848.

2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P848.

مشيخات الخليج كان يعني ضمناً الاعتراف باستقلال آل خليفة في البحرين، ونفي تبعيتها لفارس، وأنها في حماية بريطانيا، لأن حكومة الشركة في بومباي تعهدت لفارس قبل بدء حملتها على مشيخات الخليج بأنها لن تتعرض لشواطئ فارس ولا ما يقع تحت سيادتها من جزر الخليج.

وفي سنة ١٨٢٢م جهزت فارس حملة عسكرية لغزو البحرين وإعادتها إلى سيادتها، فزار المقيم السياسي البريطاني في بوشهر الكابتن بروس آل خليفة في المنامة، بتعليمات صادرة من حكومة بومباي البريطانية، وأبلغهم أن بريطانيا تعترف باستقلالهم بالبحرين عن فارس، وسوف تساندهم ضد حملتها، ولكن بروس حفاظاً على مصالحه هو الخاصة وتجارته في فارس، ودون إذن من حكومة بومباي، اتجه إلى شيراز، ووقع اتفاقية بصفته الرسمية مع حاكمها الميرزا زكي خان، في يوم ٣٠ أغسطس ١٨٢٢م، بذريعة تحقيق الأمن والهدوء في الخليج، ونصت المادة الأولى من الاتفاقية على أن:

"جزر البحرين كانت دائماً تابعة لحكومة فارس Always Subordinate To The Government of Fares، وقد تمرد على سلطتها مؤخراً شيوخ العتوب، وسوف يتم سحب الأعلام المميزة التي مُنحت لعتوب البحرين بمقتضى معاهدة السلام العامة مع بريطانيا سنة ١٨٢٠م، ولن تقدم لهم بريطانيا أي مساندة أو مساعدات في مواجهة فارس"[1].

ومع وصول الاتفاقية إلى حكومة بومباي، استدعت الكابتن بروس، وأبلغته بعدم موافقتها على الاتفاقية وعدم التصديق عليها، ثم عزلته لعقدها دون الرجوع إليها، وعينت محله الليوتنانت ماكلويد Mcleod، فزار آل خليفة في المنامة، في يوم ٢٧ يناير سنة ١٨٢٣م، وأخبرهم أن الاتفاقية التي عقدها بروس مع فارس بخصوص البحرين كأن لم تكن، وأن سياسة بريطانيا تجاه البحرين واستقلال آل خليفة بها عن فارس ومسقط ثابتة ولم تتغير.

واستقلال البحرين، مثل استقلال مشيخات الخليج كلها، لم يكن يعني في الحقيقة سوى عزلها عن بعضها وقطع الروابط بينها وتحويلها إلى توابع وأدوات تحركها شركة الهند الشرقية البريطانية

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P849.

وحكومتها في بومباي، من أجل تحقيق أهدافها في الخليج، وتَنفذ من خلالها إلى جزيرة العرب والدولة العثمانية.

ولذا حين شن سلطان مسقط، سعيد بن سلطان، حملة على البحرين في سنة ١٨٢٨م، رفضت حكومة الشركة في بومباي معاونته، رغم أنه حليفها وتابع لها، وبعد فشل الحملة أمرت حكومة بومباي المقيم البريطاني في الخليج، الكولونيل ويلسون Wilson، بالتوسط لتوقيع اتفاقية صلح بين سلطان مسقط سعيد بن سلطان وبين شيخ البحرين عبد الله آل خليفة، وحين بدا لسلطان مسقط إبان المفاوضات انحياز المقيم البريطاني لشيخ البحرين، قَبِل توقيع الاتفاقية يوم ٢ ديسمبر ١٨٢٩م، وكانت تنص على:

"عدم تدخل سلطان مسقط في شؤون البحرين، وأن يتوقف شيخ البحرين عن دفع الجزية التي كان يدفعها لمسقط منذ اتفاقية سنة ١٨٢٠م"(١).

وحين تقدمت قوات خورشيد باشا، قائد جيش أول الآتين من الخلف في مصر وأول من يصل إلى السلطة فيها من خريجي حواري اليهود، محمد علي باشا، حين تقدمت قوات خورشيد إلى شرق الجزيرة العربية، سنة ١٨٣٨م، من أجل ضم نجد إلى الحجاز، أطاحت بفيصل بن تركي آل سعود، ثم استولت على الإحساء والقطيف،، ووصلت إلى شواطئ الخليج، وصارت البحرين هي هدفها التالي، فأرسل وزير خارجية بريطانيا، الماسوني بالمرستون، احتجاجاً رسمياً إلى القاهرة، وسلمه قنصل بريطانيا في الإسكندرية، الكولونيل كمبل Kempell، إلى الماسوني الأرمني بوغوص باشا، وزير خارجية محمد علي، وفيه أن:

"البحرين ليست جزءًا من الجزيرة العربية، حيث إنها تابعة لفارس، وعلى ذلك فأن بريطانيا لن تسمح للدولة العثمانية ولا قوات محمد علي بالسيطرة عليها"(٢).

وفي مارس ١٨٣٩م وقع شيخ البحرين اتفاقية صداقة مع محمد أفندي رفعت، ممثل خورشيد باشا، وكانت حكومة الهند البريطانية في بومباي قد أرسلت حملتها العسكرية بقيادة الأدميرال

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P856.

٢) الخليج العربى، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، ص٤٦٤.

فريدريك ميتلاند، قائد أسطول الهند، لاحتلال ميناء بوشهر، فكلفته في الوقت نفسه بمنع وصول خورشيد باشا إلى البحرين، وكانت تعليماتها أنه:

"يجب إخبار خورشيد باشا أن استعمال القوة سيكون عملاً عدائياً ضد بريطانيا، ويجوز للقائد/ميتلاند التهديد باستعمال القوة إذا امتنع القائد المصري عن الأخذ بوجهة النظر البريطانية، وللقائد تقرير ما إذا كان استعمال القوة فعلاً ضرورة لابد منها"[١].

ومع ظهور أسطول الهند البريطاني في الخليج، أرسل المقيم البريطاني فيه الكابتن هِنيل رسالة تهديد إلى خورشيد باشا، أن بريطانيا لن تسمح له بالتقدم إلى البحرين، لأنها تابعة لفارس، رغم أن حملة الأدميرال ميتلاند كانت أصلاً من أجل احتلال مواني فارس!!

ولم يكن خورشيد باشا في حاجة إلى رسالة التهديد البريطانية، إذ أدرك أنه لا يمكنه مواجهة الأسطول البريطاني، لأن قواته برية وليس معه قوات بحرية، ولأن طريق السفن والأساطيل من مصر إلى بحر العرب والخليج صار تحت سيطرة بريطانيا بعد احتلالها لعدن في مدخل البحر الأحمر في فبراير من السنة نفسها، ١٨٣٩م.

وبعد حملة الأدميرال ميتلاند على سواحل فارس وشمال الخليج، ثم توقيع حكومة الهند البريطانية اتفاقية تجارية مع فارس، وما تلاه من انسحاب القوات البريطانية من جزيرة خرج سنة ١٨٤٢م، أرسل المقيم السياسي البريطاني في بوشهر، الكولونيل روبرتسون Robertson، تقريراً إلى حكومته في بومباي، وفيه أن فارس تقوم بعمل تحصينات وتحشد السفن في خرج وجزر الخليج التابعة لها، ويبدو أنها ستقوم بغزو البحرين، وكان شيخ البحرين محمد بن خليفة، بالاتفاق مع المقيم البريطاني، قد أطاح بعمه وشريكه في حكم البحرين الشيخ عبد الله بن سليمان آل خليفة وطرده من البحرين، فالتجأ عبد الله بن سليمان إلى فارس.

وكان رد حكومة بومباي على تقرير روبرتسون أنه:

"إذا كانت فارس تهدف من هذه التحركات إلى الاتجاه إلى أي إمارة من إمارات الخليج التي تربطها ببريطانيا علاقات خاصة، فيجب أن تقاوم تلك التحركات بكل قوة"[١].

---

١) دكتور صلاح العقاد: الاستعمار في الخليج الفارسي، ص١١٠، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.

ووصلت أنباء حشود فارس وتأهبها لشن هجوم على البحرين إلى الحكومة البريطانية في لندن، فأرسل وزير الخارجية اللورد أبردين Aberdeen إلى المفوض البريطاني في طهران السير شيل Sheil، فقدم مذكرة إلى حكومة الشاه محمد القاجاري، أن الحكومة البريطانية سوف تواجه أي تدخل فارسي في الخليج بالقوة، حتى لو أدى ذلك لنشوب حرب مع فارس، ونصت المذكرة على:

"تفي السيادة الفارسية على البحرين، لأنه منذ أتت أسرة القاجار إلى الحكم في فارس، سنة ١٧٩٥م ، لم يمارس أحد من ملوكها سلطة فعلية في هذه البلاد"[٢].

وهكذا عزلت شركة الهند الشرقية البريطانية وحكومتها في بومباي البحرين، وقطعتها عما حولها، تمهيداً لافتراسها وتحويلها إلى قاعدة بريطانية ومقر للتمركز في الخليج والسيطرة عليه منها.

وفي مايو سنة ١٨٤٧م، أجبر المقيم البريطاني في الخليج، الكابتن هِنيل، شيخ البحرين محمد بن خليفة على الانضمام لاتفاقية الهدنة العامة مع مشيخات جنوب الخليج، وعلى توقيع اتفاقية تحريم تجارة العبيد، ثم على اتفاقية أخرى لإلغاء تجارة الرقيق في مارس ١٨٥٦م، وبهذه الاتفاقيات:

"صار من حق السفن البريطانية اعتراض سفن البحرين وتفتيشها ومصادرتها، وكذلك استخدام جزر البحرين كمرسى لها، وصار شيخ البحرين ملزماً باحتجاز سفن رعاياه من أهل البحرين إذا كان فيها أرقاء وتسليمها للمقيم البريطاني"[٣].

وحاول الكابتن هِنيل وضع مادة في الاتفاقية تنص صراحة على حماية بريطانيا لجزر البحرين من أن تتعرض لها أي قوة أخرى، ولكن الشيخ محمد بن خليفة لم يقبل هذا الشرط، لأنه يعني تحويل البحرين إلى محمية بريطانية، وأنه سيحكمها نيابة عن بريطانيا، وبذلك تم تأجيل التهام الأفعى الماسونية للبحرين إلى خطوة تالية.

---

١) الخليج العربى، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، ص٤٤٦.

٢) الاستعمار في الخليج الفارسي، ص١٢٥.

٣) الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ص٢٩١.

وقد جاءت الظروف المناسبة لهذه الخطوة التالية حين اندلع نزاع بين شيخ البحرين محمد بن خليفة وبين محمد وعلي، ابني عمه عبد الله بن خليفة، بعد تحالفهما مع الحركة الوهابية، إذ بعد وفاة أبيهما سنة ١٨٤٨م، انتقل محمد وعلي ابنا عبد الله آل خليفة من جزيرة قيس في الخليج إلى بلدة الدمام، وأعلنا ولاءهما لأمير الدولة السعودية الثانية في نجد والإحساء، فيصل بن تركي آل سعود.

وفي سنة ١٨٥٢م نشب نزاع بين شيخ البحرين محمد بن خليفة وبين الأمير فيصل بن تركي، فخرج بسفنه وحاول فرض حصار على ميناء القطيف في الإحساء، وتمكن ابنا عمه من كسر الحصار بسفنهم، وهاجموا البحرين، ثم ارتدوا إلى القطيف بعد أن حالت السفن الحربية البريطانية بينهم وبين البحرين وأعلن المقيم البريطاني الكابتن كِمبال Kemball أنها في حمايتها، وبوساطة منه تم توقيع اتفاقية صلح بين شيخ البحرين وأمير نجد(١).

وفي مايو سنة ١٨٥٩م، اتهم تركي بن فيصل آل سعود شيخ البحرين محمد بن خليفة بتحريض بعض عشائر قطر على مهاجمة رعاياه، ثم أرسل حملة من القطيف والدمام على البحرين بقيادة محمد بن عبد الله آل خليفة، لإزاحة محمد بن خليفة وتنصيبه مكانه، فقام بقصف المنامة من البحر، وحاول إنزال قواته إلى جزيرة البحرين، فلم يستطع.

وأرسل المقيم البريطاني الكابتن فليكس جونز Felix Jones أسطولاً صغيراً بقيادة الكومودور بلفور Balfour، ومعه رسالة إلى الأمير تركي بن فيصل أن الحكومة البريطانية مصرة على الحفاظ على استقلال البحرين، فرد عليه تركي بن فيصل بأن:

"البحرين تابعة للدولة العثمانية، وسلطته عليها لأنه/تركي بن فيصل صار من أتباع الباب العالي Vassal of The Sultan of Turkey، وبتعليمات من المقيم البريطاني فليكس جونز قام الكومودور بلفور بقصف الدمام، ثم طالب تركي بن فيصل بمغادرة محمد بن عبد الله آل خليفة لها"(٢).

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P885.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P887.

وبعد أن اكتفى الكومودور بلفور بقصف الدمام وانسحب بسفنه من سواحل الإحساء، طلب شيخ البحرين محمد بن خليفة من المقيم البريطاني معاونته في شن حملة على ميناء القطيف، لردع تركي بن فيصل والقضاء على أطماعه في البحرين، فرفض المقيم البريطاني، وعلل ذلك بأن التعليمات الصادرة إليه من حكومة بومباي البريطانية، أن يتجنب الدخول في صدام مسلح مع الوهابيين، وألا تتوغل قواته في مناطق نفوذها في جزيرة العرب.

وقرر الشيخ محمد بن خليفة شن حملة على القطيف وحده، فخذله المقيم البريطاني مرة أخرى، وأرسل إليه رسالة يعنفه فيها ويتهمه بخرق اتفاقية الهدنة البحرية في الخليج التي وقع عليها، ويطالبه بعدم إثارة القلاقل في الإحساء.

ومع خذلان حلفائه البريطان له، ونكاية فيهم، اتجه الشيخ محمد بن خليفة إلى الدولة العثمانية وفارس، فأرسل في وقت واحد رسالتي ود وطلب صداقة إلى حكومة الشاه ناصر الدين القاجاري، وإلى مصطفى نوري باشا والي بغداد من قِبَل الباب العالي، فوصل إلى البحرين أولاً الميرزا مهدي خان ممثلاً لحكومة الشاه، ورُفعت أعلام فارس على أبراج البحرين، ثم تلاه محمد بيك ممثلاً لوالي بغداد، فرُفعت أعلام الدولة العثمانية[١].

وتمكن مبعوث فارس مهدي خان من كسب ثقة الشيخ محمد بن خليفة، فأصدر في أبريل سنة ١٨٦٠م تصريحين، أحدهما موجه للشاه ناصر الدين، والثاني لحاكم إقليم فارستان، ونص فيهما على أنه:

"**يقوم على حكم البحرين بفضل الشاه، وأن البحرين كانت وستظل جزءًا من فارس، وأنه يتعهد بدفع جزية سنوية إلى خزانة مقاطعة فارستان**"[٢].

ومع وصول نبأ الاتفاق وإعلان محمد بن خليفة سيادة فارس على البحرين إلى المقيم البريطاني في بوشهر، الكابتن جونز، أرسل إلى الوزير البريطاني المفوض في طهران، السير

---

1) **Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P888.**

٢) **دكتور جمال زكريا قاسم: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية، ص١٨٧، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.**

رولنسون Rawlinson، فكتب تقريراً إلى وزير الخارجية جون رسل John Russell، فأحاله إلى مكتب الهند India Office في الحكومة البريطانية، والذي تم إنشاؤه سنة ١٨٥٨م، ليتولى إدارة شؤون الهند، بعد حل شركة الهند الشرقية البريطانية، وبعد مشاورات بين الحكومة البريطانية وحكومة الهند البريطانية في كلكتا، وفي ٢٨ فبراير ١٨٦١م، تم اتخاذ قرار إعلان البحرين إمارة مستقلة.

وفي ٣١ مايو ١٨٦١م، وصل المقيم البريطاني الكابتن جونز إلى البحرين في أربع سفن حربية، وحاصر المنامة، وأجبر شيخ البحرين محمد بن خليفة على توقيع المعاهدة التي وضعتها حكومة الهند البريطانية، وأنه ملتزم هو وخلفاؤه وورثته بها، وكان نصها:

"١- تأكيد التزام شيخ البحرين بجميع الاتفاقيات والمعاهدات السابقة بين بريطانيا والبحرين، ٢- يتعهد شيخ البحرين بالتوقف عن جميع الأعمال الحربية وعن القرصنة وتجارة الرقيق في البحر، في مقابل معاونة الحكومة البريطانية له في مواجهة أي عدوان على المناطق الخاضعة له من شيوخ الخليج وقبائله، ٣- بناءًا على هذا التعهد يوافق شيخ البحرين على إبلاغ المقيم البريطاني في الخليج الفارسي بأي اعتداء يقع عليه أو على أحد من رعاياه، وأن يقبله حكماً بينه وبين خصومه، وألا يتخذ هو أو أحد من رعاياه أي إجراء سوى بموافقة الحكومة البريطانية، ويتعهد المقيم البريطاني باتخاذ الإجراءات اللازمة ضد المعتدين على شيخ البحرين أو أحد من رعاياه، كما يقبل شيخ البحرين الأحكام التي يصدرها المقيم البريطاني والتعويضات التي يفرضها عليه إذا كان هو أو أحد من رعاياه هم المعتدين، ٤- يُقر شيخ البحرين بالسيادة القضائية Jurisdiction للوكيل البريطاني في البحرين والمقيم البريطاني في الخليج على رعايا بريطانيا في البحرين، ويوافق على السماح لرعايا بريطانيا بالإقامة وممارسة التجارة في المناطق الخاضعة له في مقابل ضريبة قدرها ٥% من قيمة بضائعهم، ٥- عند حدوث خلاف أو نزاع بين أهل البحرين وأحد رعايا بريطانيا يقوم بتسوية النزاع بينهما الوكيل البريطاني في البحرين، وإذا لم يستطع يُحال النزاع إلى المقيم البريطاني في الخليج،

ويقوم المقيم البريطاني بالوساطة في المنازعات التي تحدث بين رعايا إمارة البحرين وبين أهل موانئ الخليج من القبائل الحليفة للحكومة البريطانية"[١].

وكما ترى، استقلال البحرين، مثل استقلال دول بلاليص ستان جميعها، ومن محيطها إلى خليجها، لم يكن سوى غلاف، فحواه الحقيقية عزلها عن بعضها، وفرض الحماية البريطانية عليها، ووقوعها تحت وصاية الإمبراطوريات الماسونية، لتتم بها المشروع اليهودي، الذي صارت بلاليص ستان كلها حُبلى به، وفي انتظار إعلان مولده.

ورئيس الحكومة البريطانية التي اتخذت قرار تحويل البحرين إلى إمارة واستقلالها، أو تحويلها إلى محمية بريطانية، هو الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين بالمرستون، الذي التقيت به معنا من قبل، وسوف يقابلك من بعد.

وفي سنة ١٨٦٣م، ثار خلاف بين شيخ البحرين محمد بن خليفة وبين محمد بن ثاني شيخ قطر، بسبب امتناع محمد بن ثاني عن دفع الجزية السنوية لمحمد بن خليفة، وكانت قطر تابعة للبحرين، فأرسل محمد بن خليفة وكيله أحمد بن محمد والياً على قطر، فاستقر في مدينة الوكرة على الساحل الجنوبي الشرقي لقطر، وكانت معاملته لأهلها قاسية، فثارت عليه قبائل قطر وطردته.

وذهب الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني إلى البحرين، للتفاوض مع شيخها محمد بن خليفة، فاعتقله وسجنه، ثم في أكتوبر سنة ١٨٦٧م أرسل محمد بن خليفة حملة على قطر في أربعة وعشرين قارباً وسبعمائة رجل، بقيادة أخيه علي، واشترك معه في الحملة شيخ أبو ظبي زايد بن خليفة آل نهيان بسبعين قارباً وألفي رجل، واستولت الحملة على أربعين سفينة تابعة لقطر، ونهبت الوكرة والدوحة وخربتها[٢].

واستعان شيخ قطر محمد آل ثاني، بأمير نجد والإحساء، فيصل بن تركي آل سعود، لشن حملة على البحرين، وانتهت المواجهة بين آل خليفة شيوخ البحرين وبين آل ثاني شيوخ قطر

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P889.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P893.

وحلفائهم من قوات تركي بن فيصل دون نتيجة حاسمة، سوى أن آل ثاني أسروا وهم ينسحبون اثنين من آل خليفة لمبادلتهما بقاسم آل ثاني.

وها هنا ظهر المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل لويس بيلي Lewis Pelly، فأبحر في بداية شهر سبتمبر ١٨٦٨م في أربع سفن حربية إلى البحرين، فحاصرها وقصف قلعتها، وكان شيخها محمد بن خليفة قد فر مع ظهور السفن البريطانية أمام البحرين إلى سواحل قطر، ومنها إلى داخل جزيرة العرب، وترك الحكم لأخيه علي بن خليفة، وفي يوم ٦ سبتمبر ١٨٦٨م أجبر الكولونيل بيلي الشيخ علي بن خليفة على توقيع اتفاقية، كان نصها:

"١- تسليم جميع السفن الحربية التابعة لآل خليفة إلى المقيم البريطاني، ٢- يدفع آل خليفة غرامة قدرها مائة لأف دولار/تالر ماريا تريزا إلى المقيم البريطاني، على أن يُدفع منها خمسة وعشرون ألف دولار في اليوم التالي لتوقيع الاتفاقية، ويقسط الباقي على ثلاثة أقساط، ٣- إبعاد محمد بن خليفة عن حكم البحرين، ويصبح الشيخ علي بن خليفة وحده حاكم البحرين، ويتعهد في حالة عودة محمد بن خليفة باعتقاله وتسليمه إلى المقيم البريطاني، ٤- إذا خالف الشيخ علي بن خليفة تعهداته فإنه يُعد مثل محمد بن خليفة من القراصنة، ٥- من أجل المحافظة على السلام في البحر يتم تعيين وكيل عن البحرين في بوشهر لتلقي التعليمات من المقيم البريطاني"(١).

وكان الشيخ محمد بن خليفة، قد وصل إلى الإحساء واجتمع حوله بعض من قبائلها، خصوصاً من بني هاجر، ووصلته أنباء تمرد قبائل البحرين، بسبب الضرائب الثقيلة التي فرضهاعليهم علي بن خليفة، لكي يتمكن من تسديد أقساط الغرامة التي فرضها عليه المقيم البريطاني، وفي سبتمبر ١٨٦٩م:

"خرج محمد بن خليفة من القطيف، ومعه الشيخ ناصر بن مبارك من بني هاجر، في تسعة قوارب وخمسمائة رجل مسلح، فنزلوا إلى سواحل البحرين وكان كثير من شيوخها وأهلها في

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P895.

انتظارهم، وهاجموا قلعة بو ماهر، وأخذوا المنامة والمحرق، وقُتل الشيخ علي بن خليفة في المعارك"[1].

وفي يوم ١٩ نوفمبر ١٨٦٩م، وبناءًا على تعليمات من حكومة بومباي البريطانية:

"أبحر المقيم البريطاني الكولونيل بيلي من بوشهر في الطرادين دافني Daphne ونيمف Nymph ويضع قوارب، فقصف المنامة والمحرق بالمدافع، ثم أنزل قواته إلى البحرين، واعتقل الكولونيل بيلي الشيخ محمد بن خليفة واثنين آخرين من شيوخ البحرين المناوئين للنفوذ البريطاني، وصادر أموالهم وأرسلهم أسرى إلى بومباي، وأرسل يستدعي عيسى بن الشيخ علي بن خليفة من حيث يقيم في قطر، فنصبه أميراً على البحرين في حضور شيوخها"[2].

وقد حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة إمارة البحرين اكثر من ستين سنة، منذ سنة ١٨٦٩م وحتى وفاته سنة ١٩٣٢م، ومثل بقية أمراء الخليج، ومثل حكام بلاليص ستان جميعاً، لم يكن سوى واجهة للبريطان الذين نصبوه أميراً، وأداة طيعة في أيديهم، وقناة يديرون من خلالها بلاد العرب ويوجهونها في اتجاه المشروع اليهودي.

وكانت الخطوة التالية نحو إدخال البحرين مع بقية إمارات الخليج في حرملك بريطانيا، سنة ١٨٨٠م، إذ في يوم ٢٢ ديسمبر زار المقيم البريطاني الكولونيل إدوارد روس Edward Ross الشيخ عيسى بن علي في البحرين، وأجبره بتعليمات من حكومة الهند البريطانية على توقيع اتفاقية، هي تعهد من الشيخ عيسى بن علي، ونصها:

"١- عدم الدخول في مفاوضات أو عقد اتفاقيات مع أي حكومة أخرى، إلا بعد موافقة الحكومة البريطانية، ٢- عدم السماح لأي حكومة أخرى بتأسيس وكالات دبلوماسية أو

---

١) تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية، ص١٩٦

2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P898-899.

قنصلية أو مستودعات لوقود السفن في مناطق البحرين، إلا بموافقة كتابية Consent من الحكومة البريطانية"[١].

وفي مارس ١٨٩٢م، وبتعليمات من حكومة الهند البريطانية، وترتيب من المقيم البريطاني الميجور تالبوت Talbot، وقع شيوخ إمارات ساحل الشمال في جنوب الخليج المعاهدة الحصرية Exclusive Greement، التي سنأتيك بتفاصيلها لاحقاً، وفي يوم ١٣ مارس وقعها شيخ البحرين عيسى بن علي، وكان نصها:

"يتعهد الشيوخ وورثتهم وخلفاؤهم بالآتي: ١- ألا يدخلوا تحت أي ظرف في اتفاقية أو مراسلات مع دولة أخرى غير الحكومة البريطانية، ٢- ألا يسمحوا لوكيل أي حكومة بالبقاء في المناطق التابعة لهم إلا بموافقة الحكومة البريطانية، ٣- ألا يمنحوا أي جزء من المناطق التابعة لهم، سواء بالبيع أو الرهن أو الإيجار، أو بأي طريقة أخرى، تحت أي ظرف، لأي حكومة، ما عدا الحكومة البريطانية"[٢].

وبهذه المعاهدة الحصرية، التي ضمت أيضاً مسقط والكويت، صارت البحرين وإمارات الخليج كلها دواجن في حظيرة بريطانيا، وصار إدراكها للعالم وفهمها لما يحدث فيه وموقفها منه من خلال بريطانيا وكما تريد، وإحدى أدواتها في إتمام المشروع اليهودي الساري في ركاب الإمبراطوريات والممتزج بالكشوف والحملات البحرية والتجارة، والذي ورثته شركة الهند الشرقية البريطانية الماسونية عن منظمة فرسان المسيح المغلفة في مملكة البرتغال، ثم سلمته لمملكة بريطانيا الماسونية، لكي تسلمه بعد أن أتمته لأصحابه الحقيقيين.

وإبان الحرب العالمية الأولى حولت بريطانيا جزر البحرين إلى قاعدة حربية ومقر لتمركز أسطولها الملكي، وهي الحرب التي كانت غاية بريطانيا العظمى فيها الاستيلاء على الشام وفصل فلسطين عما حولها، ثم وضعتها في قبضة مندوبها السامي اليهودي هربرت صمويل Herbert Samuel، لكي يسلمها للعصابات الصهيونية.

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P922.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P739.

قطر

وقطر شبه جزيرة تنتصب رأسياً عند منتصف الساحل الغربي للخليج، ويتصل جذرها أو قاعدتها من جهة الجنوب بجزيرة العرب جنوب الإحساء، وتجاورها نجد، وتطل على الخليج من جهة الشمال والغرب وتجاورها البحرين، وتطل شرقاً على مجرى الخليج، ويجاورها جنوباً مشيخات ساحل الشمال، جنوب الخليج.

فهاك أولاً خريطة لقطر وموقعها من الخليج والبحرين ومشيخات جنوب الخليج وجزيرة العرب.



خريطة تاريخية لقطر والبحرين وموقعها من الخليج وإمارات جنوب الخليج ونجد والإحساء.

وقد علمتَ من قبل أن آل خليفة والجلاهمة، وهما فرعان من قبائل العتوب، ومعهم قبائل شبه جزيرة قطر، هاجموا البحرين من معقلهم في الزبارة، سنة ١٧٨٣م، بقيادة الشيخ أحمد بن خليفة، وضموا هذه إلى تلك، ثم نقل أبناء أحمد بن خليفة مقر حكمهم إلى البحرين.

ومنذ ذلك الحين والزبارة، وهي الجزء المرتفع من قطر والمواجه لأرخبيل البحرين، تتبع آل خليفة في البحرين، بينما تقع منطقة الرويس وخور حسن تحت سيطرة الجلاهمة وقبائل قطر المتحالفة معهم، ولكن ظلت قطر تابعة للبحرين وتؤدي لآل خليفة الجزية أو الخراج.

وفي سنة ١٨٤٨م هاجر آل ثاني بقيادة شيخهم محمد آل ثاني من الفويرط شمال شرق قطر، إلى مدينة البِدع في منتصف الساحل الشرقي لقطر، والبدع هي التي صارت تعرف منذ أواخر القرن التاسع عشر باسم الدوحة.

وآل ثاني فرع من قبائل المعاضيد، التي هاجرت من نجد واستقرت في قطر، ومع الوقت تحالف آل ثاني مع قبائل قطر، ومع أمير الدولة السعودية الثانية فيصل بن تركي آل سعود، وسيطروا على زمام الأمور في قطر، وإن ظلوا يؤدون الجزية لآل خليفة في البحرين.

وكان فيصل بن تركي آل سعود قد أسس الدولة السعودية الثانية في نجد والإحساء، بعد انسحاب قوات محمد علي باشا بقيادة خورشيد باشا منها، وامتد نفوذه إلى القصيم ووسط الجزيرة العربية، وأجبر شيخ البحرين محمد بن خليفة على أداء الزكاة له.

وفي سنة ١٨٥٠ زحف الأمير فيصل بن تركي على قطر حتى وصل إلى منطقة مسيمير جنوب قطر، فاحتشد آل ثاني والقبائل المتحالفة معهم في البِدع/الدوحة، وانضم إليهم علي بن خليفة من البحرين، وكانت قطر تابعة لها، واندلعت مناوشات وقتال خفيف بين جيش فيصل بن تركي وقوات آل ثاني وآل خليفة، دون خسائر، ثم انسحب الأمير فيصل بن تركي بسبب شدة الحر وقلة المؤن والماء، وهنا:

"قر رأي القطريين ومحمد بن ثاني على عقد صلح مع الأمير فيصل، ولكن آل خليفة استنكروا هذا الرأي، واتهموا القطريين بالخيانة، فترك قائدهم قطر مع جيشه، وألحق محمد بن ثاني بالأمير فيصل رسولاً يحمل رسالة يسترضيه فيها ويطلب عفوه، فاستلم الأمير الرسالة وهو

بالقرب من سلوى، وقفل راجعاً إلى مسيمير، فاجتمع الزعيمان وتمت تسوية الخلافات بينهما ودخل آل ثاني في طاعة الأمير السعودي"(1).

أما علاقة شركة الهند الشرقية البريطانية والبريطان بقطر، فقد بدأت إبان حملة الشركة وحكومتها في بومباي على القواسم في رأس الخيمة، سنة ١٨٠٩م، إذ كانت قطر تحت نفوذ الجلاهمة، وهم فرع من العتوب، وكان شيخ الجلاهمة رحمة بن جابر متحالفاً مع القواسم ومع الحركة الوهابية في نجد، إلا أنه لم يكن يهاجم السفن البريطانية مثل القواسم، فأمرت حكومة بومباي قيادة الحملة البريطانية بإجبار رحمة بن جابر على توقيع تعهد بعدم مساعدة القواسم أو إيواء سفنهم، وإن رفض تقوم سفن الحملة الحربية بتدمير مقر رحمة بن جابر وسفنه في خور حسن وميناءها، وفعلاً جهز المقيم البريطاني في بوشهر والخليج، الليوتنانت سميث Smith، حملة لتدمير خور حسن وسفن رحمة بن جابر، ولكن الحملة توقفت بتعليمات من حكومة الشركة في بومباي(2).

وإبان الحملة الثالثة لشركة الهند الشرقية وحكومتها في بومباي على القواسم، سنة ١٨٢٠م، كان رحمة بن جابر قد صار خصماً للقواسم، وعلى علاقة ودية بالبريطان والمقيم البريطاني في بوشهر، وبسلطان مسقط وحليف البريطان، سعيد بن سلطان، فتوقعت حكومة بومباي مشاركة رحمة بن جابر في حملتها على القواسم مع سلطان مسقط، ولكنه كان يُولي خلافاته مع آل خليفة في البحرين أولوية على الحملة على القواسم، فاتخذ قائد الحملة البريطانية الجنرال وليام جرانت كير William Grant Keir قراراً بمهاجمة سفن رحمة بن جابر وإغراقها، ولكنه أرجأ تنفيذ قراره لما بعد انتهاء الحملة على القواسم.

وبعد انتهاء الحملة البريطانية أرسل الجنرال كير في شهر أبريل سنة ١٨٢٠م إلى رحمة بن جابر ليشترك في توقيع اتفاقية الهدنة البحرية العامة مع شيوخ القواسم ومشيخات جنوب الخليج،

---

١) العميد محمود بهجت سنان: تاريخ قطر العام، ص٧٠، مطبوع على نفقة المؤلف، وساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه، مطبعة المعارف بغداد، ١٩٦٦م.

2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P790.

فاعتذر بأنه وقع اتفاقية مع فارس، وأنه الآن يتبع الحاكم العام لشيراز، فقبلت حكومة الشركة في بومباي اعتذاره، وكانت على وفاق مع فارس(١).

وفي سنة ١٨٢١م اتهم المقيم البريطاني في بوشهر أهل البِدع/الدوحة بالقرصنة على سفن شركة الهند الشرقية البريطانية، فأرسلت حكومة الشركة في بومباي الطراد فستال Vestal فقصف البدع ودمرها، واضطر أربعمائة من أهلها إلى الهجرة مؤقتاً إلى الجزر الصغيرة التي بين قطر وساحل الشمال في الجنوب(٢).

وفي يناير ١٨٢٣م، وضمن جولته في ساحل عُمان ومشيخات جنوب الخليج، زار المقيم البريطاني في بوشهر والخليج، الليوتنانت ماكلويد، البِدع/الدوحة، وكانت الميناء الوحيد في قطر الذي يوجد به سفن تجارية، ويسيطر عليها ويملك سفنها آل أبو العينين، ولما كان شيخ قبيلة أبي العينين يتبع آل خليفة في البحرين، ويؤدي لهم الزكاة، رأى الليوتنانت ماكلويد أن:

"البدع/الدوحة تدخل ضمناً في اتفاقية السلام العامة التي وقعتها مشيخات جنوب الخليج والبحرين سنة ١٨٢٠م مع حكومة شركة الهند الشرقية البريطانية، وأمر ماكلويد بحصر سفن البدع وتسجيلها، وعندما زار البحرين بعد بضعة أيام أعلم شيخها أنه يجب على قطر مراعاة اتفاقية السلام العامة، وبذلك صار من حق المقيم البريطاني وسفن شركة الهند الشرقية البريطانية اعتراض سفن قطر وتفتيشها ومصادرتها، ثم أرسلت حكومة بومباي حملة لاستكشاف سواحل قطر وموانيها"(٣).

وفي سنة ١٨٣٥م، وقع المقيم البريطاني، الكابتن هِنيل Hennell، اتفاقية الهدنة البحرية مع مشيخات الخليج والبحرين، فدخلت فيها قطر باعتبارها تابعة للبحرين، وفي عقب الاتفاقية:

"قسَّمت حكومة الشركة في بومباي الخليج طولاً إلى قسمين، لكي تقيد حركة سفن المشيخات والبحرين داخل القسم المجاور لسواحلها، وكان الخط الفاصل بين القسمين والذي

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P793.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P793.
3) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P793-794.

يمتد بين جزيرتي بوصير وبونعير يقع على بعد عشرة أميال من سواحل قطر، وبذلك تم تقييد حركة سفن قطر داخل الأميال العشرة في مواسم صيد اللؤلؤ"[١].

وفي فبراير سنة ١٨٤١م استولى بعض القراصنة أمام ساحل قطر على سفينة تابعة لرأس الخيمة، وكانت قد صارت تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية، فاتهم المقيم البريطاني الكابتن هِنيل جاسم بن رحمة بن جابر شيخ الجلاهمة، وأرسلت حكومة الشركة في بومباي ثلاث سفن حربية على رأسها الفرقاطة سيزوستريس Sesostris، بقيادة الكومودور بروكس Brucks، فقصف الدوحة، وفر جاسم بن رحمة إلى داخل قطر، واستولى الكومودور بروكس على سفنه وأرسلها إلى دبي[٢].

وفي سنة ١٨٦٣م، نشب النزاع الذي علمت تفاصيله بين آل خليفة في البحرين وآل ثاني في قطر، وهو النزاع الذي انتهى في سبتمبر سنة ١٨٦٨م، بإجبار المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل لويس بيلي لآل خليفة بالتوقيع على اتفاقية تزيح محمد بن خليفة من السلطة، وتنقلها إلى أخيه علي بن خليفة، مع دفع غرامة قدرها مائة ألف دولار/تالر ماريا تريزا لخزانة المقيم البريطاني.

وفي الوقت نفسه، وبتعليمات من حكومة شركة الهند الشرقية في بومباي، وقع الكولونيل بيلي اتفاقية مع شيخ قطر محمد بن ثاني في ١٢ سبتمبر ١٨٦٨م، ونصت على:

"ضمان عودة محمد بن ثاني إلى الدوحة والإقامة فيها بسلام، على أن يتعهد بعدم استخدام العنف في البحر لحل خلافاته مع جيرانه، وأن يحيل هذه الخلافات إلى المقيم البريطاني في بوشهر، وأن يتعهد بعدم تقديم مساعدة لشيخ البحرين السابق، وأن يسلمه إلى المقيم البريطاني إذا وقع تحت سلطته، وأن يتعهد محمد بن ثاني بالتعاون مع شيخ البحرين الجديد، والخضوع Submission لقرارات المقيم البريطاني فيما ينشب بينهما من خلافات"[٣].

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P798.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P798.
3) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P801.

والخبئ في هذه الاتفاقية، مثل مثيلاتها من الاتفاقيات التي أجبرت حكومة شركة الهند الشرقية البريطانية مشيخات الخليج على توقيعها، هو أنه بتوقيع شيخ قطر لاتفاقية منفصلة مع المقيم البريطاني، تم غرس بذرة فصل قطر عن البحرين، وتحويلها إلى إمارة مستقلة يحكمها آل ثاني، وهو الاستقلال الذي معناه الحقيقي، كما نفهم الآن، أن تتحول إلى محمية بريطانية وتدخل في الحرملك البريطاني.

وفي أعقاب وفاة الأمير فيصل بن تركي آل سعود، في ٥ ديسمبر سنة ١٨٦٥م:

"بويع ابنه عبد الله بن فيصل بالإمارة، ونشب نزاع بينه وبين أخيه سعود، ولجأ سعود إلى أمير البحرين عيسى بن علي بن خليفة، الذي نصبه البريطان ويواليهم، ومن ثَم صار حليفاً للبريطان، ثم شن بمعاونتهم ومعاونة شيخ البحرين حملة استولى بها على الإحساء ودخل الرياض، سنة ١٨٧٠م"[١].

وبعد دخوله الرياض، أرسل سعود بن فيصل آل سعود إلى المقيم البريطاني في بوشهر، لويس بيلي، يخبره أن نجد تحت سيطرته، وأنه يريد أن تكون بريطانيا هي المسؤولة وحدها عن حماية سواحل الخليج العربية.

ومع بداية ثورة أخيه عليه ونزاعه معه، تحالف عبد الله بن فيصل مع شيخ قطر قاسم بن ثاني، وأرسل إلى والي بغداد العثماني نامق باشا، سنة ١٨٦٦م، يطلب معاونته ضد أخيه، وإمداده لحماية الإحساء من القوات البريطانية التي تُغير عليها، وفي سنة ١٨٦٩م أرسل عبد الله بن فيصل آل سعود ثلاث رسائل إلى والي بغداد الجديد مدحت باشا، وإلى خليل بك والي البصرة، وإلى محمد الرفاعي نقيب أشراف البصرة، يعلن ولاءه للدولة العثمانية ويطلب معونتها.

وكانت استراتيجية الدولة العثمانية قائمة على أن بلاد العرب وأهلها من المسلمين السنة ظهير تلقائي لها، ولذا كانت تولي عنايتها للجبهات الأوروبية، في روسيا والبلقان، وتكتفي في بلاد

---

١) تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية، ص٢١٧.

العرب بأن تكون سيادتها عليها اسمية، فيحكم كل شيخ أو أمير قبيلته أو بلده باسم الدولة العثمانية، ويحمل لقب قائم مقام، على أن يؤدي الزكاة لوالي بغداد.

وبعد توغل بريطانيا في الخليج وامتداد نفوذها من شواطئه الفارسية إلى سواحله وجزره العربية، بدأ السلطان عبد العزيز، الذي تولى السلطنة والخلافة سنة ١٨٦١م، في تقوية الحاميات في الولايات العربية، وتوطيد صلات الدولة بأمراء بلاد العرب وشيوخ الخليج، وإن ظلت حركة الدولة العثمانية في الخليج مكبلة دائماً بعدم وجود أسطول لها في الخليج، إذ الطريق إليه عبر البحر الأحمر كانت مغلقة بوجود دولة محمد علي وخلفائه، عملاء الغرب، في مصر، وسعيهم بإغراء وتحريض منه لفصل مصر عن الدولة العثمانية.

وهنا لابد من تقرير حقيقة، رضي من رضي وغضب من غضب، وهي أن ثمة حركتين في بلاد العرب تبدوان مختلفتين ومتناقضتين وعدوتين، ولكنهما اشتركتا إبان القرن التاسع عشر في طعن الدولة العثمانية في ظهرها، وكانتا من أدوات استنزافها وإضعافها، وتواطئتا مع الغرب عليها، وأسهمتا في التعجيل بسقوطها وهي الجامعة لبلاد الإسلام في ثلاث قارات، وفي تمزيقها وتمزيق بلاد الإسلام وإلقائها بين أنياب الإمبراطوريات الماسونية، وهاتان الحركتان هما الحركة الوهابية في نجد، ودولة محمد علي باشا في مصر، وهو كما علمتَ تفصيلاً في كتاب: بلاليص ستان، أول الآتين من الخلف، وأول من يصل إلى حكم مصر من خريجي حواري اليهود.

ورفع مدحت باشا طلب عبد الله بن فيصل آل سعود بمعاونة الدولة العثمانية له إلى الأستانة، وطلب الإذن بشن حملة على الإحساء ونجد، فجاءته التعليمات بالإعداد لها وشنها، فبدأ مدحت باشا في الاستعداد وتجهيز القوة اللازمة، وأرسل جواسيس على أنهم تجار إلى القطيف والإحساء، لاستطلاع قوات سعود بن فيصل وتجهيزاته الحربية، ولاستطلاع سواحل الإحساء وموانيها، وفي الوقت نفسه عقد حلفاً مع بني خالد، وقد كانوا يحكمون الإحساء قبل آل سعود، ومع شيخ الكويت عبد الله بن صباح، ومع بعض قبائل البدو.

ورغم أن التجهيز للحملة كان يجري في سرية تامة، فقد علم بها الخديو إسماعيل في مصر من جواسيسه في الأستانة، وفي ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٧٠م:

"بعث القنصل البريطاني في مصر تقريراً إلى وزارة الخارجية البريطانية، ذكر فيه أن الخديو إسماعيل أكد له بناءًا على أنباء وصلت إليه من الأستانة أن الحكومة العثمانية تعد حملة في بغداد للسيطرة على بعض المناطق الواقعة على الساحل العربي للخليج"[١].

وفي أبريل سنة ١٨٧١م، أعلن مدحت باشا رسمياً أن نجد والإحساء تتبع الدولة العثمانية، وأن الأمير عبد الله بن فيصل آل سعود قائم مقام عليها من قِبل السلطان، وأن الدولة العثمانية سترسل حملة إلى نجد لقمع تمرد أخيه سعود بن فيصل، وإعادة عبد الله إلى إمارته.

وتحركت الحملة البحرية في يوم ٢٠ أبريل من البصرة، بقيادة محمد نافذ باشا، وكانت تتكون من خمسة آلاف جندي عثماني، وسفينتين حربيتين، وثمانين سفينة نقل صغيرة، وانضم إلى نافذ باشا شيخ الكويت عبد الله آل صباح بقواته، وفي الوقت نفسه زحف مبارك آل صباح من بني هاجر بقوات من عشائر الكويت براً إلى الإحساء، وانضم إلى الحملة البرية ناصر باشا السعدون شيخ قبيلة المنتفق في الإحساء، وكذلك بنو خالد، والتقت الحملتان البحرية والبرية في رأس تنورة، في ٢٦ مايو، ومنها تحركت إلى القطيف فاستولت عليها، ثم على المبرز والهفوف، ومع تقدم الحملة انتفضت قبائل الإحساء ضد سعود بن فيصل، ورحبت بالحملة العثمانية وانضمت إليها طواعية.

وحين زار مدحت باشا القطيف لمتابعة نتائج الحملة، في شهر نوفمبر ١٨٧١م، كتب شيوخها وأعيانها ووجهاؤها إليه عريضة، وقَّع عليها شيوخ المدن والقرى، يطلبون منه بقاء القوات العثمانية، لحفظ الأمن وتجنب عودة الفتن والاضطرابات بين القبائل، وفي الإحساء قدم له شيوخها وعلماؤها وتجارها عريضة يطالبون فيها أن يتولى الباب العالي حكم المنطقة مباشرة.

وبعد سيطرة القوات العثمانية على الإحساء، ومطالبة شيوخها وأعيانها بإدارة الدولة العثمانية لها مباشرة:

---

١) تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية، ص٢١٨.

"خشي عبد الله بن فيصل آل سعود من فقدان نجد، فهرب من المعسكر التركي/العثماني، واتجه إلى أخيه سعود بن فيصل في الرياض، وتوافق معه من أجل إبقاء نجد بعيداً عن نفوذ الدولة العثمانية"(١).

وأرسل مدحت باشا من الهفوف إلى عبد الله بن فيصل، يطلب منه الحضور إليه، فلم يلب طلبه، فأصدر مدحت باشا منشوراً أعلن فيه القطيف والإحساء لواءًا عثمانياً باسم سنجق نجد، وتعيين نافذ باشا أول متصرف عليه(٢).

أما قطر، فبعد استقرار نافذ باشا في الهفوف، أرسل إليه شيخ قطر قاسم بن محمد آل ثاني، في شهر يوليو ١٨٧١م:

"يعلن ولاءه للدولة العثمانية ورغبته في أن يكون في حمايتها، فأرسل إليه نافذ باشا قوة بقيادة عبد الله آل صباح فتمركزت في الدوحة، ورُفع العلم العثماني عليها، وصار قاسم آل ثاني قائم مقام الدولة العثمانية في قطر"(٣).

ومع وصول أنباء رفع العلم العثماني على الدوحة إلى المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل لويس بيلي، أرسل مساعده الميجور جرانت Grant في الطراد ماجبي Magpie إلى قطر، فالتقى الشيخ قاسم آل ثاني، الذي علل ما فعله بأن قطر تتصل برياً بالإحساء، التي أصبحت تحت سيطرة القوات العثمانية(٤).

وبناءًا على تعليمات من حكومة الهند البريطانية أرسل الكولونيل بيلي بارجة حربية بقيادة الميجور سميث، لترابط قرب البحرين، لمنع الحملة العثمانية من التقدم إليها، وفي الوقت نفسه أرسل اللورد مايو Mayo وزير شؤون الهند في الحكومة البريطانية، إلى السير هنري إليوت Henry Elliot، سفير بريطانيا في الأستانة، فالتقى الصدر الأعظم عالي باشا، وأبلغه اعتراض

---

١) الاستعمار في الخليج الفارسي، ص١٧١.

٢) تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية، ص٢٣٠.

٣) الاستعمار في الخليج الفارسي، ص١٧١.

4) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P803.

الحكومة البريطانية على تقدم الحملة العثمانية إلى سواحل الخليج، وقدم له نسخاً من اتفاقيات بريطانيا مع البحرين ومسقط ومشيخات ساحل الشمال، بخصوص الهدنة البحرية في الخليج، فرد عليه الصدر الأعظم، بأن الدولة العثمانية لا تنوي الدخول في معارك بحرية، وأن الحملة هدفها إخضاع نجد وهي جزء من الدولة العثمانية[١].

وهكذا انتهت الحملة العثمانية بإقرار سيادة الدولة العثمانية على نجد والإحساء وقطر، وعلى سواحلها، أو سواحل شمال الخليج العربية التي تمتد من البصرة شمالاً إلى البِدع/الدوحة والوكرة جنوباً، ما عدا البحرين التي أعلنت حكومة الهند البريطانية أنها تحت الحماية البريطانية.

ورغم اعتراف حكومة الهند البريطانية والحكومة البريطانية في لندن بالسيادة العثمانية على أراضي قطر، فقد كانت تعليمات حكومة الهند البريطانية للمقيم البريطاني في الخليج، أنه يجب الضغط على شيخ قطر قاسم آل ثاني، لكي تبقى صلاته بضباط حكومة الهند وثيقة، وأن يُحيل منازعاته البحرية إلى المقيم البريطاني للحفاظ على الملاحة في الخليج.

وفي سنة ١٨٧٩م اتهم المقيم البريطاني الكولونيل روس بعض القبائل في سواحل قطر بالقرصنة على سفن هندية ترفع الأعلام البريطانية، وتكرر الاتهام عدة مرات خلال السنتين التاليتين، وفي سنة ١٨٨١م، وبعد مفاوضات في الأستانة:

"وافق الباب العالي على منح السفن البريطانية حق منع القرصنة وتجارة الرقيق في سواحل قطر، على أن تسلم المضبوطات والسفن المصادرة للسلطات العثمانية"[٢].

وبناءًا على تعليمات حكومة الهند البريطانية، حصل الكولونيل روس على تعهد من الشيخ قاسم آل ثاني بالالتزام بالاتفاقية التي وقعها أبوه محمد آل ثاني، سنة ١٨٦٨م، والتي يتعهد فيها

---

١) **تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية، ص٢٢٦.**

2) **Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P810.**

بإحالة خلافاته ومنازعاته مع غيره من شيوخ الخليج إلى المقيم البريطاني، وأن يلتزم بما يحكم به(١).

وفي سنة ١٨٨١م، بدأ قاسم آل ثاني في التضييق على التجار الهنود من رعايا حكومة الهند البريطانية، وفي السنة التالية أغلق متاجرهم في قطر وطردهم منها، فأرسل إليه الكولونيل روس رسالة ومبعوثاً يُحمله المسؤولية، ويطلب منه تعويضات لرعايا بريطانيا، وفي شهر نوفمبر ١٨٨٢م ذهب الكولونيل روس نفسه إلى البِدع/الدوحة في الطرادين وودلارك Woodlark وعرب Arab، وطالب قاسم آل ثاني بتقديم اعتذار مكتوب للحكومة البريطانية، وإعادة التجار الهنود من البحرين إلى البِدع، وإعادة متاجرهم إليهم، وفرض عليه تعويضاً قدره ثمانية آلاف روبية.

وقدمت الأستانة إلى السفير البريطاني فيها احتجاجاً رسمياً للحكومة البريطانية في لندن على المظاهرة البحرية التي قامت بها حكومة الهند البريطانية في قطر، وإجبارها قاسم آل ثاني القائم مقام العثماني على دفع تعويضات، فأرسل وزير الحارجية البريطاني، اللورد جرانفيل Granville، في مايو ١٨٨٣م، رداً مكتوباً للحكومة العثمانية، عن طريق سفيرها في لندن، وفيه أنه:

"لم يحدث أبداً أن أقرت حكومة صاحبة الجلالة للباب العالي في أي وقت مضى بحقوق السيادة Rights of Soveregnty على سواحل قطر"(٢).

وفي سنة ١٨٨٧م قدم تجار فارس شكوى إلى متصرف الإحساء العثماني يتهمون قاسم آل ثان بالتعسف في فرض الضرائب، فأمر بتأسيس دائرة مكوس في قطر، وبدأ قاسم آل ثاني في تدبير حوادث لنشر الفوضى والسطو على التجار من أجل زعزعة سلطة الحامية العثمانية.

وفي سنة ١٨٩٣م زار والي البصرة محمد حافظ باشا الإحساء، ومنها اتجه إلى قطر في ثلاثمائة فارس وكتيبة من المشاه، وأرسل يستدعي قاسم آل ثاني، فخشي أن يعتقله، فترك البِدع/الدوحة وأرسل إليه أخاه أحمد ليتفاوض معه، فشن حافظ باشا حملة على قاسم آل ثاني في

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P811.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P811.

الوجبة ومسيمير، ففاجأته قبائل البدو المتحالفة مع قاسم، وخسر مائة جندي من قواته، فعاد إلى البدع، وانتقل بقواته إلى السفينة الحربية التركية المريخ الراسية في ميناء البدع.

ومع قدوم حافظ باشا بقواته إلى قطر، أرسل قاسم آل ثاني إلى المقيم البريطاني في بوشهر، يطلب منه الحماية، وأن ينتقل للإقامة في الجزء الشمالي من قطر الذي يقع تحت سلطة أمير البحرين عيسى بن علي آل خليفة، التابع للمقيم البريطاني والمشمول بالحماية البريطانية، وزار المقيم البريطاني الكولونيل تالبوت Talbot حافظ باشا في السفينة الحربية المريخ للتفاوض معه، فرفض حافظ باشا وساطته، فانتقل تالبوت إلى الوكرة والتقى قاسم آل ثاني، الذي عرض عليه تجديد اتفاقية سنة ١٨٦٨م، أو أن يوقع مع بريطانيا اتفاقية مثل التي وقعها شيوخ الساحل المهادن، والتي تضمن انفراد كل منهم بمشيخته تحت الحماية البريطانية.

وبعد وساطة نقيب الأشراف في البصرة، وافق حافظ باشا على عودة قاسم آل ثاني إلى منصبه كقائم مقام في قطر، مع تعيين ضابط عثماني في الدوحة في منصب قائم مقام مساعد.

وبعد مراسلات بينهما، كانت تعليمات الحكومة البريطانية في لندن لحكومة الهند البريطانية، أنها ترى أن:

"**سلطة الباب العالي في قطر تقتصر على الدوحة فقط، ولذا فحكومة الهند البريطانية لها مطلق الحرية في اتخاذ أي إجراء تراه في سواحل قطر، وفي عقد معاهدات مع شيوخ الساحل**"(١).

وفي سنة ١٨٩٤م وقع خلاف بين شيخ البحرين عيسى بن علي آل خليفة وسلطان بن سلامة شيخ قبيلة بو علي، فرحل سلطان بن سلامة بقبيلته إلى الزبارة في قطر، وتحالف مع شيخها قاسم آل ثاني، بموافقة المفوض العثماني في قطر ومتصرف الإحساء الذي زار الزبارة في مارس ١٨٩٥م، ورفع العلم العثماني عليها، وأقام فيها مديراً عثمانياً، وأعلن أن البحرين وقطر مناطق تابعة للسيادة العثمانية، وبدأ في تجهيز حملة في القطيف، على أن يشترك فيها قاسم آل ثاني بقواربه في قطر.

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P823-824, 828.

وبتعليمات من حكومة الهند البريطانية أرسل المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل روس الطراد الحربي سفنكس Sphinx إلى الزبارة فاستولى على ستة عشر قارباً لآل بو علي، ثم انتقل ليرابط أمام البحرين، ولحقت به السفينتان الحربيتان بيجون Pigeon وبلاسي Plassy، وفي الوقت نفسه أرسلت الحكومة البريطانية عبر سفيرها في الأستانة احتجاجاً للحكومة العثمانية، في شهر أغسطس، تقول فيه إنها لا تعترف بادعاءات الباب العالي بخصوص البحرين وقطر، وأن البحرين تحت الحماية البريطانية.

وأرسل متصرف الإحساء رسالة عنيفة إلى المقيم البريطاني يطالبه برد القوارب التي استولت عليها السفن البريطانية، وينذره بشن حملة على البحرين بعد مهلة سبعة عشر يوماً، تبدأ من يوم ١٩ أغسطس ١٨٩٥م.

وفي يوم ٦ سبتمبر ١٨٩٥م:

"هاجمت السفن الحربية البريطانية بقيادة الكوماندور بيلي Pelly، القائد الأعلى للقوة البحرية البريطانية في الخليج، الزبارة وقصفتها بالمدافع، ودمرت ميناءها والقوارب المسلحة الراسية فيه، وكان عددها أربعاً وأربعين، فأعلن الشيخ قاسم آل ثاني استسلامه، ثم أرسل إلى الكولونيل روس أن ما حدث كان بأوامر متصرف الإحساء العثماني، ثم وقع على التعهد الذي أرسله إليه الكولونيل روس، بأن يطرد قبيلة بو علي وقواربها من الزبارة ويعيدها إلى سلطة شيخ البحرين، ثم فرض عليه المقيم البريطاني غرامة قدرها ثلاثون ألف روبية"[1].

وفي شهر نوفمبر ١٨٩٩م، زار المقيم البريطاني الكولونيل ميد Meade قطر، والتقى في الوكرة الشيخ أحمد آل ثاني، وكان أخوه قاسم مازال القائم مقام العثماني ولكنه فوضه في إدارة شؤون قطر، فأعرب الشيخ أحمد للكولونيل ميد عن رغبته في توثيق صلاته ببريطانيا، وطلب منه أن يسمح له باستعادة العُديد.

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P924-925.

ومنطقة خور العديد وبلدتها كانت تابعة لقطر، وتقع بينها وبين مشيخة أبو ظبي، وبينهما نزاع عليها، وبعد الحملة العثمانية على الإحساء وقطر سمحت حكومة الهند البريطانية لشيخ أبو ظبي زايد بن خليفة بالاستيلاء على العُديد تحت حمايتها، لكي لا تمتد إليها السيادة العثمانية.

ورفض الكولونيل ميد طلب الشيخ أحمد آل ثاني، فلم ييأس، وفي سنة ١٩٠٢م أرسل إلى نائب المقيم البريطاني في البحرين الكابتن جاسكن Gaskin، يطلب منه الموافقة على أن يستقر في أي بقعة على ساحل قطر ويبسط سيادته عليها، وأن يكون هو وخلفاؤه من بعده تحت الحماية البريطانية، في مقابل أن يتعاون مع الحكومة البريطانية ومع شيخ البحرين، وأن يلتزم بالشروط التي فرضتها بريطانيا على مشيخات ساحل الشمال في الاتفاقية الحصرية، والتي تجعل اتصال هذه المشيخات بأي دولة في العالم عن طريق بريطانيا ومن خلالها.

ورغم أن قاسم آل ثاني ما زال القائم مقام العثماني، إلا أن حكومة الهند البريطانية بعد دراسة المسألة رأت أن أحمد آل ثاني هو المسيطر الحقيقي على مقاليد الأمور في قطر، ومالت للموافقة على عرضه، ولكن بعد تشاور مع الحكومة البريطانية في لندن، تم إرجاء البت في عرض أحمد آل ثاني، لحين تقديم لجنة الدفاع الإمبراطورية Commette of Imperial Defence تقريرها عن وضع القوات البريطانية في الخليج، ولحين حسم النزاع مع الدولة العثمانية في جزيرة العرب[1].

وجاء حسم النزاع مع الدولة العثمانية مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، وبعد أن هاجم البلاليص الذين أقامتهم بريطانيا في جزيرة العرب، شرقها وغربها، الجيوش العثمانية، وكفوا بريطانيا عبء مواجهتها، ليصبحوا من أدواتها في إقامة الدولة اليهودية ووصول المشروع اليهودي إلى تمامه.

إبان الحرب العالمية الأولى، وفي أغسطس سنة ١٩١٥م، هاجمت السفن البريطانية قطر، وأجلت الحامية العثمانية عن الدوحة، وفي ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥م وقع المعتمد البريطاني في

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P823-82-830.

الخليج الميجور برسي كوكس Percy Cox اتفاقية دارين مع أمير نجد عبد العزيز آل سعود، ونصت على أنه:

"يلتزم ابن سعود، كما فعل آباؤه، بالامتناع عن أعمال العدوان على أو التدخل في أراضي الكويت والبحرين، ومشيخات قطر وساحل عُمان، الخاضعين لحماية حكومة صاحب الجلالة البريطانية، ولهم معاهدات مع الحكومة البريطانية"[١].

وفي ٣ نوفمبر ١٩١٦م صارت الحماية البريطانية على قطر صريحة ورسمية، بعد توقيع شيخ قطر عبد الله بن قاسم آل ثاني، **"وكان معروفاً بولائه وعلاقاته الطيبة مع بريطانيا"**[٢] اتفاقية مع الميجور بيرسي كوكس، ثم على وثيقة ملحقة بها، وقد نصت الاتفاقية والوثيقة على:

"تعهد شيخ قطر بإلغاء تجارة الرقيق، وموافقته على إجراءات التفتيش البحري التي تقوم بها السفن البريطانية، وألا يستورد من السلاح إلا ما يحتاجه والعشائر التابعة له، وقُدرت هذه الاحتياجات بخمسمائة قطعة سنوية، تُشترى من مخزن الأسلحة في مسقط، أو من أي مكان آخر توافق عليه الحكومة البريطانية، ولا يجوز لحاكم قطر أن يفرض رسماً أو ضرائب جمركية على رعايا بريطانيا تزيد عن ٥% ... ونصت الوثيقة على: أولاً: عدم تبادل شيخ قطر ممثلين مع أي دولة أخرى غير الحكومة البريطانية، ثانياً: عدم تنازل شيخ قطر عن أي أراض تابعة له، سواء كان ذلك عن طريق البيع أو التأجير أو النقل أو الهدية، دون موافقة الحكومة البريطانية، ثالثاً: عدم منح امتيازات خاصة باستغلال النفط أو غيره من الموارد الطبيعية لأي شخص دون موافقة المقيم البريطاني في الخليج"[٣].

وبهذه الاتفاقية والوثيقة لحقت قطر بأخواتها من مشيخات الخليج، وانضمت إلى قائمة جواري بريطانيا.

---

١) جون ولينكسون: حدود الجزيرة العربية، الدور البريطاني في رسم الحدود عبر الصحراء، ص١٧٥، ترجمة: مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢) تاريخ قطر العام، ص٩٧.

٣) جمال زكريا قاسم: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٣، الأوضاع الداخلية في إمارات الخليج العربية وعلاقات الجوار، ١٩١٤م-١٩٤٥م، ص٢٥١-٢٥٢.

الكويت

والكويت تبلغ مائتي كيلومتراً طولاً، ومائة وسبعين كيلومتراً عرضاً، وتقع في الزاوية الشمالية الغربية للخليج، وتطل عليه من جهة الشرق، وتجاورها من الشمال والغرب العراق، ومن الجنوب أقصى شمال جزيرة العرب.

واسم الكويت القديم القُرين، أما الكويت، كما يقول مؤرخها الشيخ عبد العزيز الرشيد، في كتابه: تاريخ الكويت، فهي:

"تصغير كوت، والكوت كلمة مشهورة متعارفة في العراق ونجد وبعض بلاد العجم ... وهي تطلق عندهم على البيت المربع المبني كالحصن والقلعة وتبنى حوله بيوت صغيرة حقيرة بالنسبة إليه، ولا تطلق إلا على ما يبنى قريباً من الماء، سواء كان من البحر أو النهر أو البحرة ... وسميت الكويت بذلك الاسم نسبة إلى حصن صغير كان فيها، قيل بناه محمد لصكة بن عريعر، زعيم بني خالد"[١]

وبنو خالد، كما يقول دكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة، في كتابه: تاريخ الكويت الحديث:

"قبائل من العدنانية، وقد استمر حكمهم في شرقي جزيرة العرب، منذ القرن السابع عشر، حين انتزعوا الحكم من الولاة العثمانيين حتى نهاية القرن الثامن عشر، والرواية المحلية تذكر أن براكاً شيخ بني خالد قد بنى الكويت قبل بداية القرن الثامن عشر الميلادي/الثاني عشر الهجري، وبراك بن غرير آل حميد تولى زعامة بني خالد بين سنة ١٦٦٩م وسنة ١٦٨٢م"[٢].

وبسبب الجدب الذي أصاب نجد ووسط جزيرة العرب منذ أوائل القرن الثامن عشر، هاجرت قبائل العتوب، وهم فروع من عنزة، من نجد إلى شرق الجزيرة العربية، واستقروا في سواحل

---

١) الشيخ عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، ص٣٢-٣٣، وضع حواشيه وأشرف على تنسيقه: يعقوب عبد العزيز الرشيد، منشوات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٨م.

٢) دكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ الكويت الحديث، ص١٨-١٩، طباعة ونشر وتوزيع: دار السلاسل، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨٤م.

الخليج، وفي قطر، ثم واصلوا الحركة إلى الكويت في موجات متلاحقة، وهي كلها مناطق خاضعة لحكم بني خالد.

وبعد وفاة شيخ بني خالد، سعدون بن محمد بن غرير آل حميد، سنة ١٧٢٢م، خلفه أخوه، ونشب نزاع بينه وبين أبناء الشيخ سعدون، دحين ومنيع، ثم بينهم وبين أخيه سليمان، الذي خلفه سنة ١٧٣٦م، فانفلت زمام الأمور من بني خالد، ونزعت القبائل الخاضعة لهم إلى الاستقلال أو الانفصال عنهم، ومنهم آل صباح، وهم فرع من العتوب الذين استقروا في الكويت.

وفي سنة ١٧٥٢م:

"تمضي الرواية المحلية إلى القول بأن صباح بن جابر قد اختير وفق الطريقة العربية العشائرية من لدن أهل الكويت لتصريف شؤون المدينة، والفصل فيما قد يقع بين سكانها من خلافات"[١].

ويقول الشيخ عبد العزيز الرشيد عن صباح الأول:

"لا نعرف عن صباح الأول شيئاً، إلا أنه أول حكام ذلك البيت، وأنه الذي تأسست في عهده، وأنه زعيم تلك العائلة التي حكمت الكويت، وأنها التي تنسب إليه"[٢].

وخلال القرن الثامن عشر صارت الكويت مركزاً تجارياً، ومحطة لقوافل التجارة المتجهة إلى البصرة والشام، وللبضائع القادمة بحراً عبر الخليج من الهند، خصوصاً وأن شركة الهند الشرقية البريطانية كانت قد أقامت وكالة تجارية في ميناء البصرة، في الجهة الغربية من شط العرب، وهي قريبة من الكويت، سنة ١٦٤٣م، ثم أغلقت وكالتها الرئيسية في الخليج في جمبرون/بندر عباس، ونقلتها إلى البصرة أوائل القرن الثامن عشر، مع اضطراب الأمور في فارس أواخر عهد الدولة الصفوية.

---

١) تاريخ الكويت الحديث، ص٢٧.

٢) تاريخ الكويت، ص١٠٩.

وفي سنة ١٧٧٥م، ومع انهيار تجارة الموانى الفارسية، اتهم الشاه كريم خان الزندي والي بغداد العثماني بالتعسف وفرض ضرائب كبيرة على رعايا فارس القادمين إلى العراق لزيارة المزارات الشيعية، ثم أرسل حملة بقيادة أخيه صادق خان، فحاصرت البصرة ثلاثة عشر شهراً، ثم احتلتها في شهر أبريل سنة ١٧٧٦م، وظلت تحت الاحتلال الفارسي ثلاث سنوات[١].

وكانت هذه، كما يقول مؤرخ شركة الهند الشرقية البريطانية وعلاقتها بالخليج، جون لوريمر، فاتحة علاقة الشركة بالكويت، إذ مع الاحتلال الفارسي للبصرة:

"تم تحويل خط البريد البريطاني الصحراوي British Desert Mail، المار من الخليج إلى حلب، ليبدأ من الكويت بدلاً من الزُبير، وتم استبدال عمال بريد من الكويت بعمال البريد من الزبير"[٢].

وفي الوقت نفسه تحول تجار البصرة إلى الكويت، وتحول اتجاه حركة التجارة القادمة من الهند، فحصلت الشركة على إذن من شيخ الكويت عبد الله بن صباح، ومن شيخ الزبارة أحمد بن خليفة، لكي تفرغ الشركة بضائعها القادمة من الهند في الزبارة والكويت، ثم تنقلها القوافل إلى حلب، لكي تتجنب المرور بالقرب من البصرة، فازدهرت مدن العتوب، آل صباح في الكويت، وآل خليفة في الزبارة، وجنوا ثروات هائلة، خصوصاً بعد اندلاع الحرب بين بريطانيا وفرنسا، ونقل الشركة جزءًا كبيراً من بضائعها في سفن عربية[٣].

وفي سنة ١٧٧٧م، أرسلت شركة الهند الشرقية البريطانية سفينة لاستطلاع ميناء الكويت، فكتبت تقريراً أنه صالح لاستخدامه ورسو السفن فيه، ثم في سنة ١٧٩٣م، وبعد نزاعات مع المسؤولين العثمانيين في البصرة، والعراقيل التي وضعوها أمام الشركة، ومع تنامي العلاقات الودية بين ممثلي الشركة وشيخ الكويت عبد الله بن صباح:

---

١) تاريخ الكويت الحديث، ص٧٧.

2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1002.

٣) تاريخ الكويت الحديث، ص٧٧.

"نقلت الشركة وكالتها في البصرة برئاسة المستر صمويل مانيستي Samuel Manesty إلى الكويت، في شهر أبريل سنة ١٧٩٣م، وظلت فيها سنتين وأربعة شهر، ثم أعيدت إلى البصرة في شهر أغسطس سنة ١٧٩٥م"[١].

ومنذ سنة ١٧٩٣م بدأت الحركة الوهابية في نجد والإحساء في شن الغارات والهجمات على الكويت، فأمر والي بغداد العثماني شيخ قبيلة المنتفق في نجد، الشيخ ثويني، بتجهيز قوات لمقاتلة جيش الحركة الوهابية بقيادة إبراهيم بن عفيصان، بالاشتراك مع شيوخ بني خالد، وكان الشيخ عبد الله آل صباح على علاقة ودية بالعثمانيين وبني خالد، ويخشى في الوقت نفسه من استيلاء الوهابيين على الكويت وضمها للدولة السعودية، فأسهم في مواجهة جيش الوهابيين، وقام بوضع سفن الكويت تحت تصرف الشيخ ثويني لكي تقوم بنقل قواته إلى الإحساء[٢].

وتزامنت هجمات الحركة الوهابية على الكويت، التي امتدت إلى سنة ١٨٩٧م، مع وجود وكالة شركة الهند الشرقية البريطانية في الكويت، فوضع مانيستي طراداً حربياً في ميناء الكويت، وأقام فرقة من جنود السيبوي الهنود بقيادة ضابط هندي على ساحل الكويت لحمايتها.

وفي إحدى رسائله إلى دكتور سيتزن Seetzen، وصف رينود Reinaud، مساعد مانيستي، إحدى أكبر غارات الوهابيين على الكويت، وفيها أن:

"قوة الجيش الوهابي المهاجم كانت ألفي جمل، يحمل كل منها رجلين، أولهما مسلح ببندقية Gun، والثاني بحربة Lance لكي يحمي زميله وهو يحشو بندقيته، وبناءًا على أوامر مانيستي أُنزل مدفعان من طراد بريطاني إلى بر الكويت، واشترك جنود الوكالة السيبوي في صد هجوم الوهابيين، وتكبد الوهابيون خسائر فادحة بنيران الطراد أثناء هروبهم على شاطئ البحر، وأضاف رينود أن الوهابيين ردوا على مساعدة الوكالة البريطانية للكويت، بشن غارات على

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1002.

٢) الخليج العربى، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، ص٤٠٢.

البريد الصحراوي لشركة الهند الشرقية البريطانية، فأرسله المستر مانيستي في مهمة إلى الدرعية"[1].

وكانت مهمة رينود، مساعد مقيم شركة الهند الشرقية البريطانية في البصرة والكويت، إلى الدرعية، لإصلاح العلاقات مع أمير الدولة السعودية الأولى، عبد العزيز بن محمد آل سعود، هي أول زيارة يقوم بها أوروبي للحركة الوهابية ومعقل الدولة السعودية في الدرعية.

وفي شهر أكتوبر ١٧٩٥م، أرسل المقيم البريطاني في البصرة، مانيستي، مساعده رينود إلى الشيخ عبد الله آل صباح، ومعه طلب السماح لضباط الشركة بتفتيش السفن الكويتية المبحرة بين الخليج وموانى الهند، وكانت تنقل رعايا فرنسا ومراسلاتهم، فمنحه االشيخ عبد الله حق تفتيش السفن ومصادرة المراسلات من المبعوثين الفرنسيين[٢].

وبسبب حملات الوهابيين المتكررة على الكويت، وكانوا حلفاء للقواسم في رأس الخيمة ومشيخات جنوب الخليج:

"عرض شيخ الكويت عبد الله بن صباح، على مقيم الشركة البريطاني في بوشهر، الكابتن هانكي سميث Hanky Smith، مع شن الشركة حملتها على القواسم، سنة ١٨٠٩م، والتي ستقابلك تفصيلاً، أن يشترك في الحملة بجميع سفن الكويت وبإرشادها إلى مخابئ سفن القواسم في الخليج، ولكن قائد الحملة الكابتن وين رايت Wainwright رفض بتعليمات من حكومة الشركة في بومباي"[٣].

وفي ديسمبر سنة ١٨٢١م حدثت خلافات بين والي بغداد داوود باشا، وبين المقيم السياسي البريطاني في بغداد جيمس ريتش James Rich، زاد على إثرها داوود باشا الضرائب والجمارك على بضائع شركة الهند الشرقية البريطانية، فنقل وكيل الشركة في البصرة، الكابتن تايلور

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1005.

٢) تاريخ الكويت الحديث، ص١٣٠.

3)Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1008.

Taylor، مقر وكالة الشركة البريطانية وانتقل معها إلى جزيرة فيلكا Failakah، التي تتبع شيخ الكويت، ثم عاد وأعاد مقر الوكالة إلى البصرة في شهر أبريل سنة ١٨٢٢م[1].

ويقول مؤرخ شركة الهند الشرقية البريطانية، جون لوريمر، إنه بعد عودة وكيل شركة الهند الشرقية البريطانية من جزيرة فيلكا إلى البصرة، تخلو وثائق الشركة من ذكر الكويت لفترة غير قصيرة Considerable Period، رغم ان علاقة الشركة بشيوخ الكويت ظلت ودية.

وبعد أن وصل خورشيد باشا، قائد جيش أول الآتين من الخلف في مصر وأول من يصل إلى السلطة فيها من خريجي حواري اليهود، محمد علي باشا، إلى نجد والإحساء، وأطاح بفيصل بن تركي آل سعود، سنة ١٨٣٩م، أرسل وكيله محمد رفعت أفندي، إلى شيخ الكويت، جابر بن عبد الله آل صباح، ليوقع معه اتفاقية صداقة كالتي وقعها مع شيخ البحرين، وكان الشيخ جابر على علاقة طيبة بالمقيم البريطاني الكابتن هِنيل، وبينهما رسائل ودية، فهُرع الكابتن هِنيل إلى إرسال مساعده الليوتنانت إدموندز Edmunds في سفينة حربية للقاء الشيخ جابر، بذريعة توقيع اتفاقية لإنشاء خط بريد بريطاني عبر الصحراء يمتد من الكويت إلى البحر المتوسط.

وحين وصل الليوتنانت إدموندز إلى ميناء الكويت أطلق مدافع سفينته تحية للكويت وشيخها، فلم يرد عليه الشيخ جابر بالمثل، ولم يرسل إليه أحداً من أبنائه أو معاونيه لاستقباله، كما هو معتاد ومتعارف عليه، وبعد ثلاثة أيام أرسل الليوتنانت إدموندز رسالة خطية إلى الشيخ جابر يطلب لقاءه، فرد عليه برسالة شفوية، وحين وصل إدموندز إلى مجلس الشيخ جابر، وهو محاط بجمع من أعوانه، قام له نصف قومة Half Rose From His Seat، دون ترحاب، وسلمه رسالة كان قد كتبها رداً على طلب الكابتن هِنيل.

ورغم هذه المعاملة الفظة:

"لم يغضب الليوتنانت إدموندز ولا الكابتن هِنيل، بل برر الكابتن هِنيل في تقريره إلى حكومة بومباي البريطانية ما فعله الشيخ جابر بأنه كان تمويهاً منه، لكي يخدع Mislead وكيل

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1009.

خورشيد باشا الموجود في الكويت، ويخفي علاقته بالبريطان عنه، وكانت الكويت تابعة اسمياً ورسمياً للدولة العثمانية، وظلت علاقة الشركة ومقيمها مع الكويت وشيوخها ودية"(١).

وفي سنة ١٨٦٣م، زار المقيم البريطاني، الكولونيل لويس بيلي، ومعه جراح المقيمية، دكتور كولفيل Colvill الكويت قادماً من البصرة براً، وحين وصل إلى الجهرة، يوم ٣ مارس، أرسل إليه شيخ الكويت، صباح بن جابر آل صباح، ابنه مبارك لاستقباله، فقضى بيلي وكلوفيل يومين مع الشيخ صباح، ثم رتب لهما الشيخ صباح العودة، وفي طريقهما مكثا يومين آخرين في الخور المجاور لجزيرة بوبيان.

وفي يناير سنة ١٨٦٥م، زار الكولونيل بيلي الكويت، ومكث بها بضعة أسابيع، لكي يرتب منها لزيارة الرياض عاصمة الدولة السعودية الثانية، ولقاء الأمير فيصل بن تركي آل سعود، بتكليف من حكومة بومباي البريطانية.

وفي سنة ١٨٦٦م، أرسل الكولونيل بيلي تقريراً لحكومة بومباي البريطانية عن الكويت، وذكر فيه:

"صلات شيوخ الكويت الودية بالبريطان، ومزايا الكويت، وأنه يمكن تحويلها إلى مركز تجاري، ومرسى للسفن البريطانية، ومحطة للتلغراف البريطاني، ومستودع للفحم وتموين السفن، وأن موقع خور عبد الله في الكويت يرشحها لأن تكون المحطة الرئيسية للبواخر البريطانية المتجهة إلى موانى العراق التركية"(٢).

وأما رحلة الكولونيل بيلي إلى الرياض للقاء الأمير فيصل بن تركي آل سعود، فقد رافقه فيها دكتور كولفيل، والليوتنانت داوس Dawes، ومترجم مسيحي من الموصل اسمه لوقاس Lucas، وقد تخفى في زي المسلمين وسمى نفسه عبد الله، في قافلة من ثلاثين جملاً، وثلاثة وثلاثين شخصاً من الخدم والحراس الهنود.

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1010.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1012.

ووصل الكولونيل بيلي إلى الرياض يوم ٥ مارس ١٨٦٥م، واجتمع في قلعتها بالأمير فيصل بن تركي آل سعود مرتين، يوم ٦ مارس، و٨ مارس، وانتهت اللقاءات التي بدا فيها الأمير فيصل بن تركي مسروراً Pleased بزيارة المقيم البريطاني:

"يتعهد الأمير فيصل بن تركي أن يمنع رعاياه وحلفاءه من ممارسة القرصنة على السفن البريطانية في الخليج، وطلب في مقابل ذلك أن تقوم السفن الحربية البريطانية بحماية المناطق التابعة له في سواحل الخليج، وقبيل وفاته أرسل الأمير فيصل ابنه عبد الله للقاء الكولونيل بيلي، ليسلمه تعهداً بعدم الاعتداء على مسقط ومشيخات الخليج التي وقعت معاهدات مع حكومة بومباي البريطانية"(١).

وإلى سنة ١٨٦٩م، ورغم علاقات شيوخ الكويت الودية والوثيقة بالبريطان، كانت الكويت تتبع الدولة العثمانية، وكان شيوخ الكويت يعلنون ولاءهم لوالي بغداد العثماني، ويرفعون العلم العثماني على قصورهم، ويشتركون في حملات الدولة العثمانية على الإحساء ونجد، ومنذ سنة ١٨٤٥م، والدولة العثمانية تصرف راتباً سنوياً لشيخ الكويت من خزانة ولاية بغداد في مقابل الاشتراك في حماية البصرة بسفن الكويت.

وفي عهد الشيخ عبد الله بن صباح الثاني، الذي امتد من سنة ١٨٦٦م إلى سنة ١٨٩٢م، توثقت الروابط بين الكويت والدولة العثمانية، وفي سنة ١٨٦٩م، أصدر والي بغداد، مدحت باشا، فرماناً:

"يقضي بإعلان الكويت صنجقاً مستقلاً استقلالاً ذاتياً على أن يتبع ولاية بغداد، ويشكل في الوقت نفسه قضاءًا عثمانياً تتوارثه أسرة آل صباح، ونص الفرمان على أن يحمل الشيخ العربي من هذه الأسرة لقب القائم مقام، ويستقل بتنظيم شؤونه الداخلية، وأن ترفع السفن الكويتية العلم العثماني، وتعهد لأصحاب هذه السفن بألا يؤخذ منهم ضرائب أو جمارك"(٢).

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1019-1020.

٢) تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية، ص٣٠٦.

وبعد هذا الفرمان صارت الكويت حليفاً للدولة العثمانية، ونصيراً لها في سياساتها في الإحساء ونجد، وفي سنة ١٨٧١م اشترك الشيخ عبد الله بن صباح بقواته وقادها بنفسه ضمن حملة الدولة العثمانية على الإحساء.

وفي سنة ١٨٩٢م توفي الشيخ عبد الله بن صباح، فخلفه في حكم الكويت شقيقاه محمد وجرَّاح، فنشب نزاع بينهما وبين أخيهما من أبيهما، مبارك بن صباح، بخصوص المال والمخصصات المقررة لمبارك، وتوسط متسلم البصرة في النزاع، وحدد لمبارك راتباً سنوياً قدره عشرة آلاف روبية، يدفعها له أخواه.

ورغم ذلك لم ينته النزاع، فرحل مبارك إلى بومباي، وكان ميالاً للبريطان، فظل فيها فترة ثم عاد إلى الكويت، فنصبه شقيقاه أميراً على البادية، وفوضاه في إخضاع قبائلها وإدارة شؤونهم، فوثق صلاته بشيوخ قبائل الرشايدة والعجمان، وشن معهم حملات على قبائل مطير وشمر والظوافر.

وبعد أن التفَّت قبائل البدو حول مبارك وضمن ولاءهم، قرر قتل أخويه والاستيلاء على الحكم، ودبر لذلك سراً مع ابنيه جابر وسالم ونفر قليل من رجال قبائل الرشايدة والعجمان، لكي لا يتسرب نبأ تدبيره لأخويه، ولكي يتجنب إثارة الدولة العثمانية.

وفي ١٧ مايو سنة ١٨٩٦م:

"**وفد مبارك من البادية، وقبل أن تنتصف الليلة كان قد زحف إلى القصر وتمكن من قتل أخويه، وفي اليوم التالي فوجئ مجلس الحكم بمبارك يتصدر المجلس بدلاً من أخيه محمد، وأعلن وفاة اخيه وأنه الحاكم الشرعي للإمارة، والثابت أنه أكره الشيوخ على مبايعته مهدداً إياهم بالبدو**"(١).

وقتل مبارك بن صباح أخاه محمداً بنفسه، بينما قتل ابنه جابر عمه جرَّاحاً، وهذا هو وصف مؤرخ الكويت الشيخ عبد العزيز الرشيد للواقعة:

---

١) تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية، ص٣١١.

"صعد مبارك تواً إلى محمد فأيقظه من نومه، وبعد أن انتبه أطلق عليه البندقية ولكنها لم تجهز عليه، فاستغاث هناك الأخ بأخيه وذكره بما له من الحق والحرمة، فما وجد ذلك الصوت المحزن ولا ذلك الاستعطاف الحار سبيلاً إلى قلب مبارك الذي امتلأ حقداً وغضباً، فصوب إليه البندقية ثانية متصامماً عن سماع النداء، حتى تركه لا حراك به يتخبط بدمه، أما جابر فذهب إلى عمه فألفاه يقظان وزوجته إلى جانبه فسدد إليه البندقية ولكنها لم تنطلق، فعاجله عمه بالقبض عليه، وكان له من زوجته ساعد ومعين، وكادا يتغلبان عليه لولا مبادرة بعض الخدام (من البدو الذين قدموا معه) جراحاً بإرسال البندقية إلى نحره فأرداه صريعاً لليدين والفم"[1].

وأرسل الشيخ مبارك إلى الأستانة، أن أخويه محمداً وجراحاً قُتلا، وأن شيوخ الكويت اختاروه خلفاً لهما، فأرسل إليه السلطان عبد الحميد الثاني أن يعتقل القاتل ويرسله إلى الأستانة، فكتب الشيخ مبارك للسلطان رسالة أن القاتل هو يوسف آل إبراهيم، وأجبر شيوخ الكويت على التوقيع على شهادة بذلك، وكان يوسف آل إبراهيم أكبر تجار الكويت ومستشار محمد وجراح، وأكبر غرماء الشيخ مبارك في عهدهما.

وأصدر السلطان عبد الحميد فرماناً بتنصيب الشيخ مبارك قائم مقام على الكويت، وإن ظل يرتاب فيه، خصوصاً بعد أن:

"نمى إليه حياة البذخ التي يحياها مبارك، حتى أنه كان يجلب القِيان لمتعته من الهند، وكان هذا يجعله بحاجة دائمة إلى المال، ويوقعه في أزمات مالية متعددة، تسهل انسياقه تحت تأثير الإنجليز"[2].

ومع ارتياب السلطان عبد الحميد في الشيخ مبارك وصلاته بالبريطان، بدأت الدولة العثمانية في إجراءات لتأكيد سيادتها على الكويت، فأرسلت في شهر فبراير سنة ١٨٩٧م موظفاً رسمياً بالحجر الصحي، وما إن وصل إلى الكويت:

---

١) تاريخ الكويت، ص١٤٥.

٢) تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية، ص٣١٣.

"هُرع الشيخ مبارك بتقديم طلب للقاء المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل ويلسون Wilson، أو وكيل عنه، وطلب فرض الحماية البريطانية على الكويت"(١).

وأحال المقيم البريطاني طلب الشيخ مبارك إلى الحكومة البريطانية، فأرجأت البت فيه، وفي شهر سبتمبر من السنة نفسها، وبناء على طلب آخر من الشيخ مبارك، أرسل المقيم البريطاني مبعوثه الخاص الكابتن جاسكين Gaskin في الطراد الحربي لورنس Lawrence، إلى الكويت، فقال له الشيخ مبارك:

"أنا وقومي نرغب في الانفصال عن الأتراك/الدولة العثمانية، ولكي يمكن ذلك فنحن نرغب في أن نوضع تحت الحماية البريطانية To Be Taken Under British Protection، مثل شيخ البحرين وشيوخ ساحل عُمان المهادن، ووعد إن تحقق ذلك أن يكون عوناً للحكومة البريطانية بكل ما يملك من قوة"(٢)!!

وكما ترى، القومية، ومسيرة الاستقلال الوطني التي يحتفلون بها في بلاليص ستان، ويؤلفون فيها الأناشيد والأغاني، لم تكن سوى توجيه الطعنات للدولة العثمانية الجامعة لبلاد الإسلام، والسعي للانسلاخ عنها، بالتواطؤ مع الإمبراطوريات الماسونية، وبالدخول في طاعتها، وأن يصيروا من جواريها.

وإذا ذهبت لأي مصدر عن تاريخ الخليج أو الكويت أو جزيرة العرب، فستجد فيه سيرة مبارك آل صباح، هذا الذي تقرأ سيرته الآن، تحت عنوان: مؤسس الكويت الحديثة، وكذلك مؤسسو بلاليص ستان الحديثة جميعاً، من محيطها الهائم إلى خليجها السائم.

والوقت الذي كان يسعى فيه الشيخ مبارك آل صباح، هو وشيوخ الخليج وأمراء نجد وجزيرة العرب، وبقية مؤسسي دول بلاليص ستان الحديثة، إلى الانسلاخ عن الدولة العثمانية، ويوجهون لها الطعنات، ويتواطؤون مع الإمبراطوريات الماسونية عليها، كان هو نفسه الوقت الذي يرفع فيه السلطان عبد الحميد رحمه الله شعار الجامعة الإسلامية، ويسعى جاهداً إلى توحيد بلاد الإسلام

---

1)Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1020.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1021.

وربطها، بالعلماء والفقهاء، وبإنشاء المساجد والمكتبات والمدارس، وبخطوط السكك الحديدية، وبتقريب رؤساء العشائر العربية واسترضائهم، فكان بقر بلاليص ستان هؤلاء من أسلحة الإمبراطوريات الماسونية في تمزيق بلاد الإسلام، والقائها فرائس بين أنياب هذه الإمبراطوريات ومخالبها، وتعبيدها لها، وكانوا جزءًا من المشروع اليهودي السائر في ركابها، وهم ودولهم من أدوات إتمامه ووصول اليهود والماسون إلى غايتهم.

وإذا كنت قد قرأت كتبنا السابقة، خصوصاً كتاب: الوحي ونقيضه، وكتاب: شفرة سورة الإسراء، فستدرك البعد العميق وشديد الغور لما تقرأه الآن، وهو ان مؤسسي بلاليص ستان الحديثة من محيطها الهائم إلى خليجها السائم، كانوا أدوات إزاحة ميزان القرآن ورابطة العقيدة الإلهية من بلاليص ستان، وإحلال ميزان التوراة ومفتاح التصنيف التوراتي العرقي الدموي للبشر محلها، وهو، كما تعلم من كتبنا، إفساد بني إسرائيل في الأرض وعلوهم الكبير.

وكانت تعليمات الحكومة البريطانية في لندن، لحكومة الهند البريطانية، أن يظل الحال كما هو في الكويت، وأنه ينبغي استمرار دعم الشيخ مبارك وتوثيق صلاتها به، دون إعلان الحماية الصريحة على الكويت، لتجنب إثارة نزاع مع الدولة العثمانية، خصوصاً بعد تحالفها مع الإمبراطورية الألمانية، وبدء مشروع إنشاء خط للسكك الحديدية يربط الأستانة ببغداد وينتهي في الكويت.

وفي أواخر سنة ١٨٩٨م، تغير موقف الحكومة البريطانية، وقرر رئيسها اللورد سالسبوري Salisbury الترتيب لوضع الكويت تحت الحماية البريطانية، وكان خلف هذا التغير في سياسة الحكومة البريطانية تجاه الكويت ثلاثة أسباب، الأول: تجميع الدولة العثمانية لقواتها في البصرة شمال الكويت، وفي الوقت نفسه تحالفها مع عبد العزيز آل الرشيد في نجد، جنوبها، مما جعل الشيخ مبارك محصوراً ين قوى تابعة للدولة العثمانية، والثاني: منح السلطان عبد الحميد امتياز إنشاء خط سكة حديدية يمتد من طرابلس لبنان على البحر المتوسط إلى الكويت في الخليج، للكونت كابنست Kapnist الروسي، في إطار سياسته للضغط على بريطانيا بالتحالف مع أعدائها التقليديين، والثالث: توصيات اللورد كيرزون المتكررة بعد أن صار نائب الملكة ورئيس حكومة الهند، بالإسراع في إزالة النفوذ العثماني من الخليج وشمال الجزيرة العربية.

وفي ٢١ يناير ١٨٩٩م انتقل المقيم البريطاني الكولونيل مالكولم ميد من بوشهر في الطراد الحربي لورنس، إلى الكويت، وفي يوم ٢٣ يناير تم توقيع اتفاقية الحماية البريطانية على الكويت، بين الشيخ مبارك والكولونيل ميد، وصدقت عليها الحكومة البريطانية في يوم ١٦ فبراير، وقد تضمنت الاتفاقية بنداً سرياً، وإن كانت كلها سرية في حينه، ونصت على أنه:

"يتعهد شيخ الكويت مبارك بن الشيخ صباح، عن نفسه وورثته وخلفائه، ألا يستقبل وكيلاً أو مبعوثاً لأي دولة أو حكومة في الكويت، أو في أي منطقة أخرى تقع تحت سلطته، إلا بعد تصريح من الحكومة البريطانية بذلك، ويتعهد شيخ الكويت عن نفسه وورثته وخلفائه ألا يمنحوا أي جزء من المناطق التابعة لهم، سواء بالبيع أو الرهن أو الإيجار، أو بأي طريقة أخرى، لأي حكومة أو لرعاياها دون موافقة كتابية مسبقة من الحكومة البريطانية، البند السري Secret Character: يتعهد الكولونيل مالكولم جون ميد بالوكالة عن حكومة صاحبة الجلالة لشيخ الكويت مبارك آل صباح وورثته وخلفائه، في حال التزامهم ببنود الاتفاقية، بأن يرسل إليهم خمسة عشر ألف روبية سنوياً من خزانة بوشهر، وأهم شرط في تنفيذ هذه الاتفاقية هو الحفاظ على سريتها المطلقة To Be Kept Absolutely Secret، وألا يتم إعلانها أو نشرها للعموم إلا بموافقة مكتوبة مسبقاً من الحكومة البريطانية"[1].

ورغم أن هذه الاتفاقية السرية لم تنص صراحة على فرض الحماية البريطانية على الكويت، فقد ترتب عليها أنه:

"صار النظر في النزاعات بين رعايا بريطانيا في الكويت، أو تلك التي يكون أحد أطرافها بريطاني، من اختصاص الوكالة البريطانية في الكويت، وتنازل الشيخ مبارك آل صباح لبريطانيا عن المنطقة من الكويت التي تقع في شمال شرقها قرب شط العرب، وتم إعفاء تجار بريطانيا من الجمارك، وصار لبريطانيا قنصل في الكويت، ورفع الشيخ مبارك العلم البريطاني إلى جوار العلم العثماني، وفرض الشيخ مبارك ضرائب باهظة على الواردات العثمانية إلى الكويت، كما حظر تموين السفن العثمانية من ميناء الكويت وأخضعها للتفتيش أسوة بغيرها من السفن الأجنبية، ورفض استقبال الموظفين العثمانيين في إمارته، وأخذ يساند الحكومة

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1049-1050.

البريطانية في محاولتها إضعاف سيطرة العثمانيين في الخليج، وفتحت الاتفاقية الطريق أمام بريطانيا للتدخل في شؤون نجد وجنوب العراق"(١).

وهكذا كانت اتفاقية الشيخ مبارك مع البريطان ضربة موجهة للدولة العثمانية الجامعة لبلاد الإسلام، وقربت الأفعى الماسونية من قلب بلاد الإسلام، ومن غايتها الحقيقية، الدولة اليهودية وأورشليم وهيكلها، وهي، كما لابد تفهم وتوقن بعد هذه الرحلة الطويلة في الكتاب الذي بين يديك، الغاية الخبيثة التي تسير في ركاب الإمبراطوريات الماسونية عبر التاريخ، وتسلمها كل إمبراطورية منهم للتي تليها، ويتم تمويهها ومزجها في التجارة والسياسة، وهي كلها ليست سوى وسائل للاقتراب منها والوصول إليها، وتوفير التمويل اللازم لذلك.

وفي يوم ١٥ أبريل ١٩٠٠م، التقى السفير البريطاني في الأستانة، السير نيكولاس أوكونور Nicholas O'Conor، ناظر الخارجية العثماني، توفيق باشا، وأبلغه أن حكومة صاحبة الجلالة ترغب في الإبقاء على الوضع الراهن في الخليج Status Quo، ولا تنوي التدخل في المناطق الخاضعة لسلطة السلطان، ولكنها لا ترغب في امتداد سلطة دولة أخرى، أو منحها امتيازات في المناطق التابعة لشيخ الكويت، وفي اليوم التالي، ١٦ أبريل، أبلغ السير أوكونور السفير الألماني في الأستانة، في لهجة حاسمة، أن:

"الشيخ مبارك يرتبط باتفاقية مع حكومة صاحبة الجلالة، وأنه ليس حراً في أن يوافق على مرور خط سكة حديد بغداد في المناطق التي تحت سلطته إلا بعد موافقة الحكومة البريطانية"(٢).

ومع انكشاف العلاقة بين شيخ الكويت وبريطانيا، شرعت الدولة العثمانية في تقوية أمير نجد الموالي لها، عبد العزيز آل الرشيد، فأنعم عليه السلطان عبد الحميد بلقب الباشوية، وأمده والي البصرة، بأوامر من الأستانة، بالمال والسلاح، وبقوة عسكرية بقيادة فيظي باشا، وفي الوقت نفسه

---

١) تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية، ص٣٢٤، ٣٢٧.

2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1027.

استمال الشيخ مبارك قبائل البدو في نجد، وتحالف مع عبد الرحمن آل سعود وابنه عبد العزيز، وكانا يقيمان في الكويت، ويرغبان في استعادة نجد من آل الرشيد.

وفي يوم ١٨ مارس ١٩٠١م، التقى الجمعان في منطقة الصريف بين الكويت وحائل عاصمة آل الرشيد، وانتهت معركة الصريف:

"بهزيمة الشيخ مبارك وتشتت قواته ومقتل عدد كبير من رجاله، وتراجع عبد العزيز آل سعود عن نجد بعد أن استولى على أجزاء كبيرة منها، بعد أن علم بهزيمة الشيخ مبارك وشاع أنه قتل، وأمد المقيم البريطاني شيخ الكويت وحلفاءه بأسلحة وفيرة، خلافاً لسياسة بريطانيا في الخليج، دون أن تتدخل القوات البريطانية، لوقوع المعركة في صحراء نجد بعيداً عن الخليج ومناطق النفوذ البحري البريطاني، ولكي لا تثير الدولة العثمانية بالتدخل في نزاع بين إمارتين تابعتين لها رسمياً"[١].

وفي ديسمبر ١٩٠١م، تأهب عبد العزيز آل الرشيد بقواته في البصرة، وبتعليمات من الباب العالي أمده واليها بالمال والسلاح، وتم قطع طريق التجارة من البصرة إلى الكويت، ومع وصول أنباء تاهب ابن الرشيد لمهاجمة الشيخ مبارك:

"أرسل المقيم البريطاني، الكولونيل تشارلز كمبال Charles Kempall، في بداية شهر يناير ١٩٠٢م، مدافع كبيرة لتوضع في حصن الجهرة، وأرسل إليها ثلاث سفن حربية، ثم ألحقت بهم حكومة بومباي البريطانية البارجتين فوكس Fox وبرسيوس Perseus، فأرسلتهما من الهند للمرابطة أمام الكويت"[٢].

وتوقفت حملة عبد العزيز آل الرشيد على الكويت، ولكن السلطان عبد الحميد عمِل على تقليص نفوذ الشيخ مبارك وتطويق الكويت، فزادت الأستانة قوة الحاميات العثمانية في البصرة والقطيف، وأرسلت في شهر فبراير ١٩٠١م حاميات عسكرية دائمة إلى أم القصر وبوبيان

---

١) تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية، ص٣٢٩، ٣٣٠.

2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1033.

وصفوان، وأنشات محطات للبريد في بوبيان وأم القصر، وأرسلت سفناً وقوارب حربية للتمركز في خور عبد الله وخور الصبية على التخوم الشمالية الشرقية للكويت، وأعلنت الأستانة ان هذه الإجراءات لوقوع هذه المناطق في مسار خط سكة حديد بغداد.

وفي الوقت نفسه، نصَّبت الدولة العثمانية الشيخ يوسف آل إبراهيم، أكبر خصوم الشيخ مبارك، حاكماً على مقاطعة الدورة الواقعة على الجانب الشرقي من شط العرب، فشن في شهر سبتمبر ١٩٠٢م حملة على الكويت، بالاشتراك مع قبائل العرب في الدورة، ومع الدهبي بن محمد وحمود بن جرَّاح، أبناء الشيخ محمد والشيخ جرَّاح آل صباح اللذين قتلهما الشيخ مبارك، فاستنجد الشيخ مبارك بالمقيم البريطاني، فأرسل السفينة الحربية لابوينج Lapwing، بقيادة الكوماندور أرمسترونج Armstrong، فقصفت سفن الشيخ يوسف وأجبرتها على التراجع إلى الدورة[١].

ورغم أن المقيم البريطاني أجبر الشيخ مبارك سنة ١٩٠٠م، على توقيع تعهد بأن يمنع حركة مرور الأسلحة إلى الكويت، وأن يسمح للسفن البريطانية بتفتيش سفن الأسلحة ومصادرتها، فقد أرسلت حكومة بومباي البريطانية تعليمات إلى المقيم البريطاني الكولونيل كمبال، بأن:

لا يتدخل في حركة الأسلحة إلى إمارة الكويت، وأخذت بريطانيا تتساهل في تصدير الأسلحة إلى إمارة الكويت، على خلاف غيرها من إمارات الخليج الأخرى التي انتزعت منها تعهدات مشابهة، لكي لا تعطي فرصة للعثمانيين بمواصلة تقدمهم، فضلاً عما كان يتعرض له الشيخ مبارك من تهديدات آل الرشيد، كما كانت الحكومة البريطانية تهدف من ناحية أخرى إلى مساعدة عبد العزيز آل سعود بعد استعادته لإمارته سنة ١٩٠٢م، بمده بالأسلحة عن طريق حليفه الشيخ مبارك، حتى يتمكن من إضعاف سيطرة العثمانيين على سواحل الخليج"[٢].

وفي بداية سنة ١٩٠٣م، أعلن وزير الخارجية البريطاني، اللورد لانزداون Lansdowne، أن شيخ الكويت مبارك آل صباح تحت حماية بريطانيا، بمقتضى اتفاقية خاصة بينها وبينه، وكان هذا أول تصريح بريطاني رسمي بأن الكويت تحت الحماية البريطانية.

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1036.

٢) تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية، ص٣٣٩-٣٤٠.

وفي يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٠٣م، زار نائب الملك الماسوني إدوارد السابع والحاكم العام للهند، اللورد كيرزون، الكويت، فنظم الشيخ مبارك حفلاً فخماً لاستقباله، ومكث اللورد كيرزون في الكويت يومين، وكان غرضه من الزيارة:

"توثيق العلاقة بين الحكومة البريطانية والشيخ مبارك، والتأكيد على استقلال الكويت، وأنها تحت الحماية البريطانية، ونبه اللورد كيرزون الشيخ مبارك ألا يتورط في نزاعات داخل الجزيرة العربية حيث يصعب على القوات البريطانية حمايته، ومنح اللورد كيرزون بالنيابة عن الملك الشيخ مبارك لقب سير، وسلمه سيفاً، فصار الشيخ مبارك يتيه ويفتخر بأنه ضابط عسكري في الإمبراطورية البريطانية Millitary Officer of The British Empire"[١]!!

وقررت الحكومة البريطانية استغلال نجاح زيارة كيرزون في خرق الوضع الراهن الذي اتفقت عليه مع الدولة العثمانية، فحصل المقيم البريطاني الكولونيل كمبال من الشيخ مبارك، في فبراير ١٩٠٤م، على تعهد سري بعدم السماح لأي دولة غير بريطانيا بإنشاء محطات بريد في الكويت والمناطق التابعة له، وفي أغسطس ١٩٠٤م، عين اللورد كيرزون الكابتن نوكس Knox وكيلاً أو معتمداً سياسياً لبريطانيا في الكويت[٢].

وفي يوليو ١٩٠٥م:

"تقدم الشيخ مبارك إلى المقيم السياسي في الخليج، الميجور برسي كوكس، بطلب إلى الحكومة البريطانية، أنه يرغب في تمييز علم الكويت عن علم الدولة العثمانية، بإضافة اسم الكويت إلى العلم العثماني، وكان يرغب في كتابة اسم الكويت على العلم بالحروف اللاتينية Roman Letters، ولكنه عدل عن ذلك وكتبه بالعربية، لكي لا تتعرض سفن الكويت لمضايقات في الموانئ العثمانية، وفي سبتمبر ١٩٠٦م جاءته موافقة حكومة صاحب الجلالة على طلبه"[٣].

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1037.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1038.
3) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P1045.

وفي ١٥ أكتوبر ١٩٠٧م، وقع الشيخ مبارك مع المعتمد البريطاني في الكويت، الكابتن نوكس، اتفاقية تنازل فيها بالإجارة للحكومة البريطانية عن بندر الشويخ، غرب ميناء الكويت، وعلى بعد ميلين منها، مقابل ستين ألف روبية سنوياً.

وفي كتابه: الكويت وجاراتها، يقول الكولونيل هارولد ديكسون Harold Dickson، وكان ضابطاً في الجيش البريطاني الذي احتل العراق إبان الحرب العالمية الأولى، وبعد الحرب عمل في الإدارة السياسية البريطانية للعراق، ثم صار المعتمد البريطاني في الكويت، يقول ديكسون إن هدف البريطان من تأجير بندر الشويخ، هو:

"أن تكون مرسى آمناً لسفن الأسطول البريطاني، ومما لا شك فيه أن تحصين الأرض المؤجرة وتحويل بندر الشويخ إلى قاعدة بحرية، أو محطة للتموين، كان سيضع السفن القادمة إلى رأس كاظمة، حيث كان من المقرر إقامة محطة سكك الحديد العثمانية في الجهة الشمالية من الكويت، ضمن مرمى نيران المدفعية البريطانية"[١].

وفي ٢٩ يونيو ١٩١١م:

"تعهد الشيخ مبارك للمعتمد البريطاني في الكويت، الكابتن شكسبير Shakespear [•]، ألا يسمح للأجانب بالغوص والبحث عن الإسفنج واللؤلؤ في الكويت قبل استشارة المعتمد

---

١) هارولد ديكسون: الكويت وجاراتها، ج١، ص١٣٤-١٣٥.

•) في يوم ١٢ ديسمبر ١٩١٤م، وبتعليمات من المقيم البريطاني في الخليج، الميجور برسي كوكس، غادر الكابتن شكسبير الكويت إلى نجد، لتوقيع اتفاقية تحالف مع أمير نجد، عبد العزيز آل سعود، ضد الدولة العثمانية وحلفائها في جزيرة العرب، ووصل إلى نجد بعد رحلة استغرقت تسعة عشر يوماً، وفي يوم ٣ يناير ١٩١٥م أرسل إلى برسي كوكس مسودة الاتفاقية التي اتفق عليها مع أمير نجد، وفي يوم ١٧ يناير ١٩١٥م قُتل الكابتن شكسبير في معركة جراب، وهو يقاتل مع قوات عبد العزيز آل سعود ضد قوات سعود بن عبد العزيز آل رشيد الموالي للدولة العثمانية، وأرسل آل الرشيد رأسه وخوذته إلى السلطات العثمانية، فأرسلتها لتعلق على أبواب المدينة المنورة، وبعد المعركة عثر بعض حرس شكسبير على جثته، ودفن في الكويت، وفي يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥م تم توقيع الاتفاقية التي وضع مسودتها الكابتن شكسبير، وهي اتفاقية دارين أو اتفاقية القطيف، وقد نصت على أنه: "١- تعترف الحكومة البريطانية وتقر بأن نجد والحسا والقطيف والجبيل وتوابعها وأراضيها، التي ستحدد فيما بعد، وموانيها على سواحل الخليج، هي ممالك لابن سعود وآبائه من قبله، وبهذا تعترف بأن ابن سعود المذكور حاكمها المستقل ورئيس قبائلها، وبأبنائه وذريته بالوراثة من بعده، على أن يقوم الحاكم الموجود بترشيح خلفه من بعده، بشرط ألا يكون هذا المرشح معادياً للحكومة البريطانية بأي

البريطاني وموافقة حكومة الهند البريطانية، وفي ٢٧ أكتوبر ١٩١٣م، أرسل رسالة إلى المعتمد السياسي البريطاني في الحليج، الميجور برسي كوكس، منح فيها الحكومة البريطانية امتياز التنقيب عن البترول واستخراجه في الكويت"[١].

وفي شهر يوليو ١٩١٤م اندلعت الحرب العالمية الأولى، وفي بداية شهر نوفمبر انضمت الدولة العثمانية إلى الحرب، مع ألمانيا والإمبراطورية النمساوية الهنجارية، في مواجهة بريطانيا وفرنسا وروسيا، فأرسل المقيم السياسي البريطاني في الخليج، برسي كوكس، رسالة إلى شيخ الكويت مبارك آل صباح، في ٣ نوفمبر ١٩١٤م، وتضمنت:

"أن يعمل الشيخ مبارك مع غيره من شيوخ الخليج الموالين لبريطانيا، وهم الشيخ خزعل خان، والأمير عبد العزيز آل سعود، والشيخ عيسى حاكم البحرين، وغيرهم من المشايخ الذين يمكن الاعتماد عليهم، لتحرير البصرة من السيطرة العثمانية، أو على الأقل العمل على منع الإمدادات العثمانية من الوصول إليها، وذلك حتى وصول القوات البريطانية، وفعلاً ساعد الشيخ خزعل والشيخ مبارك الحكومة البريطانية في الحرب ومهدا لها سبيل احتلال البصرة، وكان الشيخ خزعل العامل المباشر في هزيمة الجيش العثماني القادم إلى عبادان"[٢].

شكل، خصوصاً فيما يتعلق بهذه المعاهدة ... ٣- يوافق ابن سعود ويعد أن يمتنع عن الدخول في أية مراسلات أو اتفاقيات أو معاهدات مع أية دولة أو قوة أجنبية، وأن يعطي ملاحظة فورية للسلطات السياسية التابعة للحكومة البريطانية عن أية محاولة من جانب أية قوة أخرى للتدخل في الأراضي المذكورة أعلاه، ٤- يتعهد ابن سعود بأنه لن يتنازل مطلقاً عن الأراضي المذكورة أعلاه أو يبيعها أو يرهنها أو يؤجرها، أو يتخلص منها أو من أي جزء منها، أو يمنح امتيازاً فيها لأية قوة أجنبية بدون موافقة الحكومة البريطانية، وأنه سيتبع نصيحتها بدون تحفظ بشرط ألا تكون مضرة بمصالحه الخاصة، ٥- يتعهد ابن سعود بأن يبقي الطرق المارة بأراضيه إلى الأماكن المقدسة مفتوحة، وأن يحمي الحجاج في مسيرهم إلى تلك الأماكن وعودتهم منها"(حفظ الله بريطانيا لبلاليص ستان وحجاجها!!). (سانت جون فليبي: بعثة إلى نجد ١٩١٧م-١٩١٨م، ص٢٥٥-٢٥٦، ترجمه وقدم له وعلق عليه: دكتور عبد الله صالح العثيمين، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، توزيع مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

١) تاريخ الكويت الحديث، ص٣٣١.

٢) تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية، ص٣٤٨.

وكانت المهمة التي كلف بها برسي كوكس الشيخ مبارك، هي:

"احتلال المواقع العسكرية التركية في صفوان وأم القصر، وتلك الواقعة في الجهة الجنوبية من جزيرة بوبيان، وكان عليه أن يهدد البصرة من جهة البر ويحتلها إذا أمكنه ذلك، ومع أنه لم يوفق في احتلال البصرة فإن وجوده على رأس قوة كبيرة حوَّل أنظار الأتراك عن الجنرال آرثر باريت وجيشه الذي نزل على شط العرب في الجهة المقابلة لعبادان، وزحف إلى البصرة عن طريق الضفة اليمنى"(١).

ومع قدوم الجيش البريطاني إلى البصرة ثار أهل عربستان والمحمرة على شيخها خزعل الكعبي الموالي للبريطان، وأعلن سادتها وأشرافها الجهاد ضده، ومع إعلان الشيخ مبارك الانضمام إلى بريطانيا في الحرب ضد الدولة العثمانية، وبدء إرساله قوات من الكويت لمعاونة الشيخ خزعل والهجوم على القوات العثمانية في البصرة:

"أظهر أهل الكويت العصيان، وجاهروا بالامتناع، سيما والعلامة المحدث الشيخ محمد الشنقيطي والشيخ حافظ وهبة المصري كانا يطوفان المجالس ويغشيان الأندية لتحذير الناس من الطاعة، وأن من انقاد فقد يُحكم عليه بالارتداد عن الدين، فأثار ما قالاه الحماس في النفوس، حتى صمم القوم على الإباء مهما كان في الأمر من شدة ومهما نزل بهم من بلاء، وذهبوا إلى جابر بن الشيخ مبارك وقد تأبطوا مسدساتهم، فقالوا له عندما أمرهم بالمسير: لا نسمع ولا نطيع، فقال جابر: لماذا؟، فقالوا: لأن الطاعة في هذا الأمر معصية، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، فبهت جابر من مفاجأتهم بذلك، وحق له أن يبهت، فإنها الفذة في تاريخ في الكويت، ولم يجر فيها أختها منذ تأسست"(٢).

وبعد دخول القوات البريطانية بقيادة الجنرال آرثر باريت البصرة، واحتلالها العراق:

"أعطت الحكومة البريطانية الشيخ مبارك وعداً خطياً، تضمن الأمور التالية: ١-أن تُعفى بساتينه الخمسة على شط العرب من الضرائب، ٢- تثبيت ملكيته لثلث البساتين، لأن الأتراك

---

١) الكويت وجاراتها، ج١، ص١٤٤-١٤٥.

٢) الشيخ عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت: ص٢٠٤-٢٠٥.

حاولوا نزعها منه، ٣- تضمن الحكومة البريطانية في كل الأزمان بقاء الشيخ مبارك وورثته وخلفائه شيوخاً على الكويت"[١].

ومن مواجهة الشيخ الشنقيطي والشيخ حافظ وهبة للشيخ جابر بن الشيخ مبارك، وما قالاه، لعلك تفهم الغاية الخبيئة من تصنيع مذهب ولي الأمر الإله الذي تجب طاعته طاعة مطلقة، ويحرم الاعتراض عليه أو مراجعته في صوابه وخطئه، ولماذا تم إنفاق أموال طائلة من أجل تخليق طبقات من المشايخ لهذا المذهب وتربيتهم عليه، ومن أجل بثه في التعليم والإعلام وغسل أدمغة شعوب بلاليص ستان به، لتكون وظيفة المشايخ الوحيدة هي تبرير ما يفعله ولي الأمر وإلباسه ثياب الإسلام والشريعة، خلافاً لما عليه علماء الأمة في جميع عصورها، ومن جميع مذاهبها، وفي كل ما تتابع عليها من دول، من أول الدولة الراشدة إلى الدولة العثمانية، من مراجعة ولي الأمر والتصويب له، والانتصاف لعموم الناس منه، وإيقافه والوقوف في وجهه إذا أطاح بثوابت الإسلام أو والى أعداءه.

والغاية الخبيئة من مذهب ولي الأمر الإله ووجوب الطاعة المطلقة له وعدم التعقيب على ما يفعله، أن يقيد ويكتف له المشايخ قومه أو شعبه، ليسير بهم خلف بريطانيا والإمبراطوريات الماسونية، التي أقامته وتحرسه وتديره، فتكون طاعتهم المطلقة له هي في حقيقتها طاعة مطلقة لها، فترسم له بريطانيا والامبراطوريات الماسونية السياسات التي تفكك عالم الإسلام وتتجه به وبهم نحو إتمام المشروع اليهودي، الذي تدور بلاليص ستان كلها حوله وتديرها هذه الإمبراطوريات من أجله.

وإذا راجعت ما نقلناه لك عن المؤرخين العرب خصوصاً، عن تطور علاقة شركة الهند الشرقية البريطانية وبريطانيا بالخليج، منذ أن تسللت إليه، إلى أن توغلت فيه واحتلته، وأدخلت مشيخاته وجزره في حرملكها، ثم وظفتها في طعن الدولة العثمانية واستنزافها، وفي الوصول إلى قلب عالم الإسلام، إذا راجعت ما نقلناه لك فينبغي أن تنتبه إلى غفلة هؤلاء المؤرخين التامة عن صلة ما رصدوه ودونوه من أحداث بالمشروع اليهودي، وإلى غيابه من تفسيراتهم غياباً مطلقاً، وتفسيرهم لسلوك بريطانيا بالعداوة لألمانيا أو لروسيا، وبالرغبة في التوسع الإمبريالي، وعدم وعيهم بصلة ما

---

١) الكويت وجاراتها، ج١، ص١٤٥.

كانت تفعله بريطانيا بالمشروع اليهودي، رغم أن هؤلاء المؤرخين الأميين جاءوا بعد الحرب العالمية الأولى، وقد صار المشروع اليهودي مرئياً، وظهر إلى سطح الأرض، وسلمت بريطانيا فلسطين للعصابات الصهيونية، لتقيم دولة بني إسرائيل في حراستها، وبعد استيلاء إسرائيل على القدس، وبعد أن تمددت على حساب بلاليص ستان وصارت إمبراطورية.

والنتيجة الفعلية والحقيقة لسياسات بريطانيا، وللحرب العالمية الأولى، وكل ما عدا ذلك من نتائج هو من آثارها الجانبية أو الإضافية، هي إزاحة ميزان القرآن ومفتاح تصنيفه للبشر بميزان التوراة ومفتاح تصنيفها، وتفكيك الدولة الجامعة لبلاد الاسلام، وتمزيقها وعزلها عن بعضها لتكون محضناً للدولة اليهودية، ووصول المشروع اليهودي الساري في ركاب إمبراطوريات الغرب إلى مرحلته الأخيرة والمرئية.

والفرق بين هذا الذي نخبرك به وبين الذي تجده في ما كتبه هؤلاء المؤرخون عن سياسات بريطانيا وعن نتائج الحرب العالمية الأولى هو، كما أخبرناك من قبل، الفرق بين الذهن القرآني والذهن الأمي.

مسقط ومشيخات جنوب الخليج

ونعود بك إلى مرة أخرى بعثة الماسوني جون مالكولم إلى فارس، لتعرف كيف التهمت شركة الهند الشرقية البريطانية خليج عُمان وجنوب الخليج، بعد أن التهمت شماله، ليصبح خليج الإسلام من مدخله في بحر العرب إلى رأسه عند شط العرب داخل جوفها، ولتقترب من هدفها وهدف بريطانيا الحقيقي، في قلب عالم الإسلام، ولتكون الخطوة التالية هي تمزيق الخليج وتحويل مِزَقه إلى إحدى أدوات تحقيقه.

علمتَ من قبل أن الماسوني ريتشارد مورننجتون لورد ولسلي، الحاكم العام للهند ورئيس شركة الهند الشرقية البريطانية، عين الميرزا مهدي علي خان، ممثلاً عن الشركة ومقيماً سياسياً عن حكومة الهند في بوشهر، ثم أرسله إلى سلطان مسقط ومدن سواحل خليج عُمان، السيد سلطان بن أحمد، فوقع معه قولنامة أو اتفاقية، في ١٢ أكتوبر ١٧٩٨م، وكانت أهم بنودها أن يتعهد السيد سلطان بأن يكون في جانب الحكومة البريطانية في القضايا الدولية، وألا يمنح الفرنسيين والهولنديين امتيازات تجارية في المناطق الخاضعة لسيطرته، وأن يسمح للبريطانيين بإقامة وكالة تجارية مسلحة وحامية، في بندر عباس، التي يستأجرها سلطان من فارس.

وفي أواخر سنة ١٧٩٩م، أرسل الجنرال الماسوني ريتشارد ولسلي بعثة برئاسة الكابتن الماسوني جون مالكولم، إلى فتح علي شاه، ثاني سلاطين الدولة القاجارية، وفي طريقه مر بمسقط، والتقى بسلطانها، سلطان بن أحمد، وهدده إذا لم يوقف تعاونه مع الفرنسيين، بمنع سفن مسقط من الدخول إلى مواني الهند، وجميع المواني التي تسيطر عليها الشركة في الطريق إليها.

وفي شهر يناير ١٨٠٠م، وقع مالكولم مع سلطان بن أحمد اتفاقية بين الشركة وسلطنة مسقط، تم فيها تأكيد بنود معاهدة مهدي علي خان السابقة، وزادت عليها النص على أنها معاهدة أبدية: "**لا تنتهي إلى أن تتوقف دورة الشمس والقمر في الفلك**"(١)، وموافقة سلطان بن أحمد على وجود معتمد أو مقيم سياسي بريطاني في مسقط، ليكون وكيلاً عن حكومة الشركة في الهند، ووسيلة الاتصال والتنسيق بينها وبين سلطان بن أحمد، واختار مالكولم صديقه الليفتاننت أرشيبالد بوجل

---

١) الخليج العربى، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، ص١٩٢.

Archibald Bogle، وهو أحد جراحي جيش الشركة في بومباي، ليكون المقيم البريطاني في مسقط.

وفي سنة ١٨٠٤م، قُتل سلطان بن أحمد وهو عائد من البصرة في إغارة شنها عليه القواسم أمام جزيرة لنجة، وخلفه ابن أخيه، بدر بن سيف، ونشب نزاع بينه وبين سعيد بن سلطان بن أحمد، ومال بدر بن سيف إلى الفرنسيين، ووقع معهم معاهدة صداقة، وسمح لسفنهم بالرسو في مسقط، وما يتبعها من مواني خليج عُمان، فأرسلت حكومة شركة الهند الشرقية البريطانية في بومباي ديفيد سيتون David Seton، ليكون وكيلاً عن الشركة وممثلها السياسي في مسقط.

وفي سنة ١٨٠٦م، وبمعاونة ديفيد سيتون، تمكن سعيد بن سلطان من اغتيال بدر بن سيف، وصار حاكم مسقط وما يتبعها من مدن ساحل عُمان، ومع ميله إلى البريطان ظل محافظاً على علاقات ودية مع الفرنسيين، إلى أن حاصر أسطول الهند البريطاني التابع لشركة الهند الشرقية البريطانية، جزيرة موريشيوس، معقل الفرنسيين في الشرق، فقرر سعيد بن سلطان الدخول في طاعة البريطان، وأرسل في أغسطس سنة ١٨٠٧م رسالة إلى دنكان Duncan، حكام بومباي من قِبل الشركة، يقول فيها:

"بعون الله تعالى سأظل طالما بقيت حياً ملتزماً وأميناً للصداقة والارتباط الوثيق الذي يربط بيننا، وثقتي بالله أن لا يحدث ما يعكر صفو هذه الصداقة ... إن ثروتي وممتلكاتي اعتبرها ملكاً لكم، كما أن المناطق الواقعة تحت سلطتي اعتبرها خاصة بكم"[١].

وبذلك، ومنذ بداية عهد سعيد بن سلطان، الذي طال أكثر من نصف قرن، ثم في عهد أبنائه وخلفائه، صارت مسقط وما يتبعها من سواحل خليج عَمان ومواني شرق إفريقيا، تابعة لحكومة الهند وشركة الهند الشرقية البريطانية، وتأتمر بأوامرها، وحكامها مجرد واجهات وأدوات لتنفيذ سياساتها ومخططاتها.

وهو ما يلخصه لك تصريح اللورد كيرزون Curzon، وكان نائب الملكة فكتوريا، ثم نائب ابنها الملك إدوارد السابع، والحاكم العام للهند، من سنة ١٨٩٩م إلى سنة ١٩٠٥م:

---

١) الخليج العربى، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، ص٢٠٣.

"إننا نعطي إمام مسقط معاشاً سنوياً، ونملي عليه سياسته الخارجية، وأي تدخل أجنبي في شؤون مسقط يعتبر موجهاً ضد بريطانيا"(١).

واللورد كيرزون، الذي استكمل احتلال بريطانيا للخليج، نموذج تدرك منه أن ما كانت تفعله بريطانيا في الخليج، وما كانت تفعله في الشرق كله، لم يكن سوى خطوات أو أجزاء في المشروع اليهودي المتكامل الذي ورثته مملكة بريطانيا عن شركة الهند الشرقية البريطانية، وهو مناسبة لأن ترى صلة اليهود والماسون بهذا المشروع بعد أن صارت صريحة لا لبس فيها.

فاللورد كيرزون نائب الملكة فكتوريا والملك إدوارد السابع في الهند، هو نفس الذي أصبح بعد ذلك وزير خارجية بريطانيا، من سنة ١٩١٩م إلى سنة ١٩٢٤م، في حكومة ديفيد لويد جورج David Lloyd George، في عهد الملك جورج الخامس.

ووزير خارجية بريطانيا اللورد كيرزون كان رئيس مؤتمر لوزان Lausanne، في سويسرا، والمسيطر على مقاليده(٢)، وهو المؤتمر الذي بدأ في شهر نوفمبر ١٩٢٢م، وضم وفوداً من تركيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليونان، للتفاوض حول مصير الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، وكان الوفد الذي أرسله اليهودي الدونمي الماسوني كمال أتاتورك إلى المؤتمر، يرأسه وزير خارجيته، الماسوني عصمت إينونو، وأحد أعضائه حاييم ناحوم حاخام تركيا الأكبر، الذي ذهب إلى المؤتمر من لندن بتأشيرة صهيونية أرسلها إليه حاييم ويزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية.

وفي معاهدة لوزان، التي أشرف كيرزون على وضع بنودها وصياغتها، وانتهى المؤتمر بتوقيعها في ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٣م، تم الاتفاق على إلغاء الخلافة العثمانية وتأسيس تركيا

---

١) الاستعمار في الخليج الفارسي، ص١٥٠.

٢) عن سيطرة اللورد كيرزون على مؤتمر لوزان، وضغوطه على الوفد التركي، ودوره في صياغة بنود معاهدة لوزان، انظر:

Michael Dockrill: Britain & Lausanne Conference 1922-1923, The Turkish Yearbook, Vol. XXIII, 1993.

العلمانية المحكومة بقوانين وضعية غير إسلامية، وحُددت في المعاهدة حدودها بعد فصل الشعوب غير التركية عنها، وعلى رأسهم اليونان والأرمن(١).

فأما لويد جورج الذي كان اللورد كيرزون يمثل حكومته في مؤتمر لوزان، وهي الحكومة التي سلمت فلسطين للعصابات الصهيونية، فلم يكن سوى واجهة للتجار وعشيق لليهود، وسوف تلتقي به في آخر الكتاب الذي بين يديك.

وأما الملكة فكتوريا، التي كان كيرزون نائبها في الهند، فقد التقيت بها معنا من قبل، وسوف تقابلك مرة أخرى من بعد، وقد علمتَ أنها من أسرة ساكس كوبرج جوتا، وهي أسرة من اليهود الأخفياء، وابنها الملك إدوارد السابع ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان الأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم قبل أن يعتلي العرش خلفاً لأمه.

والملك جورج الخامس George V، الذي أسقطت بريطانيا الخلافة وفككت الدولة العثمانية في عهده، وسلمت فلسطين لليهود، هو حفيد الملكة فكتوريا، ومن أسرة ساكس كوبرج جوتا، واسمه الكامل هو جورج فريدريك إرنست ألبرت ساكس كوبرج جوتا George Frederick Ernest Albert of House of Saxe-Coburg-Gotha، وهو الذي غيَّر لقب الأسرة الألماني، سنة ١٩١٧م، إبان الحرب العالمية الأولى إلى وندسور الإنجليزي، بعد أن صارت ألمانيا خصماً لبريطانيا في الحرب.

والملك جورج الخامس هو ابن الملك إدوارد السابع، وكان مثل أبيه الراعي الرسمي للماسونية ومحفل انجلترا الأعظم.

ونعود بك إلى زحف شركة الهند الشرقية البريطانية على الخليج، فبعد سيطرتها على خليج عُمان، وبامتطاء مسقط وتوابعها، ومع فشل الماسوني جون مالكولم في إرغام فارس على التنازل عن جزر الخليج التابعة لها، كما علمتَ، بدأت الشركة في الزحف على المناطق الواقعة تحت سيطرة حلف القواسم ونفوذه، من أجل الاستيلاء على السواحل والمواني في جنوب الخليج.

---

١) نص معاهدة لوزان:

Treaty of Peace With Turkey Signed at Lausanne، July 24, 1923, In:Carnegie Endowment for International Peace: The Treaties of Peace 1919-1923, Vol.II, New York, 1924.

وهاك أولاً خريطة لمضيق هرمز والخليج في القرن التاسع عشر لتتمكن من متابعة زحف الأفعى الماسونية عليه.



خريطة تاريخية لمضيق هرمز والخليج وقبائله، وما داخل الدائرة هو منطقة نفوذ القواسم.

والقواسم قبيلة عربية، على خلاف بين المؤرخين هل أصولهم من نجد أو من العراق، وفي أوائل القرن الثامن عشر نزح القواسم إلى سواحل جنوب الخليج:

"وأقام شيخ القواسم قاسم بن هاشم خيمة في منطقة مرتفعة من مدينة جلفار، جنوب رأس مُسندم، ووضع بجوارها ضوءًا تهتدي به السفن، فأطلق عليها البحارة رأس الخيمة، وفي تقرير رُفع لحكومة شركة الهند الشرقية البريطانية في بومباي، أن أول من استقر من القواسم في جلفار وبنى الخيمة فيها هو الشيخ رحمة بن مطر القاسمي، وهو مؤسس دولة القواسم"(١).

---

١) الخليج العربى، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، ص٢٤٦-٢٤٧.

ومع اضطراب أحوال فارس، أواخر عهد الدولة الصفوية، وانهيار سلطة اليعاربة في مسقط، والنزاع الذي نشب بينهم وبين أسرة البوسعيد، بدأ القواسم في توسيع دائرة نفوذهم، والاستيلاء على المدن والجزر التي تشرف على مضيق هرمز، والواقعة على جانبيه، والسواحل المتاخمة له من شمال خليج عُمان وجنوب الخليج العربي.

وفي سنة ١٧٢٣م، تمكن الشيخ رحمة بن مطر، من السيطرة على رأس مسندم الذي يطل على خليج هرمز، وعلى جزيرة قِشم التي تواجه رأس مسندم أمام الساحل الفارسي، ثم أخذ جزيرتي كنج ولنجة، وكانت في الأصل تابعة لمسقط، فنشب نزاع بين شيخ القواسم رحمة بن مطر وسلطان مسقط أحمد بن سعيد، مؤسس دولة البوسعيد، إذ كان يرى أن كل ما كان يتبع دولة اليعاربة في مسقط يؤول إليه.

وفي عهد رحمة بن مطر، ثم في عهد أخيه راشد بن مطر، الذي خلفه سنة ١٧٥٨م، نشبت عدة نزاعات وحروب بين القواسم ومسقط، كان آخرها الحملة التي شنها الشيخ صقر بن رحمة وحاصر فيها الرستاق عاصمة سلطنة مسقط، منتهزاً الخلاف بين السلطان أحمد بن سعيد وأبنائه، وانتهت برفع الحصار في مقابل استقلال القواسم عن مسقط، وتوقيع معاهدة سنة ١٧٦٥م أقرت فيها مسقط بسيادة القواسم ونفوذهم على رأس الخيمة وما يتبعها من سواحل جنوب الخليج[1].

ويقول مبارك العُتبي Mubarak Al-Otabi، في كتابه: القواسم والسيطرة البريطانية على الخليج العربي The Qawasim And British Control of The Arabian Gulf، وهو أطروحته التي حصل بها على الدكتوراة في العلاقات الدولية من جامعة ستانفورد الأمريكية، إن:

"القواسم سيطروا على المنطقة التي تمتد من خورفكان إلى رأس مسندم، في خليج عُمان، ومن رأس مسندم إلى الشارقة، في الخليج، وكذلك جزر قشم، وكنك Kunk، ولنجة Linga، ولُفت Luft، وخرج، ورأس الحتي Ras Al-Heti، وبندر عباس، وبين سنة ١٧٤٧م وسنة

---

١) الخليج العربى، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الاول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، ص٢٦٩-٢٧٠.

١٨٠٠م سيطروا على التجارة في السواحل الشرقية للخليج العربي، وصاروا أكبر قوة بحرية فيه، بعد أن تحالفوا مع علي شاه حاكم هرمز وجمبرون/بندر عباس"(١).

وتحالفت مع القواسم القبائل المقيمة في منطقة نفوذها، وأكبرها آل علي في رأس الخيمة والشارقة وأم القيوين، وقبيلة المهرة وآل زعاب في رأس الخيمة، وقبيلة الحبوس في ميناء رمس، والشحوح في المناطق الجبلية، وآل النعيم في عجمان، وبنو معين في قشم وهرمز.

وفي الوقت نفسه تكون تحالف آخر من عدد كبير من القبائل، عُرف بتحالف بني ياس، وكان أول ظهورهم سنة ١٧٦١م حين استوطنوا جزيرة أبو ظبي بعد اكتشافهم وجود مياه بها، ثم سيطروا على سواحل جنوب الخليج التي تمتد من دبي إلى جنوب قطر، وأكبر القبائل في هذا التحالف آل بو فلاح، وأبرز بطونهم آل نهيان في أبو ظبي، وآل محمد في واحة ليوا، ثم الرواشد، وأكبرهم آل بو فلاسة، وينتمي إليهم آل مكتوم في دبي، وكان بين حلف القواسم وحلف بني ياس توافق في المصالح في أغلب الأحيان، ونزاعات خفيفة في بعض الأحيان(٢).

وكون القواسم وحلفاؤهم أسطولاً كبيراً، من خمسمائة سفينة، يعمل عليها عشرون ألف بحار، وسيطروا به على مضيق هرمز وحركة الملاحة في الخليج، وامتد نشاطه البحري والتجاري إلى بحر العرب والمحيط الهندي وسواحل إفريقيا، وكان عملهم الرئيسي تجارة التوابل والملابس والأخشاب، وكذلك صيد السمك واللؤلؤ(٣).

وإلى جانب ذلك بدأ أسطول حلف القواسم منذ أواخر القرن الثامن عشر في الإغارة على سفن شركة الهند الشرقية البريطانية، وكان يعيدها أحياناً إلى حكومة الشركة بعد أن تدفع فدية في مقابلها، ولذا كانت الشركة تصفهم في وثائقها بأنهم قراصنة، وأطلقت على منطقة الساحل التي تمتد من رأس مُسندم إلى أبو ظبي اسم: ساحل القراصنة Piratical Coast، وكان اسمها عند قبائل المنطقة من قبل: ساحل الشمال.

---

1) Mubarak Al-Otabi: The Qawasim and British Control of the Arabian Gulf, P25, Thesis presented for the degree of Doctor of Philosophy, University of Salford, International Studies Unit, 1989.

٢) الخليج العربى، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، ص٢٥٨-٢٦٠.

3) The Qawasim and British Control of the Arabian Gulf, P26

ثم ازدادت إغارات القواسم على السفن البريطانية بعد تحالفهم سنة ١٨٠٠م مع عبد العزيز بن محمد بن سعود أمير الحركة الوهابية واعتناقهم لدعوتها، وكانت الحركة الوهابية قد ظهرت في نجد واستولت على الإحساء والقطيف، ثم وصلت إلى منطقة البريمي قرب سواحل خليج عمان.

وأول سفينة تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية يستولي عليها القواسم كان في سنة ١٧٧٨م، بعد معركة استمرت ثلاثة أيام، ثم أعادوها للشركة مقابل أربعين ألف روبية، وبعد عدة محاولات لم تنجح لمهاجمة سفن الشركة والاستيلاء عليها في السنتين التاليتين:

"تمكن القواسم في سنة ١٧٩٠م من الاستيلاء على سفينة الشركة بِجلربج Beglerbeg، قرب رأس الخيمة، وهي في طريقها من البنجال إلى بوشهر، ثم على السفينة باسين سنو Bassin Snow، عند جزيرة رمس، في مايو ١٧٩٧م، والسفينة فايبرViper في شهر أكتوبر من السنة نفسها، قرب بوشهر، وفي السنوات التالية صارت مهاجمة سفن شركة الهند الشرقية البريطانية والاستيلاء عليها عملاً ثابتاً للقواسم ومصدر ربح وفير لهم"[١].

وفي نوفمبر سنة ١٨٠٤م، قُتل سلطان مسقط سلطان بن أحمد، ونشب نزاع بين ابن أخيه بدر بن سيف وابنه سعيد بن سلطان، فاستولى القواسم على بندر عباس وجزيرة ميناب القريبة منها، وفي شهر ديسمبر من السنة نفسها:

"استولى القواسم على السفينة شانون Shannon، والسفينة تريمر Trimmer، وهما سفينتان تجاريتان تابعتان للمقيم البريطاني في البصرة صمويل مانستيSamuel Manesty، ثم هاجموا بأربعين سفينة شراعية الطراد مورننجتون Mornington في يناير سنة ١٨٠٥م، والسفينة الحربية كوين Queen في شهر أبريل"[٢].

وأرسل صمويل مانستي رسالة إلى رئاسة شركة الهند الشرقية البريطانية وحكومة الهند في بومباي، أن:

---

1) The Qawasim and British Control of the Arabian Gulf, P108.
2) The Qawasim and British Control of the Arabian Gulf, P110.

"خطر القراصنة العرب أصبح يفوق خطر أعدائنا القوميين/الفرنسيين، وحوادث القرصنة أصبحت تسبب متاعب أكثر من المتاعب التي نتعرض لها نتيجة المنازعات الدولية في بحار الشرق"(١)

وقررت حكومة الشركة في الهند برئاسة الجنرال دنكان Duncan شن حملة على القواسم، وعهدت إلى الكابتن ديفيد سيتون، المقيم البريطاني وممثل الشركة في مسقط، بقيادة الحملة، بالتنسيق مع المقيم البريطاني في البصرة صمويل مانستي، والليوتنانت بروس Bruce ممثل الشركة في بوشهر، ووضعت حكومة الهند البريطانية تحت إمرة سيتون الطراد مورننجتون، وأرسلت معه ثلاث سفن حربية أخرى مزودة بخمسة وعشرين مدفعاً إلى سلطان مسقط بدر بن سيف، ليشترك معه في الحملة على القواسم.

ومن حينها ظلت حملات شركة الهند الشرقية وحكومة الهند البريطانية على القواسم مستمرة إلى أن تم إخضاع جنوب الخليج كله، وتوقيع اتفاقية عامة مع مشيخات ساحل الخليج، وهي الاتفاقية التي مزقت فيها الشركة وحكومة الهند الخليج، وحولت مِزقه إلى ألعوبة في يدها، وإحدى أدواتها في التهام الخليج، وفي إعادة رسم خريطة الشرق كله وتحويله إلى محضن للمشروع اليهودي إلى يومك هذا.

في كتابه: دليل الخليج الفارسي وعُمان ووسط جزيرة العرب يقول لوريمر إنه في بداية شهر يونيو ١٨٠٥م:

"تحركت حملة أسطول مسقط بقيادة سلطانها بدر بن سيف، بصحبة الطراد البريطاني مورننجتون بقيادة ديفيد سيتون، في اتجاه الخليج، فاستولت على ميناء بندر عباس في منتصف شهر يونيو، بعد معركة مع القواسم، ثم استولت على هرمز من بني معين حلفاء القواسم، ثم اتجهت قوات مسقط وسيتون إلى جزيرة قشم بعد أن وصلها نبأ وجود أسطول القواسم في مينائها، فحاصرته سبعين يوماً، وانتهى الحصار بهدنة لمدة شهرين للتفاوض"(٢).

---

١) الخليج العربى، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، ص٢٩٨.

2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P181.

وفي يوم ٦ فبراير سنة ١٨٠٦م، تم توقيع قولنامة/اتفاقية في بندر عباس، بين الكابتن سيتون ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية وعبد الله بن كروش ممثل الشيخ سلطان بن صقر القاسمي، وكانت تتكون من ستة بنود، هي:

"١- يحل السلام بين شركة الهند الشرقية البريطانية المبجلة وسلطان بن صقر القاسمي وجميع أتباعه ورعاياه في سواحل شبه جزيرة العرب وفارس، مع تعهدهم باحترام علم شركة الهند الشرقية وممتلكاتها ورعاياها، وتتعهد شركة الهند الشرقية المبجلة بمعاملة القواسم بمثل ذلك، ٢- إذا لم يلتزم القواسم بتعهدهم في المادة السابقة تقع عليهم غرامة قدرها ثلاثون ألف دولار Dollar(•)، وفي مقابل ذلك يوافق الكابتن ديفيد ستون على تسلم السفينة تريمر الراسية الآن في مسقط من الأمير سلطان بن صقر، مع التنازل عن المطالبة بحمولتها من المدافع وغيرها من الأشياء، وكذلك بالنسبة للسفينة شانون، ٣- يتعهد القواسم برد الممتلكات البريطانية التي توجد في أسطولهم، ٤- يتعهد القواسم بمساعدة أي سفينة بريطانية وحمايتها والحفاظ على ممتلكاتها، إذا رست على شواطئ القواسم للتزود بالأخشاب أو الماء، أو اضطرت إلى اللجوء للشاطئ بسبب ظروف الجو أو أي سبب آخر، وأن يسمحوا لها بالبقاء أو الرحيل كما يرغب أصحابها دون مقابل ولا مطالب، ٥- إذا أجبر ابن سعود القواسم على مخالفة هذه الاتفاقية، فيجب عليهم أن يرسلوا إنذاراً إلى جميع الجهات قبلها بثلاثة أشهر، ٦- بعد التصديق على هذه المواد، يمكن للقواسم التردد على الموانئ الإنجليزية من سورات إلى البنجال، كما كان الحال سابقاً"[١].

وبعد توقيع الاتفاقية، سلَّم ديفيد سيتون بندر عباس وهرمز وجزيرة قشم لسلطان مسقط بدر بن سيف، إلا أن سلطان مسقط أخلاها وانسحب منها، لأنه أدرك أن سيتون يريد أن يحمل عن الشركة عبء مواجهة فارس والقواسم.

•) الدولار المقصود هنا، هو تالر ماريا تريزا Maria Theresa Thaler، وهو عملة من الفضة وزنها ٢٨ جراماً تقريباً، وتم سكه لأول مرة سنة ١٧٤١م، في عهد ملكة الإمبراطورية الرومانية المقدسة/النمساوية الهنجارية ماريا تريزا، وظل العملة الرسمية للإمبراطورية إلى سنة ١٨٥٨م، وكان العملة الشائعة والسائدة في التعامل التجاري في الخليج، وفي أماكن عديدة من الهند وسواحل إفريقيا.

١) الخليج العربى، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، ص٤٩٩-٥٠٠.

ورغم توقيع اتفاقية السلام بين القواسم وشركة الهند الشرقية البريطانية، ظل أسطول حربي تابع للشركة مرابطاً في الخليج، بقيادة السفينة فوكس Fox، ثم انسحب في أوائل سنة ١٨٠٨م إلى بومباي، بعد تحسن العلاقات بين بريطانيا وفارس، ونشوب الحرب بينها وبين فرنسا، فعاود القواسم أنشطتهم البحرية، وزادت قوة أسطولهم، فصار يتكون من ثلاث وستين سفينة كبيرة وأكثر من ثمانمائة سفينة صغيرة، وأرسل شيخ القواسم سلطان بن صقر رسالة إلى حكومة الهند البريطانية في بومباي:

"يطالب فيها حكومة الهند بأن تدفع له إتاوة Blackmail، في مقابل ضمان الأمان للتجارة البريطانية في الخليج"[١].

ورفضت حكومة شركة الهند البريطانية عرض الشيخ سلطان بن صقر، فاستأنف القواسم الهجوم على سفن شركة الهند الشرقية البريطانية، ووصلوا بهجماتهم إلى سواحل الهند البريطانية، وفي شهر أبريل ١٨٠٨م هاجمت أربع سفن للقواسم السفينة لايفلي Lively، قرب سواحل كوجرات في الهند دون أن تتمكن من الاستيلاء عليها[٢].

وفي يوم ٢ مايو ١٨٠٨م، هاجمت مراكب القواسم الشراعية الطراد فيوري Fury، التابع للشركة، شرق مسقط، وحاولت الاستيلاء عليه، ولكنها انسحبت بعد أن قصفتها مدافع الطراد ومدافع مسقط معاً، وبعدها بثلاثة أسابيع، في يوم ٢٣ مايو، هاجم أسطول للقواسم من خمس وخمسين سفينة خارج رأس مسندم السفينة مينرفا Minerva، التابعة لصمويل مانستي المقيم البريطاني والوكالة البريطانية في البصرة، واستولوا عليها بعد معركة استمرت يومين، وقتلوا عدداً كبيرا من طاقمها، وأسروا زوجة الليوتنانت روبرت تايلور Robert Taylor، نائب المقيم البريطاني في بوشهر، ثم افتداها تايلور بألف دولار/تالر ماريا تريزا[٣].

وفي يوم ١٧ أكتوبر هاجمت سفن القواسم سفينة الشركة نوتيلوس Nautilus، عند مدخل الخليج، ولكنها تمكنت من الهرب، وبعدها بثلاثة أيام، يوم ٢٠ أكتوبر، هاجم القواسم السفينة

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P183.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P183.
3) The Qawasim and British Control of the Arabian Gulf, P115.

الحربية سيلف Sylph، وهي إحدى قطع أسطول بومباي البريطاني، وكانت عائدة من بوشهر إلى بومباي، بعد أن رافقت جون مالكولم في مهمته إلى فارس، ونجت سيلف من الأسر بعد معركة انضمت إليها فيها السفينة الحربية البريطانية نيريدي Nereide، ذات المدافع الست والثلاثين، وقتل في المعركة ثلاثون من بحارة سيلف وجنودها(١).

وفي يونيو سنة ١٨٠٩، استولى القواسم على السفينة البريطانية دِريا دولت Deria Dowlut، فقررت شركة الهند الشرقية وحكومة الهند البريطانية شن حملة ثانية على القواسم، بالاشتراك مع سلطان مسقط التابع للبريطان، سعيد بن سلطان، الذي صار حاكم مسقط سنة ١٨٠٦م، بعد أن اغتال ابن عمه بدر بن سيف، بتدبير مع المقيم البريطاني ديفيد سيتون.

وفي الرابع عشر من سبتمبر ١٨٠٩م تحركت الحملة البحرية البريطانية من بومباي، بقيادة الكابتن وين رايت Wainwright، والكولونيل سميث Smith، وهما من ضباط البحرية الملكية، وكانت الحملة تتكون من الفرقاطتين شيفون Chiffonne وكارولين Caroline، من البحرية الملكية، وعشر سفن حربية أخرى تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية، محملة بعشرات المدافع، وعلى متنها فرقة جنود من مدفعية بومباي، وفرقتان من المشاه، إحداهما من الجنود البريطان، والثانية من جنود السيبوي الهنود، تحت قيادة أربعة وخمسين ضابطاً.

وكانت أهداف الحملة هي:

"تدمير معاقل القراصنة وأسطولهم في الخليج، والوصول إلى ترتيبات مع قبائل القراصنة Piratical Tribes تضمن سلامة الملاحة في الخليج، واستعادة السلطة لسيد عُمان على الموانئ والجزر التي استولى عليها القراصنة، مع تجنب الدخول في صراع مع الوهابيين في جزيرة العرب"(٢).

وبسبب سوء الأحوال الجوية والعواصف وصلت الحملة إلى مسقط يوم ٢٣ أكتوبر، وبعد عشرة أيام اتجهت مباشرة إلى رأس الخيمة، معقل القواسم، فوصلت أمامها يوم ١١ نوفمبر، ولم تستطع

---

1) The Qawasim and British Control of the Arabian Gulf, P116.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P184.

الفرقاطات والسفن الكبيرة الاقتراب منها بسبب ضحالة منسوب المياه، فرست على بعد أربعة أميال منها، ورست السفن الصغيرة على بعد ميلين، وفي اليوم التالي قصفت رأس الخيمة بالمدافع، وفي اليوم الذي يليه نزل الجنود البريطان والسيبوي في قوارب، وبعد مقاومة عنيفة وقتال من بيت لبيت House To House Fighting انسحب القواسم وأهل رأس الخيمة من الساحل إلى الداخل.

ووصلت إلى الكابتن وين رايت والكولونيل سميث أنباء وصول قوات الوهابيين بقيادة مطلق المطيري قادمة من داخل جزيرة العرب، فانسحبوا حسب تعليمات الحاكم العام للهند دنكان بعدم الدخول في صراع مع الوهابيين، وفي طريق انسحابهم أحرقوا بيوت رأس الخيمة، وأحرقوا خمسين سفينة شراعية كانت راسية في الميناء، وأخذوا الطراد مورننجتون(١).

وبعد رأس الخيمة سارت الحملة بمحاذاة سواحل فارس، وفي يوم ١٧ نوفمبر قصفت جزيرة لنجة، ثم استولت عليها، وأحرقت عشرين سفينة للقواسم كانت راسية في مينائها، وفي يوم ٢٦ نوفمبر وصلت إلى جزيرة قِشم، فحاصرتها وقصفت حصنها بالمدافع، وبعد قتال عنيف مع القواسم وحلفائهم من بني معين، سلم شيخ بني معين الجزيرة وحصنها وميناءها، لُفت، للبريطان، وأحرق البريطان إحدى عشرة سفينة في الميناء(٢).

وفي يوم ٧ ديسمبر عادت الحملة البريطانية إلى مسقط، وفي يوم ٢٤ ديسمبر رجعت مرة أخرى إلى الخليج مع سفن مسقط، فاستولت على شِناص يوم ٣ يناير ١٨١٠م، بعد قصفها ومعركة مع حاميتها، وظلت الحملة طوال شهر يناير تجوب الخليج بحثاً عن سفن القواسم وتدمرها، وفي أوائل شهر فبراير عاد قسم كبير من سفن الحملة إلى بومباي، وظل الكابتن وين رايت والكولونيل سميث مع القسم الآخر للبحث عن جزيرة في مدخل الخليج تصلح لاتخاذها قاعدة عسكرية، وظلا في الخليج إلى أن جاءتهم الأوامر من حكومة بومباي البريطانية بالعودة في شهر أبريل ١٨١٠م.

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P184.
2) The Qawasim and British Control of the Arabian Gulf, P121.

ورغم تدمير مواني القواسم والعشرات من سفنهم، فلم يكن نجاح الحملة البريطانية عسكرياً نجاحاً كاملاً، فالجزء الأكبر من أسطول القواسم خرج من الحملة سالماً، إذ مع وصول نبأ خروج الأسطول البريطاني من بومباي إلى الخليج، قام القواسم بتحريك معظم سفن أسطولهم وأخفوها داخل الخلجان العميقة المنتشرة في الجانب الغربي من رأس مسندم التي يجهلها البريطان ولا يستطيعون الوصول إليها، خصوصاً في عجمان والشارقة، وبقيت خورفكان في يد القواسم، ولم يستطع سلطان مسقط سعيد بن سلطان الاستفادة من الجزر التي استولى عليها البريطان وسلموها له، لأنه لا يستطيع الحفاظ عليها ولا الدفاع عنها بعد تدمير حصونها وتخريب موانيها.

وأما سياسياً فقد كان فشل الحملة البريطانية الثانية على القواسم تاماً، لأنها لم تستطع تحقيق الأهداف من شنها، إذ:

"لم توقع قبائل القراصنة على وثيقة رسمية يُقرون فيها بالهزيمة والاستسلام Formal Admission of Defeat، ولم تستطع الحملة الحصول منهم على اتفاقية مكتوبة تضمن الأمان وسلامة الملاحة"[١].

وبعد انسحاب أسطول الشركة، ورغم بدء مفاوضات بين المقيم البريطاني في بوشهر، الليوتنانت بروس، وممثل عن شيخ القواسم، ووضع مسودة قولنامة أو اتفاقية مبدئية سنة ١٨١٤م، يتعهد فيها القواسم باحترام اتفاقية سنة ١٨٠٦م، وعدم التعرض للسفن التي ترفع العلم البريطاني، إلا أن القواسم استمروا في أنشطتهم البحرية وهجماتهم على السفن البريطانية، وتلك التي تحمل أعلام بريطانيا، قبل وضع القولنامة وبعدها، وامتد نشاطهم إلى خليج عدن والبحر الأحمر، وإلى السفن الأوروبية غير البريطانية.

وفي سنة ١٨١٣م، استولت سفن القواسم على بضع سفن هندية ترفع الأعلام البريطانية، وفي سنة ١٨١٤م استولى شيخ جزيرة خرج التابع للقواسم على السفينة أحمد شاه التي ترفع العلم البريطاني، قرب جزيرة قيس، وأرسل جزءًا من حمولتها إلى رأس الخيمة، وكانت هذه الحادثة التي بدأت بسببها المفاوضات بين المقيم البريطاني في بوشهر وشيخ القواسم، وفي شهر أغسطس

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P185.

١٨١٤م استولى القواسم على سفينة تابعة لمسقط ترفع الأعلام البريطانية، وكذلك على القارب الذي أرسله الليوتنانت بروس المقيم البريطاني في بوشهر إلى شيخ القواسم ومعه مسودة القولنامة التي تم التفاوض عليها مع ممثل القواسم(١).

وفي سنة ١٨١٥م استولى القواسم على سفينة تابعة لمسقط وعليها بضائع مملوكة لشركة الهند الشرقية البريطانية، وعلى ست سفن هندية ترفع الأعلام البريطانية قرب سواحل كوجرات، وعلى السفينة البريطانية كارولين التي ترفع أعلام مسقط، وهاجموا سفينة سلطان مسقط سعيد بن سلطان قرب قريات بعدد كبير من السفن، وأصيب سلطان مسقط في الهجوم.

وفي يناير ١٨١٦م تمكن أسطول القواسم من الاستيلاء للمرة الثانية على السفينة الحربية دِريا دولت التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية، وفي الشهر نفسه هاجموا الطراد البريطاني التابع للشركة أورورا Aurora، في خليج عُمان، وكان في حراسة سفينة عليها بضائع وسبائك تابعة لسلطان مسقط، ثم انسحبوا بعد أن أطلق عليهم مدافعه، وبعدها هاجموا ثلاث سفن أمريكية هي فارس Persia، وماكولاي Macaulay، وسنترا Centra، واستولوا على سفينة شراعية فرنسية في طريقها من موريشيوس إلى البصرة، وعلى القارب الحربي التابع للشركة تورارو Turrarow، وعلى سفينة هندية تابعة لسورات وترفع العلم البريطاني في خليج عدن(٢).

وفي شهر نوفمبر ١٨١٦م، أرسلت رئاسة شركة الهند الشرقية وحكومة الهند البريطانية في بومباي إلى المقيم البريطاني في بوشهر والخليج، الليوتنانت بروس، تعليمات بالذهاب إلى رأس الخيمة، والتفاوض مع شيخ القواسم حسن بن رحمة لكي يعيد السفن التي ترفع أعلام بريطانيا، ويدفع تعويضات عن الممتلكات التي كانت عليها، وأرسلت حكومة الهند البريطانية الفرقاطة تشالنجر Chalenger، التابعة للبحرية الملكية البريطانية، بقيادة الكابتن بريدجز Bridges، ومعها ثلاث طرادات تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية، لتكون في حراسة بروس، ولتهديد شيخ القواسم، مع تعليمات مشددة بعدم إطلاق النار والتورط في نزاع مسلح مع القواسم.

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P194.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P195.

ورفض الشيخ حسن بن رحمة مطالب الليوتنانت بروس، وفي بداية شهر ديسمبر خالف الكابتن بريدجز التعليمات الصادرة إليه، وأطلق مدافعه على سفن القواسم في ميناء رأس الخيمة، فردت عليه بنيران كثيفة، وكان عدد السفن الراسية في الميناء ستين سفينة، وأدرك بريدجز أنه سيخسر المعركة فانسحب بفرقاطته والطرادات الثلاث من رأس الخيمة إلى بوشهر[1].

وفي سنة ١٨١٨م، استولى القواسم على سفينتين ترفعان الأعلام البريطانية، أمام شواطئ ديو في الهند، وعلى سفينة تابعة لمسقط ترفع علم بريطانيا على بعد سبعين ميلاً من بومباي، وهاجموا الطراد أنتيلوب Antelope، وكان يرافق سفينة سلطان مسقط وفي حراستها[2].

وخلال سنة ١٨١٨م، اتخذت رئاسة شركة الهند الشرقية وحكومة بومباي البريطانية قراراً بشن حملة عسكرية شاملة للقضاء على القواسم وتدمير أسطولهم ومعاقلهم، ووضع قواعد بريطانية في الخليج، على خلاف سياستها السابقة بعدم الدخول في مواجهات عسكرية مفتوحة معهم، وكان هذا التغيير في سياسة الشركة وحكومة الهند لأسباب عديدة، وبعد أن تهيأت الظروف وصارت مناسبة لشن هذه الحملة، بسقوط نابليون وانتهاء حروبه في أوروبا، وسقوط سلطنة المراتها Maratha في الهند، وسيطرة الشركة وجيوشها على الهند وسواحلها والتجارة فيها.

أما أهم هذه الأسباب والظروف التي هيأت للشركة وحكومة الهند شن حملتها العسكرية على القواسم، فهي الهزائم التي ألحقها إبراهيم باشا بالحركة الوهابية، وحصاره لعاصمتها الدرعية الذي بدأ في شهر أبريل ١٨١٨م، وانتهى بدخولها وتخريبها في شهر سبتمبر ١٨١٨م.

ومن أجل التجهيز للحملة كلف السير إيفان نبيان Evan Nepean، رئيس حكومة بومباي، كلاً من الكابتن روبرت تايلور Robert Taylor، والبريجادير ليونيل سميث Lionel Smith، بإعداد تقارير عن قوة القواسم وحلفائهم، والخلافات التي بينهم، وعدد سفن أسطولهم، وما يملكونه من مدافع، وأهم موانيهم، وعن جغرافية الخليج وسواحله وخلجانه، واستعان بمعلومات بعض ضباط البحرية الملكية العاملين في الخليج، وفي شهر سبتمبر ١٨١٨م قدم نبيان تقريراً إلى رئيس

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P196.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P196.

شركة الهند والحاكم العام للهند مركيز هستنجز Marquis of Hastings، عن الحملة العسكرية المقترحة على القواسم.

وفي يوم ٧ نوفمبر، بعد سقوط الدرعية وتقدم إبراهيم باشا في اتجاه نجد والإحساء، رد مركيز هستنجز على تقرير نبيان ومقترحاته بالموافقة، ونص التقرير على أن:

"أول خطوة للقضاء على القراصنة هي إيجاد طريقة للتعاون مع إبراهيم باشا To Seek The Cooperation of Ibrahim Pasha"[١]!

وكانت خطة مركيز هستنجز، هي أن تقوم السفن البريطانية بقصف مواني القواسم من البحر، بينما يقوم إبراهيم باشا بالتقدم من داخل الجزيرة العربية ويغزوها من البر، بالاشتراك مع سلطان مسقط سعيد بن سلطان.

وفي يوم ٢ يناير ١٨١٩م كتب رئيس شركة الهند الشرقية والحاكم العام للهند، مركيز هستنجز، رسالة إلى إبراهيم باشا:

"يهنئه بانتصاراته والاستيلاء على الدرعية، ويعرض عليه خطة التعاون، وأن يتقدم بقواته إلى سواحل الخليج، على أن تكون رأس الخيمة بعد القضاء على القواسم من نصيبه وأن تدخل في أملاكه"[٢].

وأرسل هستنجز بالرسالة مبعوثه الخاص الكابتن جورج فورستر سادلير George Forster Sadleir، وحين وصل سادلير إلى الإحساء، كان إبراهيم باشا قد انسحب منها، وعاد إلى جدة، فقطع سادلير جزيرة العرب من الشرق إلى الغرب، ولحق بإبراهيم باشا في جدة قبل أن يغادرها إلى مصر، ورد إبراهيم باشا على عرض مركيز هستنجز بأنه قد انسحب فعلاً من نجد والإحساء ولن يعود إليها، حسب أوامر أبيه محمد علي باشا، وأعطاه إبراهيم باشا هدايا نفيسة له ولمركيز هستنجز، مع رسالة يعتذر فيها عن الاشتراك في الحملة البريطانية على القواسم.

---

1) The Qawasim and British Control of the Arabian Gulf, P129.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P197.

ولأننا لا نأتيك بالأحداث فقط من أجل سردها وتكديسها، ولا لمجرد تعريفك بها، كما يفعل الأميون، بل لإدراك المسار الذي سارت فيه، ولكشف حقيقة من تصدروها وغايتهم من صناعة هذا المسار، ننبهك ونذكرك بأمور.

فأولاً: أن البحث عن طريق إلى الهند والوصول إليها والتجارة فيها، ليست هي الغاية ولا المشروع، بل هي، ومنذ بدأت حركة الكشوف الجغرافية مع منظمة فرسان المسيح وحتى شركة الهند الشرقية وبريطانيا الماسونية، ليست سوى وسيلة لغاية أكبر، وجزء من مشروع أوسع، هو السيطرة على الهند وتحويلها إلى قاعدة للمرابطة على تخوم عالم الإسلام، ثم العمل على اختراق مياهه والوصول إلى قلبه، من أجل الغاية الحقيقية التي تتوارثها الإمبراطوريات الماسونية، وتتوارى خلف التجارة والحملات البحرية والحربية، ألا وهي المشروع اليهودي والوصول إلى أورشليم/القدس والهيكل.

والذي تقرأه الآن عما فعلته شركة الهند الشرقية البريطانية وبريطانيا الماسونية في الخليج، لم يكن سوى القفز عليه من الهند واختراقه من أجل إعادة رسمه وتفصيله على مقاس المشروع اليهودي، ضمن الجراحات الأخرى لإعادة رسم الشرق كله وتهيئته ليكون محضناً لليهود ودولتهم وأورشليمهم وهيكلهم.

وهذه الجراحات التي تبدو مختلفة ولكنها في الحقيقة متواكبة ومتكاملة ويتمم كل منها الآخر، وبوصلتها جميعاً المشروع اليهودي، هي تفكيك الدولة العثمانية الجامعة لبلاد الإسلام، وإزاحة الإسلام وخريطته للشرق بالعلمانية والخريطة القومية، وتكوين الإمبراطوريات الماسونية لدولة أول الآتين من الخلف محمد علي باشا، وضرب الدولة العثمانية بها، ثم تكوين هوية منفصلة لمصر تعزلها عن محيطها العربي والإسلامي، وتفكيك الشام، واحتلال الخليج وتمزيقه وتحويل مِزَقه إلى دويلات تابعة للإمبراطوريات الماسونية، وقواعد ترتكز عليها وتنطلق منها لتحريك الشرق كله وإتمام مشروع بني إسرائيل الساري في تلافيف أدمغة ساستها وقادة جيوشها.

وثانياً: خطة مركيز هستنجز بالتعاون مع أول الآتين من الخلف وأول من يصل إلى حكم مصر من خريجي حواري اليهود، ومع ابنه إبراهيم باشا، تكشف لك الأكاذيب والتزوير الذي تقرأه في كتب التاريخ التي يكتبها الأميون في بلاليص ستان، عن عداء انجلترا لأول الآتين من الخلف

ومحاربتها له، فأول الآتين من الخلف، مثل جميع الآتين من الخلف في تاريخ بلاليص ستان، لم يكن سوى عميل للإمبراطوريات الماسونية، ومشرط في يدها، وظفته في الوصول إلى غرضها وإحداث الجراحة اللازمة للتقدم في المشروع اليهودي، ثم اصطدمت به وداسته بعد أن أتم مهمته التي صنعوه من أجلها ولم يعد له فائدة، بل صار من الضروري دهسه للانتقال إلى الخطوة التالية التي لا يصلح لها، وهو ما فصلناه لك من قبل تفصيلاً في كتاب: بلاليص ستان، فارجع إليه.

وثالثاً: نذكرك بأن رئيس شركة الهند الشرقية البريطانية والحاكم العام للهند اللورد موارا مركيز هستنجز، مثل جميع رؤساء الشركة وحكام الهند، ماسوني، وكان كما علمتَ من قبل، الأستاذ الأعظم للمحفل الإقليمي الأعظم في البنجال، وأسس ثمانية عشر محفلاً جديداً في الهند، وأحدهم باسمه: محفل موارا Moira Lodge، وفترة رئاسته للمحفل الإقليمي الأعظم في البنجال تواكب رئاسته للشركة في الهند وتوليه منصب الحاكم العام للهند، من سنة ١٨١٣م إلى سنة ١٨٢٣م.

ومن الماسوني مركيز هستنجز نعود بك إلى حملة شركة الهند الشرقية البريطانية على القواسم، التي عهدت حكومة الهند البريطانية برئاسة هستنجز بقيادتها إلى الجنرال وليام جرانت كير William Grant Keir، وتحركت من بومباي سراً يوم ٣ نوفمبر ١٨١٩م، وكانت تتكون من:

"سفينة القيادة ليفربول Liverpool، وثلاث فرقاطات تابعة للبحرية الملكية البريطانية، وثلاث فرقاطات أخرى وأربع طرادات تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية، وسفن نقل، ومائتي مدفع، وكتيبتين من مشاة البحرية الملكية، وكتيبتين من جنود السيبوي الهنود، وكتيبة مدفعية، وسرايا للاستطلاع، وبحارة، وكان جملة القوات ثلاثة آلاف جندي وبحار، وعند وصول الحملة إلى مسقط انضمت إليها سفينتان حربيتان وستمائة جندي من قوات سلطان مسقط سعيد بن سلطان، وانضم إليها أيضاً الليوتنانت وليام بروس المقيم البريطاني في بوشهر"[1].

ووصلت الحملة البريطانية أمام رأس الخيمة فجر يوم ٣ ديسمبر ١٨١٩م، وكان شيخ القواسم فيها حسن بن رحمة قد أقام حولها من جهة البحر سوراً من الحجارة والطين، ارتفاعه خمسة عشر قدماً، عريض في أسفله ويضيق مع الارتفاع حتى يصبح حاداً مدبباً من أعلى، وعلى السور

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P197.

بضعة أبراج ارتفاعها عشرين قدماً، وسلحها بالمدافع، وأقام برجين كبيرين حول بوابة المدينة الذي في منتصف السور، ووضع في كل برج مدفع ميدان، وفي مواجهة البوابة قلعة مربعة من الحجارة تحيط بأركانها الأبراج، وكانت أقوى القلاع في الخليج[١].

وبدأت السفن البريطانية بقصف الأسوار والأبراج بالمدافع، ثم قامت بإنزال كتائب المشاة إلى الشاطئ في قوارب، وقام القواسم بقيادة شقيق شيخهم إبراهيم بن رحمة بعدة هجمات فدائية على القوارب والسفن البريطانية، واستشهد في إحداها إبراهيم بن رحمة.

وفي يوم ٨ ديسمبر قام الجنرال كير بإنزال مدافع ميدان ضخمة إلى الشاطئ، وظلت تقصف السور والقلعة إلى أن تمكنت من فتح ثغرات فيهما، وفي فجر يوم ٩ ديسمبر وبعد مقاومة عنيفة من القواسم، تمكنت قوة بريطانية بقيادة الكابتن ماريوت Mariott من دخول رأس الخيمة ورفع العلم البريطاني على بوابة رأس الخيمة، ثم قاموا بهدم السور والقلعة، واستولى الجنود البريطان على بيت شيخ القواسم حسن بن رحمة والبيوت المجاورة لها.

وبعد انهيار تحصينات القواسم في رأس الخيمة أمام المدافع البريطانية، وخسائرهم الجسيمة التي بلغت ألف شهيد، وفي يوم ١٠ ديسمبر:

"**انتقل الشيخ حسن بن رحمة مع أربعة من رجاله إلى معسكر الجنرال كير، وأعلن استسلامه وموافقته على شروط البريطان، بشرط ضمان سلامة أتباعه**"[٢].

وبعد رأس الخيمة:

"**انتقلت الحملة يوم ٢٢ ديسمبر إلى ميناء رمس، شمال رأس الخيمة، فقصفت قلعة الضاية Al Dayah واستولت عليها وأسرت شيخها حسن بن علي، ثم زارت بقية الموانى في ساحل القراصنة، الجزيرة الحمراء وأم القيوين وعجمان والشارقة ودبي**"[٣].

---

1) The Qawasim and British Control of the Arabian Gulf, P144.
2) The Qawasim and British Control of the Arabian Gulf, P148-149.
3) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P198.

وبعد أن وضع الجنرال كير أسس قلعة بريطانية في رأس الخيمة، أرسل إلى شيوخ المدن والمواني على جانبي رأس مُسندم، والمناطق التي كانت تحت سلطة القواسم وبني ياس، للحضور جميعاً إلى معسكره في رأس الخيمة، لكي يعلنوا استسلامهم، ومن أجل أن يوقع كل منهم وحده اتفاقية، تمهيداً لتوقيع معاهدة عامة بينهم وبين حكومة الهند البريطانية، وهددهم الجنرال كير بأنه لن يسمح لأي منهم بالبقاء في مشيخته إلا إذا وقع على الاتفاقية.

وكانت أولى هذه الاتفاقيات الفردية التمهيدية التي أجبر الجنرال كير شيوخ الخليج على توقيعها، مع شيخ الشارقة سلطان بن صقر القاسمي يوم ٦ يناير ١٨٢٠م، تلتها المعاهدة مع شيخ رأس الخيمة حسن بن رحمة القاسمي يوم ٨ يناير، ثم مع أحمد بن فطيس وكيلاً عن شيخ دبي محمد بن هزاع وفي حضوره، لأن ابن هزاع كان قاصراً، يوم ٩ يناير، ومع شيخ أبو ظبي شخبوط بن ذياب آل نهيان، وهو من بني ياس، يوم ١١ يناير، ومع شيخ رمس حسن بن علي العنزي يوم ١٥ يناير[١].

وهذه الاتفاقيات الفردية كلها، كانت لها صيغة واحدة، وكل منها يبدأ بذكر اسم الشيخ الذي يوقعها، وأنه يوقعها في حضور الجنرال كير، دون ذكر أي شيء يشير إلى أنه أمير أو حاكم، أو أن له سلطة على المدينة أو البلدة التي يلتزم بتنفيذ بنود الاتفاقية فيها، ونصت هذه الاتفاقيات جميعها على:

"تسليم كل شيخ الحصون والمدافع التي لديه للقوات البريطانية، وتسليم جميع السفن، ويستثنى من ذلك سفن صيد الأسماك واللؤلؤ، وتسليم الأسرى الهنود، وفي مقابل ذلك يلتزم الجنرال كير بعدم نهب الجنود البريطان للمدن والبلدات، ويسمح للشيخ بالدخول في اتفاقية السلام العامة"[٢].

وأعقب توقيع الاتفاقيات المنفردة، وضع الاتفاقية العامة، باللغتين الإنجليزية والعربية، وصاغ نصها العربي الكابتن بيرونت طومسون Perronet Thompson، أحد ضباط البحرية الملكية

1)The Qawasim and British Control of the Arabian Gulf, P154.
2) The Qawasim and British Control of the Arabian Gulf, P154.

والمترجم الرسمي للجنرال كير، وتم النص فيها على أن النص الإنجليزي هو الملزم عند الاختلاف.

ووقع الاتفاقية العامة عن شركة الهند الشرقية وحكومة الهند البريطانية الجنرال كير، وعن شيوخ الخليج حسن بن رحمة، شيخ الفيلة ورأس الخيمة، وقضيب بن أحمد الزعابي، شيخ الجزيرة الحمراء أو جزيرة زعاب، وشخبوط بن ذياب بن عيسى آل نهيان، شيخ أبوظبي، وحسن بن علي بن عبد الرحمن العنزي، شيخ رمس والضاية، وزايد بن سيف بن محمد، وكيلاً عن شيخ دبي محمد بن هزاع، وسلطان بن صقر القاسمي، شيخ الشارقة، وراشد بن حميد، شيخ عجمان، وعبد الله بن راشد، شيخ أم القيوين، وانضم إلى الاتفاقية ووقع عليها لاحقاً شيخا البحرين سليمان وعبد الله ابنا أحمد آل خليفة، وكان انضمامهما للاتفاقية لأنها تعني ضمنياً استقلال البحرين عن فارس ومسقط، وتجعلها تحت حماية حكومة الهند البريطانية في مواجهة هذه وتلك، وهو ما كان يسعى إليه آل خليفة.

فهاك النص الرسمي للاتفاقية:

"المادة ١- يتعهد العرب الموقعون على هذه الاتفاقية بالتوقف عن النهب والقرصنة بحراً وبراً إلى الأبد، المادة ٢- إذا هاجم أي فرد من العرب مسافراً ما براً أو بحراً مهما كانت جنسيته بقصد النهب والقرصنة، ودون وجود حالة حرب معترف بها، فسيعاقب بالقتل ومصادرة أمواله وممتلكاته، المادة ٣ - يرفع جميع عرب الهدنة الداخلون في هذه الاتفاقية على سفنهم علماً أحمر حوله حاشية بيضاء، ويكون عرض الأبيض في الحاشية مساوياً لعرض الأحمر، والقلب الأحمر رمز للقواسم والعرب المتحالفين معهم، والحاشية البيضاء رمز للسلام، المادة ٤- ليس للحكومة البريطانية مطامع سياسية في الخليج الفارسي، وليس لديها نية لاحتلال أراضيه، ولن تتدخل في الشؤون الداخلية لمشيخاته، المادة ٥- على سفن عرب الهدنة أن تحمل معها وهي مبحرة وثيقتين، الأولى: سجل Register يحمل توقيع الشيخ ويحتوي على اسم السفينة وطولها وعرضها وحمولتها، والثانية: رخصة ميناء Clearance Port تحتوي على توقيع الشيخ وعلى اسم المالك واسم الربان وعدد الرجال والسلاح ومن أين أبحرت ووقت إبحارها والميناء المتوجه إليه، وعليها تقديم السجل والرخصة للسفن البريطانية عند طلبها ذلك، المادة ٦- للعرب الداخلين في الهدنة أن يرسلوا مندوباً إلى دار المقيم البريطاني في الخليج، ويبقى

هناك للقيام بأعماله، وللحكومة البريطانية أن ترسل مندوباً عنها إليهم، وسيضيف المندوب توقيعه إلى توقيع الشيخ في الورقة التي لسفنهم والتي تحتوي على طول السفينة وعرضها وحمولتها بالأطنان، ويجب أن يجدد توقيع المندوب سنوياً، وسيكون جميع هؤلاء المندوبين على نفقه الطرف الذي ينتمون إليه، المادة ٧- إذا لم تتوقف أي قبيلة عن النهب والقرصنة فإن بقية عرب الهدنة الموقعين على الاتفاقية سيتعاونون مع الحكومة البريطانية من أجل معاقبتها ومنعها من القرصنة، المادة ٨- إعدام الأسرى بعد تسليم أسلحتهم عمل بربري Barbarous، وليس من أعمال الحرب المعترف بها، فاذا أقدمت على ذلك العمل قبيلة أو جماعة ما، فإنها تكون قد خرقت الأمن، وسوف يتعاون العرب الموقعون على الاتفاقية مع الحكومة البريطانية في إنزال العقوبة بها، المادة ٩- حمل الرقيق سواء كانوا رجالاً أم نساءً أم أطفالاً من سواحل إفريقيا أو غيرها ونقلهم في السفن من أعمال النهب والقرصنة، ويتعهد عرب الهدنة بعدم القيام بهذا العمل، المادة ١٠- لسفن عرب الهدنة التي تحمل العلم الموصوف آنفاً أن تدخل الموانى التابعة لبريطانيا وحلفائها، ولها أن تبيع وتشتري هناك، وسوف تهتم الحكومة البريطانية بالأمر إذا تعرضت للهجوم"[١].

وفي أغسطس ١٨٢٢م، أجبر الكابتن مورسبي Morsby، سعيد بن سلطان، سلطان مسقط، على توقيع اتفاقية بخصوص منع تجارة الرقيق، وقد وقعها مكرهاً، لأن تجارة الرقيق كانت إحدى موارد الدخل الرئيسية لمسقط، ولأن المعاهدة سوت بينه وبين مشيخات الخليج، ووضعت سفن مسقط تحت الشروط نفسها التي فرضتها حكومة الهند على سفن المشيخات، وصار من حق السفن البريطانية اعتراضها وتفتيشها ومصادرتها، وكانت:

"معاهدة غير عادية، إذ تألفت من عمودين، اشتمل العمود الأيسر على بيان المطالب المقدمة إلى السلطان من مورسبي، في حين جاء في العمود الأيمن إجابات السلطان عن كل مطلب مكتوبة بخط يده ومختومة بخاتمه"[٢].

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P672-673.

٢) دكتور نبيل عبد الجواد سرحان: تطور العلاقات البريطانية العمانية منذ أواخر القرن ١٨ حتى أواخر القرن ١٩، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ١٢٢، ص٢٧٧-٢٧٨، الكويت، يوليو ٢٠٠٦م.

وجميع بنود المعاهدة العامة، كما ترى، كانت إخضاعاً لمشيخات الخليج و شروطاً والتزامات على شيوخها، دون أي التزام من جهة الشركة وحكومة الهند، سوى السماح لسفن المشيخات بالدخول إلى الموانى البريطانية في الهند، وإذا تعرضت لهجمات فسوف تهتم حكومة الهند البريطانية بالأمر، وهو ما لم يحدث.

والمادة التي تبدو لك إنسانية، والخاصة بمنع حمل الرقيق من سواحل إفريقيا، كان قد اقترحها الكابتن طومسون على الجنرال كير، لأن طومسون خدم في الأسطول الملكي البريطاني، وأقام قبل انتقاله للهند في إفريقيا، وكان يعلم أن جُل البحارة في أسطول القواسم، وقوتهم الرئيسية من المقاتلين، من الرقيق المجلوب من سواحل إفريقيا، وكان هؤلاء الأفارقة يكرهون البريطانيين، وأشد شراسة في مواجهتهم من مقاتلي القواسم أنفسهم!

وكان قادة السفن البريطانية يعترضون أي سفينة يشتبهون أنها تحمل عبيداً، ويصادرونها إلى بومباي، لكي يخضع ربانها للمحاكمة أمام محكمة بريطانية، وكانوا يتعسفون في ذلك، لأن حكومة بومباي كانت تكافئ قائد السفينة البريطانية بمنحه أربعة جنيهات استرلينية عن كل طن من حمولة السفينة العربية، حتى لو لم يكن بها عبيد!

وبتوقيع المعاهدة العامة مع مشيخات الخليج، ومعاهدة مسقط، صارت الملاحة في الخليج تحت سيطرة قاعدة باسيدو Basidu التي أقامها البريطان في جزيرة قشم بعد أن احتلوها، وتحت مراقبة سفن شركة الهند الشرقية البريطانية المرابطة في الخليج وتقوم بدوريات للتفتيش على السفن والموانى، وُوضعت مشيخات الخليج تحت وصاية المقيم البريطاني في بوشهر، الذي صار مقيماً سياسياً ومن العسكريين، ويتبع رئاسة شركة الهند الشرقية وحكومتها في الهند، وليس الحكومة البريطانية، ولم يعد بإمكان سفن المشيخات الإبحار أو ممارسة التجارة إلا بتصريح ورخصة من المقيم البريطاني في بوشهر.

وفي سنة ١٨٢٣م أنشأت حكومة بومباي البريطانية وكالة في الشارقة، وأقامت فيها ممثلاً عنها، ليتولى أمور المشيخات تحت قيادة المقيم السياسي البريطاني في بوشهر، ومع الوقت صار لها وكلاء من أهل البلاد في كل مشيخة، يجمعون المعلومات وأخبار المشيخات ويبلغونها للمقيم البريطاني، ثم تحولت مشيخات الخليج إلى قاعدة للتجسس، فأقامت فيها حكومة بومباي

البريطانية شبكة من عملاء الاستخبارات والجواسيس والمراقبين، تنطلق منها ويمتد نشاطها إلى فارس والدولة العثمانية والجزيرة العربية، اتباعاً لأحد المبادئ التي وضعها الماسوني وأحد عبَّاد لوسيفر، هنري جون تمبل بالمرستون، وزير خارجية بريطانيا ثم رئيس الحكومة البريطانية، في التعامل مع الخليج، وأخبرناك به من قبل، وهو تأسيس قواعد دائمة في الخليج، من أجل السيطرة عليه وعلى حركة الملاحة فيه، وأيضاً استخدامها في الضغط على فارس، وفي التدخل في ما يجري من أحداث داخل الجزيرة العربية.

والخبيء في بطن الاتفاقيات المنفردة، وفي بطن الاتفاقية العامة، التي أجبر الجنرال كير شيوخ الخليج على توقيعها، والذي لا تراه في نصوصها الظاهرة، أنها فككت تحالف القواسم، وتحالف بني ياس، ومزقت الخليج، إذ بخلاف اتفاقية سنة ١٨٠٦م، التي نصت على أنها بين شركة الهند الشرقية البريطانية وشيخ القواسم وأتباعه ورعاياه، نصت هذه الاتفاقية على أنها بين الشركة وبين كل قبيلة وشيخها منفرداً.

وبذلك حولت الاتفاقية العامة كل بلدة أو مشيخة في الخليج إلى جزيرة منفردة وقطعت العلائق بينها وعزلتها عن بعضها، وفي الوقت نفسه وصلت كل منها وحدها ببريطانيا، وحولتها جميعاً إلى توابع لها، ترى العالم وتفهمه، بل وترى نفسها، من خلال بريطانيا وممثليها ومقيميها، وتدور حولها وتأتمر بأمرها، ولا تستطيع أن تخطو خطوة في أي اتجاه ولا أن تكون لها صلة بأي شيء في العالم إلا بإرشاد بريطانيا وتوجيهها أو برضاها وإذنها، وهو ما تم النص عليه صريحاً في خطوة تالية.

وهي نفسها سياسة الإمبراطوريات الماسونية إلى يومك هذا في بلاليص ستان كلها من الخليج السائم إلى المحيط الهائم، وهي السياسة التي بوصلتها وغايتها، كما تدرك الآن، المشروع اليهودي، الذي ظل خبيئاً في الأذهان، إلى أن هيأت هذه الإمبراطوريات الماسونية الشرق كله وحولته إلى محضن له، فظهر إلى العلن وصار مرئياً.

وقد عرفتَ من قبل أن جون مالكولم، الذي وضع خطة تمزيق الخليج التي أصبحت دستور شركة الهند الشرقية البريطانية والحكومة البريطانية في التعامل مع الخليج والشرق كله، ماسوني، وأن رئيس شركة الهند الشرقية البريطانية والحاكم العام للهند اللورد منتو الذي وافق على الخطة

ماسوني، وأن ريتشارد ولسلي، الذي بدأ تنفيذ مخطط مالكولم في عهده، كان الأستاذ الأعظم لمحفل أيرلندا الأعظم، وأن مركيز هستنجز الذي اتخذت حكومته في الهند قرار غزو الخليج عسكرياً، كان الأستاذ الأعظم للمحفل الإقليمي الأعظم في البنجال، وأن الجنرال جيمس أوترام الذي قاد حملة شركة الهند الشرقية البريطانية التالية على فارس، واحتل موانيها وجزر شمال الخليج وشط العرب، ماسوني، وأن اللورد جون إلفينستون، رئيس الشركة والحاكم العام في بومباي، الذي اتخذت حكومته قرار الحرب وشن هذه الحملة لاحتلال شمال الخليج ماسوني.

ونزيدك هنا أن الجنرال وليام كير الذي قاد الحملة العسكرية لغزو جنوب الخليج وتفكيك حلف القواسم وبني ياس، وتحويل مشيخاته إلى توابع لشركة الهند الشرقية البريطانية وحكومتها في الهند، الجنرال كير هو الآخر ماسوني.

فهاك النبذة التي كتبها الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين ومؤرخ الماسونية الرسمي روبرت فريك جولد، عن الجنرال كير، في الباب الذي خصه لمحافل الهند، من كتابه: المحافل العسكرية Millitary Lodges:

"**والسير وليام كير خاض عدداً كبيراً من الحملات والمعارك في إيطاليا، وبعد ذلك خدم في الهند خمسة عشر عاماً، وفي السنوات الست الأولى منها كان جنرالاً تحت قيادة الإيرل موارا مركيز هستنجز، وأصبح أول أستاذ أعظم لمحفل موارا Moira Lodge، الذي أنشأه الجنرال موارا في كلكتا بعد أن صار الحاكم العام للهند سنة ١٨١٣م**"[١].

وبعد معاهدة السلام العامة، التي استأنست بها شركة الهند الشرقية وحكومتها في الهند مشيخات الخليج، وقطعت العلائق بينها، توقفت مقاومتهم لها، وتحولت عداوتهم لبريطانيا وسفنها إلى صراعات بينهم جميعاً، ونزاعات مسلحة عمت الخليج وخليج عُمان، من أعلاه شمالاً إلى مدخله جنوباً، فمشيخات القواسم فيما بينها، والقواسم في مواجهة بني ياس، وهؤلاء وأولئك ضد مسقط، والعتوب في الكويت في مواجهة آل خليفة في البحرين وقطر، وبلغت هذه النزاعات ذروتها سنة ١٨٣٣م، بالنزاع الذي اندلع بين الشارقة وأبو ظبي.

---

1) Military lodges. The Apron and The Sword or Freemasonry Under Arms, P109.

وأغلب هذه النزاعات كان في مواسم صيد اللؤلؤ، بسبب التنافس على مناطق صيده، وقد أصبح النشاط الرئيسي لمشيخات الخليج، بعد انهيار التجارة ومحاصرة سفن شركة الهند البريطانية لسفنها، ومنع تجارة الرقيق.

واستدعى المقيم البريطاني في بوشهر، الكابتن هِنيل Hennell، شيوخ رأس الخيمة والشارقة وعجمان وأبو ظبي ودبي، وأحضرهم إلى بوشهر على متن سفينة حربية، وألزمهم يوم ٢١ أغسطس سنة ١٨٣٥م، بتوقيع اتفاقية هدنة بحرية Maritime Truce، تقضي بالتوقف عن النزاعات في البحر في موسم صيد اللؤلؤ، من يوم ٢١ مايو إلى يوم ٢١ نوفمبر من السنة نفسها، والتعهد بتقديم تعويضات عن انتهاكات الهدنة التي يقوم بها رعاياهم.

وبعد موافقة حكومة الهند البريطانية:

"قسَّم الكابتن هِنيل الخليج إلى قسمين طولاً، بخط وهمي يمتد من جزيرة بوموسى Bu Musa، إلى جزيرة صِيري Sirri، مع تقييد حركة سفن المشيخات وقواربها في غير وقت الهدنة، بحيث تكون داخل القسم المجاور لسواحلها، وأن يمتنع عليها الملاحة خارج الخط الفاصل بين القسمين، للحفاظ على الملاحة في مياه الخليج، ثم عدل الميجور موريسون Morison، الذي خلف هِنيل، الخط الفاصل، فأصبح يمتد بين جزيرة بوصير Bu Sir وجزيرة صير بونعير Bu Na' air، قرب رأس مسندم"(١).

وهكذا، وفي غلاف الحفاظ على سلامة الملاحة في الخليج، حصرت شركة الهند الشرقية البريطانية مشيخات الخليج، ومنعتها من الملاحة فيه، وأزالت سيادتها عليه، وحولته إلى محمية بريطانية.

وفي سنة ١٨٣٦م، تم تجديد الاتفاقية وتمديد مدة الهدنة لتصبح ثمانية أشهر، وانضم إليها شيخ أم القيوين، وفي سنة ١٨٣٨م تم مد الهدنة إلى سنة كاملة، وصارت تجدد سنوياً إلى سنة ١٨٤٣م، حيث تم تجديدها لعشر سنوات.

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P695.

ومنذ سنة ١٨٣٥م، غيرت شركة الهند الشرقية وحكومتها في الهند اسم مشيخات الخليج في وثائقها من ساحل القراصنة إلى الساحل المهادن Trucial Coast، وعُمان المهادنة Trucial Oman، والمشيخات المهادنة Trucial Sheikdoms(١).

وفي مارس سنة ١٨٥٣، وفي أثناء مروره الدوري على مشيخات الساحل المهادن، وضع الكابتن كِمبال Kemball، المقيم السياسي البريطاني في بوشهر، ترتيبات توقيع اتفاقية سلام دائمة Perpetual Treaty of Peace، وتم توقيعها في بوشهر في مايو ١٨٥٣م، ووقعها عن المشيخات سلطان بن صقر القاسمي شيخ رأس الخيمة والشارقة، وسعيد بن طحنون آل نهيان شيخ بني ياس، وحميد بن راشد شيخ عجمان، وعبد الله بن راشد شيخ أم القيوين، وسعيد بن بوطي آل مكتوم شيخ دبي، ثم أرسلت إلى الهند، فكانت أول اتفاقية مع مشيخات الخليج تحمل توقيع حاكم بومباي البريطاني، بتاريخ ٢٤ أغسطس ١٨٥٣م.

وبنود اتفاقية السلام الدائمة هذه هي نفسها بنود اتفاقية سنة ١٨٤٣م، وزادت عليها أن شيوخ الخليج تعهدوا باحترام التعهدات التي تم نص عليها في معاهدة سنة ١٨٤٣م، بصفة دائمة، وأضيف إليها عبارة في المادة الثالثة تنص على أنه:

"اتفاقية الهدنة البحرية التي أصبحت الآن دائمة، ستكون تحت مراقبة الحكومة البريطانية، وهي التي تشرف على تنفيذها بالقوة Should Be Watched Over And Enforced By The British Government"(٢).

وبالاتفاقية صارت كل قبيلة أو مشيخة ملتزمة بإبلاغ المقيم البريطاني في بوشهر أو قائد القاعدة البريطانية في قِشم، عند حدوث أي اعتداء في البحر على أحد قواربها أو أفرادها، ثم فوض المقيم البريطاني سلطته في التفتيش وتوقيع الغرامات لضباط السفن البريطانية التي ترابط في الخليج وتتجول فيه، ومع الوقت صار هؤلاء يتعسفون في فرض الغرامات، ويفرضونها لأسباب تافهة ودون تحقيق، ويحصلونها بالإكراه، وبذريعة المنازعات في البحر وفي البر أيضاً،

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P695.
2) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P719.

رغم أن الاتفاقية تمنح هذه السلطة للمقيم البريطاني ووكلائه في البحر فقط، وكانت هذه الغرامات تذهب لخزانة المقيم البريطاني في بوشهر وليس إلى المشيخات.

ومن أمثلة هذه الحوادث التافهة في البر، ما أثبته جورج بيرسي بيدجر George Percy Badger في تقرير أرسله لحكومة الهند سنة ١٨٦١م، من أنه:

"بمجرد وصول خبر إلى المقيم من أحد وكلائه الوطنيين بأن زعيماً أو فرداً من قبيلة ما قد تعدى على قبيلة أخرى، فإن قطعة حربية تُرسل في الحال لفرض غرامة على المذنبين المزعومين ... ويجري تغريم الزعماء والقبائل من جانب المقيم البريطاني لأتفه الأسباب، كما أن الغرامات تُبتز منهم تحت التهديد، وقد حدث أن أُرغم حاكم دبي على دفع مبلغ مائة ريال، لإطلاقه النار على قطيع من الأغنام لقبيلة كان على خلاف معها"(١).

وهكذا، بعد أن وضعت شركة الهند الشرقية وحكومتها في الهند، مشيخات الخليج تحت وصايتها، وحرمتها من ممارسة التجارة، جاءت الغرامات التعسفية، لتمتلئ خزائن المقيم البريطاني بالأموال، بينما، كما يقول دكتور صلاح العقاد، أستاذ التاريخ الحديث في جامعة عين شمس، في كتابه: الاستعمار في الخليج الفارسي:

"تلاشت قوة الرؤساء العرب، واضطر كثير منهم لبيع مراكبهم الشراعية إلى الهنود الذين حلوا محل العرب في تجارة المواني الصغيرة، وصارت بلادهم إلى حال من الفقر جعلتهم يلجأون إلى الإدارة البريطانية لتجود عليهم بمرتبات شهرية ضئيلة، فأضحوا بذلك مرتزقة في يد حكومة الهند"(٢).

وفي شهر أغسطس ١٨٨٧م، زار مبعوث فارس الحاج أحمد خان مشيخات الساحل المهادن، وحاول إقناع شيوخها بإقامة علاقات مع فارس بديلاً عن بريطانيا، ثم عاد مرة أخرى إلى المشيخات في شهر يناير ١٨٨٨م، ومعه أعلام فارسية لتوزيعها عليهم، ولكن كان قد سبقه المقيم البريطاني في بوشهر الكولونيل روس Ross، إذ عندما بلغه نبأ الجولة الأولى لمبعوث فارس في

---

١) تاريخ الخليج الحديث والمعاصر، ج٢، تطور النفوذ البريطاني في امارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية (١٨٤٠م-١٩١٤م)، ص١٦٥.

٢) الاستعمار في الخليج الفارسي، ص١٢٣.

المشيخات، انتقل على متن بارجة حربية إلى الساحل المهادن، وأجبر شيوخ أبو ظبي وعجمان والشارقة وأم القيوين ودبي، على توقيع تعهدات مكتوبة تنص على:

"عدم إجراء مراسلات أو الدخول في معاهدات من أي نوع مع أي حكومة أياً كانت غير الحكومة البريطانية، وعدم السماح لممثل أي حكومة بالإقامة في المناطق التي تحت سيطرته إلا بموافقة الحكومة البريطانية"(١).

وفي سنة ١٨٨٨م وقع نزاع بين شيخ أبو ظبي وشيخ قطر حول منطقة خور العُديد، فبدأت الحكومة العثمانية في إجراء مراسلات للتواصل معهما والتوسط بينهما، فبدأ المقيم البريطاني في الإعداد لتحويل تعهدات شيوخ الخليج إلى معاهدة، تضع المشيخات تحت وصاية بريطانيا براً وبحراً، وتعزلها عن العالم الخارجي، وتمنع أي دولة أخرى من أن يكون لها علاقة بها.

وفي شهر مارس ١٨٩٢م، وبتعليمات من حكومة الهند البريطانية، وترتيب من المقيم البريطاني الميجور تالبوت Talbot، وقع شيوخ أبو ظبي وعجمان والشارقة وأم القيوين ودبي ورأس الخيمة، المعاهدة الحصرية أو الأبدية Exclusive Greement، وفي ١٢ مايو ١٨٩٢م صدق عليها نائب الملكة في الهند، وقد صارت الهند تابعة للحكومة البريطانية بعد حل شركة الهند الشرقية البريطانية، ثم صدقت عليها الحكومة البريطانية.

وفي السنة نفسها، ١٨٩٢م، وقع شيخ البحرين معاهدة شبيهة خاصة به، وكذلك شيخ الكويت في سنة ١٨٩٩م، وكان قد سبق الجميع سلطان مسقط سنة ١٨٩١م.

وقد نصت هذه المعاهدات الحصرية الأبدية، على أنه:

"يتعهد الشيوخ وورثتهم وخلفاؤهم بالآتي: ١- ألا يدخلوا تحت أي ظرف في أي اتفاقية أو مراسلات مع دولة أخرى غير الحكومة البريطانية، ٢- ألا يسمحوا لوكيل أي حكومة بالبقاء في المناطق التابعة لهم إلا بموافقة الحكومة البريطانية، ٣- ألا يمنحوا أي جزء من المناطق

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P738.

التابعة لهم، سواء بالبيع أو الرهن أو الإيجار، أو بأي طريقة أخرى، تحت أي ظرف، لأي حكومة، ما عدا الحكومة البريطانية"[١].

وبهذه المعاهدة الحصرية منعت بريطانيا وجود أي علاقة لمشيخات الخليج بأي دولة أخرى إلا عن طريقها، وصار إدراك هذه المشيخات للعالم وما يحدث فيه وموقفها منه، من خلال بريطانيا، ثم أرسلت الحكومة البريطانية إلى حكومات الدولة العثمانية وفارس وفرنسا، تُعلِمها بهذه الاتفاقيات، وأن شؤون هذ المشيخات وشيوخها صارت من اختصاص الحكومة البريطانية وحدها، وبذلك صارت مشيخات الخليج وإماراته كلها في مِلك يمين بريطانيا.

وهكذا تم تحقيق مبدأ آخر من مبادئ الماسوني وأحد عُبَّاد لوسيفر، بالمرستون، والذي وضعه سنة ١٨٣٨م، وهو أن:

"مهمتنا في الخليج الفارسي هي وضعه تحت سيطرتنا البحرية بعيداً عن أي دولة أخرى تستطيع منازعتنا هذه السيطرة، بشرط ألا تكلفنا هذه السياسة نفقات باهظة"[٢].

وهنا نذكرك مرة أخرى بأن شركة الهند الشرقية البريطانية الماسونية، والتي أُنشات بأموال يهود المارانو المهاجرين من إسبانيا والبرتغال إلى انجلترا، هي التي احتلت الهند وليس مملكة بريطانيا، وهي التي تسللت إلى الخليج والتهمته، ثم سلمت الهند والخليج للتاج البريطاني، وحل الأسطول الملكي محل أسطولها، بعد أن توحد التاج البريطاني بمحفل انجلترا الأعظم، وصارت بريطانيا مملكة ماسونية، وحكومتها ليست سوى واجهة للتجار من اليهود والماسون.

وقد علمتَ من قبل، أن رئيس الحكومة البريطانية التي أصدرت قانون حكومة الهند، وحلت الشركة، وضمت الهند إلى التاج البريطاني، والذي رسم سياسة التاج البريطاني في الخليج، وفي عهده حل الأسطول الملكي محل أسطول الشركة في المحيط الهندي والخليج، هو اللورد هنري جون تمبل بالمرستون Henry John Temple Palmerston، وهو وزير خارجية بريطانيا من

---

1) Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Vol. I, Historical, Part I, P739.

٢) الاستعمار في الخليج الفارسي، ص١١٧.

سنة ١٨٣٠م إلى سنة ١٨٤١م، ورئيس الحكومة البريطانية من سنة ١٨٥٥م إلى وفاته سنة ١٨٦٥م.

وبالمرستون، كما أخبرناك، ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وراعي الماسونية في أوروبا في زمنه، والأستاذ الأعظم لطقس لوسيفر أو تنظيم الحكمة Order of The Palladium، في لندن، وأحد الأربعة الذين اشتركوا في تأسيس الطقس، مع حبر الماسونية الأعظم ألبرت بايك في الولايات المتحدة، ومستشار ألمانيا أوتو فون بسمارك، وبطل الوحدة الإيطالية جوتزيب ماتزيني.

والملكة فكتوريا، التي تم تسليم الهند والخليج للتاج البريطاني والأسطول الملكي في عهدها، وأول إمبراطورة للهند، هي أول من يحكم بريطانيا من أسرة ساكس كوبرج جوتا Saxe-Coburg And Gotha، وهي أسرة ألمانية الأصل وليست انجليزية، ومن اليهود الأخفياء، وقد ورثت عن الأسر السابقة التحالف مع الماسونية ومحفل انجلترا الأعظم.

وأبو الملكة فيكتوريا إدوارد دوق كنت، ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان الأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم العتيق Ancient Grand Lodge.

وبعد وفاة الملكة فكتوريا، سنة ١٩٠١م، خلفها أكبر أبنائها، ألبرت إدوارد ساكس كوبرج جوتا Albert Edward of Saxe Coburg and Gotha، ليصبح ملك بريطانيا والهند، باسم الملك إدوارد السابع Edward VII، وهو أيضاً ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان قبل أن يعتلي العرش ويصبح ملك بريطانيا، وفي عهد أمه الملكة، كان عضو المجلس السامي للماسونية في انجلترا Supreme Council، والأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم خمسة وعشرين عاماً، من سنة ١٨٧٥م إلى سنة ١٩٠١م، فانتقل من سدة محفل انجلترا الأعظم إلى عرش بريطانيا مباشرة، اتباعاً للحلف الذي بين المحفل والمملكة، والتقليد الذي يقضي بأن يكون الأستاذ الأعظم للمحفل من الأسرة المالكة، ولكنه يمنع الجمع بين عرش الماسونية والعرش البريطاني في وقت واحد، وبعد أن اعتلى العرش منحه محفل انجلترا الأعظم لقب حامي الأخوية Protector of The Craft، وخلفه في رئاسة محفل انجلترا الأعظم ومنصب أستاذه الأعظم أخوه وثالث أبناء الملكة فكتوريا، الأمير آرثر ألبرت دوق كانوت Duke of Cannaught Arthur Albert.

وشركة الهند الشرقية البريطانية سلمت مملكة بريطانيا الماسونية الهند والخليج، وسلمتها معهما المشروع اليهودي، وقد وضعتها في قلب مياه الإسلام، لكي تخطو فيه الخطوات التالية وتسعى لإتمامه والوصول به إلى غايته بالجيوش والسياسة، فخرج بذلك إلى الأرض والخرائط، وظهر إلى العلن، بعد أن ظل طوال القرون الماضية خبيئاً في الأذهان ومغلفاً بالكشوف والتجارة، ثم بعد أن مهدت بريطانيا الماسونية الشرق كله وجعلته محضناً للمشروع اليهودي، وبعد أن وضعت أساساته الفعلية، بأن فككت الشرق وقطعت فلسطين منه، سلمت هي نفسها المشروع اليهودي لأصحابه الحقيقيين، الذين خرجوا من أذهان الإمبراطوريات التي كانوا يكمنون فيها منذ بدأت حركة الكشوف الجغرافية.

فالمسألة ليست كما يفهمها الأميون في بلاليص ستان، أن شركة الهند الشرقية البريطانية احتلت الهند من أجل التجارة، وأنها وبريطانيا من بعدها احتلوا الخليج وفككوا بلاد الإسلام من أجل إمبراطوريتهم في الهند والتجارة في الشرق، بل احتلت شركة الهند الشرقية البريطانية، وبريطانيا من بعدها، والبرتغال من قبلها، الهند من أجل السيطرة على تجارة الشرق وجني الثروات اللازمة لتكوين الأساطيل والسيطرة على البحار المحيطة ببلاد الإسلام، والمرابطة على تخومها، وتكرار محاولات التسلل إلى مياهها واختراق قلبها حتى الوصول إلى أورشليم/القدس والهيكل، ثم تسليم المشروع لبني إسرائيل.

ولأن الكتاب الذي بين يديك عن تغليف المشروع والغاية اليهودية في الكشوف والتجارة، وليس في الحروب والسياسة، فإليك نموذجاً واحداً، في ديفيد لويد جورج David Lloyd George، رئيس الحكومة البريطانية التي أصدرت وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧م، ثم احتلت فلسطين وسلمتها للعصابات الصهيونية، إبان الحرب العالمية الأولى.

ولويد جورج، رئيس الحكومة البريطانية التي أصدرت وعد بلفور وسلمت فلسطين للعصابات الصهيونية، كان قبل رئاسته للحكومة البريطانية رئيس مجلس التجارة Board of Trade في بريطانيا، وهو المجلس المسؤول عن تنظيم شؤون التجارة والصناعة والمال في الإمبراطورية كلها، ووعد بلفور الذي أصدرته حكومته كان موجهاً للورد روتشيلد، عميد عائلة روتشيلد في بريطانيا ورئيس مجموعة روتشيلد البنكية التجارية، التي تمتلك أغلب أصول بنك انجلترا.

وعن كتاب: وعد بلفور The Balfour Declaration، للمؤرخ اليهودي ليونارد شتاين Leonard Stein، تنقل الباحثة ريجينا الشريف في كتابها: الصهيونية غير اليهودية، جذورها في التاريخ الغربي، وهو أطروحتها التي حصلت بها على درجة الماجستير، أنه:

"وأخبر لويد جورج هربرت صمويل، وهو من اليهود المتعاطفين مع الصهيونية (وأول مندوب سام بريطاني على فلسطين)، أنه كان تواقاً لرؤية دولة يهودية في فلسطين ... وكانت حملة فلسطين بالنسبة له هي الجزء المهم فعلاً من الحرب، لأن أسماء ميادين القتال نفسها كانت تثير مشاعره، وكان متأثراً بذكرياته عن الكتابات المقدسة التي أَلِفها منذ طفولته، وكانت تتنبأ بعودة الشعب اليهودي إلى الأرض المقدسة ... وألقى خطاباً أمام الجمعية التاريخية اليهودية، قال فيه: "نشأت في مدرسة تعلمت فيها تاريخ اليهود أكثر من تاريخ بلادي، لقد أُشربنا بتاريخ جنسكم في أعظم أيام مجده، عندما أقام أدبه العظيم الذي سيتردد صداه حتى آخر أيام هذا العالم القديم، والذي سيؤثر في الأخلاق الإنسانية ويشكلها، وسيدعم ويلهم الحافز الإنساني لا لليهود فحسب، بل للمسيحيين كذلك، لقد استوعبناه وجعلناه جزءًا من أفضل ما في الأخلاق المسيحية""(١).

وكما ترى، المشروع اليهودي، والوصول باليهود إلى أورشليم/القدس والهيكل، هي غاية بريطانيا البروتستانتية الماسونية، كما كانت غاية مملكة البرتغال ومنظمة فرسان المسيح الكاثوليكية، وهو بوصلة هذه كما كان بوصلة تلك.

وكما ظلت هذه الغاية خبيئة في أذهان قادة منظمة فرسان المسيح منذ بدأ الأمير هنري الملاح حركة الكشوف الجغرافية أوائل القرن الخامس عشر للبحث عن طريق يوصل إلى الهند ليرابطوا فيها على تخوم عالم الإسلام ويسعون لاختراقه، إلى أن ظهرت إلى العلن بعدها بقرنين في خطة ألفونسو ألبوكيركه، بعد أن اخترقوا مياه الإسلام فعلاً واقتربوا من قلبه، فقد ظلت كذلك خبيئة في أذهان قادة شركة الهند الشرقية البريطانية، وهم يحتلون الهند، ويتسللون إلى الخليج ويلتهمونه، ثم ورثها عنهم يهود المملكة البريطانية وماسونها، وظهرت إلى السياسات وحركة الجيوش، بعد أن اكتمل الطريق إليها وصاروا في قلب بلاد الإسلام.

---

١) ريجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية، جذورها في التاريخ الغربي، ص١٦٠-١٦٣، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، عالم المعرفة، العدد: ٩٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ١٩٨٥م.

المصادر والمراجع

أولاً: العربية:

١) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، المؤرخ: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٢) أبو الفرج محمد بن إسحاق النَّديم، المؤرخ: الفهرست، تحقيق: رضا- تجدد بن علي زين العابدين الحائري المازنداني، مطبوع على نفقة المحقق، طهران، مهرسته ١٣٥٠/١٩٧١م.

٣) أحمد توفيق المدني، المؤرخ: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ١٤٩٢م-١٧٩٢م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تم سحب الكتاب على مطابع دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ١٩٦٥م.

٤) أحمد فؤاد متولي، دكتور: الفتح العثماني لمصر والشام ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٥م.

٥) أحمد مصطفى أبو حاكمة، دكتور: تاريخ الكويت الحديث، طباعة ونشر وتوزيع: دار السلاسل، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨٤م.

٦) أسامة عبد الرحمن الأمين، دكتور: التغلغل الإسرائيلى فى دول حوض النيل الشرقى، إثيوبيا نموذجاً، مجلة دراسات إفريقية، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، مايو ٢٠١٢م.

٧) الانتباهة السودانية، صحيفة: ١٧ سبتمبر ٢٠١٢م.

٨) أنور عبد العليم، دكتور: الفوائد في أصول علم البحر والفرائد، مجلة العرب، السنة الرابعة، الجزء التاسع، ربيع الأول ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٩) أنور عبد العليم،: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة، العدد: ١٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ١٩٧٩م.

١٠) بديع جمعة وأحمد الخولي: الدكتوران: تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي، القاهرة، ١٩٧٦م.

١١) بهاء الأمير، دكتور: بلاليص ستان ج٨، الحصار، مقطع فيديو في موقع: You Tube.

١٢) بهاء الأمير: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٣.

١٣) تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي المقريزي، المؤرخ: اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، ج١، تحقيق: دكتور جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٤) جمال زكريا قاسم، دكتور: الخليج العربى، دراسة لتاريخ الامارات العربية فى عصر التوسع الاوروبى الأول ١٥٠٧م-١٨٤٠م، دار الكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥م.

١٥) جمال زكريا قاسم: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٢، تطور النفوذ البريطاني في إمارات الخليج العربية والمنافسات الإقليمية والدولية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٦) جمال زكريا قاسم: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج٣، الأوضاع الداخلية في إمارات الخليج العربية وعلاقات الجوار فترة الحربين العالميتين وما بينهما، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٧) جوستاف لوبون، المؤرخ: حضارات الهند، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٩م.

١٨) جون ولينكسون، المؤرخ: حدود الجزيرة العربية، الدور البريطاني في رسم الحدود عبر الصحراء، ترجمة: مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٩) خالد فهمي، دكتور: كل رجال الباشا، محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، ترجمة: شريف يونس، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٠) دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط: الكتاب المقدس، أسفار التوراة وكتب الأنبياء، والأناجيل وأعمال الرسل، ١٩٩٥م.

٢١) ريجينا الشريف، دكتورة: الصهيونية غير اليهودية، جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، عالم المعرفة، العدد: ٩٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ١٩٨٥م.

٢٢) سانت جون فلبيي، المؤرخ والعميل البريطاني: بعثة إلى نجد ١٩١٧م-١٩١٨م، ترجمه وقدم له وعلق عليه: دكتور عبد الله صالح العثيمين، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، توزيع مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٣) صلاح العقاد، دكتور: الاستعمار في الخليج الفارسي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.

٢٤) عباس إقبال الآشتياني، دكتور: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الظاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه: دكتور محمد علاء الدين منصور، راجعه: الأستاذ الدكتور السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩م.

٢٥) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المؤرخ: المقدمة، مهد لها، ونشر الفصول والفقرات الناقصة من طبعاتها، وحققها، وضبط كلماتها، وشرحها، وعلق عليها، وعمل فهارسها: دكتور علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

٢٦) عبد الرحمن الرافعي، المؤرخ: عصر محمد علي، دار المعارف، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٧) عبدالرحيم شعبان أحمد نوبي محمد، الباحث: التدخل الإسرائيلي في إفريقيا وتأثيره على الأمن القومي المصري، دراسة حالة إثيوبيا، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ٢٠١٦م.

٢٨) عبد العزيز الرشيد، الشيخ: تاريخ الكويت، وضع حواشيه وأشرف على تنسيقه: يعقوب عبد العزيز الرشيد، منشوات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٨م.

٢٩) عبد العزيز الشناوي، دكتور: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٠م.

٣٠) عبد المنعم النمر، دكتور: تاريخ الإسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣١) فريدون أمجان، دكتور: سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، ترجمة: دكتور جمال فاروق، أحمد كمال، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م.

٣٢) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي، المؤرخ: غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة، المسمى البرق اليماني في الفتح العثماني، أشرف على طبعه: حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٣٣) محمود بهجت سنان، العميد: تاريخ قطر العام، مطبوع على نفقة المؤلف، وساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه، مطبعة المعارف بغداد، ١٩٦٦م.

٣٤) ناتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، المستشرقة: الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ترجمة: سمير نجم الدين سطاس، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٣٥) نايف عيد السهيل، دكتور: العلاقات السياسية بين العثمانيين والصفويين منذ قيام الدولة الصفوية حتى معركة جالديران، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب جامعة القاهرة، ذو القعدة ١٤٣٠هـ/ نوفمبر ٢٠٠٢م.

٣٦) نبيل عبد الجواد سرحان، دكتور: تطور العلاقات البريطانية العمانية منذ أواخر القرن ١٨ حتى أواخر القرن ١٩، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ١٢٢، الكويت، يوليو ٢٠٠٦م.

٣٧) يلماز أوزتونا، المؤرخ: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: دكتور محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ١٩٨٨م.

ثانياً: الأجنبية:

1) Abram Harris: John Stuart Mill, Servant of the East India Company, Canadian Journal of Economics and Political Science, Volume 30,Issue 2,May 1964, P185-202.

2) Albert Mackey: Encyclopedia of Freemasonry and Kindred Sciences, A New and Revisd Edition, Puplished by The Masonic History Company, New York and London, 1914.

3) Albert MacKey: Encyclopaedia of Freemasonry, Revised and Enlarged Edition, The Masonic History Company; 1929.

4) Albert Pike: Morals and Dogma of the Ancient and Accepted Scottish Rite of Freemasonry, prepared for the Supreme Council of the Thirty Third Degree for the Southern Jurisdiction of the United States, Charleston, 1871.

5) Afonso Da Albuquerque, The Younger: The commentaries of The Great Afonso Da Alboquerque, Second Viceroy of India, Translated From The Portuguese Edition Of 1774 By: Walter de Gray Birch, Printed For The Hakluyt Society, London, M.DCCC.LXXV/1875.

6) Arnold Wilson: The Persian Gulf, Historical Sketch From The Earliest Times To The Begging of The Twentieth Century, Oxford, Clarendon Press, 1928.

7) Arnold Wright: Early English Adventures In The East, E. P. Button & Co., New York, Andrew Melrose, London, Second Edition, 1917.

8) Avrum Ehrlich: Encyclopedia of the Jewish Diaspora: Origins, Experiences, and Culture, ABC-CLIO, Santa Barbara, California, First Edition, October 3, 2008.

9) Basil Lubbock: The Opium Clippers, Brown Son & Ferguson Ltd, Nautical Publishers, Glasgow, 1933.

10) Carnegie Endowment for International Peace: Treaty of Peace with Turkey Signed at Lausanne, July 24, 1923, In: The Treaties of Peace 1919-1923, Vol. II, New York, 1924.

11) Carol Delaney: Columbus and the Quest for Jerusalem, How Religion Drove the Voyages that Led to America, Free Press, New York, 2011.

12) Cecil Roth: A History of The Marranos, Schocken Books, New York, 1975.

13) Charles Moeller: Order of the Knights of Christ, The Catholic Encyclopedia, Vol. XIII, Edited By: Charles George Herbrmann, The Encyclopedia Press, Inc. 1913.

14) Clements Markham: The Journal of Christopher Columbus During First Voyage, 1492-1493, Printed For The Hakluyt Society, Lincolin's Inn Fields, London, M.DCCC.XCIII/1893.

15) Daniel Defoe: The Anatomy of Exchange Alley: Or, a System of Stock Jobbing. Proving that Scandalous Trade, as it is Now Carry'd On, to Be Knavish in Its Private Practice, and Treason in Its Public, Printed For: E. Smith, Near Exchange, London, Second Edition, 1719.

16) David Sarfaty: Columbus Re-Discovered, Dorrance Publishing, Pennsylvania, United States, Sep 30, 2010.

17) Eugenius Philalethes :Fama Fraternitatis or A Discovery of The Fraternity of The Most Laudable Order of The Rosy Cross, With A Preface Printed By: F. M. for: Giles Calvert, At The Black Spread Eagle, At The West End of Pauls, London,1653.

18) Frederick Charles Danvers: The Portuguese In India, Being A History Of The Rise And Decline Of Their Eastern Empire, W.H. Allen & Company, limited, Publishers Of The India Office, London, 1894 .

19) Fred Skolnik, Editor in Chief, Michael Berenbaum, Executive Editor: Encyclopedia Judaica, Vol. V, Macmillan Reference USA, In Association with Keter Publishing House, Jerusalem, Second Edition, Thomson Gale, Printed In USA, 2007.

20) Gaspar Correa: The Three Voyages Of Vasco Dagama And His Viceroyality, Translated From The Poruguese By: Hon. Henry Stanley, Printed for the Hakluyt Society, London, 1869.

21) George Oliver: History Of Freemasonry, From 1829 To The Present Time, Richard Spincer, London, 1841.

22) Giancarlo Casale: The Ottoman Age Of Exploration, Published by: Oxford University Press, Inc., New York, 2010.

23) Grand Lodge of India: Freemasonry Comes to India, http://www.masonindia.in/index.php/freemasonry-comes-to-india/

24) Harold Frederic: Red Coats on The Nile, Lord Cromer Converted Against British Evacuation, The New York Times, May, 3, 1896.

25) Henry Dodwell, Editor, The Cambridge History Of India, Vol.V, British India, Cambridge University Press, Fetter Lane, London, 1929.

26) Henry Morse Stephens: Albuquerque, Oxford Clarendon Press, London, 1897.

27) James Anderson: The History And Constitutions of The Most Ancient And Honorable Fraternity Of Free And Accepted Masons, Printed And Sold By J. Robison, At The Golden Lion In Ludgate Street, London, In The Year Of Masonry 5746?1738.

28) James Carroll: Jerusalem, How the Ancient City Ignited Our Modern World, Scribe Publications Pty Limited, Oct 3, 2011.

29) James Mill: The History of British India, Fourth Edition, James Madden, London, M.DCCC.XLVIII.

30) Jason A. Karsh: The Root of the Opium War, University of Pennsylvania, 2008.

31) Jayne Kingsley Garland: Vasco Da Gama and His Successors, 1460-1580, Methuen And Co. Limited, 3 Essex Street, London, 1910.

32) Jessica Harland-Jacobs: Builders of Empire Freemasons and British Imperialism, 1717-1927, University of North Carolina Press, 2007.

33) João de Sá: A Journal of the first Voyage of Vasco da Gama, 1497-1499, Translated And Edited With Notes And Introduction By: Ernest Georg Ravenstein, Printed for the Hakluyt Society, London, 1898.

34) John Boyd Thacher: Christopher Columbus, His Life, His Works, His Remains, As Revealed by Original Printed and Manuscript Records, G.P. Putnam's Sons,New York & London, 1903.

35) John Gordon Lorimer: Gazetteer Of The Persian Gulf Oman And Central Arabia, Superintendent Government Printing, Culcutta, India, 1915.

36) John Reeves: The Rothschilds,The Financial Rulers Of Nations, A. C. McClueg & Co., Chicago, 1887.

37) John Richards: Finances of the East India Company in India, 1766-1859, Department of Economic History, London School of Economics, Working Papers, No. 153/11, August 2011.

38) John William Kaye: The Life And Correspondence Of Major-General Sir John Malcolm, Smith, Elder and Co., London, 1856.

39) Joseph Jacobs: Maranos in England, The Jewish Encyclopedia, Vol. V, Funk And Wagnalls Company, New York And London, Printed in USA, 1904.

40) Josiah Child: A New Discourse of Trade Wherein Is Recommended Several Weighty Points Relating To Companies of Merchants, The Act of Navigation, Naturalization of Strangers, and Our Woollen Manufactures, The Balance of Trade , Printed And Sold By: T. Sowle, London, 1698.

41) Leo Wiener: Africa and The Discovery of America, Pa.: Innes & Sons, Philadelphia, MCMXXII/1920.

42) Lucien Wolf: The First English Jew. Notes on Antonio Fernandez Carvajal, with Some Biographical Documents, The Jewish Historical Society of England, Transactions, Session: 1894-1895, Wertheimer, Lea And Co., London.

43) Lytton Strachey: Queen Victoria, Harcourt, Brace, And Company, New York, Copyright, 1921.

44) Margarita Zamora: Reading Columbus, University of California Press, Berkeley,Los Angeles, Oxford,1993.

45) Mc Farlane: The life of sir Thomas Gresham, Charles Knight & Co., Ludgate Street, London, 1845.

46) Meyer Kayserling: Christopher Columbus and the Participation of the Jews in the Spanish and Portuguese Discoveries, Lomgmans, Green & Co., New York, 1894.

47) Michael Dockrill: Britain & Lausanne Conference 1922-1923, The Turkish Yearbook, Vol. XXIII, 1993.

48) Mubarak Al-Otabi: The Qawasim and British Control of the Arabian Gulf, Thesis presented for the degree of Doctor of Philosophy, University of Salford, International Studies Unit, 1989.

49) Provincial Grand Lodge of Norfolk: Baring Lodge No. 2602, https://norfolkfreemasons.org/baring-lodge-2602/

50) Richard Burton: First Footsteps In East Africa Or, An Exploration of Harar, Tylston And Edwards, London, 1894.

51) Richard Henry Major: The Discoveries of Prince Henry The Navigator And Its Results, Sampson Low, Marston, Searle, & Rivington, 188 Fleet Street, London, 1877.

52) Robert Freke Gould: History of Freemasonry Throughout The World, Vol. IV, Charles Scribner' Sons, New York, Copyright, 1936.

53) Robert Freke Gould: Military lodges. The Apron and The Sword or Freemasonry Under Arms, Aldershot, Gale & Polden Ltd,London, 1899.

54) Roberto Rusconi, Editor, Blair Sullivan, Translator: The Book of Prophecies Edited by Christopher Columbus, Wipf and Stock Publisher, University of California Press, 1997.

55) Talboys Wheeler: India Under British Rule From The Foundation Of The East India British Company, Macmillan And Co. London, 1886.

56) The Encyclopædia Britannica, Eleventh Edition: Child, Sir Josiah, Vol.VI, Cambridge, England, at The University Press, New York, 35 West, 32nd Street, 1911.

57) The Encyclopædia Britannica, Eleventh Edition: Robert Clive, Baron, Vol.VI, Cambridge England at The University Press, New York, 35 West, 32nd Street, 1911.

58) The Rothschild Archive: Nathan Mayer Rothschild and Waterloo, https://www.rothschildarchive.org/contact/faqs/nathan_mayer_rothschild_and_waterloo

59) Thomas Macaulay: Essay On Lord Clive, George Harper & Company, London, 1910.

60) Washington Irving: A History of the Life and Voyages of Christopher Columbus, John Murray, Albemarle Street, London, MDCCCXXVIII/1828.

61) Werner Sombart: The Jews and Modern Capitalism, Translated From German By: M. Epstein, E. P. Dutton & Company, New York, 1913.

62) W. G. L. Randles: Bartolomeu Dias And The Discovery of The South East Passage Linking The Atlantic To The Indian Ocean, Coimbra, Largo De S. Salvador, 1988.

63) Wikipedia, the free encyclopedia: Azores.

64) Wikipedia, the free encyclopedia: History of The Order of Christ.

65) Wikipedia, the free encyclopedia: João Gonçalves Zarco.

66) Wikipedia, the free encyclopedia, Josiah Child.

67) William Denslow: 10,000 Famous Freemasons, Missouri Lodge of research Independence, Missouri, published by: Macoy Publishing & Macoy Supply Co., Inc. Richmond, Virginia,1957.

68) William Frederick Mayers: Treaties Between The Empire of China and Foreign Powers, North China herald, Ltd, Shanghai, 1902.

69) William Letwin: Sir Josiah Child, Merchant Economist, With a Reprint of Brief Observations Concerning Trade, and Interest of Money (1668), Baker Library, Harvard Graduate School of Business Administration, Boston,Massachusetts 1959.

70) William Preston: Illustrations of Freemasonry, Printed For: J. Wilkie, Second Edition, London, MDCCLXXV/1775.

71) William Steen, Translator: The Ethiopian Constitution, Published By: The Ethiopian Researh Councel, Washington DC, !936.

72) William Wilson Hunter: The Indian Musalmans, Trubner & Company, Third Edition, London, 1876.

فهرس الصور

الصورة	الصفحة
	٤٠٩

الفهرس

دكتور بهاء الأمير

- **المؤلفات:**

١) كوسوفا، المذابح والسياسة، دار النشر للجامعات.

٢) النور المبين، رسالة في بيان إعجاز القرءان الكريم ، مكتبة وهبة.

٣)المسجد الأقصى القرءاني، دار الحرم للتراث.

٤) الوحي ونقيضه، بروتوكولات حكماء صهيون في القرءان، مكتبة مدبولي.

٥) اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، مكتبة مدبولي.

٦) اليهود والماسون في الثورات والدساتير، مكتبة مدبولي.

٧) اليهود والماسون في ثورات العرب، مكتبة مدبولي.

٨) شفرة سورة الإسراء، بنو إسرائيل والحركات السرية في القرءان، مكتبة مدبولي.

٩) بروتوكولات حكماء صهيون، تقديم ودراسة، مكتبة مدبولي.

١٠) الانفجار الكبير، ماذا غير القرءان في العالم وماذا أحضر للإنسانية، مكتبة وهبة.

١١) تفسير القرآن بالسريانية دسائس وأكاذيب والأصول القبالية لتفسير الحروف المقطعة بالسريانية، مطبوع على نفقة المؤلف.

١٢) النازية واليهود والحركات السرية، مطبوع على نفقة المؤلف.

١٣) التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص، مطبوع على نفقة المؤلف.

١٤) ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان، مطبوع على نفقة المؤلف.

١٥) اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية، وشركة الهند الشرقية البريطانية، مطبوع على نفقة المؤلف.

١٦) بلاليص ستان، تحت الطبع.

- **دراسات ومقالات منشورة على الإنترنت(•):**

١) يهود الدونمة.

٢) اليهود والماسون في قضية الأرمن.

٣) حركة الجزويت اليسوعية.

(•) روابط الدراسات في مدونة صناعة الوعي، ومدونة عالم الوحي على الإنترنت.

٤) عن الإخوان والماسونية.
٥) معركة المادة الثانية من الدستور.
٦) قواعد في إدارة الصراعات والتعامل مع الأزمات.
٧) عن الفتنة والديمقراطية والحركات الإسلامية.
٨) نقد كتاب اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد.
٩) نقد استخدام حساب الجُمَّل والأعداد في الاستنباط من القرءان.
١٠) حقيقة ما يحدث في مصر.
١١) فرعون بين التوراة والقرءان.
١٢) المسألة الإخناتونية.
١٣) معركتنا مع اليهود نموذج قديم وأحداث جديدة.
١٤) الفريضة الغائبة عما يحدث في مصر، العلماء والميزان.
١٥) الشميطاه واليوبيل.
١٦) القبالاه والموسيقى.
١٧) نقد نظرية الأكوان المتوازية.
١٨) البِتكوين، العملة المشفرة.
١٩) حوار مع قادياني.
٢٠) قضية تحرير المرأة.
٢١) أصول دراسة إسلام بحيري عن سِن السيدة عائشة عند زواج النبي بها.
٢٢) رد على نقد بخصوص كتاب شفرة سورة الإسراء:١ ،٢ ، ٣.
٢٣) اليهود الأخفياء.
٢٤) رسم المصحف وكلمات القرآن.
٢٥) اليهود والاشتراكية.
٢٦) المملكة وأردوغان.
٢٧) حفظة الأكلشيهات.
٢٨) اليهودي كرستوفر كولمبس ومشروع المارانو.
٢٩) آل عثمان حماة مياه الإسلام.
٣٠) يهود الخزر.

٣١) الأزمة في الجزائر وأزمة الشرعية في الدول العربية.
٣٢) أحداث الحادي عشر من سبتمبر.
٣٣) الأرض المسطحة.
٣٤) حوار مع كائن فضائي.
٣٥) الإسلام والحركات الإسلامية والثورات.

• **قصص قصيرة:**

١) جيفارا.
٢) مجاهد بن عبد الله الأزهري.
٣) علميها رمي الحجر.
٤) أبو خربان.

المرئيات(•):

أولاً: مع الكاتب والمفكر الإسلامي جمال سلطان في برنامج حوارات بقناة المجد:

١) بروتوكولات حكماء صهيون، في مواجهة دكتور عبد الوهاب المسيري ودكتور أحمد ثابت.
٢) اليهود في الغرب، في مواجهة دكتور عمرو حمزاوي.

ثانياً: مع الشاعر المبدع والإعلامي اللامع أحمد هواس في برنامج قناديل وبرنامج كتاب الأسبوع بقناة الرافدين:

١) الوحي ونقيضه.
٢) المسجد الأقصى القرءاني.
٣) خفايا شفرة دافنشي.
٤) ملائكة وشياطين.
٥) دور الحركات السرية في إنشاء الولايات المتحدة الأمريكية والرموز اليهودية والماسونية في الدولار الأمريكي.
٦) القبالاه، التراث السري اليهودي ، وآثارها في العالم.
٧) التنجيم والأبراج، أصلها وحقيقتها.

(•) مرئيات دكتور بهاء الأمير موجودة على شبكة المعلومات الدولية ، الإنترنت، في موقع يوتيوب وفي العديد من المواقع الأخرى.

٨) البلدربرج حكومة العالم الخفية.

٩) الرمز المفقود.

١٠) لماذا العراق؟ خفايا الغزو الأمريكي للعراق.

١١) نبوءة نهاية العالم، الأساطير والحقائق.

١٢) البابية والبهائية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.

١٣) القاديانية والنصيرية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.

ثالثاً: مع الإعلامي والداعية الإسلامي خالد عبد الله في برنامج مصر الجديدة بقناة الناس:

١) خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الأول.

٢) خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثاني.

٣) خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثالث.

٤) الاحتفال الماسوني عند الهرم الأكبر، حقيقته والهدف منه.

٥) دكتور محمد البرادعي، مواقفه وأفكاره.

رابعاً : مع الإعلامي والشاعر والداعية الإسلامي دكتور محمود خليل في برنامج الدين والنهضة بقناة مصر ٢٥:

١) الفوضى في مصر، أسبابها ومن المستفيد منها.

٢) مصر بعد الثورة، الأخطار الداخلية والخارجية.

٣) رمضان شهر القرءان.

٤) الثورة والدولة.

خامساً : مع الإعلامي ياسر عبد الستار في قناة الخليجية:

١) الماسونية والثورات.

سادساً : في قناة الحدث :

١) من خلف الثورات.

٢) المشروع اليهودي وحروب الجيل الرابع.

٣) من هي إسرائيل؟

٤) يهودية إسرائيل.

٥) حقيقة الماسونية.

<u>سابعاً:</u> في معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٣م:

١) نقد كتاب: سر المعبد للأستاذ ثروت الخرباوي.

<u>ثامناً:</u> في عالم السر والخفاء، برنامج من إعداد وتقديم دكتور بهاء الأمير:

١) عالم السر والخفاء.

٢) جولة في عالم السر والخفاء.

٣) بيان الإله.

٤) الوحي.

٥) الطلاسم.

٦) في الملأ الأعلى.

٧) خريطة الوجود.

٨) الأمم المتحدة.

٩) حقوق الإنسان.

١٠) تحرير المرأة.

١١) اتفاقيات المرأة في الأمم المتحدة.

١٢) الهندوسية.

١٣) جمعية الحكمة الإلهية.

١٤) الحكيمة فوزية دريع.

١٥) حركة العهد الجديد والأمم المتحدة القبالية.

١٦) الماسونية وبناتها.

١٧) الوحي ونقيضه.

١٨) أخوية فيثاغورس.

١٩) المخطوط العبري.

٢٠) قلب الماسونية.

٢١) وسائل الانفصال الاجتماعي.

<u>تاسعاً:</u> مقاطع وحوارات مصورة في المنزل:

١) بلاليص ستان: سبعة عشر مقطعاً.

٢) رد على نقد: أربعة مقاطع.

٣) الشورى والديمقراطية: أربعة مقاطع.

٤) أخطاء الإسلاميين: مقطعان.

٥) نبوءات: أربعة مقاطع.

٦) المادة الثانية من الدستور: خمسة مقاطع.

٧) التاريخ السري للغرب: ستة مقاطع.

٨) الوحي ونقيضه.

٩) العقائد والسياسة.

١٠) الناس من غير الدين بهائم.

١١) نفي الألوهية والخلق والوحي أصل الليبرالية والماركسية.

١٢) الأناركية.

١٣) حوار مع معالج بالطاقة.

١٤) علميها رمي الحجر.

- **السمعيات :**

١) برنامج في مكتبة عالم بإذاعة القرءان الكريم، ثلاث حلقات.

٢) برنامج مقاصد الشريعة بإذاعة القرءان الكريم، أربع عشرة حلقة.

اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية

وشركة الهند الشرقية البريطانية

- مشروع الكشوف الجغرافية، والبحث عن طريق إلى الهند بعيداً عن البحر المتوسط المطوّق بدول الإسلام، عبر الإبحار في المحيط جنوباً وغرباً، مشروع يهودي، غايته النهائية أورشليم/القدس والهيكل/المسجد الأقصى، والمسيحية ومملكة البرتغال في هذا المشروع ليست سوى الغلاف اللازم لجمع الأموال وحشد الأساطيل واستنفار الجنود، لكي تقاتل في حماس باسم المسيحية، وهي لا تدري أنها تحقق غاية اليهودية!
- الذي صنع الإمبراطورية البرتغالية عبر البحار، ليس الدولة، بل منظمة فرسان المسيح، والذي احتل الهند ونهبها واستولى على ثرواتها، ليس بريطانيا المملكة والدولة، بل شركة الهند الشرقية البريطانية التي تكونت بأموال يهود المارانو المهاجرين من إسبانيا والبرتغال إلى انجلترا، وأبطال معارك احتلال الهند، ومن سيطروا على مقاليدها، لم يكونوا سوى وكلاء لهم وموظفين عندهم، والتاج والحكومة البريطانية ورثت الشركة في احتلال الهند والخليج بعد أن صارت مملكة بريطانيا وحكومتها هي نفسها واجهة للمؤسسات التجارية والبنوك وأصحابها من اليهود والماسون.
- المسألة ليست كما يفهمها الأميون في بلاليص ستان، أن شركة الهند الشرقية البريطانية احتلت الهند من أجل التجارة، وأنها وبريطانيا من بعدها احتلوا الخليج وفككوا بلاد الإسلام من أجل إمبراطوريتهم في الهند والتجارة في الشرق، بل احتلت شركة الهند الشرقية البريطانية، وبريطانيا من بعدها، والبرتغال من قبلها، الهند من أجل السيطرة على تجارة الشرق وجني الثروات اللازمة لتكوين الأساطيل والسيطرة على البحار المحيطة ببلاد الإسلام، والمرابطة على تخومها، وتكرار محاولات التسلل إلى مياهها واختراق قلبها حتى الوصول إلى أورشليم/القدس والهيكل، ثم تسليم المشروع لبني إسرائيل.

اقرأ في هذا الكتاب:

- اليهودي كرستوفر كولمبس ومشروع المارانو.
- مملكة البرتغال ومنظمة فرسان المسيح، الهدف أورشليم.
- شركة الهند الشرقية البريطانية في مياه الإسلام.

دكتور بهاء الأمير